



كتاب

العقد الثمين في شرح أجازة أصول الدين

لفقد الشيخ (المؤلف)

حسين بن غنم

توفي ١٢٢٥ هـ - رحمه الله

تحقيق

إبراهيم يومئذ الماس

بإشراف

فضيلة الشيخ

عبدالله بن عبد الرحمن العجاري

إصدار

وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

إدارة الشؤون الإسلامية

دولة قطر



مكتبة الشيخ عبد الله الأنصاري

الرقم العام :

رقم التصنيف :

كتاب

العقد الثمين في شرح أجازة أصول الدين

لفضيلة الشيخ المورع

حسين بن غنّام

توفي ١٢٢٥ هـ - رحمه الله

تحقيق

إبراهيم يوسف الماس

إشراف

فضيلة الشيخ

عبد الله بن عبد الرحمن الجبرين

إصدار

وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

إدارة الشؤون الإسلامية

دولة قطر

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً .
ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، جعل لنا الإسلام ديناً وشرعة
ومنهجاً .

ونشهد أن محمداً عبده ورسوله ، المبعوث رحمة للعالمين ...
صلوات الله وسلامه عليه ، وعلى آله وأصحابه ، ومن اهتدى بهديه واتبع سنته
إلى يوم الدين .
أما بعد ،

فما أحوج المسلمين في هذا العصر أن يتفقهوا في دينهم ، وأن يتفهموا عقيدتهم ،
ويلتزموا بالمنهج القويم ، في حياتهم وشؤونهم كلها ، تحقيقاً لقول الله تبارك وتعالى :
« قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين ، لا شريك له ، وبذلك
أُمرت ، وأنا أول المسلمين » .

ولا مرأى في أن هذا هو السبيل الأقرب والأصوب ، لبناء مجتمع سليم ، يأخذ
بأسباب التقدم والرفي على كافة الأصعدة ، ويصل الحاضر بالماضي ، لينطلق قوياً
شامخاً نحو مستقبل مشرق عزيز .

ولعل من البشائر والإرهاصات الواعدة ، ما تشهده الساحة الإسلامية من
حركة علمية ، وصحوة دينية ، وبقظة فكرية ، تتناول التراث المكتوب بالتحقيق
والدراسة والإحياء ، ليكون هذا التراث الحي بمثابة الجذور التي تربط الأمة
بأصول نشأتها ، وتبعثها لتنهض بدورها الريادي والحضاري من جديد .

وهذا الكتاب الذي نضعه بين يدي القاريء يحتوي على مجموعة من القضايا
الهامة ، التي يحتاج إليها المسلم في فهم أمور دينه ، أُلّف بينها صاحبه الشيخ حسين
ابن غنام ، معتمداً على أضاميم من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي تمثل

أصول الإسلام ودعائمه العظام، بحيث ييسر للقاريء الحصول على ما يرجوه من فائدة بغير عناء، لأن كل قضية فيه عولجت على حدة، بأدلتها ومؤيداتها المشروحة شرحاً موجزاً، فيه الخلاصة، وفصل المقال، ومن ذلك توضيحه لمعنى الإسلام والإيمان، وإخلاص العمل لله تعالى، وشرح مدلول شهادة التوحيد «لا إله إلا الله»... والمراد من العبادة وأنواعها، والاعتصام بالكتاب والسنة، وأهم الفرق الإسلامية... وغير ذلك، من الأبحاث التي تتصافر بعضها مع البعض الآخر لتشكّل سداً منيعاً في وجه ضلالات الشرك وشوائب البدع، التي ينبغي أن يجذر منها الناس، ويدرءوا خطرهما عن أنفسهم في كل زمان ومكان.

إن هذا الكتاب «العقد الثمين في شرح أحاديث أصول الدين» لمؤلفه المتوفى عام ١٢٢٥هـ - رحمه الله - عبارة عن تلخيص لدعوة الإمام الشيخ محمد بن عبد الوهاب - عليه رحمة الله - فهو يمتح من نبعه، ويترسم خطاه، في تأصيل عقيدة التوحيد، وترسيخها في النفوس، وتفنيد ما يناقضها من قول أو عمل، على اعتبار أن العقيدة هي الأساس الذي يقوم عليه بناء الدين كله، فإذا استقام الفكر بالتوحيد، واستنار القلب بالإيمان، صلح الإنسان، وشرفت غاياته، وبصلاح الفرد يصلح المجتمع، وتنهض الأمة (ولا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها).

* * *

وإنه ليسر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة قطر، أن تقدم هذا الكتاب إلى المسلمين هدية منها، عسى الله أن يحقق به النفع، ويثيب كل من ساهم فيه بعلمه أو بجهده، حتى أصبح ميسوراً تناوله لأهل العلم وطلبته في داخل البلاد وخارجها على السواء، والله من وراء القصد، وهو ولي التوفيق.

وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

إدارة الشؤون الإسلامية

الدوحة - قطر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تقديم

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده وعلى آله وصحبه وبعد ،
فإن علم الشريعة وتفاريحها هو أساس العلوم وأصلها ، ومتى أتقنه العبد وحذق
فيه ، سهلت عليه التفاريح ، وبذلك تقبل الأعمال وتبرأ بها الذمة من عهدة التكليف ،
ومتى أعرض العبد عن هذا الأصل الأصيل أو قرأه بدون تحقيق ، لم يؤمن أن يزيغ في
باب الاعتقاد ، وينحرف عن الصراط السوي ، ومن ثم تصبح أعماله على غير السداد ،
فلا يقبل منه حسنة ، ولا يرفع له عمل صالح ، لفقد الشرط الأول ؛ وهو علم
الاعتقاد الصحيح الذي منبعه من الكتاب والسنة ، وعليه درج سلف الأمة ، وقال به
العلماء المقتدى بهم ، الذين بهم قام الكتاب وبه قاموا فأصبحوا مصابيح الظلام لمن
بعدهم . وإن من أتباعهم على هذا الطريق الشيخ محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله
تعالى - فقد وفقه الله لتجديد التوحيد وبيان معالم الدين بعد اندراسها ، وتبعه على
ذلك تلاميذ له ساروا على منهجه ، لتحقيقهم بأنه الطريق الأصوب ، والمنهج السليم
لاعضاده بالدليل الواضح الجلي . وكان من هؤلاء التلاميذ العالم الأحسائي المؤرخ
الأديب حسين بن غنام - رحمه الله تعالى - والذي كتب في علم العقيدة هذه الرسالة
القيمة ، وقد استمد فيها من كتب أهل العلم من الحنابلة وغيرهم ، وأكثر من النقل
عن ابن رجب في شرح الخمسين حديثاً النووية ، وبذلك تصبح رسالته هذه من
أحسن ما كتب في أصول الدين . وقد قام بتحقيقها والتعليق عليها الطالب إبراهيم
الماس ، وقد خدمها بقدر الطاقة وعمل فيها مايشاء لتتم الاستفادة منها ، وفق الله
الجميع للعمل الصالح ، ورحم الله المؤلف ، وأكرم مثواه ، والله أعلم . وصلى الله على
محمد وآله وصحبه وسلم .

قاله عبد الله بن عبد الرحمن الجبرين

الجدل وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده وعلى آله وصحبه

ويعرفان علم التريفة وتعاريفها هو أساس العلوم وأصلها ومقتضى إتقانه العبد وحده
عند سبلت عليه التفاريح وبذلك تقبل الأعمال وتبرأ بها الذم من حمرة الشكاليق ومقتضى عرف
العبد عن هذا الأصل أو قرأه بدون تحقيقه لم يؤمن ان يزجج في باب الاعتقاد وينحرف عن
الصراط السوي ومن ثم تصحح أعماله علم غير السداد فلا يقبل منه حسنة ولا يروى له عمل صالح
لوقف الشرط الأول وهو علم الاعتقاد الصحيح الذي صنيعة من الكتاب والسنة وعليه يرجع سلف
الأمة وقارن العلماء المعتمد عليهم الزبير بن علقمة من الكتاب بغيره كما هو واضح مما يبيح الظلام ان
بعدهم. وانه من اتبأهم علم هذا الطريفة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى فوفقه ثم
لتحجيد التوحيد وبيان معالم الدين بعد ان أسسها وتبوعه علم ذلك لا ينزل ساروا علم منهجه
لتحققهم بأنه الطريفة الأصوب والمنهج السليم لا عنقناده بالدليل الواضح الجلي وكان من هؤلاء
استلامه العالم الأحسائي المؤرخ الأديب حميد بن غنم رحمه الله تعالى والذي كتب في علم العقيدة -
هذه الرسالة القيمة وقد استمدتها من كتب أهل العلم من كتاب العقيدة والتميز من النقل عن
ابن أبي عمير شرح الحميد حديثا النووية ويزيد في تصحيح أسرارهم هذه من أحسن ما كتب في أصول
الدين وقد قام بتحقيقها والتعليق عليها الطالب أسرارهم الماس وقد قدمها بقدر الطاقة
وعمل فيها ما يشكر لكم الاستفادة منها فوفق الله الجميع للعمل الصالح ورحمهم الله المؤلف
وأكرم مثواه والله أعلم بمراد الحق محمد وآله وصحبه
قال عبد الله بن عبد الرحمن الجبوري

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، نحمده سبحانه وتعالى على آلائه، ونشكره على نعمائه، وأفضاله، ومن هذه النعم وأعظمها علينا نعمة الإسلام، الدين الذي ارتضاه سبحانه وتعالى للأنام، حيث يقول في محكم كتابه: «الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا» (١).

ولن يقبل - سبحانه وتعالى - من أحد سواه، وباء بالويل والخسران من ارتضى غيره. حيث يقول جل شأنه: «وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ» (٢).

والصلاة والسلام على من بعثه الله للعالمين رحمة، وأرسله للناس بشيراً ونذيراً، ليخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه، فقد بلغ (صلى الله عليه وسلم) الرسالة وأدى الأمانة، ونصح الأمة، هو القائل: (ذاق طعم الإيمان من رضي بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد رسولاً). (٣)

اللهم صل وسلم على عبدك ونبيك محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه والتابعين له إلى يوم الدين. أما بعد،

فما لاشك فيه أن عز المسلم وشرفه في انتباهه لدينه، وقوة شخصيته في تمسكه بعقيدته الإسلامية، التي صورها القرآن العظيم وبينها الرسول الكريم (ﷺ) وهي توحيد الله تعالى، ونبذ الشرك والبدع، وعبادة الأوثان والطواغيت، وتلك كانت مهمة الرسل - عليهم الصلاة والسلام - يقول الله تعالى: «وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ» (٤).

(١) سورة المائدة من آية / ٣.

(٢) سورة آل عمران آية / ٨٥.

(٣) رواه مسلم في صحيحه ج ١ ص / ٦٢ كتاب الإيمان حديث رقم ٥٦ / ٣٤.

(٤) سورة النحل من آية / ٣٦.

كما وضح (ﷺ) هذا المعنى بقوله في حديث معاذ: (حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً) . (١)

فلذا نجد أنه (ﷺ) مكث في مكة قرابة ثلاثة عشر عاماً وهو يغرس في قلوب الناس العقيدة السليمة ، ويثبت في نفوسهم دعائم هذا الدين العظيم ، ويوضح أركان الإيمان الصحيح ، حتى استطاع (ﷺ) بفضل من الله تكوين الجماعة المؤمنة ، التي عرفت العقيدة السليمة وفهمت معنى لا إله إلا الله ، فضحت هذه الجماعة المؤمنة من أجل ذلك بالغالبي والنفيس في الدفاع والذود عن هذه العقيدة ، ونشروها في أرجاء المعمورة ، حتى دخل الناس في دين الله أفواجا ، وبدلوا في سبيل هذه العقيدة النفس والمال ، وكل ما يملكون ، ومن هؤلاء من سخر للدفاع عنها لسانه وقلمه ، فسهروا الليالي والأيام ، يحفظون الآيات القرآنية ويفسرونها ، ويدونون الأحاديث النبوية ، ويشرحونها ، ويجادلون بها الذين في قلوبهم زيغ ، ويدحضون حججهم بها وبما أوتوا من الفهم والحكمة ، ولا يخافون في الله لومة لائم ، هكذا كان شأنهم ، ثم رحلوا - رحمهم الله تعالى - وتركوا لنا تراثاً علمياً ضخماً في مختلف العلوم والفنون ، وخاصة في العلوم الدينية ، تركوا لنا مخطوطات ومجلدات كثيرة ؛ فيها الخير العميم ؛ والفوائد الجليلة ، ولكن للأسف الشديد ، مازال الكثير منها متوارياً عن الأنظار مكدساً في المكتبات ، والدور الخاصة والعامة التي تهتم بذلك ، لا يراها أحد سوى المولعين بالبحث ، مع العلم أن هذه المخطوطات تحتاج إلى عزائم قوية ، وهمم عالية لإخراجها إلى النور ، وإبرازها إلى حيز الوجود ، لكي تستفيد الأمة الإسلامية منها ، وخاصة أن هذه الأمة ، حالياً ، تتخبط في الظلمات بما يحاك ضدها من المؤامرات والمكايد من أهل الملل الضالة ، والمذاهب الهدامة ، والفرق الكافرة الملحدة ، غايتها القضاء على هذه الأمة ، بما لديها من وسائل ملتوية ، وطرق ضالة ؛ منها التشكيك في عقيدة المسلم ،

(١) رواه البخاري في صحيحه ج ٧ ص / ٦٨ كتاب الأدب باب ١٠١ . كما رواه مسلم في صحيحه ج ١ ص / ٥٨ كتاب الإيمان حديث رقم ٤٨ ، ٣٠ / ١٥ .

ومنها التحريف والتبديل والقول بعدم صلاحية الدين الإسلامي لهذا الوقت ، وغير ذلك من الضلالات ، ولكن سيقى الإسلام شامخ البنيان ثابت الأركان ، رغم أنوف هؤلاء ، لأنه دين الله الخالد ، وسيظل نور الله باقياً ، لقوله سبحانه وتعالى : « يُرِيدُونَ لِيطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ » (١) .

وبعد ، فمشاركة مني في الدفاع عن هذه العقيدة ، ولو بالشيء اليسير ، عازمت وتوكلت على الله في تحقيق مخطوطة من ذلك التراث القيم ، فبدأت بالبحث والتنقيب في المكتبات الخاصة والعامة إلى أن وفقني الله تعالى في الحصول على هذه المخطوطة من الكتاب المسمى بـ (العقد الثمين في شرح أحاديث أصول الدين) لابن غنام الذي تكلم فيه عن قضايا كثيرة تهم المسلم في حياته ، كما أن هذه المخطوطة تعتبر ملخصاً للدعوة السلفية التي قام بها الشيخ محمد بن عبد الوهاب في الجزيرة العربية .

وقد آثرت هذه المخطوطة على غيرها لعدة أسباب منها :

١ - جمع المؤلف الكثير من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة التي تتعلق بأصول الدين في مكان واحد يسهل على الباحث الرجوع إليها .

٢ - كثير من الناس يعتقد أن العبادة هي الإتيان بأركان الإسلام الخمسة ، وهي : شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج بيت الله الحرام للمستطيع ، وينسون قوله تعالى : « قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٣﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ » (١) .

فالواجب على المسلم أن تكون حركاته وسكناته كلها لله تعالى ، وهذا ما سلاحظ من خلال صفحات هذه المخطوطة التي يوضح فيها المؤلف أن العبادة هي صرف جميع أنواعها لله عز وجل من خوف ، وتوكل ، ودعاء ، ورجاء ،

(١) سورة الصصف آية / ٨ .

(٢) سورة الأنعام آية / ١٦٢ - ١٦٣ .

وخشية وغيرها .

٣ - من الأمور التي ابتليت بها الأمة الإسلامية ، وفهمها أكثر العامة فهماً خاطئاً ، واستغلها أعداء الإسلام لأغراضهم الدنيئة ، تقديس الأولياء والصالحين ، فهؤلاء بدل أن يجعلوهم أئمة يقتدى بهم ، اتخذوهم آلهة يعبدونهم من دون الله ، وبدل أن يترحموا عليهم ، ويدعوا لهم ، صاروا يدعونهم من دون رب الأرباب .
والمؤلف في هذه المخطوطة يبين مضار هذه الأمور ، وكيفية علاجها ، وهو الرجوع إلى الله تعالى ، والاعتماد عليه ، وصرف الأمور إليه .

٤ - كما يوضح المؤلف في كتابه كثيراً من القضايا التي تهم المسلم ، كالتمسك بكتاب الله ، والاعتداء بسنة الرسول (ﷺ) والسير على منهاج الخلفاء الراشدين ، واتباع السلف الصالح ، وعدم الاختلاف والفرقة ، وغير ذلك من الأمور .

طريقة البحث

افتتحت بحثي بمقدمة وجيزة ثم قسمته إلى قسمين : قسم دراسي وقسم تحقيقي .

أما القسم الدراسي ، فقد تناولت فيه ثلاثة فصول :

الفصل الأول : عصر المؤلف ، ويشتمل على ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : الحالة الدينية .

المبحث الثاني : الحالة السياسية .

المبحث الثالث : الحالة العلمية .

والفصل الثاني : حياة المؤلف الشخصية ، ويشتمل على مبحثين :

المبحث الأول : اسمه ، ونشأته ، ووفاته .

المبحث الثاني : تلامذته ، وأهم آثاره .

أما الفصل الثالث : في المخطوطة وما يتعلق بها ، ويشتمل على ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : ما يتعلق بالمخطوطة ، ويشتمل على أربعة فروع :

الفرع الأول : اسم الكتاب .

الفرع الثاني : نسبة الكتاب إلى المؤلف .

الفرع الثالث : زمن تأليف الكتاب .

الفرع الرابع : سبب تأليف الكتاب .

المبحث الثاني : قيمة الكتاب العلمية .

المبحث الثالث : وصف المخطوطة .

أما القسم التحقيقي : فخصصته للبحث في المخطوطة ، واتبعت في ذلك

الخطوات التالية :

١ - نسخت المخطوطة نسخاً جيداً على أوراق عادية ، وذلك لوضع الفواصل وبيان

- الآيات والأحاديث، وإبراز كلام المصنف من غيره .
- ٢ - قمت بمقابلة النسخ بعضها على بعض، وبينت الفرق بينها، كما أنني رمزت لهذه النسخ برموز وهي، أ . ب . ج . د .
- واعتمدت على النسخة أ، حيث أنها أوضح النسخ .
- ٣ - حققت النصوص الواردة في المخطوطة، وميزت كلام المصنف من غيره .
- ٤ - رجعت في توثيق مادة الكتاب إلى الكتب التي اعتمد عليها المصنف، حيث أنه ينقل نصوصاً بأكملها من (جامع العلوم والحكم) لابن رجب، وتفسير ابن كثير، وأنوار التنزيل - لليضاوي . وأما كلامه فأكثره يعرف من أسلوبه السجعي .
- ٥ - اعتمدت عند المقابلة على النسخة أ، وعند اختلاف بعض الكلمات أو الجمل فإنني أثبت الصواب في النص، وأشير إلى الخطأ في الهامش .
- ٦ - شرحت بعض الكلمات التي تحتاج إلى شرح، وذلك بالرجوع إلى كتب اللغة وغيرها .
- ٧ - وضحت بعض العبارات المبهمة والتي تحتاج إلى توضيح كمسألة كلام الله، ومسألة إطلاق الجسم على الله وغير ذلك .
- ٨ - وضعت لبعض الفصول عناوين جانبية، حتى يسهل على القارئ معرفة المحتوى .
- ٩ - قمت بترقيم الآيات القرآنية وبينت مواضعها من السور .
- ١٠ - خرجت الأحاديث النبوية الواردة في النص، والتي تقارب ثلاثمائة حديث وأرجعتها إلى مظانها من أمهات الكتب، والذي لم أجده أرجعته إلى المصدر الذي نقل منه المصنف .
- ١١ - ترجمت ترجمة وجيزة للأعلام الواردة في المخطوطة، موضحاً اسم المترجم له

وأهم آثاره، وسنة وفاته إن وجدته .

١٢ - ختمت الكتاب بفهارس لآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، والآثار، والأعلام، والمراجع، وفهرس المواضيع .

هذا وأتقدم بجزيل الشكر إلى وزارة التربية والتعليم بدولة قطر التي أتاحت لي الفرصة لإكمال دراستي، وقدمت لي العون، ويسرت لي السبل . كما لا يفوتني أن أتقدم بجزيل الشكر ووافر الاحترام إلى جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، وإلى أعضاء مجلس كلية أصول الدين وهيئة التدريس بها، بقبولهم انتمائي إليها، وأشكرهم جميعاً على حسن معاملتهم لي طوال مدة دراستي فيها .

وإنني لا أنسى فضل الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن بن جبرين، المشرف على رسالتي، الذي كان نعم المشرف ونعم الموجه، بل نعم الوالد الحنون، وإنني سأظل ما بقي لي من العمر شاكرأ له على هذه المعاملة الطيبة التي لم أجدها في حياتي كلها، بحيث لم يبخل عليّ بشيء من وقته وراحته . وكنت أراجع في كثير من الأوقات من غير سابق موعد، وكان يستقبلني بصدر رحب ووجه طلق سمح، ولولا فضل الله ثم جهده الخير لما خرجت هذه المخطوطة إلى النور .

فجزاه الله خيراً، وأكثر من أمثاله .

وإنني أرجو أن أكون قد وفقت إلى ما أردت، فما كان في هذا البحث من الصواب فمن الله، وما كان غير ذلك فمن نفسي . وبالله التوفيق .

القسم الدراسي

الفصل الأول

عصر المؤلف ، ويشمل ثلاثة مباحث وهي :

المبحث الأول : الحالة الدينية .

المبحث الثاني : الحالة السياسية .

المبحث الثالث : الحالة العلمية .

المبحث الأول : الحالة الدينية

كانت الحالة الدينية قبيل دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب سيئة جداً ، بل كانت تشبه الجاهلية الأولى ، وأشد من ذلك ، فقد انتشرت الشركيات والبدع والخرافات ، واتجه الناس من جهلهم إلى عبادة العباد ، وتركوا عبادة رب العباد ، قدسوا وعظموا الأولياء والصالحين ، ونسوا خالقهم رب العالمين ، قلت التقوى وضعف الإيمان ، وكثر الكفر والشرك والعصيان .

وقد أشار ابن بشر إلى هذه الحالة بقوله ^(١) : (كان الشرك إذ ذاك قد فشا في نجد وغيرها ، وكثر الاعتقاد في الأشجار ، والأحجار ، والقبور والبناء عليها ، والتبرك بها والنذر لها ، والاستعاذة بالجن والذبح لهم ، والحلف بغير الله ، وغير ذلك من الشرك الأكبر والأصغر) .

والناس قد بدلوا في الدين وغيروا ، واعتقدوا أن ما هم عليه من الغي والضلال هو عين الصواب ، وزين لهم الشيطان ذلك ورأوا أن هذا هو دين الله ، فبنذوا كتاب الله وراء ظهورهم ، وتركوا الحق الذي جاء به نبيهم ، واتبعوا أصحاب الأهواء والضلال من البدع والخرافات التي كانت منتشرة في نجد وغيرها من بلدان الإسلام .

يقول ابن غنم في كتابه «تاريخ نجد» ^(٢) : (كان أكثر المسلمين قد ارتكسوا في الشرك ، وارتدوا إلى الجاهلية ، وانطفأ في نفوسهم نور الهدى لغلبة الجهل عليهم ،

(١) عنوان المجد في تاريخ نجد ج ١ ص ٦ .

(٢) تاريخ نجد - تحقيق ناصر الدين الأسد - ص / ١١ .

واستعلاء ذوي الأهواء والضلال ، فعدلوا إلى عبادة الأولياء والصالحين ، أمواتهم وأحيائهم ، يستغيثون بهم في النوازل والحوادث ، يستعينون بهم على قضاء الحاجات ، وتفريج الشدائد ، بل إن كثيراً منهم كان يرى في الجمادات ، كالأحجار والأشجار ، القدرة على النفع ، ودفع الضر ، وظلوا يعكفون على أوثانهم تلك ، حتى صدق فيهم قوله تعالى : « نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ » (١) .

وأحدثوا من الكفر والفجور ، والشرك بعبادة القبور ، وصرف النذور إليهم ، والابتهاال بالدعاء لهم ، ما زادوا به على أهل الجاهلية ، وجعلوا غيره - عز وجل - ما لا يجوز صرفه إلا إليه .

ثم يستطرد المؤلف بذكر شيء من هذه الخرافات والشركيات ، وبعض الأماكن التي تكثر فيها مثل هذه الأشياء ، فيقول : (ولقد انتشر هذا الضلال حتى عم ديار المسلمين كافة .

فقد كان في بلدان نجد من ذلك أمر عظيم ، وهول مقيم ، كان الناس يقصدون قبر زيد بن الخطاب (٢) في الجبيلة ، يدعونه لتفريج الكرب ، وكشف النوائب ، وقضاء الحاجات .

وكانوا يزعمون أن في الدرعية قبور بعض الصحابة ، فعكفوا على عبادتها وصار أهلها أعظم في صدورهم من الله خوفاً ورهبة .

وكان النساء والرجال يأتون بليدة الفداء ، حيث يكثر ذكر النخل المعروف بالفحال ، ويفعلون عنده أقبح الأفعال ، ويتبركون به ويعتقدون فيه ، فكانت تأتيه المرأة إذا تأخرت عن الزواج ، وتقول : يا فحل الفحول أريد زوجاً قبل الحول .

وكان في أسفل الدرعية غار كبير يزعمون أن الله خلقه لامرأة تسمى بنت الأمير ، أراد بعض الفسقة أن يظلمها ، فصاحت ودعت الله ، فانفلق لها الغار - بإذن الله -

(١) سورة الحشر من آية / ١٩ .

(٢) زيد بن الخطاب بن نفيل القرشي العدوي ، أخو عمر بن الخطاب ، وكان أسن منه ، وأسلم قبله ، وشهد بدرأ والمشاهد ، استشهد باليامة ، وكانت راية المسلمين معه ، سنة اثنتي عشرة ، وحزن عليه عمر حزناً شديداً ، ولما قتل قال : سبني إلى الحسين ، أسلم قبلي ، واستشهد قبلي . انظر الإصابة ج ١ ص / ٥٦٥ .

فأجارها من ذلك السوء، فكانوا يرسلون إلى ذلك الغار اللحم والخبز، وبيعثون بصنوف الهدايا.

وكان عندهم رجل من الأولياء اسمه (التاج) سلكوا فيه سبيل الطواغيت فصرخوا إليه الندور، وتوجهوا إليه بالدعاء واعتقدوا فيه النفع والضر، وكانوا يأتونه لقضاء شؤونهم أفواجاً^(١).

وغير ذلك من الحكايات والاعتقادات التي ضلوا بسببها عن الصراط المستقيم، وأعرضوا عن إخلاص الدعاء لله رب العالمين.

وأما ما يفعل في الحرم المكي الشريف، فهو يزيد على غيره كثيراً، فلقد انتهكت فيه المحرمات والحدود، وكان لأهل الباطل فيه جولات، ولقد جهروا بكل ذلك، وتظاهروا به عياناً.

فمن ذلك ما يفعل عند قبة أبي طالب، يعظمون أمره، ويحذرون شره، ويلتمسون عنده الشفاعة، وما يفعل عند قبر عبد الله بن عباس في الطائف.

وأما ما يفعل عند قبره الشريف (ﷺ) من الأمور العظيمة المحرمة، كتعفير الحدود، والانحناء والسجود خضوعاً وتذلاً، واتخاذ ذلك القبر عيداً، فهو أظهر من أن يخفى لشهرته وشيوعه^(٢).

وكذلك ما يفعل في جدة عند قبر يزعمون أنه قبر حواء، وما يفعل في بلدان مصر وصعيدها، وبلدان اليمن، وحضرموت، وهجر، وحلب، ودمشق، وبغداد، وكربلاء، وغيرها من البلدان، من الأمور التي يتنزه الإنسان عن ذكرها خصوصاً عند قبور الصالحاء من العباد كأحمد البدوي، ومعروف الكرخي، وعبد القادر الجيلاني، والجنيد، وغيرهم^(٣).

في هذه الأجواء العفنة، والحالة السيئة، قامت الدعوة الإصلاحية بأمر من الله،

(١) تاريخ نجد ص/١٢، ١٣.

(٢) انظر تاريخ نجد - للمؤلف - ص ١٤، ١٩.

(٣) سيأتي ترجمتهم.

على يد المصلح الكبير الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، ثم بمعونة ومساندة من الأمير محمد بن سعود وابنه عبد العزيز وأبنائه الأبنجاد، وقفوا مع الحق ضد الباطل وأيدوا النور والهدى ضد الشرك والكفر والهوى ، لا يخافون في الله لومة لائم، ولا يباليون بما ينالهم من الأذى والضرر، صابرين لله مدافعين عن دينه، فأعزهم الله ونصرهم، وخذل أعداءهم وأذهم، فانتشر الأمن والرخاء في البلاد، وبدل الله حالهم من بعد الشرك والكفر وضيق العيش إلى إيمان وتوحيد وسعة العيش. يصف ابن بشر هذا التغيير بقوله (١):

ثم إن هذا الدين الذي من الله به، آخر هذا الزمان، على أهل نجد بعد ما كثر فيهم الجهل والضلال والظلم، والجور والقتال فجمعهم الله تعالى به بعد الفرقة، وأعزهم بعد الذلة، وأغناهم بعد العيلة، وجعلهم إخواناً، فأمنت به السبل، وحييت السنن، وماتت البدع واستنار التوحيد بعد ما خفي ودرس، وزال الشرك بعد ما رسي في البلاد وغرس، وطفئت نيران الظلم والفتن، ورفعت مواد الفساد والمحن.

هكذا كانت الحالة الدينية في عصر المؤلف قبيل دعوة الشيخ، ومع ذلك استطاع الشيخ بفضل من الله، تغيير الحالة، وهذا مصداق لقوله تعالى: « إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ » (٢).

هذه نبذة عن العصر الذي عاش فيه المؤلف ورأى فيه الظلام والنور، والضلال والهدى والباطل والحق. كان قبل الدعوة ظلام وضلال وباطل، وبعد الدعوة نور وهدى وحق.

(١) عنوان المجد - لابن بشر - ج ١ ص ٢، ٣.

(٢) سورة الرعد من آية / ١١.

المبحث الثاني : الحالة السياسية

لم تكن الحالة السياسية في إقليم نجد قبيل ظهور المصلح الشيخ محمد بن عبد الوهاب، بأفضل من الحالة الدينية، إنما كانت هناك إمارات صغيرة، لم تكن هناك رابطة سياسية تربط بينها، بل كان الفتور والجفاء والمحاربة هي السمة البارزة بينها، وكانت قوة نفوذ تلك الإمارات مرتبطة بقوة وشخصية أميرها.

يقول صاحب كتاب (حياة محمد بن عبد الوهاب) (١) : (لم يكن لتلك الكتل البشرية نظام سياسي معروف، ولا مدنية بينة، فجميع الأنظمة والشرائع كانت لديهم مجهولة، وكانت الفتن متراكمة، والعداء سائداً وشاملاً لجميع جهاتهم، والحروب بين الحكام قائمة، ولم يكن للسكينة والحرية والأمن والراحة مقر في تلك البلاد.

كما أشار إلى هذه التقسيمات والإمارات صاحب كتاب (تاريخ المملكة العربية السعودية) (٢) بقوله :

(إن الجزيرة العربية كانت مقسمة إلى عدة مناطق وكان أهمها ثلاث مناطق وهي :

- ١ - منطقة الدرعية وأميرها محمد بن سعود .
- ٢ - منطقة العيينة وأميرها عثمان بن معمر .
- ٣ - منطقة الرياض وأميرها دهام بن دواس .

ولما انتشرت الدعوة الإصلاحية التي قام بها المصلح الكبير الشيخ محمد بن عبد الوهاب الذي ظهر في عهد هؤلاء، استجاب لدعوته الأمير محمد بن سعود واحتضنها، بينما قاوم ابن دواس الدعوة الإصلاحية وعادها، فنشبت حروب ضارية وغزوات متعددة بين محمد بن سعود المناصر للدعوة، وبين ابن دواس المعادي لها، وظلت الحروب، والغزوات بينهما مستمرة حتى بعد وفاة الأمير محمد بن سعود إلى أن استطاع الإمام عبد العزيز بن محمد بن سعود القضاء على ابن دواس، وضم منطقة

(١) انظر كتاب الشيخ محمد بن عبد الوهاب، حسين خلف ص / ٣٩، ٤٠.

(٢) انظر تاريخ المملكة العربية السعودية، لسيد محمد إبراهيم - ص / ١٥٣.

الرياض إلى نفوذه .

ثم أخذ الإمام يجاهد في سبيل الله ، ينشر العدل ، ويحارب الظلم والجهل ، حتى استطاع ضم منطقة الأحساء التي كانت بيد بني خالد ، إلى نفوذه ، فأخذت الدولة السعودية الأولى في التوسع في عهده حتى شملت معظم أرجاء الجزيرة ، فلما رأى الشيخ محمد بن عبد الوهاب انتشار الإسلام والعدل في تلك المنطقة سلم زمام الأمر إلى الإمام عبد العزيز وانسلخ للعبادة .

يقول ابن بشر في كتابه (عنوان المجد)^(١) : (فلما فتح الله الرياض ، واتسعت ناحية الإسلام ، وأمنت السبل ، وانقاد كل صعب من باد وحاضر ، جعل الشيخ الأمر بيد عبد العزيز ، وفوض أمور المسلمين إليه وانسلخ منها للعبادة وتعليم العلم) .

وبعد وفاة الإمام عبد العزيز تولى الحكم ابنه الإمام سعود بن عبد العزيز - الذي كان قائداً للجيش في عهد أبيه - أخذ في السير على طريقة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، وطريقة أبويه محارباً المعاندين للإسلام ، وأهل الأهواء والبدع ، ناشراً العدل والسلام ، مجاهداً في سبيل الله ، هدفه رفع كلمة الله ، غايته القضاء على الشرك والبدع والضلالات ، فاستطاع بفضل وتأييد من الله أن يعيد مجد الإسلام في أرجاء الجزيرة حتى وصل نفوذ مملكته إلى عُمان ورأس الخيمة والخليج العربي شرقاً ، وبلاد الحجاز والحرمين - التي كانت تحت السيطرة العثمانية - غرباً ، وأطراف اليمن ، وضمرموت جنوباً ، وبلاد الكربلاء والموصل وبغداد شمالاً ، حتى أصبحت دولته قوية ، وذات شوكة عظيمة ، وكان سر توسيع مملكته أن الإمام كان صادق النية في نصرة الحق ، باذلاً الغالي والنفيس في القضاء على الظلم والجور ، والبدع والخرافات ، وكان غايته في ذلك إخراج الناس من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد ، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام ، ومن ضيق العيش إلى سعة الدنيا ، فهدم القباب والقبور ، وعمر المساجد والدور ، ونشر العدل والعلم والسلام ، فانتشر الأمن والرخاء في أرجاء البلاد ، وانضم إليه كثير من العباد .

(١) انظر عنوان المجد ج ١ / ص ١٥ .

فلما أحست الدولة العثمانية - صاحبة الخلافة - بخطورة تلك الدولة وأنها ستقضي على سلطانها ومملكتها، مع العلم أن إقليم نجد الذي انطلق منه آل سعود، لم يكن خاضعاً لحكم الدولة العثمانية، ولم يكن ضمن قائمة التقسيمات الإدارية التي وضعت في أوائل القرن السابع عشر، وربما كان تعليل ذلك أن الدولة العثمانية لم يكن يعينها كثيراً أن تسيطر على هذه المنطقة الداخلية، التي لا نجد في السيطرة عليها فائدة ترجى منها رغم وجود النفوذ العثماني على أطراف إقليم نجد في الحجاز والأحساء، وإن كان في الأخير اسماً^(١)،

لذا أرسل السلطان العثماني إلى واليه في مصر، يأمره بغزو الإمام سعود بن عبدالعزيز ويقضي على دولته، ولكن الإمام سعود استطاع أن يهزم الجيوش المصرية مرات عديدة، ويلحق بهم خسائر فادحة. وهكذا ظلت الحروب قائمة بين آل سعود وجنود والي مصر، التابعين للدولة العثمانية، إلى ما بعد وفاة الإمام سعود. ظلت الدولة العثمانية ترسل الحملات بعد الحملات حتى استطاعوا القضاء على الدولة السعودية الأولى سنة ١٢٣٣ بعد أن ظلت هذه الدولة تحكم هذه الجزيرة من سنة ١١٥٨، وهي السنة التي قدم فيها الشيخ محمد بن عبد الوهاب الدرعية، وساند دعوته الأمير محمد بن سعود.

هذه هي نبذة موجزة عن الحالة السياسية في عهد المؤلف، الذي عاش وعاصر هذه الأحداث، وكتب عنها وعن سيرة الشيخ محمد بن عبد الوهاب والأمير محمد بن سعود وأبنائه الأجداد عبدالعزيز وسعود، في كتابه المسمى (تاريخ نجد).

(١) الدولة السعودية الأولى، للدكتور عبد الرحيم عبد الرحمن جـ ١ ص/٢٦.

المبحث الثالث : الحالة العلمية

كانت الجزيرة العربية قبل قيام الشيخ محمد بن عبد الوهاب بدعوته الإصلاحية تعيش في ظلام دامس، وليل مظلم، فقد تفسى فيها الجهل والسفه، وانتشرت البدع والشرك، وكثرت فيها الحروب والفتن، وانشغل الناس بأمور الدنيا، وتركوا أمر الآخرة، وأهملوا جانب الدين، ونسوا شرائع الإسلام، وتركوا ما جاء به سيد الأنام « نَسُوا اللَّهَ فَنَسَتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَزْوَاجَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ »^(١).

كان التعليم في كافة المدن والبلدان مقتصرأً على الكتابيب وتحفيظ القرآن وشيء قليل من أمور الدين . أما في القرى فكان الجهل سائداً، لعدم إقبال أبناء القرى على التعليم، وبسبب انشغالهم بأمورهم من حروب وانتقالات وغير ذلك .

أما أبناء العلماء فإنهم كانوا يقبلون على التعليم، ويحضرون حلقات الذكر ودروس الوعظ التي كانت موجودة في بعض المناطق وإن لم يكن لأصحابها كلمة ولا للعلماء صوتٌ مسموعٌ ولا كلمة مقبولة، ولكن من هذه الحلقات، وتلك الدروس، ظهر المصلح الكبير الشيخ محمد بن عبد الوهاب، الذي استطاع بفضل من الله تغيير الحال .

يصف صاحب كتاب^(٢) (حياة الشيخ محمد بن عبد الوهاب) حال الدرعية، وهي إحدى إمارات نجد، قبل مجيء الشيخ إليها بقوله : (لم تكن الدرعية - قبل أن يؤمها الشيخ - صاحبة رسالة، وكان أهلها منغمسين بالبدع كانغماس أهل نجد، العلماء لا يستطيعون القيام بأمر بمعروف ولا نهي عن منكر . ولما جاءها الشيخ واستقر بها وعقد العزم على اتخاذها مركزاً ومنطلقاً لإنقاذ نجد وما يحيط بها من البلدان، من البدع، اتخذ الشيخ داره مدرسة، يعلم فيها أهل الدرعية، جوهر الدين، ومعنى التوحيد، ويرغبهم في الرجوع إلى اتباع السلف الصالح، فشاع خبر ذلك في البلدان، وانتشر، فأخذت ترد عليه الوفود من أتباعه وأنصاره وغيرهم . ولما ضاقت بهم داره أشار الشيخ على الأمير محمد بن سعود ببناء مسجد كبير للصلاة

(١) سورة الحشر من آية / ١٩ .

(٢) كتاب حياة الشيخ محمد بن عبد الوهاب . ص / ١٦٢ ، ١٦٣ .

واستماع الدروس ، فأجابه الأمير لذلك وبنى المسجد ، وأخذ الناس يقبلون عليه من كل صوب وجانب ، غايتهم التعلم ومعرفة أمور دينهم . كما يصف ابن بشر هذه الحالة بقوله (١) :

(ولما استوطن الشيخ الدرعية ، وكانوا في غاية الجهالة ، وما وقعوا فيه من الشرك الأكبر والأصغر ، والتهاون بالصلاة والزكاة ، ورفض شعار الإسلام ، فتخولهم الشيخ بالأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ثم أمرهم بتعلم معنى (لا إله إلا الله) ومعرفة الإسلام ، ومعرفة النبي (ﷺ) وغير ذلك من الأمور .

فلما استقر في قلوبهم معرفة التوحيد بعد الجهالة ، أشربت قلوبهم محبة الشيخ وأحبوا المهاجرين وأووهم) .

هذه هي حال الدرعية قبل مجيء الشيخ إليها ، كما أن الإمارات الأخرى ، لم تكن بأفضل من الدرعية . ولكن الشيخ محمد بن عبد الوهاب ابن هذه البيئة والذي استقى تعليمه من هذا التراب ، استطاع بفضل من الله أن يغير الحال ويعيد للدين مكانته في قلوب الناس ، فحلت التقوى ، والإيمان ، والمحبة ، والغنى ، محل الغنى ، والسفه ، والفسق ، والشرك ، والبغض ، والحقد ، والفقر ، فأصبحوا أخوة متحابين بعد أن كانوا أعداء متقاتلين ، واستقر الأمن وساد الرخاء ، وأقبل الناس على العلم ، فكثر العلماء ، وكان عبد العزيز - رحمه الله تعالى - يحث الناس على العلم والتعلم ويشجعهم على ذلك .

يقول صاحب كتاب تاريخ المملكة العربية السعودية (٢) : (كان عبد العزيز يشجع أهل المدن والقرى والبادية على التعليم ، بترتيب رواتب شهرية لكل من يتفرغ للعلم وملازمة الشيخ) .

هذه هي نبذة بسيطة عن الحالة العلمية ، التي كانت سائدة قبل وبعد مجيء الشيخ محمد بن عبد الوهاب .

(١) عنوان المجد ج١ ص / ١٤ .

(٢) تاريخ المملكة العربية السعودية - لسيد محمد إبراهيم - ص / ١٥٤ .

الفصل الثاني

حياة المؤلف الشخصية ، ويشتمل على مبحثين :
المبحث الأول : اسمه ، ونشأته ، ووفاته :
المبحث الثاني : تلامذته وأهم آثاره .

المبحث الأول : اسمه ونشأته ، ووفاته

اسمه ، هو العالم الجليل ، والأديب البارع ، المؤرخ الشهير / الشيخ حسين بن أبي بكر بن غنام الأحسائي مولداً ، والنجدي وفاة وإقامة ، التميمي نسباً ، والمالكي مذهباً .

نشأته وطلبه للعلم

ولد رحمه الله تعالى ، في المبرز بالأحساء ، ونشأ بها نشأة حسنة وقرأ القرآن ، وحفظه عن ظهر قلب ، وكان مفرط الذكاء ، قوياً في حفظه ، سريعاً في فهمه ، بدأ حياته العلمية من بلده ، قرأ على علماء الأحساء ، ثم خرج من بلده في طلب العلم بهمة قوية ، ونشاط ، وحيوية ، فاتجه إلى البحرين والساحل ، طالباً العلم والمعرفة ، فقرأ على علمائهما ، ثم رجع إلى الأحساء ، ولازم مشائخه يتلقى منهم العلم والمعرفة والأدب . ولما سمع بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحل من الأحساء إلى الدرعية فنزل ضيفاً على الإمام عبد العزيز بن محمد بن سعود ، فأكرم نزله وأحلّه ، ثم اتصل بالشيخ ، وتلمذ عليه ، ولازم جلساته كلها ، وصار عضداً وساعداً له في سبيل الدعوة إلى الله . قرأ على الشيخ ، وعلماء الدرعية في مختلف العلوم ، فنبغ في فنون عديدة ، وعلوم شتى ، وخاصة العلوم العربية ، ثم جلس لطلبة العلم ، وكان حسن التعليم ، فالتف حول حلقاته طلبة كثيرون ، وكان يدرسه التوحيد والفرائض والعلوم العربية كلها ، أما الفقه فكان مالكي المذهب لأنه تفقه على مذهب مالك ،

وبرع فيه فكان علامة زمانه ^(١)، وكان مستقيم الديانة راجح العقل . وكان شاعراً منطقياً، وله قصائد رائعة سنذكرها إن شاء الله في آثاره .

وفاته :

ذكر ابن بشر في كتابه (عنوان المجد) ^(٢) بقوله : (في شهر ذي الحجة من هذه السنة «أي في سنة ١٢٢٥» توفي الشيخ العلامة ، الجد الدهامة حسين بن غنام الأحسائي . كانت له اليد الطولى في معرفة العلم وفنونه ، وله معرفة في الشعر والنثر ، وصنف مصنفات) .

المبحث الثاني : تلامذته وأهم آثاره

أ - تلامذته :

عندما استقر بالدرعية ، وجلس لطلبة العلم ، التف حول حلقاته طلبة كثيرون يقرؤون عليه علم النحو والعروض ، والتوحيد والفرائض وغيرها من العلوم ، أخذ عنه جملة من علماء الدرعية ، سنذكر بعض هؤلاء ، منهم :

أولاً : العالم الجليل الشيخ حمد بن ناصر بن عثمان بن معمر النجدي التميمي ، ولد في بيت علم وشرف في بلدة العينينة ، فنشأ نشأة حسنة ، وكانت ولادته سنة ١١٦٠ هـ . وأخذ العلم عن عدة مشائخ ، أجلهم الشيخ محمد بن عبد الوهاب . بعثه الإمام عبد العزيز سنة ١٢١١ إلى مكة لمناظرة علمائها ، فناظرهم وظهر عليهم بالحجة وقهرهم بالحق فسلموا له وأذعنوا ، وعندما استولى الإمام سعود على الحجاز بعثه سنة ١٢٢٠ إلى مكة ليكون مشرفاً على قضاء مكة المكرمة .

ومن مصنفاته : (الفواكه العذاب في الرد على من لم يحكم السنة والكتاب) ،

وله رسائل كثيرة ، ضم بعضها إلى مجموعة الرسائل النجدية .

(١) انظر شعراء هجر ، للدكتور عبد الفتاح محمد الحلو ص / ٤٩ .

(٢) انظر عنوان المجد لابن بشر - ج ١ ص / ١٥١ ، وانظر روضة الناظرين عن مآثر علماء نجد . ج ١ ص / ٧٦ . ومشاهير علماء نجد ص / ١٨٥ .

توفي - رحمه الله تعالى - في العشر الأوسط من ذي الحجة سنة ١٢٢٥ في مكة المكرمة وصلى عليه المسلمون، ثم خرجوا به إلى البياضية حيث دفن هناك^(١).

ثانياً : العالم الجليل ، الشهيد الصابر الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، ولد بالدرعية سنة ١٢٠٠، في بيت علم وشرف ودين، وتربى على يد أبيه وجده تربية حسنة، قرأ على كثير من علماء الدرعية، منهم أبوه، تبخر في العلم، وعرف فنونه، وجلس لطلبة العلم، وكان حسن التعليم. من آثاره: (تيسير العزيز الحميد، شرح كتاب التوحيد) لم يكمله، (حاشية المقنع) وغيرها. قتل - رحمه الله تعالى - في آخر سنة ١٢٣٣ هـ، قتله إبراهيم باشا بسبب وشاية وشى بها أهل نجد^(٢).

ثالثاً : العالم الجليل الشيخ عبد العزيز بن حمد بن ناصر بن عثمان بن معمر التميمي، ولد في الدرعية سنة ١٢٠٣ هـ في بيت علم وشرف، ودين. حفظ القرآن وهو صغير، ثم شرع في طلب العلم بهمة ونشاط، فقرأ على أبيه مهمات المتون العلمية، من أصول، وفروع، وحديث، وعلوم عربية، وغيرها، حتى نبغ في فنون عديدة، وتبحر في الفقه والأدب بوجه عام، وكان أديباً بارعاً وشاعراً منطقياً، وله نظم، جرد حياته للتعلم والتعليم، ونفع الخلق في تدريسهم وإفنائهم وإرشادهم.

عينه الإمام سعود قاضياً في الدرعية، وعندما خربت الدرعية وهدمها إبراهيم باشا، هرب إلى البحرين، ظل بها إلى أن مات سنة ١٢٤٤ هـ فحزن الناس لفقده، وصلى عليه صلاة الغائب في نجد.

ومن آثاره كتاب : (منحة القريب المجيب في الرد على عباد الصليب)، (اختصار نظم ابن عبد القوي للمقنع)، (وعقد الفرائد وكنز الفوائد)

(١) انظر عنوان المجد - لابن بشر ج ١ ص / ١٥٤ وروضة الناظرين عن مآثر علماء نجد ج ١ ص / ٨٢، ومشاهير علماء نجد ص / ٢٠٢.

(٢) انظر المصادر السابقة ج ١ ص / ٢١٢، ج ١ ص / ١٢١، مشاهير علماء نجد ص / ٤٤.

مخطوطة^(١).

رابعاً : العالم الجليل الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن إبراهيم الحصين الناصري التميمي ، ولد في بلدة الوقف من أعمال الوشم ، سنة ١١٤٥هـ ونشأ نشأة حسنة ، كان قاضياً في الوشم في زمن الإمام عبد العزيز وابنه سعود . أرسله الإمام عبد العزيز إلى مكة سنة ١١٨٥ لمنظرة علمائها ، كما أرسله الإمام سعود سنة ١٢٠٤هـ إلى مكة لمنظرة العلماء هناك . توفي - رحمه الله تعالى - في ثاني عشر من رجب سنة ١٢٣٧ هـ في بلدة الشقراء^(٢) .

خامساً : العالم الجليل الشيخ عبد العزيز بن حسن بن عبد الله بن يحيى الملهمي ، ولد بملهم من بلدان الشعيب سنة ١٢٣١ . وتربى على أبيه تربية حسنة . عينه الإمام فيصل على قضاء بلدان المحمل بعد وفاة قاضيهم .

توفي - رحمه الله تعالى - في التاسع من محرم سنة ١٢٩٨ هـ من مرض ألم به بعد عودته من الحج^(٣) .

سادساً : العالم الجليل والفقير المتبحر الشيخ عبد العزيز بن محمد بن شلوان ، ولد في إحدى ضواحي الرياض ، من أبرز مشائخه آل عدوان ، قضاة الرياض ، ثابر في طلب العلم حتى نبغ في أصول الدين وفروعه وفي الحديث ومصطلح الحديث ، عين إماماً بمسجد في الرياض بحي دخنة ، ثم عينه الإمام فيصل قاضياً في الرياض .

توفي - رحمه الله تعالى - في أواخر القرن الثالث عشر الهجري^(٤) .

سابعاً : العالم الجليل الشيخ عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب التميمي ولد في الدرعية سنة ١١٩٣هـ ، فنشأ فيها نشأة حسنة ، قرأ على جده مبادئ

(١) انظر روضة الناظرين عن مآثر علماء نجد ج ١ ص / ٢٥٠ ، وعنوان المجد ج ٢ ص / ٣٣ ، ومشاهير علماء نجد ، وغيرهم ص / ٢١٩ .

(٢) انظر روضة الناظرين عن مآثر علماء نجد ج ١ ص / ٢٤٢ ، وعنوان المجد ج ١ ص / ٢٣٤ .

(٣) انظر روضة الناظرين ج ١ ص / ٢٥٩ ، وعنوان المجد ج ٢ ص / ١٣٥ ، ومشاهير علماء نجد ص / ٢٤٢ .

(٤) انظر روضة الناظرين عن مآثر علماء نجد ج ١ ص / ٢٥٨ .

العلوم . ولاة الإمام سعود قضاء الدرعية ، واستمر في زمنه وزمن ابنه عبد الله ابن سعود حتى سقوط الدرعية ، فانتقل إلى مصر سنة ١٢٣٣ ، وظل هناك إلى أن عادت نجد إلى سابق عهدها في عهد الإمام تركي بن عبد الله سنة ١٢٤٠ . كتب إليه الإمام تركي يطلب منه العودة إلى نجد ، فاستجاب دعوته وعاد سنة ١٢٤١ ، وعينه قاضياً في الرياض .

ومن مؤلفاته : (فتح المجيد شرح كتاب التوحيد) ، (والقول الفصل النفيس في الرد على داود بن جرجيس) ، (ومختصر فتح المجيد ، سماه قرّة عيون الموحدين) وغيرها من المصنفات .

توفي - رحمه الله - مساء يوم السبت ١١ ذي القعدة عام ١٢٨٥هـ . وحزن الناس لفقده^(١) .

ب - أهم آثار المؤلف :

ترك الشيخ ابن غنام مؤلفين هما :

أولاً : كتاب تاريخ نجد المسمى بـ (روضة الأفكار والأفهام لمرتاد حال الإمام وتعداد غزوات ذوي الإسلام) .

ألفه بطلب من الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، موضحاً فيه الأحداث والغزوات ، وفضل الشيخ محمد ورسائله ، والإمام محمد بن سعود . ويوضح هدفه من تأليف الكتاب بقوله^(٢) :

(ولما كانت منزلة العلم أعلى المنازل ، والتحلي بحلاه من أفخم الفضائل ، لاسيما للأفاضل والأماثل ، ومرتبته أرفع المراتب عند الأواخر والأوائل ، أردت أن أصنف فيما أشرف ضياؤه وانتشر وشاع في غالب الأقطار واشتهر

(١) انظر روضة الناظرين عن مآثر علماء نجد ج ١ ص / ٢٠٠ ومشاهير علماء نجد ص / ٧٨ .

(٢) انظر مقدمة تاريخ نجد ج ١ ص / ٣ ، ٤ طبعة أبابطين ١٣٦٨ .

من الغزوات التي هي في محيا الدهر كالغرر ، والفتوحات الإسلامية التي
مبدؤها العقد السادس من القرن الثاني عشر ، فرأيت العوم في تياره خطيراً ،
وركوب زاخر أمواجه خطيراً ، وتحققه أمراً عسيراً ، والإمام أيده الله تعالى يعزم
على ذلك ويشير ، فشرعت فيه حتى أتقنته تصحيحاً وتحريراً ، وتلقنت تلك
المغازي ممن حوى في الصدق رياسة وتصديراً ، ولم أذكر في هذه الغزوات
المسطورة ... إلا الكبيرة الواضحة المشهورة ... وذكرت بعض حوادث السنين
مما هو مستفيض من المسلمين ، وذكرت وفاة بعض الأعيان ممن كان بالدين
مذكوراً ، ورتبته في كتاب وخمسة فصول .

وهو تاريخ مسجوع ممل ، لا يكاد قارئه يخلص من سجعه . وقد طبع ثلاث
طبعات :

الأولى سنة ١٣٣٢ هـ بمدينة بومباي بالهند على نفقة الملك عبد العزيز آل
سعود .

الثانية بمطبعة الباي الحلبي بمصر سنة ١٣٦٨ على نفقة عبد المحسن بن
عثمان (أبابطين) .

الطبعة الثالثة سنة ١٣٨١ بمطبعة المدني بمصر بتحقيق ناصر الدين الأسد
على نفقة الشيخ عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ .

وقد جرد في هذه الطبعة الأخيرة من الأسجاع الممقوتة ، لكن تصرف فيه
تصرفاً مخلاً ، حيث حذف منه جميع ما حواه من القصائد ، وهي سبع
قصائد^(١) ، وأيضاً أشياء أخرى .

ثانياً : كتاب (العقد الثمين في شرح أحاديث أصول الدين) الذي هو بين أيدينا ،
ويعتبر ملخصاً لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب .

(١) انظر مشاهير علماء نجد ص / ١٨٦ .

وكان المؤلف شاعراً منطقاً فقد ترك خمس قصائد رائعة . وقد ذكرها المؤلف في كتاب تاريخ نجد (طبعة أباطين) ، كما ذكر مطلع هذه القصائد صاحب كتاب (مشاهير علماء نجد) :

١ - قصيدة هائية ، تبلغ أبياتها ستة وثلاثين بيتاً ، ومطلعها :

نفوس الورى إلا القليل ركونها إلى الغي لا يلغى لدين حينها
وتقع في جـ ٢ ص ٧٠ ، ٧٢ .

٢ - قصيدة عينية قالها في رثاء الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، وتبلغ أبياتها تسعة وثلاثين بيتاً ، ومطلعها :

إلى الله في كشف الشدائد نفرع وليس إلى غير المهيمن مفرع
وتقع في جـ ٢ ص / ١٥٥ ، ١٥٦ .

٣ - قصيدة سينية قالها في مناسبة جلاء دهام بن دواس عن الرياض ، ومطلعها :

كشف الحق ظلمة الأغلاس ومحا الدين جملة الأرجاس
وتقع في جـ ٢ ص / ٨٦ ، ٨٨ .

٤ - قصيدة طائية والتي رد بها على قصيدة محمد بن عبد الله بن فيروز . وتبلغ أبياتها ستة وسبعين بيتاً ، ومطلعها :

على وجهها الموسوم بالشؤم قد خطا عروس هوى ممقوتة زادت الشطا
وتقع في جـ ٢ ص / ١٩٠ ، ١٩٢ .

٥ - قصيدة رائية قالها في مناسبة قتل تويني ، وتهنئة للأمير سعود ووالده عبد العزيز

باستيلاء سعود على الأحساء ، وهي في مائة وثمانية عشر بيتاً ، ومطلعها :

تلاً لأ نور الحق وانصدع الفجر وديجور ليل الشرك مزقه الظهر
وتقع في جـ ٢ ص / ٢٣٧ ، ٢٤٢ .

الفصل الثالث

في المخطوطة وما يتعلق بها ، ويشتمل على ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : في محتوى الكتاب ، ويشتمل على أربعة فروع :

الفرع الأول : اسم الكتاب .

الفرع الثاني : نسبة الكتاب للمؤلف .

الفرع الثالث : زمن تأليف الكتاب .

الفرع الرابع : سبب تأليف الكتاب .

المبحث الثاني : قيمة الكتاب العلمية .

المبحث الثالث : وصف المخطوطة .

المبحث الأول : في محتوى الكتاب ، ويشتمل على أربعة فروع :

الفرع الأول : اسم الكتاب

نستطيع التأكد من صحة اسم الكتاب ، وذلك بالرجوع إلى كتب التراجم التي استقينها منها ما يتعلق بهذا الشأن ، فقد ذكر اسم هذا الكتاب ابن بشر في (عنوان المجد في تاريخ نجد) ^(١) بقوله : (صنف مصنفات منها العقد الثمين في شرح أحاديث أصول الدين) . كما ذكره الزركلي في (الأعلام) ^(٢) ، وعمر رضا كحالة في (معجم المؤلفين) ^(٣) ، وعبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ في (مشاهير علماء نجد وغيرهم) ^(٤) ، والبغدادي في (هداية العارفين) ^(٥) . كما ذكره محمد بن عثمان القاضي بعنيزة في (روضة الناظرين عن مآثر علماء نجد وحوادث السنين) ^(٦) .

(١) عنوان المجد ج ١ ص ١٥١ . (٢) الأعلام ج ٢ ص / ٢٧٤ .

(٣) معجم المؤلفين ج ٣ ص / ٣١٧ . (٤) مشاهير علماء نجد وغيرهم ص / ١٨٥ .

(٥) هداية العارفين ص / ٣٢٨ . (٦) روضة الناظرين في مآثر علماء نجد ج ١ ص / ٧٧ .

كما أن المؤلف نفسه يوضح اسم الكتاب في مقدمته بقوله : وسميته ،
(العقد الثمين في شرح أحاديث أصول الدين) .

الفرع الثاني : نسبة الكتاب للمؤلف

كما نستطيع الجزم بصحة نسبة الكتاب للمؤلف ، وذلك بالرجوع إلى كتب التراجم التي سبق ذكرها وهي : (عنوان المجد في تاريخ نجد) ^(١) ، و (الأعلام) ^(٢) للزركلي ، (معجم المؤلفين) ^(٣) ، (هداية العارفين) ^(٤) ، و (مشاهير علماء نجد وغيره) ^(٥) ، و (روضة الناظرين عن مآثر علماء نجد) ^(٦) .

كما أنني تأكدت من صحة نسبة الكتاب للمؤلف ، وذلك بالرجوع إلى كتاب المؤلف (تاريخ نجد) المسمى بـ «روضة الأفكار والأفهام» حيث أنه يعتمد في أسلوبه السجع ، وهذا الأسلوب ينطبق تماماً على أسلوبه في هذا الكتاب الذي بين أيدينا .

الفرع الثالث : زمن تأليف الكتاب

صنف هذا الكتاب في القرن الثالث عشر الهجري ، زمن الإمام عبد العزيز بن محمد ابن سعود بأمر منه ، وقد حدد المؤلف في نهاية الكتاب زمن الفراغ منه بقوله :
« كان الفراغ من جمع هذه الدرر ، وتسطير هذه الغرر ، في رابع يوم من صفر سنة ١٢١٦ هـ . ست عشرة ومائتين وألف .

الفرع الرابع : سبب تأليف الكتاب

السبب في تأليف الكتاب هو ما أشار إليه المؤلف في مقدمته بقوله :
(فعن لعبد العزيز - حفظه الله تعالى - أن تجمع الأحاديث التي هي أصول الإسلام والإيمان ، ويضم إليها ما يناسبها من آيات القرآن ، وجاءت الإشارة إلى بشرحها والكلام على ما تحتاج إليه من البيان مع الإيجاز الذي لا يخل بالتبيان لتسهيل معرفة

(١) ابن بشر ج ١ ص / ١٥١ .

(٢) الزركلي ج ٢ ص / ٣١٧ .

(٣) عمر رضا كحالة ج ٣ ص / ٣١٧ .

(٤) البغدادي ص / ٣٢٨ .

(٥) عبد الرحمن عبد اللطيف آل الشيخ ص / ١٨٥ .

(٦) محمد بن عثمان ج ١ ص / ٧٧ .

الدين، الذي لا يقبل سواه من كل إنسان، ولعل الناس في دينهم يتفقهون).

ومن هذا نعرف أن سبب التأليف هو بيان معرفة الدين، وتوضيح أركان الإسلام وبيان أصول الإيمان، وثبات الحق الذي جاء به سيد الأنام، ونبذ الباطل والضلال الذي ادعاه أعداء الإسلام حتى يكون المسلم على معرفة تامة بأصول دينه، ويعبد الله تعالى على طريق السلف الصالح.

المبحث الثاني : قيمة الكتاب العلمية

تظهر قيمة الكتاب في أنه يعالج قضايا عظيمة تهم المسلمين في حياتهم، لأنه يتعلق بأمور دينهم، حيث أنه يعالج قضايا تمس العقيدة، فيوضح ويرسم للمسلمين الطريق السليمة التي يجب عليهم اتباعها، مستمداً أدلته من الكتاب والسنة، ويحذرهم من سنن السفهه وأصحاب الأهواء والطرق الضالة، وخاصة ونحن في زمن يجارب فيه الإسلام من جوانب كثيرة بوسائل شتى، وأعداء الإسلام يتربصون بنا من كل ناحية. وإن اختلفت طرقهم وأساليبهم إلا أن غايتهم واحدة وهي القضاء على الإسلام والمسلمين، ومن هذه الطرق تشكيك المسلمين في عقيدتهم، وذلك بتزيين الخرافات والبدع والضلالات وزخرفة الطرق الصوفية البعيدة عن روح العقيدة، واستشهادهم بالأحاديث الضعيفة، والموضوعة، وتأويلهم الآيات القرآنية على حسب أهوائهم وآرائهم، والأحداث والقضايا تكرر، كمسألة تقديس الأولياء والصالحين، وتعظيم قبورهم، مازالت منتشرة في كثير من الدول الإسلامية. فصاحب هذا الكتاب يوضح للمسلمين الطريقة الصحيحة ويحذرهم من الضلالات والخرافات وأصحاب الأهواء، كما يبين لهم الذي جاء به محمد (ﷺ) من عند الله تعالى، وأنه يجب على المسلمين اتباع سنة الرسول (ﷺ) واتباع سنة الخلفاء الراشدين وطريق السلف الصالح وأن يتجنب طرق وسنن أهل الأهواء والبدع والضلالات.

كما أن المؤلف استطاع أن يجمع معظم أحاديث أصول الدين في مكان واحد ويضم إليها من الآيات القرآنية ما يناسبها، حيث يستطيع المسلم الحصول عليها بسهولة

ويسر . كما استشهد ببعض أقوال السلف الصالح . نرجو أن ينفعنا الله به .

المبحث الثالث : وصف المخطوطة

هذه المخطوطة كانت في ملك عبد الرحمن بن محمد القاضي ، ثم انتقلت إلى إبراهيم ابن صالح القاضي ، ثم وصلت إلى المكتبة السعودية بالرياض .
وللمخطوطة أربع نسخ جيدة ، وكلها موجودة في المكتبة المذكورة آنفاً كما أنها موجودة في فيلم بالمكتبة المركزية بجامعة الملك سعود .

النسخة الأولى :

وهي النسخة التي اعتمدت عليها في النسخ وذلك لوضوحها . ورمزت لها بالرمز (أ) . وقد نسخت في ٢٦ / ٤ / ١٢١٦ هـ ، ولم يذكر اسم الناسخ كما في النسخ الأخرى ، وعدد أوراقها ١١٦ ورقة في مجلد واحد ، مقياس ٥ ، ١٩ × ٥ ، ١٤ اسم تحت رقم ٨٦ / ٥٧ في المكتبة السعودية .

أما في المكتبة المركزية بجامعة الملك سعود ، فهي في الفيلم رقم ٦ وترتيبها ١٤ . وقد نسخت نسخاً جيداً ، الورقة الأولى مغايرة وحديثة وباقي الأوراق موضحاً فيها بالحمرة أو الصفرة أو الزرقة . وفي بعض الهوامش تصحيحات ، وقد سقطت الورقتان قبل الأخيرة .

النسخة الثانية :

وهي تشبه الأولى ، وقد كتبت قبلها بقليل ، وقد رمزت لها بالرمز (ب) وقد كتبها محمد بن علي النجار في ٢٣ / ٢ / ١٢١٦ ، وعدد أوراقها ١٠٣ ورقة ، في مجلد واحد مقياس ٥ × ٢٠ ، ١٤ اسم تحت رقم ٨٦ / ٣٨٩ في المكتبة السعودية .

أما في المكتبة المركزية في الفيلم رقم ٣٧ ، وترتيبها ١١ ونسختها جيدة ولكن بها آثار الرطوبة ، وبعض الأوراق بها آثار حبر كشط ، وفي بعض الهوامش تصحيحات وتعليقات ، جلدها حديثة .

النسخة الثالثة :

وقد رمزت لها بالرمز (ح) كتبها علي بن سعيد بن نفيسة بن أحمد بن علي ، في ١٢٨٢ / ٧ / ٢٦ . وعدد أوراقها ١١١ . وهي ضمن مجموعة كتب تبدأ من ص / ٧٤ إلى ٢٩٣ مقياس ١٧×٢٤ سم ، تحت رقم ٨٦ / ٢٩٥ ، في المكتبة السعودية .
أما في المكتبة المركزية في الفيلم رقم ٣ / ٥٩ - هـ . . س . وهي نسخة جيدة . ولكن بها بعض آثار الرطوبة وفي بعض هوامشها تصحيحات .

النسخة الرابعة :

وقد رمزت لها بالرمز (د) وقد كتبت في يوم الأربعاء ١٢٩٢ / ٦ / ٦ بيد علي بن سالم بو شليبي ، وهي نسخة جيدة وتحمل رقم ٨٦ / ٤٥٩ في المكتبة السعودية .
أما في المكتبة المركزية في الفيلم رقم ٥٨ / ٢ - م - س .

هذا هو وصف تقريبي لنسخ المخطوطة الأربع ، أما محتويات المخطوطة فهي تحتوي على مقدمة وسبعة فصول . وقد بين المصنف في المقدمة ، أن الله خلق الجن والإنس للعبادة وأنه بعث إليهم الرسل ليوضحوا لهم ذلك ويكونوا حجة عليهم ، وأن أولهم نوح عليه الصلاة والسلام ، وآخرهم نبينا محمد (ﷺ) الذي بلغ الرسالة وأدى الأمانة ، ونصح الأمة ، وعندما انتقل (ﷺ) إلى الرفيق الأعلى ، قام أصحابه الكرام بنقل دعوته إلى أرجاء الأرض مبشرين ومنذرين ، حتى وصل الإسلام إلى الصين شرقاً ، وإلى المحيط وبلاد الأندلس غرباً ، وظل الإسلام في هذه البلاد قروناً طويلة . ثم يوضح المؤلف ما أتى على البشرية من الشر والشرك والبدع والضلالات حتى عمت معظم الديار الإسلامية ، فقد حرفوا الدين وغيروه ، وظنوا أن البدع والخرافات هي الدين الصواب . وفي القرن الثاني عشر الهجري ظهر الشيخ محمد بن عبد الوهاب بدعوته الإصلاحية ، وسانده في ذلك الأمير محمد بن سعود وأبنائه الأنجاد ، فأخذوا يجاهدون في سبيل الله ، يناصرون الحق ويناضلون الباطل ويرفعون رايات الإسلام ، ويهدمون دعائم الكفر والشرك ، حتى استطاعوا بفضل من الله

القضاء على تلك البدع والخرافات ، وأعادوا للإسلام عزه ومجده . ثم يوضح بعد ذلك سبب تأليف هذا الكتاب الذي أمره بتأليفه الإمام عبد العزيز .

ثم قسم المؤلف المخطوطة إلى سبعة فصول ، جمع فيها الأحاديث النبوية التي تتصل بأصول الدين وأتبعها بما يناسبها من الآيات القرآنية مع شرح متوسط لذلك ، وهذه الفصول هي :

الفصل الأول : فيما جاء في الإسلام وأنه من عند الله تعالى الذي لا يقبل سواه .

الفصل الثاني : في تفسير النبي (ﷺ) الإسلام والإيمان والإحسان .

الفصل الثالث : في إخلاص العمل لله تعالى .

الفصل الرابع : في دعائم الإسلام التي يتم له بها النظام .

الفصل الخامس : في تعيين قبول شرعه المطهر (ﷺ) ولزوم العمل بهديه الأنور وإلغاء مخالفه وضده وإبطاله وردده .

الفصل السادس : في أمره (ﷺ) عند الاختلاف بالتمسك بسنته وسنة الخلفاء الراشدين ، التي هي منهاج النجاة والهداية وتحذيره من ارتكاب البدع التي هي سبيل الضلالة والغواية .

الفصل السابع : في الأمر بالاعتصام بكتاب الله المبين ، والتمسك بحبله المتين وذم الافتراق في الدين .

القسم التحقيقي

الحمد لله الذي خلق السموات والارض وجعل الظلمة والنور
 ثم الذي كفرت به سجانته بالوجهانية
 وابد للعالمين انوارها وتوجه بالوجهانية واشرف في
 السموات والارض انوارها واقرب الى هيبته من مكانها
 وسورها وقفاؤها وبجوارها لوكناه فيها الكبرياء
 الالهية لغضد سما فسمان احد رب العرش عما يصنع
 الاحد الذي انفرد بالذات والصفات والاسماء
 المتعزز بالقدرة القاهرة والعظمة الباهرة
 والجلال الاسمي الذي احده كل شئ باخلاقه
 واحاط به علم وصحة في السموات وفي
 الارض يعلم سرهم وجههم ويعلم ما تكسبوه شهد
 بوحده تدفع اكلته والامر وانفراذه وحجرت احكامه فيها
 عن وفق مراده ينزل الملائكة بالروح من امره عن من
 من عباده ان انذروا انه لا اله الا انا فاتقون المستهكة
 عن مشابهة الصفات المتعالية عما لا يليق اعظم
 فانه القاعة بالجمع على ذلك آياته في اختلاف البرزخية
 ويخلق اسرى السلوك والارض لايات تقوم بتقويه القوم الذي
 بحكمة وقدير حسه نظام الوجود القائم بما يحتاج اليه من جودها بالكم
 انخذ من حلقه معبود

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ وَأَصْلِهِ
 عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ
 يَا بَارِكُ يَا مُجْتَلِي وَعَلَى مُحَمَّدٍ وَأَبِيهِ
 عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ فِي الْعَالَمِينَ
 إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ وَكَانَ الْفَتْحُ
 مِنْ جَمْعِ هَذِهِ الدَّرَجَةِ وَتَسْطِيرِ هَذِهِ الْعَدَّةِ
 فِي رَابِعِ يَوْمٍ مِنْ صَفَرِهِ ١٢١٤ هـ
 وَمَا ثَلَاثِينَ وَسِتِّ مِئَةَ ثَمَانِينَ
 لَنَا الْخِتَامُ وَتَجَاوَزْنَا إِذْ تَرَفْنَا مِنَ الْأَثَامِ
 وَلَا وَاحِدٌ نَايَسَعَتِ الْأَقْدَامُ وَطَمَعَتِ بِيَدِ
 الْأَقْلَامِ وَطَمَعَتِ فِيهِ الْأَفْهَامُ وَبَوَّأَهُلَ الْبُلْبُلِ
 وَأَهْلَ الْخُفْرَةِ وَأَهْلَ الْفَضْلِ وَقَبُولِ الْعُدَّةِ
 أَنْتَ عَلَى مَا يَشَاءُ قَدِيرٌ وَبِعِبَادِهِ لَطِيفٌ خَبِيرٌ
 وَكَانَ الْفَتْحُ إِذْ بَدَأَ نَسْتَعِ

هذه الرسالة الجليلة المقدية
 ثالث عشر من مؤلفات
 بقلمه هوام العباد المذنبين
 ربه أعجز محمد بن
 علي بن محمد بن
 علي بن محمد بن
 علي بن محمد بن

وَالسَّالِمِينَ الْقَائِمِينَ بِالدِّينِ وَلِمَنْ دَعَا وَقَوْلُهُمَا إِنَّا لَنَدِينُهُمَا
 وَتَامَلْنَا مَا نَبَاهُ وَامْتَشَلْنَا لِعُرْسَانِهِنَّ
 عَنْ مَنَاهِمِهَا أَنْفَرْنَا بِكَلِمَتِهِمْ مَعْدُ
 وَكَلِمَتِهِمْ

الصراط المستقيم على بصيرة اي على يقين ومعرفه ايقين به الحق و
 الهدى والضلال والردى انما لو من اتبعني ايمس آمن فهو صِدْقٌ
 وعرف لا يما هو حق مدعو الامداد عوت عليه ويحمله لا يعظم
 فظهر من هذا لو بان ان الدين حواجته وحق على الامن ان يري
 انه من اهل الايمان وسلامه والامان وان من تبع السنه والقران و
 لكل على حسب حاله في ذلك ما في الامور سواء على الدارين وال
 للسؤال المحال على العباد ان يتكبر في قوله تعالى ولكن منكم امة تدعون
 الى الخيري منتصبه للقيام بالخير في الدنيا والاخرى والامر بالمعروف
 والنهي عن المنكر قال ابو جعفر الباقر في رسول الله صلى
 عليه وسلم ولتكن منكم امة من عودوا الى الخيرويامون ما امر به في هذا
 الخبر اتباع القران وسنتي ربه ابن مردويه في المصنوع ومن
 هذه الايات تكون فرقة من هذه الامة متصدية لهؤلاء الشان
 وان كان ذلك مما دعا على كل قوم من الامة بحسبهم وهذا المقام مما
 ينبغي ان يتنافس فيها المتنافسون ويعتني بفائدة الناس
 ويرغب في تحصيل احوال الراغبين وتلك الامكان نظر بالناس
 وما عطفها العالمون والملائكة الاعمال الا خلاصهم لا
 حساب فعليها يتوب القبول على الشرايب من قبل
 لجواهر عقدهم هذه اللات تنتظم في ايمها في سلك الكمال
 وحان لها ان ترثم غرا في صلوات محال وجود وتعلم
 دريا يعرف نظامها العقود ولا كنت شوس ما بها
 ان تطلع غرا لو شوقا فتصبح نفوس اعدائها بكى من المشرق

معناها

الورقة قبل الأخيرة من نسخة - ج -

الاتباعه وترك الأهواء والابتلاع رضي الله عنهم أجمعين
هذا ما ظهر لي في تحقيق هذه المسألة وتقريرها
 وكشف أسرارها ومخبرها فعض عليها بالنواجذ و
 الأنياب فأنك قد لا تجد مسطرا في كتاب **صحيح**
 ذلك تقييد هو لآء القبور والطواف بها والتسبح
 بيناتها واحذرت بها وأكلها ونقلها للتركه وإيقاد
 الشران والسج فيها وشد الرجال اليها والقاء لخرق
 عليها وكل هذا من الأوصاف الجاهلية التي غير واجها
 الخفيفة ووضعوها الآت والعزى ومراعيها
 نصرا وعزاه حتى ظهر عليهم صلى الله عليه وسلم فلم يبق منهم
 ركازة من اعتمهم بكتاب الله وتمسك بسبته لسواله
 يعلم ان هذه الامور كلها تضاد الله وغيبه وما
 جاء ببره من عنده فان الذي شرع لنا الرسول
 لا يجوز عنه الحدوث وما زاد عليه باطل غير مقبول
 فزيارة القبور التي امر بها وكان يعلم بها اصحابه

اذ

مقدمة المؤلف

« الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ » (١).

تفرد سبحانه بالوحدانية وأبدى للعالمين آثارها، وتوحد بالصمدانية (٢) وأشرق (٣) في السموات والأرض أنوارها، وأقر بالوحيته (٤) من سكن علوها (٥) وسفلها، وقفارها (٦) وبحارها، « لَوْ كَانَ فِيهَا مَاءٌ أَلْهَمَهُ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ » (٧).

الأحد الذي انفرد بالذات والصفات والأسماء، (المتفرد بالقدرة القاهرة والعظمة الباهرة، والجلال الأسمى) (٨) الذي أحسن كل شيء خلقه، وأحاط به علماً، « وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ » (٩).

شهدت مصنوعاته بوحدته، في الخلق والأمر وانفراده، وجرت أحكامه فيها على وفق مراده، « يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ » (١٠).

المتنزه عن مشابهة المحدثات صفاته، المتعالية عما لا يليق لعظيم سلطانه ذاته، القائمة (١١) بالحجة على ذلك آياته، « إِنَّ فِي آخِثِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ » (١٢).

(١) سورة الأنعام آية / ١.

(٢) الصمدانية : الصمد : السيد لأنه يصمد إليه في الحوائج أي يقصد . مختار الصحاح . ص / ٣٦٩ .

(٣) أ . ب . ج . د . / وأشرفت .

(٤) في أ / سهلها .

(٤) في د / بالوحيية .

(٦) القفار : القفر، مفازة لا نبات فيها ولا ماء والجمع قفار، مختار الصحاح . ص / ٥٤٥ .

(٧) سورة الأنبياء آية / ٢٢ .

(٨) ما بين القوسين سقطت من نسخة د .

(٩) سورة الأنعام آية / ٣ .

(١٠) سورة النحل آية / ٢ .

(١١) سورة يونس آية / ٦ .

القيوم (١) الذي بحكمته وتديره حسن نظام الوجود، القائم (٢) بما يحتاج إليه كل موجود، فإلهالك من اتخذ من خلقه معبوداً (٣) ، « أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ تَمْنَعُهُمْ مِّنْ دُونِنَا لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ وَلَا لَهُمْ مَنَّا يُصْحَبُونَ » (٤) .

فسبحانه من إله ملك الوجود بأسره، وتضائل (٥) من فيه تحت جبروته وقهره، وانقاد خضعاناً لهيبته وأمره . « وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَّهُ قَانُونَ » (٦) .

أحمده وهو المحمود في جميع أفعاله، على ما أدلى من جوده ونواله (٧) وأشكره على إحسانه وأفضاله، فتعساً (٨) لقوم يعرفون نعمة الله ثم ينكرون . « وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ » (٩) .

وأشهد أن لا إله إلا الله ، ولا معبود بحق سواه، فقد ضل من عدل به المخلوق وساواه . « تَاللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿١٧﴾ إِذْ نَسَوِيَكُمْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٨﴾ وَمَا أَضَلَّنَا إِلَّا الْمَجْرُمُونَ » (١٠) .

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ونبيه، الذي خصه بالرسالة واصطفاه، شهادة أرجو بها الفوز والنجاة ، يوم يعرف المجرم بسيماه ، وينادي المنادي « أَحْشَرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ » (١١) .

(١) القيوم: القائم على كل شيء، وقيل: القائم على خلقه بأجلهم وأعمالهم الذي لا يبد له، وقيل: القائم على الأشياء. انظر لسان العرب، ج ١٢ ص / ٥٠٤ .

(٢) ب . ج . وقامت .

(٣) في جميع النسخ معبود، والصواب معبوداً لأنه مفعول به، ولكن رفعه المصنف لمراعاة السجع .

(٤) سورة الأنبياء آية / ٤٣ .

(٥) تضائل: ضال الضئيل: الصغير الدقيق الحقيق، وتضائل الرجل: أخفى شخصه قاعداً وتصاغر. انظر لسان العرب، ج ١١ . ص / ٣٨٨ .

(٦) سورة الروم: آية / ٢٦ .

(٧) النوال: العطاء - انظر لسان العرب . ج ١١ . ص / ٦٨٢ .

(٨) فتعساً: الهلاك. أصله الكب وهو ضد الانتعاش، ويقال: تعساً فلان أي ألزمه الله هلاكاً. انظر مختار الصحاح . ص / ٧٧ .

(٩) سورة القصص آية ٧٠ .

(١٠) سورة الشعراء آية ٩٧ - ٩٨ - ٩٩ .

(١١) سورة الصافات آية / ٢٢ .

(وأصلي وأسلم على محمد الذي بعثه للعالمين (١) رحمة) (٢) « يَتْلُوا عَلَيْهِمْ
ءَايَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ » (٣) .

ويجدد الحنفية ويزيل عنها كل وصمة (٤) ، وعلى آله وصحبه ، خير القرون
المنزل في حقهم « كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ
الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ » (٥) .

وتحققوا بمصداق « إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ
بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقْنِلُونَهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْنِلُونَ وَيَقْتُلُونَ » (٦) .
صلاة وسلاماً دائماً متلازمين إلى يوم يبعثون . أما بعد ،

فإن الله جل جلاله إنما خلق السموات والأرض ، وذراً (٧) من (٨) فيهن بالطول
والعرض ، للقيام بوظائف العبودية امتثالاً لأمره اللازم الفرض « وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ
وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ » (٩) .

فمن فضله لم يتركهم سدى (١٠) ، لا يفرقون بين الضلالة والهدى ، ولا يعلمون
الرشد من الردى (١١) . « وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمِّهَارِ سَوْلاً يَتْلُوا
عَلَيْهِمْ ءَايَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ » (١٢) .

فأرسل إليهم رسله الكرام قطعاً للحجة ، فرفعوا قواعد المحجة (١٣) ، ومهدوا

(١) في ب . للخلق .

(٢) ما بين القوسين سقطت من نسخة د .

(٣) سورة آل عمران من آية / ١٦٤ والجمعة من آية / ٢ .

(٤) الوصم : الصدع في العود من غير بينونة ، والوصم : العيب في الحسب ، الوصمة : العيب في الكلام ، أي يزيل
عن الإسلام كل عيب وشائبة . انظر لسان العرب . ج ١٢ . ص / ٦٣٩ .

(٥) سورة آل عمران من آية / ١١٠ .

(٦) سورة التوبة من آية / ١١١ .

(٧) ذراً : خلق ، انظر ترتيب قاموس المحيط ج ٢ . ص / ٢٥١ .

(٨) سقطت من نسخة د .

(٩) سورة الذاريات آية / ٥٦ .

(١٠) سدى ، بالضم المهمل ، يقال : إبل سدى : أي مهمل . مختار الصحاح ص / ٢٩٣ .

(١١) أ . د . الهدى . والصواب ما أثبتناه .

(١٢) سورة القصص آية / ٥٩ .

(١٣) المحجة : جادة الطريق . مختار الصحاح . ص / ١٢٣ .

سبيل التوحيد ونهجه^(١)، فاختر الأكثر طريق الشرك^(٢) وفجه^(٣)، « وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ »^(٤).

وخص سبحانه وتعالى نوحاً - عليه السلام - بأول الرسالة، فدعى قومه إلى إخلاص العبادة لمن لا تصلح إلا له، فسبوه ونسبوه إلى الضلالة، وقابلوه بأقبح المقالة. « قَالُوا أَنْزَلْنَاكَ وَأَتَّبَعَكَ الْأَرْدَلُونَ »^(٥).

« فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ »^(٦).

ثم ختم النبوة والرسالة بصفوة النبيين والمرسلين، وخيرته من خلقه أجمعين. « مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ »^(٧).

« هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ »^(٨).

فقام بأعباء^(٩) الرسالة عبده ورسوله محمد المصطفى، فأتى قومه (ﷺ) وهم من حفرة النار على شفى^(١٠)، فدعاهم إلى ما ينالون في الدارين به^(١١) عزاً وشرفاً، ملة أبيهم إبراهيم إمام الحنفاء، « وَوَصَّي بِهَا إِبْرَاهِيمَ بَنِيهِ وَيَعْقُوبَ يَبْنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمْ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ »^(١٢).

بعثه الله تعالى إلى كافة الخلق بشيراً ونذيراً، وداعياً إلى التوحيد^(١٣) بإذنه وسراجاً منيراً، فقال تعالى: « تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا »^(١٤).

(١) نهجه: الطريق الواضح. ترتيب قاموس المحيط، ج ٤. ص / ٤٤٨. (٢) في نسخة. أ. د. الشيطان.

(٣) الفج: الطريق الواسع بين جبلين. مختار الصحاح. ص / ٤٩١. (٤) سورة يوسف آية / ١٠٦.

(٥) سورة الشعراء آية / ١١١. (٦) سورة النحل من آية / ١١٣.

(٧) سورة الأحزاب آية / ٤٠.

(٨) سورة التوبة آية / ٣٣ - سورة الصف آية / ٩.

(٩) العباء: بالكسر، الحمل والثقل من أي شيء كان. والجمع الأعباء، وهي الأحمال والأثقال. انظر لسان العرب ج ١، ص / ١١٧.

(١٠) شفى: أي قليل. شفى كل شيء: حرقه. قال تعالى: « وكنتم على شفى حفرة ».

(١١) زائدة في نسخة أ. (١٢) سورة البقرة آية / ١٣٢.

(١٣) ب. ج. توحيد. (١٤) سورة الفرقان آية / ١.

وقال تعالى : « قُلْ يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي
يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَتِهِ، وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ » (١).

وأيدته بمعجزات أعظمها القرآن، الذي أحرس أقصر سورة منه كل لسان،
فرجع عن معارضتها خاسئاً وحسيراً ، « قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا
بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ، وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا » (٢).

« أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا » (٣).

« فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ بِهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا » (٤).

« وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ » (٥).

فلما أعلن فيهم بالكلمة العظيمة الشأن، التي خلقت لها السموات والأرض
والإنس والجان، المتضمنة للتوحيد والإيمان، وإبطال عبادة الأصنام والأوثان،
أصروا على الكفر والضلال والطغيان . « إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ
يَسْتَكْبِرُونَ » (٦) ويقولون أَيْنَا لَتَارِكُوا الْهَيْتَنَا لِشَاعِرٍ مَجْنُونٍ » (٦) ، « أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ
جَاءَهُم بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُم لِلْحَقِّ كَارِهُونَ » (٧).

وتمالؤوا على الشرك والغي والفساد، ولزموا منهج الغي والعناد « وَأَنْطَلَقَ الْمَلَأُ
مِنْهُمْ أَنْ آمَسُوا وَأَصْبَرُوا عَلَىٰ الْهَيْتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ » (٨).

« وَأَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ إِلَهَةً أَلْعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ » (٧٤) لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ
جُنْدٌ مُخَضَّرُونَ » (٩).

أعرضوا عن السميع المجيب، الإله القادر القريب، وطلبوا من العاجز الشفاعة
والتقريب، « وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شَفَعْتُنَا عِنْدَ اللَّهِ » (١٠).

(٢) سورة الإسراء آية / ٨٨ .

(٤) سورة النساء آية / ٥٥ .

(٦) سورة الصافات آية / ٣٥ ، ٣٦ .

(٨) سورة ص آية / ٦ .

(١٠) سورة يونس من آية / ١٨ .

(١) سورة الأعراف آية / ١٥٨ .

(٣) سورة النساء آية / ٨٢ .

(٥) سورة الزخرف آية / ٤٤ .

(٧) سورة المؤمنون آية / ٧٠ .

(٩) سورة يس آية / ٧٤ ، ٧٥ .

« مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ » (١).

فلم يبرح (ﷺ) يدعوهم إلى الكلمة الجامعة، ويهديهم للتي هي أقوم، وهي الملة الحنيفة الساطعة، ويجاهدهم بالآيات والبراهين القاطعة، وأكثرهم بها يكذبون. « بَلْ أَتَيْنَاهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ » (٢).

وهدى الله عباده المؤمنين إلى الصراط المستقيم فأمنوا به وعزروه ونصروا دينه القويم، فنالوا بذلك الفوز العظيم.

« يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ » (٣).
« لَكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأُوْلِيَائِهِمْ
الْخَيْرَاتِ وَأُوْلِيَائِهِمْ الْمُفْلِحُونَ » (٤).

فجدد (ﷺ) في الإعلان بالدعوة، واستمر وجاهد (هو) وصحبه، من أعرض عن التوحيد ونفر، لا يبالون بما ينالون من الأذى والمحنة والضرر، ممن أبى عن الحق وتولى وكفر. « فَأَصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبِتُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنْ نَّهَارٍ بَلَّغَ فَعَلَّ بِهَلِكِ إِلَّا الْقَوْمَ الْفَاسِقُونَ » [(٥).
« فَبُولِعْ مِنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ (١٧٤) وَأَبْصُرْ لَهُمْ فَسَوْفَ يَبْصُرُونَ » (٦).

فلم يزل هو وأتباعه يلقون من قومهم ما يلقون، ويفتنون في دين الله ويؤذون، فيصبرون على ذلك ويرضون. « أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يَتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ » (٧).

(١) سورة الزمر من آية / ٣.

(٢) سورة المؤمنون من آية / ٧١.

(٣) سورة التوبة آية / ٢١.

(٤) سورة التوبة آية / ٨٨.

(٥) سورة الأحقاف آية / ٣٥ - ما بين المعقوفين ذكرتها حتى يتبين المشبه به.

(٦) سورة الصافات آية / ١٧٤ - ١٧٥.

(٧) سورة العنكبوت آية / ٢.

إلى أن أذن الله أن يعلي كلمته، وينصر دينه، ويمد في سائر الأقطار تمكينه، ويعمم ظهوره وتبينه، فأمر نبيه (ﷺ) بالمهاجرة إلى المدينة، فهاجر (ﷺ) إليها، وتتابع على ذلك المهاجرون « وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ » (١).

فشرع الله تعالى لنبيه الجهاد، وفرض عليه قتال أهل الشرك والضلال والإلحاد، ووعد النصر والتمكين، والله لا يخلف الميعاد « إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ » (٢).

فنهذ (٣) (ﷺ) وأصحابه الحماة (٤) الكهامة (٥) الأبطال، مسارعين لأداء الأمر في الامتثال، مشرعين أسنة (٦) زرقاً كأنياب أغوال (٧)، راجين جزيل الثواب في القتال. « وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَأْمُونًا فَإِنَّهُمْ يَأْمُونُ كَمَا تَأْمُونُ ۗ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ۗ » (٨).

فأصبحت لوامع مرهفاتهم لغياب (٩) الكفر جالية، لما بذلوا في سبيل الله من النفوس العالية، فمنحهم مولاهم الدرجات العالية.

« وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ » (١٠).

فرفع الله قواعد الملة السمحاء، وهدد دعائم العوجاء، وأبدلها صباحاً، وتوالت

(١) سورة الأنفال آية / ٣٣.

(٢) سورة الصافات آية / ١٧٢ - ١٧٣.

(٣) نهد إليه : قام، والمناهدة في الحرب المناهضة، وهو في معنى نهض، إلا أن النهوض قيام غير قعود، والنهوض نهوض على كل حال. لسان العرب ج ٣ ص / ٤٢٩ - ٤٣٠.

(٤) فلان حامي الحقيقة ما يحق على الرجل أن يحميه. جمعه حماة - مختار الصحاح ص / ١٤٧.

(٥) الكهامة: الكمي: الشجاع، والمتكمي في سلاحه: أي المتغطي المستر بالدرع والبيضة. مختار الصحاح. ص / ٥٧٩.

(٦) أسنة زرقاً: رماح ملونة. أسنة: رماح. زرقاً تطلق على الرماح لألوانها.

(٧) كل ما اغتال الإنسان فأهلكه فهو غول. مختار الصحاح ص / ٤٨٥.

(٨) سورة النساء من آية / ١٠٤.

(٩) أي سيوفهم البراقة اللامعة القاطعة مبددة لظلام الكفر والشرك. مرهف: رقيق. غياهب: الغيب: شدة سواد الليل والجمل، وليل غيب: مظلم... انظر لسان العرب. ج ١. ص / ٦٥٣.

(١٠) سورة آل عمران آية / ١٦٩.

الفتوح على الإسلام فتحاً فتحاً، وحقق الله تعالى لهم من مآمولهم نجحاً، « وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ » (١).

فلما أكمل الله تعالى لأمة الدين، وأتم نعمته على المسلمين، أتاه من ربه اليقين .
« وَمَا جَعَلْنَا لِلْبَشَرِ مِّن قَبْلِكَ الْخَلْدَ أَفَآئِينَ مِتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ » (٢).

فلم تزل أعلام الإسلام في خلافة خلفائه مرفوعة مشهورة، وألوية (٣) التوحيد في الأمصار منصوبة منشورة، وعساكرهم على عداتهم منصوره، وعداتهم بالذلة مقهورة، وجنود الردى مهزومة مكسورة، وهم في سبيل الله لأعدائه يجاهدون إلى أن مضى كل منهم إلى السبيل، وانقضى ذلك الجليل، فوقع التغيير في الدين والتبديل، بظهور القوم الذين أخبر الصادق أنهم من الدين يمرقون (٤)، وعمت الفتن وكثرت أنصارها، وطمت المحن وربت أصهارها، ونمت على ذلك الإعصار أعصارها، « أَفَمَن زِينَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِن لَّو يَضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ فَلَا نَذَبَ نَفْسِكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَتٌ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ » (٥).

وعمرت البدع وشيدت ربوعها، وأسست أصولها، فامتدت فروعها وحلت بكل ناحية من الأمصار جموعها (٦). « إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ يُحْكُمُ بَيْنَهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ » (٧).

(١) سورة النور آية / ٥٥ . (٢) سورة الأنبياء آية / ٣٤ .

(٣) ألوية ، وهي دون الأعلام والبنود . مختار الصحاح ص / ٦٠٩ . الأعلام والألوية هنا معنوية حيث أراد المصنف بذلك امتداد الإسلام في هذه البلاد وانتشار التوحيد في الأمصار وانتصار جند الله، وهزيمة أعداء الله . والله أعلم .

(٤) يمرقون ، مرق السهم من الرمية : خرج من الجانب الآخر، ومنه سميت الخوارج مارقة لقوله (ﷺ) (يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية)، انظر مختار الصحاح . ص / ٦٢٢ .

(٥) سورة فاطر آية / ٨ .

(٦) فسي د . رجوعها .

(٧) سورة الأنعام آية / ١٥٩ .

فما برحت شبه البدع في القلوب دابة، و نار الأهوية مضرمة^(١) شابة وعواصف الضلال على من أراد الله خذلانه هابة. « وَمَنْ يَعِشْ (٢) عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نَقِيضٌ (٣) لَهُ، شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ، قَرِينٌ (٤) » وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُّهْتَدُونَ (٤).

حتى مضى سادس^(٥) القرون فتفاقم^(٦) الأمر والحال، وتعاضم التعصب للباطل والمحال^(٧)، وتراكم سحاب المراء والجدال، ولكن طائفة الحق منصوره لانزال، فليسوا على الضلالة مجتمعون. « كَذَلِكَ زَيْنًا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلُهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٨) ».

فما زالت في ازدياد تلك الدعوى، وفي اتقاء تيك البدع والأهوى^(٩)، إلى منتصف القرن الثاني عشر الذي جلت فيه البلوى، وحلت البدع فيه والشرك عرى التوحيد والتقوى، والأكثر فيه متمسك من ملة آبائه بالسبب الأقوى.

« إِنَّهُمْ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُّهْتَدُونَ (١٠) ».

فشرح الله تعالى صدر من وفقه للإسلام وهداه، وأبان له سنن رشده وهداه، وأوضح له سبيل الهداة^(١١)، فقام ممثلاً لأمر مولاه، شكراً لما منحه من العلم وأولاه، منكراً على من كانوا برهيم يشركون.

« إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكُتُبِ ۗ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعِينُونَ (١٢) ».

-
- ١) في جميع النسخ، مصربة والصواب ما أثبتناه.
 (٢) من يعيش : من يتعام ويعرض .
 (٣) نقيض له : نسب أو نتج له . كلمات القرآن تفسير وبيان . ص / ٣٦٨ .
 (٤) سورة الزخرف آية / ٣٦ - ٣٧ .
 (٥) في نسخة أ . ساس . والصواب ما أثبتناه .
 (٦) فتفاقم : تفاقم الأمر، عظم . انظر مختار الصحاح . ص / ٥٠٩ .
 (٧) المحال : الكيد وردم الأمر بالحيل . انظر لسان العرب ج ١١ ص / ٦١٨ .
 (٨) سورة الأنعام من آية / ١٠٨ .
 (٩) الصواب، الأهواء . ولكن المصنف أتى به مقصوداً لمراعاة السجع .
 (١٠) سورة الأعراف من آية / ٣٠ .
 (١١) في نسخة د . هده من غير الألف واللام .
 (١٢) سورة البقرة آية / ١٥٩ .

وهو شيخ الإسلام، وقدوة الموحدين، وغرة^(١) العلماء العاملين، الشيخ محمد بن عبد الوهاب^(٢)، الذي أزال الله به ظلام الشرك والشك والارتياب، وأزاح به من ركاب الباطل كل سحاب، وكشف عن الدين الحق كثيب الحجاب، بعد ما انقطعت دونه الأسباب، وسد عن التوصل إليه كل باب، وواراه الافتراق والشقاق في التراب، ونودي على التوحيد بالغربة والاعتراب، جعله الله تعالى من عباده الذين يوم القيامة ينادون « **يَعْبَادِ لِأَخَوْفٍ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ** »^(٣) الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ »^(٤) « **أَدْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ** »^(٥).

وذلك أنه لما أشرت له من الهداية أنوارها، ولمعت له من الآيات المحكمات أسرارها، وتجلي له من العناية صباحها وإسفارها، ورأى أكثر الناس وما يعتقدون، وما يتخذون من الأرباب دونه ويغيثون. « **قُلْ أَعْيَرَ اللَّهُ ابْنَ رِبِّي وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا نُزِرْ وَأَنْزِرُ وَذُرْ أُخْرَى ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ** »^(٦).

شمر عن ساعد الجد إذ لم يجد بداً، وأعلن بتكفير من جعل من دون ربه نداً^(٧)، وقام بإخلاص الدعوة، وقال: « **لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا** »^(٨) « **إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا** »^(٩).

(١) رجل أعر: أي شريف. وفلان غرة قومه: أي سيدهم. انظر مختار الصحاح ص/ ٤٧١.
(٢) هو الداعية المجدد للحنيفية، الشيخ محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي صاحب الدعوة الوهابية السلفية. ولد سنة خمس عشرة بعد المائة والألف من الهجرة في بلدة «العيينة». تلقى في طفولته العلم في بلده، فحفظ القرآن قبل بلوغه العاشرة، وكان حاد الفهم سريع الحفظ فصيحا فطناً. كان والده قاضي العيينة، فقرأ عليه في الفقه على مذهب الإمام أحمد، وشرح الله صدره لمعرفة التوحيد، فأخذ ينكر تلك البدع المستحدثة، ويدعو إلى الله، ثم رحل في طلب العلم إلى مكة والمدينة وغيرها من بلاد الحجاز، فأقام بالمدينة ثم رحل في طلب العلم إلى البصرة، وسمع الحديث، وقرأ النحو وغيرها من العلوم، ثم عاد إلى «حريملا» بعد وفاة والده سنة ١١٥٣ هـ. أخذ في إعلان الدعوة، وشد في إنكار مظاهر الشرك، فذاع ذكره في جميع بلدان العارض، فرحل إليه الناس. وقد صنف العديد من الكتب، منها «كتاب التوحيد» و«كتاب الكبائر» و«كتاب كشف الشبهات» وغيرها. توفي رحمه الله في يوم الإثنين آخر شوال سنة ست بعد المائتين والألف، وله من العمر، اثنين وتسعين عاماً. انظر «تاريخ نجد» لابن غنام. ص/ ٧٣. والأعلام ج٧. ص/ ١٣٧. و«عنوان المجدد» لابن بشر ج١. ص/ ٨٩.
(٣) سورة الزخرف آية / ٦٨ - ٦٩ - ٧٠.
(٤) سورة الأنعام آية / ١٦٤.
(٥) نداً. الند بالكسر المثيل والنظير. مختار الصحاح. ص/ ٦٥٢.
(٦) سورة مريم آية / ٨٩. إدًّا: منكرأ فظيماً. كلمات القرآن تفسير وبيان. ص/ ٢٢٢.
(٧) سورة مريم آية / ٩٣.

والذين تدعون من دون الله لا يستجيبون . « وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنِ دُعَائِهِمْ غَفِلُونَ » (١) « قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَاكُمْ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ » (٢) .

فلم يزل - رحمه الله تعالى - يدعو إلى منهاج الهدى ، ويجادل بالتي هي أحسن أهل الردى ، ويتلو عليهم : « وَأَنْ الْمَسْجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا » (٣) .
« فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَءَايِنِهِ يُؤْمِنُونَ » (٤) .

فأبى (٥) قومه عن ذلك وصدوا، وعارضوه بالباطل وردوا، واجتهدوا عداوته والبطش به وجدوا « بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّهْتَدُونَ » (٦) .

فحاق بهم ما كانوا به يمكرون « أَمْ أَتَرُمُوا أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ » (٧) .

بل أخرجوه من الديار، وحكموا بأنه من الخوارج أو الكفار، ولم يكن لهم بالذكر الحكيم اعتبار « وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ » (٨) .

فخسر الخسران الميين، من أعرض عن التوحيد والدين، وباء (٩) بالعذاب المهين « وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ » (١٠) .

فأووه وعزروه وكانوا له أنصاراً، من سبقت لهم السعادة والشرف والفخار، وكتب لهم التمكين والظهور على الأعداء والانتصار، والاستخلاف والاستيلاء على ممالك الملوك الذين يجاربون . « إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ

(١) سورة الأحقاف آية / ٥ . (٢) سورة الأنعام آية / ٤٠ .

(٣) سورة الجن آية / ١٨ . (٤) سورة الجاثية من آية / ٦ .

(٥) في جميع النسخ فأبوا وهي لغة ضعيفة . والصواب ما أثبتناه . (٦) سورة الزخرف آية / ٢٢ .

(٧) سورة يس آية / ٩ . (٨) سورة الزخرف آية / ٧٩ .

(٩) بقاء : رجوع . (١٠) سورة السجدة آية / ٢٢ .

فَسَيُفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ﴿١﴾ .

وذلك أنه لما أخرج من البلاد، ليقضي الله أمره الذي لا دافع له ولا راد، وينيل من ساعد الإسعاد، ويبدلهم السعة والنعمة بعد الضيق والظنك^(٢) والأنكاد^(٣) .

آواه محمد^(٤) والد الإمام عبدالعزيز^(٥) وأخوته وقربته الأنجاد^(٦) . وبدلوا في نصرته طريف^(٧) المال والتلاد^(٨)، وجرّدوا مرهفات^(٩) المواضي للجلاد، ولم يبالوا بما سار إليهم من العسكر^(١٠) والأجناد، والملوك عليهم يجزبون. « لَنْ يَضُرُّكُمْ إِلَّا أَذَىٌّ وَإِنْ يُفْتَلِكُمْ يُؤَلُّوكُمُ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصِرُونَ »^(١١) .

وقاموا معه على الناس في إخلاص الدعوة لله التي هي سبيل الهداية والنجاة من المهالك في الغواية، صابرين على ما ينالهم من الأذى^(١٢)، مستشعرين مضمون هذه الآية « وَمَا لَنَا أَلَّا نَنوَكَلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدانا سُبُلًا وَلَنصِيرَنَّ عَلَى مَاءٍ أذِيْتُمُونَا

(١) سورة الأنفال من آية / ٣٦ .

(٢) الظنك : الضيق .

(٣) الأنكاد . نكد عيشه : اشتد . ورجل نكد : أي عسر ، وجمعه أنكاد ومناكيد ، مختار الصحاح . ص / ٦٧٩ .

(٤) هو الإمام المجاهد وناصر السنة وحارس الدين محمد بن سعود بن محمد بن مقرن بن مرخان من عنزة من بني ذهل بن شيبان ، أول من لقب بالإمامة من آل سعود ، كان مقامه الدرعية . ولي الإمارة بعد وفاة أبيه ، وحسنت سيرته ، وقويت شوكته ، واتسعت الإمارة ، فشملت أكثر نجد ، ساند الشيخ محمد بن عبدالوهاب في دعوته ، فتعاهد على أن يكون ابن سعود حارساً للدين وناصراً للسنة . توفي - رحمه الله - بالدرعية سنة تسع وسبعين ومائة وألف ... انظر الأعلام جـ ٧ . ص / ٩ . وعنوان المجد في تاريخ نجد لابن بشر جـ ١ . ص / ٤٩ .

(٥) هو الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود ، إمام من أمراء آل سعود في دولتهم الأولى ، ولي الإمامة بعد وفاة أبيه سنة ١١٧٩ . واتسع نطاق دولته في أيامه فسحق خصمه ابن دواس سنة ١١٨٧ وافتتح القصيم ، وبعث السرايا ، فوصلت غزواته إلى «عسير» غرباً ، وعمان شرقاً ، وامتد ملكه إلى شواطئ الفرات ، وكان مغواراً شديداً البأس ، لا يمل الحروب ، يباشر الملاحم بنفسه . اغتاله رجل من أهل العمادية في جامع الدرعية سنة ١٢١٨ . وكان مولده كما ذكره صاحب الأعلام سنة ١١٣٢ . انظر عنوان المجد لابن بشر جـ ١ ص / ٤٩ - ١٢٥ ، والأعلام جـ ٤ ص / ١٥٢ .

(٦) الأنجاد : النجد ما شرف من الأرض . وهنا بمعنى ، الشجاع الماضي فيما يعجز غيره . ترتيب قاموس المحيط . جـ ٤ . ص / ٣٢٦ .

(٧) طريف المال : المال المستحدث وهو ضد التالد . مختار الصحاح . ص / ٢٩٠ .

(٨) التلاد : المال القديم الأصلي الذي ولد عندك . مختار الصحاح . ص / ٧٨ .

(٩) مرهفات : مرهف . أرفه سيفه رققه فهو مرهف . مختار الصحاح . ص ٢٥٩ .

(١٠) ب . د . العساكر .

(١١) سورة آل عمران آية / ١١١ .

(١٢) والصواب ، الأذى كما في كتب اللغة ، ولكن المصنف استعمل هذا اللفظ مراعاة للسجع .

وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ « (١) .

فما زالوا معه داعين، وهم في علو ونصر وتمكين على جميع المعتدين وجباية الملوك المخربين، حتى أتاه - رحمه الله - اليقين، وقد جاوز بضعاً وثمانين من السنين. «إِنَّكَ مَيِّتٌ وَلِيَتَّهَمُ مَيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخَصِمُونَ « (٢) .

فلم يبرحوا بعده في ازدياد، واتساع ملك وامتداد، واستيلاء على كثير من البلاد، وعداتهم من بأسهم يهربون. « وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلِهَا مُصْلِحُونَ « (٣) .

هذا ولما كان الإمام عبدالعزيز بن سعود، وابنه سعود^(٤)، أمير الجيوش والجنود، والإمام بعده بالبيعة المحكمة العقود، بلغهم الله تعالى كل مأمول ومقصود، وكبت^(٥) كل عدو لهم وحسود، على نشر العلم وتعليم الناس والدخول في دين الله يحرصون.

« وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ « (٦) .

فعن لعبدالعزیز - حفظه الله تعالى^(٧) - أن تجمع الأحاديث التي هي أصول الإسلام والإيمان، ويضم إليها ما يناسبها من آيات القرآن، وجاءت الإشارة إلى بشرحها والكلام على ما يحتاج إليه من البيان، مع الإيجاز الذي لا يخل بالتبيان، لتسهل

(١) سورة إبراهيم آية / ١٢ .

(٢) سورة الزمر آية / ٣٠ - ٣١ .

(٣) سورة هود آية / ١١٧ .

(٤) هو الإمام سعود بن عبدالعزيز بن محمد بن سعود. ولد تقريباً سنة ستين ومائة وألف، أو قبلها بقليل أو بعدها بقليل بالدرعية من البلاد النجدية، وكان قائد جيوش أبيه، فافتتح جميع الديار النجدية، والبلاد العارضة والأحساء والقطيف، والبلاد الحجازية. ثم استولى على الطائف ومكة والمدينة وغالب جزيرة العرب، ووصلت جيوشه إلى بلاد اليمن وغيرها. مات سنة تسع وعشرين ومائتين وألف. انظر البدر الطالع ج ١ . ص / ٢٦٢ .
وعنوان المجد ابن بشر ج ١ . ص / ١٢٥ - ١٦٧ .

(٥) الكبت : الصرف والإذلال . يقال : كبت الله العدو : أي صرفه وأذله . مختار الصحاح . ص / ٥٦٠ .

(٦) سورة آل عمران آية / ١٠٤ .

(٧) في ج . رحمه الله .

معرفة الدين^(١) الذي لا يقبل سواه^(٢) من كل إنسان، ولعل الناس في دينهم يتفقهون. « فَلَوْلَا نَفَرْنَا مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِنَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِنُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذْ رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ »^(٣).

فبادرت أمره بالامثال والقبول، وجعلت^(٤) الكلام عليها في رسالة حاوية لسبعة فصول، عدد كلمات لا إله إلا الله محمد رسول الله، لأن لا كلمة وإله كلمة، وإلا كلمة، والله كلمة، ومحمد كلمة، ورسول كلمة، والله كلمة، وأعضاء المكلفين^(٥) سبعة، وأبواب جهنم سبعة، وأرجو أن يكون لي بكل فصل منها حجاب عنها، يوم الكفار وأهل البدع إلى أبوابها يدعون، ويكبكبون فيها هم والغاؤون « إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ »^(٦).

وسميتها العقد الثمين في شرح أحاديث أصول الدين، وأرجو بها القربة إلى الله والوصول، والفوز في الدارين بالمأمول، وأن تتلقى بالإقبال والقبول، فالعلم النافع أفضل ما يتقرب به المتقربون. « مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنَّثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ »^(٧).

والمأمول ممن تصفح هذه الأوراق، وسرح^(٨) في روضها الأحداق، وكان له بآداب العلم اعتلاق، ومن صافي شراب العلماء كأس دهاق^(٩)، وجنى من يانع أثمارها، واقتطف من شميم أزهارها، واقتبس من لامع أنوارها، أن يستر مارأى من عوارها^(١٠)، فذلك من مكارم الأخلاق، وأهلها للمساوىء يسترون « وَإِذَا مَا

(١) سقطت من ، ب .

(٢) سقطت من ، ب .

(٣) سورة التوبة من آية / ١٢٢ .

(٤) في نسخة د . المتكلفين . وأعضاء المكلفين السبعة أراد بها أعضاء السجود السبعة وهي : الجبهة واليدان والركبتان وأطراف القدمين .

(٥) سورة الأنبياء آية / ١٠١ .

(٦) سورة النحل آية / ٩٧ .

(٧) سقطت من د .

(٨) سقطت من د .

(٩) في د . غوارها .

غَضِبُواهُمْ يَغْفِرُونَ» (١).

مع أنها وإن كانت في ذاتها جميلة، فقد برزت شعثناء من غير تحسين ولا تجميل، وصدرت وركاب حملتها مناخة للسفر بها والرحيل، ورسل الإمام تحثني في البكرة والأصيل، وتحضني (٢) على الإنجاز والتعجيل، وعدم الإطناب في الكلام والتطويل، والذهن بعد تغير الحال، وتكدر البال كليل « وَرَحِمْتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ » (٣).

« فَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمُنِعْ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ » (٤).

ولم أذكر من حال الشيخ ومبدأ أمره وأخباره، وسيرة الإمام وأولاده وأصحابه، وكافة عصابته وأنصاره، سوى شذرة، تكون للمسترشد عبرة، لأن هذه ليست مصنفة لذلك، ولا تدخل من التاريخ والمغازي في مسالك، فمن أراد تفصيل ماجرى وما نالوا من المحالك، فعليه بمطالعة التاريخ المسمى بـ«روضة الأفكار والأفهام» (٥) فإنه في الحقيقة حديقة الحقائق، ورقائق الحدائق والعيون.

(١) سورة الشورى من آية / ٣٧.

(٢) في ب . د . تحضني .

(٣) سورة الزخرف من آية / ٣٢.

(٤) سورة الشورى آية / ٣٦.

(٥) لمرناتاد حال الإمام وتعداد غزوات ذوي الإسلام . وهو الكتاب الذي ألفه المصنف في تاريخ الدعوة النجدية وجمع فيه أغلب رسائل الشيخ محمد بن عبد الوهاب وسيرته كما تقدم في ترجمته .

الفصل الأول

فيما جاء في الإسلام أنه دين الله الذي لا يقبل سواه

قال الله : « شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ اللَّهِ الْأَسْلَمُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَنِيًّا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ » (١).

وقول الله تعالى : « أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا ... » إلى قوله « وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ » (٢).

وقال تعالى : « وَمَنْ يَرْغَبْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٣﴾ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِربِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٤﴾ وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يٰبَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمْ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ » (٣).

وقال تعالى : « قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا مِنْ رَبِّهِمْ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ » (٤).

وقال تعالى : « مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾ إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ » (٥).

وقال جل جلاله : « إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَا يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٦٨﴾ شَاكِرًا لِالْتِمَاعِ أَحْبَبْتَهُ وَهَدَيْتَهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٦٩﴾ وَأَعْتَدْنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٧٠﴾ ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ » (٦).

(١) سورة آل عمران آية / ١٨ - ١٩ . (٢) سورة آل عمران من آية / ٨٣ - ٨٥ .

(٣) سورة البقرة آية / ١٣٠ - ١٣١ - ١٣٢ . (٤) سورة البقرة آية / ١٣٦ .

(٥) سورة آل عمران آية / ٦٧ - ٦٨ .

(٦) سورة النحل آية / ١٢٠ - ١٢٣ ، هذه الآيات سقطت من نسخة أ . د .

وعن الزبير بن العوام^(١) - رضي الله عنه - قال سمعت رسول الله (ﷺ) وهو بعرفة يقرأ «شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ» فقال: (وأنا على ذلك من الشاهدين)^(٢).

رواه الإمام أحمد^(٣) عن أبي يحيى مولى الزبير بن العوام^(٤). ورواه ابن أبي حاتم^(٥) من وجه آخر قال: حدثنا علي بن حسين^(٦) حدثنا محمد بن المتوكل العسقلاني^(٧)، قال: حدثنا عمر بن حفص بن ثابت^(٨)، حدثنا عبد الملك^(٩) بن يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه^(١٠) عن جده^(١١) عن الزبير بن العوام قال: سمعت رسول الله (ﷺ) حين قرأ هذه الآية «شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ..» قال: (وأنا

(١) الزبير بن العوام بن خويلد الأسدي القرشي حواري رسول الله (ﷺ) وابن عمته، أبو عبد الله، أحد المشهود لهم بالجنة وأحد الستة أصحاب الشورى. أسلم وله اثنا عشرة سنة. وقيل ثمان سنين. وكان عمه يعلقه في حصر ويدخن عليه ليكفر، فيقول: لا أكفر أبداً. وكان أول من سل سيفه في سبيل الله، قتله ابن حرموز غدرأ بعد انصرافه من الجمل، سنة ست وثلاثين. انظر الإصابة ج ١. ص / ٥٤٥.

(٢) أنظر مسند الإمام أحمد ج ١ ص / ١٦٦. وتفسير ابن كثير ج ١ ص / ٣٥٣.

(٣) الإمام أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد، أبو عبد الله الشيباني المروزي ثم البغدادي، ولد في بغداد من سنة أربع وستين ومائة، وتوفي يوم الجمعة الثاني عشر من ربيع الأول سنة إحدى وأربعين ومائتين. حبس وضرب في أيام المأمون بسبب القرآن العظيم، فكان يقول: إن القرآن كلام الله غير مخلوق، مخالفاً لقول المأمون الذي أزاغه المعتزلة عن الحق. وكانت هذه محنة الإمام أحمد. البداية والنهاية ج ١. ص / ٣٢٥.

(٤) أبو يحيى مولى الزبير بن العوام، بحث في كتب التراجم فلم أجد ترجمة سواه في تعجيل المنفعة وهو مذكور بكتبته. أنظر تعجيل المنفعة. ص / ٥٢٧.

(٥) الإمام الحافظ: أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي الحنظلي الرازي، ولد سنة أربعين ومائتين، أخذ العلم عن أبيه وأبي زرعة وكان بحراً في العلوم ومعرفة الرجال، صنف في الفقه واختلاف الصحابة والتابعين، من مصنفاته «الجرح والتعديل» و«كتاب التفسير» وكتاب الرد على الجهمية وغيرها. مات في المحرم سنة سبع وعشرين وثلاثمائة. انظر تذكرة الحفاظ ج ٣ ص ٨٢٩.

(٦) علي بن الحسين بن الجنيد الحافظ الثبت، أبو الحسن الرازي، ويعرف في بلده بالملكي لكونه جمع حديث مالك. كان بصيراً بالرجال والعلل. مات في آخر سنة أحد وتسعين ومائتين. انظر تذكرة الحفاظ ج / ٠٢ ص / ٦٧١.

(٧) محمد بن المتوكل بن عبد الرحمن الهاشمي، مولاهم العسقلاني، المعروف بابن أبي السري، صدوق عارف له أوهام، مات سنة ثمان وثلاثين ومائتين... تقريب التهذيب. ج ٢ ص / ٢٠٤.

(٨) عمر بن حفص بن ثابت بن محمد، روى عن أبيه عن النعمان بن بشير. كنيته أبو سعيد. انظر التاريخ الكبير للبخاري. ج ٦. ص / ١٤٩. أنظر الجرح والتعديل ج ٦. ص ١٠٢.

(٩) عبد الملك بن يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير بن العوام الأسدي، من أهل المدينة. قدم بغداد في أيام المهدي. كان يقوم بحوائج أهل العراق، ويطالب بها. توفي وهو ابن ثلاث وستين. انظر تاريخ بغداد. ج ١٠. ص / ٤٠٧.

(١٠) يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير بن العوام المدني، ثقة، مات بعد المائة وله ست وثلاثون سنة. تقريب التهذيب. ج ٢. ص / ٣٥٠.

(١١) عباد بن عبد الله بن الزبير بن العوام كان قاضي مكة في زمن أبيه وخليفته إذا حج. ثقة... تقريب التهذيب. ج ١. ص / ٣٩٢.

أشهد أي رب (١).

وروى الطبراني (٢) في معجمه بسنده إلى غالب القطان (٣) أنه سمع الأعمش (٤) يتهجّد من الليل، فمر بهذه الآية « شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ » (١٨) **إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ** « فقال: وأنا أشهد الله بما شهد به، وأستودع الله هذه الشهادة وهي لي عند الله وديعة » **إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ** « قالها مراراً، وذكر أنه سأله هل سمع فيها شيئاً، فقال: أو ما بلغك مافيها، قال رسول الله (ﷺ): (يجاء صاحبها يوم القيامة، فيقول الله عز وجل: عبدي عهد إلي وأنا أحق من وفي بالعهد أدخلوا عبدي الجنة) (٥).

وفي قوله (ﷺ) في حديث سؤال جبريل النبي (ﷺ) عن الإسلام والإيمان والإحسان المروي عن جماعة من الصحابة، وخرجاه في الصحيحين، وفي آخره (هذا جبريل أتاكم يعلمكم دينكم) (٦).

(ويعلم) (٧) مطابقة ودلالة لما ذكرنا أقول: هذه الآيات المحكمات بكفر الكتابيين، والمشركين من الأميين حاكمة، وبراهينها القاطعة لظهورهم قاصمة، وكفى بأصدق الشاهدين والقائلين شهيداً، وبما تضمنته للعادلين عنها وعيداً، شهد

(١) انظر تفسير ابن كثير . ج ١ . ص / ٣٥٣ .

(٢) الحافظ الإمام، أبو القاسم، سليمان بن أحمد بن أيوب اللخمي الطبراني، ولد في صفر سنة ستين ومائتين بعكا، صنف المعجم الكبير والأوسط والصغير وكتاب الدعاء وكتاب دلائل النبوة وغيرها . قال أبو نعيم: توفي لليلتين بقيتا من ذي القعدة سنة ستين وثلاثمائة . انظر تذكرة الحفاظ . ج ٣ . ص / ٩١٢ .

(٣) غالب بن خطيف - بضم المعجمة وقيل بفتحها - وهو ابن أبي غيلان القطان أبو سليمان البصري، مولى ابن كرز، وقيل مولى بنى تميم . وقيل غير ذلك، قال عبدالله بن أحمد بن حنبل عن أبيه: ثقة ثقة . وقال ابن معين: والنسائي ثقة . قال أبو حاتم: صدوق صالح ... تهذيب التهذيب . ج ٨ . ص / ٢٤٢ .

(٤) سليمان بن مهران الأسدي الكاهلي، أبو محمد الكوفي الأعمش . فقيه حافظ عارف بالقراءة، ورع، ولكنه يدلّس . مات سنة سبع وأربعين ومائة . وقيل، ثمان وأربعين ومائة . وكان مولده إحدى وستين . تقريب التهذيب . ج ١ . ص / ٣٣١ .

(٥) انظر معجم الكبير للطبراني . ج ١ ص / ٨٥ . تحقيق حمدي عبدالمجيد السلفي، كما ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ج ٦ . ص / ٣٢٥ . قال رواه الطبراني . وفيه عمرو بن دينار . وهو ضعيف . وانظر تفسير ابن كثير . ج ١ . ص / ٣٥٣ - ٣٥٤ .

(٦) رواه البخاري في صحيحه تعليقاً ج ١ . ص / ١٨ كتاب الإيمان . باب ٣٧، كما رواه مسلم في صحيحه ج ١ . ص / ٣٦ - ٣٨ كتاب الإيمان حديث رقم ٨ / ١ . سقطت من ب . دينكم .

(٧) زاد في ح . يعلم .

سبحانه وتعالى أنه المتفرد بالألوهية بجميع الخليقة، وأن الموجودات علوها وسفلها جميعهم عبده، وخلقه والفقراء^(١) إليه في الحقيقة، وأنه الغني عن سواه، وله الغناء المطلق العام، والفضل السابغ التام، كما قال تعالى: « لَكِنَّ اللَّهَ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَكُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا »^(٢).

ثم قرن تعالى شهادة الملائكة^(٣) والعاملين بالعلم من حملته، بشهادة ذاته العلية، وفيها للعلماء منقبة جليلة، وبين وحدانيته بنصب الدلائل الدالة عليها، وكرر ذلك بقوله: « لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ » للتأكيد ومزيد الاعتناء بمعرفة أدلة التوحيد، والحكم به بعد إقامة الحجة، « الْعَزِيزُ » الذي لا يرام جنباه عظمة وكبرياء، « الْحَكِيمُ » في أفعاله وأقواله وشرعه وقدره^(٤).

قوله: « إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ » اتفقت كلمة أهل الحق من السلف والخلف ومن بعدهم، على ماتضمنته^(٥) هذه الأخبار من الله أن الدين عند الله الإسلام، ولا يقبل من أحد سواه، وهو اتباع الرسل فيما بعثهم الله به في كل حين، من أولهم حتى ختمهم بأفضل النبيين محمد سيد المرسلين، فسد الله تعالى^(٦) جميع الطرق إليه إلا من جهة نبينا محمد (ﷺ)، فمن لقي الله تعالى بعد إرساله محمداً وبعثته، بدين على غير دينه وشرعه، فهو من الضالين الهالكين، كما قال تعالى: « وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ »^(٧).

ثم أخبر جل جلاله أن الذين أوتوا الكتاب الأول، إنما اختلفوا بعد ما قامت^(٨) الحجة عليهم، بإنزال الكتب وإرسال الرسل إليهم، بغى بعضهم على بعض، وحملهم على ذلك الحسد والبغض، فاختلفوا في الحق للتدابير والتحاسد وآل بهم الحال إلى مخالفته في الأقوال والأفعال والتجاحد^(٩).

(١) في ب . د . د . والفقراء . (٢) سورة النساء آية / ١٦٦ .

(٣) في ب . د . ملائكته . (٤) انظر تفسير ابن كثير ج ١ . ص / ٣٥٣ .

(٥) في ب . د . ماتضمنه . (٦) لم يذكر في د . كلمة ، تعالى .

(٧) سورة آل عمران آية / ٨٥ . وانظر تفسير ابن كثير ج ١ . ص / ٣٥٤ .

(٨) في أ . ج . د . إقامة ، والصواب ما أثبتناه كما في تفسير ابن كثير .

(٩) انظر تفسير ابن كثير . ج ١ . ص / ٣٥٤ .

ومن جحد ما أنزله الله في الكتاب ، فإن الله يجازيه على ذلك يوم الحساب ويعذبه أشد العقاب .

وقوله تعالى : « فَإِنْ حَاجُّوكَ » أي جادلوك في التوحيد ، « فَقُلْ أَسَلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ » أي فقل اخلصت لله العبادة بأنواعها ، وتبرأت من ملة الشرك وأتباعها ، وكفرت بما يعبد من أتباعها ، وقد ختم هذه الآية بقوله : « فَإِنْ أَسَلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلْغُ وَاللَّهُ بِصَيْرُكُمْ بِالْعِبَادِ »^(١) يعني أن الله يهدي من يشاء برحمته وفضله ، ويضل من يشاء بإرادته وعدله ، وله في ذلك الحكمة الباهرة والحجة البالغة القاهرة^(٢) .

وقوله : « أَفَغَيْرِ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ ... الآية » أنكر سبحانه وتعالى على من أراد ديناً سوى دينه ، بعد إقامة حججه وبراهينه ، وشهادة الكتب المنزلة ، وتصريح الرسل المرسله ، بل جميع من في السموات والأرض استسلم له طوعاً وهو المؤمن بالقلب والقالب ، والكافر بالتسخير والقهر والسلطان الذي لا يغالب^(٣) ، « وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ »^(٤) ، أي من سلك طريقاً غير ما شرعه الله على لسان نبيه المختار^(٥) ، « فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ »^(٦) من أهل النار ، الذين باؤوا بالخسار ، ونودي عليهم بالبوار^(٧) ، والحديث الصحيح شاهد على ذلك (من عمل عملاً ليس عليه أمرنا ، فهو رد)^(٨) .

(١) سورة آل عمران من آية / ٢٠ .

(٢) انظر تفسير ابن كثير . ج ١ . ص ٣٥٤ .

(٣) انظر تفسير ابن كثير . ج ١ . ص / ٣٧٨ - ٣٧٩ . نقله بتصريف .

(٤) سورة آل عمران . آية / ٨٥ .

(٥) انظر تفسير ابن كثير . ج ١ . ص / ٣٧٨ - ٣٧٩ . نقله بتصريف .

(٦) سورة آل عمران آية / ٨٥ .

(٧) أي الهلاك . قوم بور : هلكي . انظر مختار الصحاح . ص / ٦٨ .

(٨) رواه مسلم في صحيحه . ج ٣ . ص / ١٣٤٤ . كتاب الأفضية . حديث رقم ١٧١٨ / ١٨ عن عائشة ، كما رواه

البخاري في صحيحه . ج ٣ . ص / ١٦٧ كتاب الصلح باب عن عائشة بلفظ (أحدث) كما روى هذا الحديث

البخاري تعليقاً في صحيحه في موضعين الأول ج ٣ . ص / ٢٤ كتاب اليسوع باب ٦ ، والثاني ج ٨ .

ص / ١٥٦ . كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة . ص / ٢٠ .

وقوله : « وَمَنْ يَرْغَبْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ » الآية . تضمنت هذه الآية وما بعدها الرد على الكفار فيما أحدثوه من الابتداع ، وأتوه من المخالفة لملة إبراهيم وعدم الاتباع ، مع أنه إمام الحنفاء ، وكفى به في القدوة شرفاً ، وهو الذي أخلص العبادة لمولاه ، ولم يتخذ ولياً سواه ، وجرّد لربه التوحيد ، ولم يدع أحداً من العبيد ، ولم يشرك بربه طرفة عين ، بل لم يخالط قلبه من شبه الإشراف رين^(١) ، فتبرأ من الآلهة الباطلة التي قومه لها يعبدون فقال : « يَنْقُومُ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تَشْرِكُونَ »^(٢) .

فلهذا قال تعالى : « وَمَنْ يَرْغَبْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ »^(٣) أي التي هي الطريق المستقيم ، والدين الواضح القويم ، ويترك طريقته السوية المنهاج ويعدل بها الاعوجاج ، « إلا من سفه نفسه » أي بظلمها بسفهه وتقصيره ، وسوء نظره وتدبيره ، ويتركه الحق وميله للضلال ومصيره ، وخالف نهج^(٤) من اصطفاه رب العباد ، في الدنيا للهداية والرشاد ، من حداثة سنه إلى بلوغ المراد ، وفي الآخرة من الصالحين الفائزين بالرضوان والإسعاد ، فياله من سفه ما أعظمه ، وجور ما أكبره وأفخمه^(٥) .

وقوله : « فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ » وصية منه بإخلاص الدين لله وإحسان العمل له في حال^(٦) الحياة ، وعلامة ذلك ليرزقكم الله بفضله عليه الوفاة^(٧) ، فإن المرء غالباً يموت على ما عليه في الدنيا يكون ، ثم يأتي على ذلك الحال يوم يبعثون ، والله الكريم من فضله العميم ، تفضل بأن من قصد الخير يسر إليه ومن نوى صالحاً ثبت عليه .

(١) الرين : الطبع الدنس ، والرّين : كالصدأ يغطى القلب ، وران الذنب على قلبه : غلب عليه وغطاه . وقال الحسن : هو الذنب على الذنب حتى يسود القلب . وكل ما غطى شيئاً فقد ران عليه . انظر لسان العرب . ج ١٣ . ص / ١٩٢ .

(٢) انظر تفسير ابن كثير . ج ١ . ص / ١٨٥ (سورة الأنعام من آية / ٧٨) .

(٣) زاد في نسخة جـ (إلا من سفه نفسه) .

(٤) في نسخة د . منهج .

(٥) انظر تفسير ابن كثير . ج ١ ص / ١٨٥ (سورة الأنعام من آية / ٧٨) .

(٦) سقطت من جـ .

(٧) في أ . ليرزقكم الله عليه بفضله الوفاة .

ولتكف عنان^(١) القلم عن الجري في تفسير باقي آيات القرآن، حتى يقف صافنتنا^(٢) عن اتساعه في هذا الميدان، ونكتفي بما حررناه وقررناه من البيان في هذه الآيات الرفيعة الشأن، لأن جميع معناها الصحيح الواضح، ومقتضاها الصريح الصادع^(٣) الصادح^(٤)، يؤول إلى أن الدين المطلوب المراد، المقصود من جميع العباد، الذي هو السر والحكمة في الإيجاد. ودين الإسلام العظيم الذي هو الصراط المستقيم، الذي دعا الله عباده كافة بالاستقامة عليه، وحثهم على الدخول فيه والمبادرة إليه، إذ لا عمل يقبل بغيره لديه، ونهاهم عن تجاوز ماله الحدود، وحكم على من أخطأ فيه^(٥) في النار بالخلود.

ولنتختم هذا الفصل بالحديثين الصحيحين تكميلاً للدلالة والإفادة، وتأميلاً أن يحصل بها المسترشد مراده.

خرج الإمام أحمد والترمذي^(٦) والنسائي^(٧) من حديث نواس بن سمعان الأنصاري^(٨) عن النبي ﷺ قال: (ضرب الله مثلاً صراطاً مستقيماً، وعلى جنبتي

(١) عنان القلم: يعني العنان للفرس. وجمعه أعنه. الفرس حبسه بعنان، والمراد: التوقف عن الكتابة في هذه الآيات الواضحات. مختار الصحاح ص / ٤٥٨.

(٢) الصافن من الخيل: القائم على ثلاث قوائم. انظر مختار الصحاح. ص / ٣٦٦.

(٣) الصادع: الصدع: الشق، وصدع بالحق: تكلم به جهاراً. مختار الصحاح ص / ٣٥٨. في نسخة د. الصادق. (٤) سقطت من نسخة د.

(٥) أخطأ في دين الله: أي حاد عنه وعدل. انظر مختار الصحاح. ص / ٥٩٢.

(٦) الإمام الحافظ، أبو عيسى، محمد بن عيسى بن سورة السلمى الترمذي الضرير. مصنف الجامع، وكتاب العلل، قال الحاكم: سمعت عمر بن علك يقول: مات البخاري فلم يخلف بخراسان مثل أبي عيسى في العلم والحفظ والورع والزهد. بكى حتى عمي. مات في ثالث عشر من رجب سنة تسع وسبعين ومائتين بترمذ. انظر تذكرة الحفاظ. ج / ٢. ص / ٦٣٢.

(٧) الحافظ الإمام، أبو عبد الرحمن، أحمد بن شعيب بن علي بن سنان الخراساني القاضي، صاحب السنن، ولد سنة خمس عشرة ومائتين، تفرد بالعرفه والإتقان وعلوم الإسناد، استوطن مصر، من كتبه «الخصائص» و«فضائل الصحابة». كان ورعاً تقياً أكثر من العبادة، خرج حاجاً فامتنح بدمشق. وأدرك الشهادة. قال احمولني إلى مكة، فحمل وتوفي بها. وكانت وفاته في شعبان سنة ثلاث وثلاثمائة. انظر تذكرة الحفاظ. ج ٢. ص / ٦٩٨.

(٨) في جميع النسخ من حديث العرياض بن سارية. والصواب ما أثبتناه. وقد وقع الخطأ عند نقل المؤلف من جامع العلوم والحكم. لابن رجب ص / ٢٣ - ٣٤.

والعرياض هو العرياض بن سارية السلمى، أبو نجيح، صحابي مشهور، من أهل الصفة، وهو ممن نزل فيه قوله تعالى: «ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم» أسلم قديماً، ثم نزل حمص، قيل: إنه مات في فتنة ابن الزبير، وقيل مات بعد ذلك سنة خمس وسبعين. انظر الإصابة. ج ٢ ص / ٤٧٣.

والنواس هو النواس بن سمعان بن خالد بن عمرو العامري الكلابي، له ولأبيه صحبة. الإصابة ج ٣. ص / ٥٧٦. زاد في تقريب التهذيب ج ٢. ص / ٣٠٨ أو الأنصاري صحابي مشهور سكن الشام.

الصرط سوران فيها أبواب مفتحة، وعلى الأبواب ستور مرخاة، وعلى باب الصراط داع يقول: يا أيها الناس ادخلوا الصراط جميعاً ولا تعوجوا. وداع يدعو من جوف الصراط، فإذا أراد أن يفتح شيئاً من تلك الأبواب قال: ويحك لا تفتحه فإنك إن فتحته تلجه. والصرط: الإسلام، والسوران: حدود الله، والأبواب المفتحة: محارم الله، وذلك الداعي على رأس الصراط: كتاب الله - عز وجل - والداعي من فوق الصراط: واعظ الله في قلب كل مسلم. (زاد الترمذي - رحمه الله - « وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ » (١) يونس / ٢٥ .

وخرج الإمام أحمد من حديث أبي هريرة (٢) - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله (ﷺ): (تجيء الأعمال يوم القيامة، فتجيء الصلاة، فتقول: يارب أنا الصلاة. فيقول: إنك على خير. وتجيء الصدقة، فتقول: يارب أنا الصدقة. فيقول: إنك على خير. ثم يجيء الصيام، فيقول: أي يارب أنا الصيام، فيقول: إنك على خير. ثم يجيء الأعمال على ذلك. فيقول الله عز وجل: إنك على خير. ثم يجيء الإسلام، فيقول: يارب أنت السلام وأنا الإسلام. فيقول الله: إنك على خير، اليوم بك آخذ، وبك أعطي. قال الله تعالى في كتابه: « وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ » (٣).

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده ج ٤ ص / ١٨٢، وكما رواه الترمذي في صحيحه ج ٥ ص / ١٤٤ كتاب الأمثال باب ١ (كلاهما عن النواس بن سمعان الأنصاري) كما عزاه المزي في تحفة الأشراف ج ٩ ص / ٦٠ حديث رقم ١١٧١٤. وقال: رواه النسائي في التفسير (في السنن الكبرى). وقال صاحب فيض القدير (عن النواس بن سمعان) قال الحاكم على شرط مسلم ولا علة له، وأقره الذهبي. وقضية المصنف أن هذا لا يوجد مخرجاً لأحد من الستة، والأمر بخلافه، فقد عزاه في الفردوس للترمذي في كتاب الأمثال. انظر فيض القدير. ج ٤ ص / ٢٥٤.

(٢) عبدالرحمن بن صخر الدوسي، وهو مشهور بكنتيته، وقد اختلف في اسمه واسم أبيه، وهذا أشهر ما قيل في اسمه واسم أبيه. قال النووي: إنه أصح. وهو أحد المكثرين من الروايات عن رسول الله (ﷺ) ولم يفارق النبي (ﷺ) منذ أسلم. توفي سنة سبع وخمسين. وقيل ثمان، وقيل تسع وخمسين. انظر الإصابة. ج ٢ ص / ٤٠٣.

(٣) رواه أحمد في مسنده. ج ٢ ص / ٣٦٢.

الفصل الثاني

في تفسير النبي (ﷺ) الإسلام والإيمان والإحسان

قال الله: « إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا » (١).

وقال تعالى: « أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فُسِقُونَ » (٢).

وقوله تعالى: « وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ » (٣).

وقوله تعالى: « وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ » (٤).

وقوله تعالى: « وَخَافُونَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ » (٥).

وقال تعالى: « لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَعَمِلُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَعَمِلُوا اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ » (٦).

قرن الله تعالى الإحسان في هذه الآية بالإيمان.

وفي قوله تعالى: « بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ » (٧)،

قرنه بالإسلام.

(١) سورة الأنفال آية / ٢ - ٣ - ٤ . وجلت : خافت وفزعت وورقت .

(٢) سورة الحديد آية / ١٦ . ألم يأن : ألم يجيء وقت . . الأمد : الأجل أو الزمان .

(٣) سورة التوبة من آية / ٥١ .

(٤) سورة المائدة من آية / ٢٣ .

(٥) سورة آل عمران من آية / ١٧٥ .

(٦) سورة المائدة آية / ٩٣ . وانظر جامع العلوم والحكم . ص / ٣٣ .

(٧) سورة البقرة من آية ١١٢ . وانظر جامع العلوم والحكم . ص / ٣٣ .

وقوله : « وَمَنْ يُسَلِّمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ » (١) وقرنه تعالى بالتقوى، فقال : « إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ » (٢). وذكره تعالى مفرداً فقال : « لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ » (٣).

وعن عمر (٤) - رضي الله عنه - قال : بينما نحن عند رسول الله (ﷺ) ذات يوم، إذ طلع علينا رجل، شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا يرى عليه أثر السفر، ولا يعرفه منا أحد، حتى جلس إلى النبي (ﷺ) فأسند ركبتيه إلى ركبتيه، ووضع كفيه على فخذيه، وقال : يا محمد، أخبرني عن الإسلام. فقال رسول الله (ﷺ) : (الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً).

قال : صدقت . فعجبنا له يسأله ويصدقه . قال : فأخبرني عن الإيمان . قال : (أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره) . قال : صدقت . قال : فأخبرني عن الإحسان، قال : (أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك)، قال : فأخبرني عن الساعة، قال : (ما المسؤول عنها بأعلم من السائل) قال : فأخبرني عن أماراتها، قال : (أن تلد الأمة رببتها، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاة يتطاولون في البنيان) ثم انطلق . فلبثت ملياً، ثم قال لي : (يا عمر : أتدري من السائل) قلت : الله ورسوله أعلم . قال : (فإنه جبريل أتاكم يعلمكم أمر

(١) سورة لقمان من آية / ٢٢ .

(٢) سورة النحل آية / ١٢٨ . وانظر جامع العلوم والحكم . ص / ٣٣ .

(٣) سورة يونس من آية / ٢٦ . وانظر جامع العلوم والحكم . ص / ٣٣ .

(٤) عمر بن الخطاب بن نفيل القرشي العدوي، أبو حفص، أمير المؤمنين، ثاني الخلفاء الراشدين . ولد بعد الفجار بأربع سنين، وذلك قبل البعث النبوي بثلاثين سنة . وقيل : ولد بعد الفيل بثلاث عشرة سنة، إليه السفارة في الجاهلية . كان شديداً على المسلمين، فلما أسلم كان فتحاً على المسلمين . انظر الإصابة ج ٢ . ص / ٥١٨ . زاد ابن الجوزي في صفة الصفوة، لما أسلم عمر عز الإسلام، وهاجر جهراً، وشهد بدرًا والمشاهد كلها . وهو أول خليفة دعي أمير المؤمنين، وأول من كتب التاريخ، وأول من جمع القرآن في المصحف، وأول من جمع الناس على صلاة التراويح، وغير ذلك . قال سعد بن أبي وقاص : طعن عمر يوم الأربعاء لأربع ليال بقيت من ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين . ودفن يوم الأحد، وكان عمر ابن ثلاث وستين . انظر صفة الصفوة . ج ١ . ص / ٢٦٨ .

دينكم) رواه مسلم^(١).

الكلام على هذه الآيات الساطعة الأنوار، وكشف ما احتوت^(٢) عليه من الأسرار، وتنضيد^(٣) مكنون^(٤) معانيها، وتشبيد مضمون مبانيها، لا يناسب مقتضى الحال، لأن حل ما في ضمنها من المعاني تقتضيه ساعات الإمهال، والزمن المعين لإيجاد هذه الرسالة لا تسع أيامه تفصيل المعاني والإطالة، مع أن أكثر معاني الآيات المذكورة يتضمنه الحديث، وستوجد إن شاء الله تعالى فيه مشروحة مسطورة.

ف نقول: هذا الحديث مما انفرد به مسلم في صحيحه عن عمر - رضي الله عنه - وخرجه البخاري^(٥) من حديث أبي هريرة^(٦)، وفيه تقديم السؤال عن الإيمان على السؤال عن الإسلام، وزيادة (أن تعبد الله ولا تشرك به شيئاً)^(٧) في الجواب عن الإسلام.

وقد رواه جمع من الصحابة^(٨)، وهو حديث عظيم جداً، لا يبلغ الفهم لإدراك معانيه مفصلة حدّاً، ولكن لا نجد عن الكلام على شذره منها بدأً، وإلا فالأفهام على ما عليه انطوى، وما أحاط به واحتوى، تقف دون ساحل تياره، فضلاً عن الغوص

(١) رواه مسلم في صحيحه. ج ١. ص / ٣٧ - ٣٨ كتاب الإيمان حديث رقم ٨ / ١. والإمام مسلم هو مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، أبو الحسين - صاحب التصانيف - ولد سنة أربع ومائتين، وأول سماعه سنة ثمان عشرة ومائتين. لقد ترك آثاراً كثيرة، ومصنفات ضخمة، منها: «المسند الكبير على الرجال»، و«كتاب الجامع على الأبواب» و«كتاب الأسماء والكنى»، و«كتاب التمييز»، و«كتاب العلل والوجدان، والأفراد، والأقربان، وأوهام المحدثين وغيرها». وقال: ما وضعت شيئاً في كتابي هذا المسند إلا بحجة، وما أسقطت شيئاً إلا بحجة. مات مسلم في رجب سنة إحدى وستين ومائتين. انظر تذكرة الحفاظ. ج ٢. ص / ٥٨٨.

(٢) في أ. د. احوت.

(٣) نضد متاعه: وضع بعضه على بعض.

(٤) مكنون: ماستر وخفي.

(٥) هو محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبه الجعفي، مولاهم أبو عبدالله. إمام أهل الحديث في زمانه، والمفتدى به، وكتابه «الصحیح» أجمع العلماء على قبوله وصحة ما فيه، ولد في ليلة الجمعة الثالث عشر من شوال سنة أربع وتسعين ومائة. وقرأ الكتب المشهورة وهو ابن ست عشرة سنة. مات ليلة السبت سنة ست وخمسين ومائتين. وكفن في ثلاثة أثواب بيض ليس فيها قميص ولا عمامة. وكان عمره لما مات اثنتين وستين. انظر البداية والنهاية. ج ١١. ص / ٢٤.

(٦) رواه البخاري في صحيحه. ج ١ ص ١٨ كتاب الإيمان باب ٣٧ وأبو هريرة من ترجمته.

(٧) انظر صحيح البخاري. ج ١. ص / ١٨ كتاب الإيمان. باب ٣٧.

(٨) منهم أبو هريرة وأبو ذر.

على جواهر أسراره، ولم لا ترجع نواظر الإدراك من دون إدراكها حسراً، وتحجم عن زاخر أمواجهها فلا تستطيع تعبيراً لها ولا عبراً. وترى التقصير والإحجام بها أخرى، والسائل - عليه السلام - في هذا المقام روح الله الأمين، والمجيب أفصح الخلق أجمعين، وأفضل الأولين والآخرين. وأيضاً فقد اشتمل على شرح الدين كله، فأنى يرام في هذه الأرقام استقصاء الكلام في إيضاحه وحله.

فتقول: والله المستعان وعليه الاعتماد والتكلان، قوله: (إذ طلع علينا) أي بدا وظهر. وقوله: (شديد بياض الثياب) يستفاد من مجيئه - عليه السلام - على تلك الحالة البهية، استحباب التجمل لطلب العلم والقدوم على ذوي الرتب السنية، إذا لم يقصد بذلك الفخر والمباهاة، وإنما قصد التحدث وإظهار نعمة الله. وقال أبو العالية^(١): (كان المسلمون إذا تزاوروا تجملوا). وقال ابن عبد السلام^(٢): (لا بأس بلباس شعار العلماء، ليعرفوا بذلك فيسألوا، فإني كنت محرماً فأنكرت على جماعة محرمين لا يعرفونني، ماأخلوا به من أدب الطواف، فلم يقبلوا^(٣)، فلما لبست ثياب الفقهاء، وأنكرت عليهم ذلك سمعوا وأطاعوا، فإذا لبسها لمثل ذلك كان فيه أجر لأنه سبب لامتثال أمر الله.

وقد نص العلماء على كراهية لبس الثياب الخشنة لغير غرض شرعي، قلت: ومن البدع ماأحدث من لم يتمسك من العلم بسبب، وما له سوى الدنيا طلب، من لباس المرقعات والجبب، زاعمين أن الهدي العمري لهم قدوة، وفيه لهم أعظم أسوة، وأنى بذلك لقلوب من محبة الدنيا ملئت قسوة، كلاب طبع على قلوبهم الرين^(٤)، فلم

(١) هو رفيع بن مهران الرياحي، مولاهم البصري، أدرك الجاهلية، وأسلم بعد وفاة الرسول (ﷺ) بستين. مجمع على ثقته. قال ابن أبي داود: ليس أحد بعد الصحابة أعلم بالقراءة من أبي العالية، قيل مات سنة تسعين وقيل سنة ثلاث وتسعين. وجزم به ابن حبان، ورواه البخاري عن أبي مخلدة. وقيل غير ذلك. انظر تهذيب التهذيب. ج ٣. ص/ ٢٨٤.

(٢) عبدالعزيز بن عبدالسلام بن أبي القاسم بن الحسن شيخ الإسلام وبقية الأعلام الشيخ عز الدين السلمي الدمشقي الشافعي. ولد بدمشق سنة سبع أو ثمان وسبعين وخمسائة. وتوفي بالقاهرة سنة ستين وستائة. وبلغ رتبة الاجتهاد. حبسه الملك الصالح إسماعيل ثم أطلقه، فرحل إلى مصر وتولى فيها القضاء والخطابة. انظر فوات الوفيات. ج ٢. ص/ ٣٥٠. البداية والنهاية ج ١٣. ص/ ٢٣٥.

(٣) في د. ولم.

(٤) الرين: الطبع الدنس، كالصدأ يغشى القلب. وران الذنب على قلبه: غلب عليه وغطاه.

يفرقوا بين القبيح والزين، وجعلوا تلك المراقيع لاقتناص الدنيا آلة، ولأكل أموال الناس بالباطل حباله، والسالم من ذلك متعبد على جهالة.

تنبيه: يؤخذ من هذا الحديث أفضلية الثياب البيض على غيرها من سائر اللباس، واستحباب لبسها، وإتيان جبريل فيها، وتكفين الأموات دليل على ذلك، وقد ورد في الحديث: (البسوا البياض وكفنوا فيه موتاكم، فإنها خير ثيابكم)^(١).

وروى أبو داود^(٢) والترمذي من حديث ابن عباس قال: (قال رسول الله ﷺ): (البسوا من ثيابكم البياض فإنها من خير ثيابكم وكفنوا فيها موتاكم)^(٣).

ولهذا قالت عائشة^(٤) - رضي الله عنها - (كفن رسول الله ﷺ) في ثلاثة أثواب بياض سحولية^(٥)^(٦).

وقوله: (فأسند ركبتيه) هذا فيه تصريح بأنه جلس بين يديه دون جانبه، ولعل العلماء أخذوا استحباب جلوس المعلمين بين أيديهم من جلسة جبريل، ولكن جبريل بالغ في القرب حتى وضع كفيه على فخذه.

(١) روى الإمام أحمد في مسنده. ج ٥. ص / ١٠ و ١٣ و ١٧ معناه عن سمرة بن جندب، وهذا الحديث والذي يليه متقارب. وإنما فيه اختلاف بعض الألفاظ أو تقديم وتأخير. كما رواه ابن ماجة في سننه. ج ٢. ص / ١١٨١.

(٢) أبو داود: الإمام الثابت سيد الحفاظ، سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير الأزدي السجستاني، صاحب السنن، ولد سنة اثنتين ومائتين، وقال عن كتابه: (ذكرت في كتابي الصحيح وما يشبهه وما يقاربه، وما كان فيه وهن شديد بينته). كان من العلماء العاملين. مات في السادس عشر من شوال سنة خمس وسبعين ومائتين بالبصرة. انظر تذكرة الحفاظ. ج ٢. ص / ٥٩١.

(٣) رواه أبو داود في سننه ج ٤. ص / ٨ كتاب (الطب) باب في الامر بالكحل. و ص / ٥١ كتاب (اللباس) باب في البياض. كما رواه الترمذي في الجامع الصحيح ج ٣. ص ٣١٩ و ٣٢٠ باب ١٨، وقال: حديث ابن عباس حسن صحيح.

(٤) عائشة بنت أبي بكر - أم المؤمنين، ولدت بعد المبعث بأربع أو خمس سنين، تزوجها النبي ﷺ وهي بنت ست وقيل سبع. ويجمع بأنها أكملت السادسة، ودخلت السابعة، ودخل بها وهي بنت تسع، في السنة الأولى وقيل السنة الثانية، وتكنى أم عبدالله. قال الزهري: لو جمع علم عائشة إلى علم جميع أمهات المؤمنين وعلم جميع النساء لكان علم عائشة أفضل. وماتت سنة ثمان وخمسين في ليلة الثلاثاء لسبع عشرة خلت من رمضان عند الأكثر ودفنت بالبقيع. الإصابة. ج ٤. ص / ٣٥٩.

(٥) سحولية: قرية من قرى اليمن. وروي بضم السين على أنه نسب إلى السحول جمع سحل: وهو الثوب الأبيض. انظر الفائق في غريب الحديث ج ٢ ص / ٩٤١.

(٦) روى هذا الحديث البخاري في صحيحه ج ٢. ص / ٧٥ كتاب الجنائز باب ١٩. كما رواه مسلم في صحيحه ج ٢. ص / ٦٤٩ كتاب الجنائز حديث رقم ٩٤١ / ٤٥.

تفسير الإسلام

وقوله في الجواب عن الإسلام: (أن تشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله). اعلم أن النبي (ﷺ) قد فسر الإسلام هنا بأعمال الجوارح الظاهرة من القول والعمل، فأول ذلك شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وهو عمل اللسان، ثم باقي الأعمال وهي منقسمة إلى بدني كالصلاة والصوم، وإلى مالي وهو الزكاة، ومركب منها وهو الحج. ويدخل في قسми الإسلام أيضاً جميع الواجبات الظاهرة، كما في رواية ابن حبان^(١) أنه أضاف إلى ذلك (الاعتبار والغسل من الجنابة وإتمام الوضوء)^(٢).

وإنما ذكر هنا أصول أعماله التي يبنى عليها، كما يشهد له حديث (بني الإسلام على خمس، شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وحج البيت، وصوم رمضان) رواه البخاري ومسلم عن ابن عمر (رضي الله عنهما)^(٣).

ويدل على دخول جميع الأعمال الظاهرة في مسمى^(٤) الإسلام. قوله: (المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده)^(٥).

(١) الحافظ الإمام - أبو حاتم - محمد بن حبان بن أحمد التميمي البستي، كان على قضاء سمرقند زماناً، وكان من فقهاء الدين، وحفاظ الآثار، عالماً بالطب والنجوم، وفنون العلم، صنف «المسند الصحيح» و«التاريخ» و«كتاب الضعفاء»، وفقه الناس بسمرقند. مات في شوال سنة أربع وخمسين وثلاثمائة. انظر تذكرة الحفاظ. ج ٣. ص / ٩٢٠.

(٢) انظر موارد الظمان في زوائد ابن حبان، للهيتمي. ص / ٣٥. وجامع العلوم والحكم، لابن رجب. ص / ٢٢. حيث أن الكلام منقول منه نصاً.

(٣) رواه البخاري في صحيحه. ج ١. ص / ٨ كتاب الإيمان باب ١، كما رواه مسلم في صحيحه ج ١ ص / ٤٥ كتاب الإيمان حديث رقم ٢١ (اللفظ له). راوي الحديث هو عبدالله بن عمر بن الخطاب بن نفيل القرشي العدوي، ولد سنة ثلاث من المبعث النبوي وقيل غير ذلك، وهاجر مع أبيه وعمره عشر سنين، وقيل ثلاث عشرة وقيل غير ذلك. استصغر يوم بدر وأحد، كان أول مشاهدته الخندق، عاش سبعاً وثمانين سنة، وقيل أربعاً وثمانين، مات سنة اثنتين وسبعين، وقيل ثلاث وسبعين. انظر الإصابة. ج ٢. ص / ٣٤٧.

(٤) في نسخة ج. في الكلام على.

(٥) روى هذا الحديث البخاري في صحيحه. ج ١. ص / ٨ كتاب الإيمان باب ٤ (عن عبدالله بن عمرو)، كما رواه مسلم في صحيحه. ج ١. ص / ٦٥ كتاب الإيمان حديث رقم / ٦٥ / ٤١ (عن جابر بن عبدالله) وقد روى هذا الحديث أيضاً عن أبي موسى الأشعري.

وقد روى الشيخان عن عبدالله بن عمرو^(١) أن رجلاً سأل النبي (ﷺ) أي الإسلام خير؟ قال: (أن تطعم الطعام، وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف)^(٢).

وحديث أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي (ﷺ) (إن للإسلام ضوءاً أو مناراً^(٣) كمنار الطريق، ومن ذلك أن تعبد الله ولا تشرك به شيئاً، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتسليمك على بني آدم إذا لقيتهم، وتسليمك على أهل بيتك إذا دخلت عليهم، فمن انتقص منهن شيئاً فهو سهم من الإسلام تركه، ومن تركهن فقد نبذ الإسلام وراء ظهره) خرجه الحاكم في صحيحه^(٤). والأحاديث في ذلك كثيرة.

(١) عبدالله بن عمرو بن العاص بن وائل القرشي السهمي، كنيته أبو محمد عند الأكثر، ويقال: أبو عبد الرحمن. أسلم قبل أبيه، وقيل إنه لم يكن بينه وبين أبيه إلا اثنا عشرة سنة. كان زاهداً يواظب على قيام الليل وصيام النهار. أمره (ﷺ) بصيام يوم بعد يوم، وبقراءة القرآن في كل ثلاث. عمي في آخر عمره. قال الواقدي: مات بالشام سنة خمس وستين، وقولاً آخر أنه مات سنة تسع وستين، وقيل غير ذلك. انظر الإصابة. ج ٢. ص/٣٥١.

(٢) روى هذا الحديث البخاري في صحيحه. ج ١. ص/٩ كتاب الإيمان، باب/٦، كما رواه مسلم في صحيحه ج ١. ص/٦٥ كتاب الإيمان حديث رقم ٣٩/٦٣. وانظر أيضاً جامع العلوم والحكم لابن رجب. ص/٢٢ و٢٣ نقلاً منه نصاً.

(٣) في فيض القدير ج ٢. ص/٤٩٦ (إن للإسلام ضوى) أي أعلاماً منصوبة يستدل بها عليه. واحدها ضوة. وفي النهاية. والضوى: أعلام منصوبة من الحجارة في الفياقي والمفاوز يستدل بها على الطريق، واحده ضوة. وانظر النهاية. ج ٣. ص/٦٢.

(٤) هذان الحديثان مستقلان. فقد جمعها المصنف في حديث واحد مع أن الحاكم رواهما في المستدرک. ج ١. ص/٢١ كتاب الإيمان بإسنادين مختلفين. الحديث الأول: (إن للإسلام ضوءاً ومناراً كمنار الطريق) الذي ذكره المناوي في فيض القدير. ج ٢. ص/٤٩٦. قال (ك في الإيمان) من حديث خالد بن معدان عن أبي هريرة. وقال الحاكم غير مستبعد، لقي خالد أبا هريرة. وكتب الذهبي على حاشيته بخطه ما نصه: قال ابن أبي حاتم: خالد عن أبي هريرة متصل، قال: أدرك أبا هريرة، ولم يذكر له سماع. انتهى.

والحديث الثاني هو: (الإسلام أن تعبد الله ولا تشرك به شيئاً). وسبب الجمع أن المصنف ينقل من كتاب جامع العلوم والحكم. لابن رجب، حيث أنه جمعها. انظر جامع العلوم والحكم. ص/٢٣.

والحاكم هو: أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن محمد بن حمدويه النيسابوري المعروف بابن البيع، صاحب التصانيف. ولد سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة في ربيع الأول. وهو ثقة واسع العلم، وقال عبد الغافر بن إساعيل أبو عبدالله الحاكم: هو إمام أهل الحديث في عصره. ومن تصانيفه «العلل»، و«التراجم»، و«الأبواب»، و«معرفة علوم الحديث»، و«مستدرک شيخين» وغيرها. توفي في رجب سنة خمس وأربعمائة. انظر تذكرة الحفاظ. ج ٣. ص/١٠٣٩.

تفسير الإيمان

وأما الإيمان^(١) فقد فسره النبي (ﷺ) في الحديث بالاعتقادات الباطنة، فقال: «أن تؤمن بالله وملائكته . . الخ» وقد ذكر الله عز وجل الإيمان بهذه الأصول، فقال: «أَمَّنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ، وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَيْكِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفِرُّ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ»^(٢).

وقال تعالى: «وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ»^(٣).

وقال تعالى: «الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ»^(٤) وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ»^(٥).

وقوله: «وَمَلَيْكِهِ» أي وهم الأجسام النورانية، أي تؤمن بأنهم عباد مكرمون، وأنهم سفراء الله بينه وبين خلقه، متصرفون فيهم كما أذن، صادقون فيما أخبروه به عنه، وأنهم بالغون من الكثرة ما لا يعلمه إلا الله. «وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ»^(٥).

(وقوله: «وَكُتُبِهِ» أي أنها منزلة من عنده، وأنها كلامه القديم بذاته، المنزه عن الحروف والصوت)^(٦). وقوله: «وَرُسُلِهِ» أي تؤمن بأنه أرسلهم إلى الخلق لهدايتهم،

(١) أنظر جامع العلوم والحكم . لابن رجب . ص / ٢٤ . (٢) سورة البقرة من آية / ٢٨٥ .

(٣) سورة البقرة من آية / ١٧٧ . (٤) سورة البقرة من آية / ٤٠٣ .

(٥) سورة المدثر من آية / ٣١ .

(٦) مابين المعقوفتين سقطت من نسخة ج . د . كما أنه يوجد في نسخة د . على قوله: (القديم بذاته، المنزه عن

الحروف والصوت). شطب هذه الجملة محمد نافع وذلك أن هذا مذهب الأشاعرة، وهو باطل . ويوجد هذا

الكلام في الهامش . انظر مجموع فتاوى ابن تيمية، لابن القاسم . ج٣ . ص / ١٧٠ - ١٧٢ .

وقال ابن القيم في مختصر الصواعق المرسله على الجهمية والمعتلة: مذاهب أهل الأرض في كلام الله - مختصراً -:

١ - مذهب الاتحادية: كل كلام في الوجود هو كلام الله نظمه ونثره وحقه وباطله وسحره وكفره .

٢ - مذهب الفلاسفة: كلام الله فيض فاض من العقل الفعال على النفوس الفاضلة الزكية بحسب استعدادها

فأوجب لها ذلك الفيض تصورات وتصديقات بحسب ما قبلته منه .

٣ - مذهب الجهمية: كلامه مخلوق ومن بعض مخلوقاته فلم يقم بذاته سبحانه .

٤ - مذهب الكلاية: أن القرآن معنى قائم بالنفس لا يتعلق بالقدره والمشيئة وأنه لازم لذات الرب كلزوم الحياة

والعلم، وأنه لا يسمع على الحقيقة، والحروف والأصوات حكاية له دالة عليه وهي مخلوقة . =

وتكميل معادهم ومعاشهم . وأنه أيدهم بالمعجزات الدالة على صدقهم ، فبلغوا عنه رسالته .

وقوله : « وَالْيَوْمِ الْآخِرِ » هو من الموت إلى ما يقع يوم القيامة .

ولاشك أن الإيـان بالرسـل يلزم منه الإيـان بجميـع ما أخبروا به من الأنبياء والملائكة والكتب والبعث والقدر ، وغير ذلك من تفاصيل ما أخبروا به من صفات الله ، وصفات اليوم الآخر ، كالميزان والصراط والجنة والنار ، وقد أدخل في هذه الآيات الإيـان بالقدر خيره وشره ، ولأجل هذه (الكلمة) روى ابن عمر هذا الحديث^(١) ، محتجاً به على من أنكر القدر ، وزعم أن الأمر أنف ، أي مستأنف ، أي لم يسبق به سابق علم من الله تعالى . وقد غلظ ابن عمر عليهم ، وتبرأ منهم ، وأخبر أنهم لا تقبل منهم أعمالهم بدون الإيـان بالقدر^(٢) . وأول من قال بالقدر بالبصرة معبد الجهني^(٣) ، وقد صرح العلماء بتكفيرهم .

الإيـان بالقدر على درجتين^(٤) :

الأولى : الإيـان بأن الله سبق في علمه ما يعمله العباد ، من خير وشر وطاعة

-
- ٥ - مذهب الأشعري : أنه معنى واحد قائم بذات الرب ، وهو صفة قديمة أزلية ليس بحرف ولا صوت ولا يتقسم ولا له أبعاد ولا له أجزاء وهو عين الأمر والنهي .
 - ٦ - مذهب الكرامية : وهو أنه متعلق بالمشيئة والقدرة ، قائم بذات الرب تعالى ، وهو حروف وأصوات ، وهو حادث بعد أن لم يكن .
 - ٧ - مذهب السالمية : أنه صفة قديمة قائمة بذات الرب تعالى لم يزل ولا يزال لا يتعلق بقدرته ومشيئته ، ومع ذلك هو حروف وأصوات وسور وآيات .
 - ٨ - مذهب أهل السنة وتابـع الرسل : أنهم أثبتوا صفة الكلام لله كما أثبتوا له سائر الصفات ، ومحال قيام هذه الصفة بنفسها . وقد دلت النصوص النبوية على أنه يتكلم إذا شاء بما شاء ، وأن كلامه يسمع ، وأن القرآن الذي هو سور وآيات وحروف وكلمات عين كلامه حقاً لا تأليف ملك ولا بشر وليس بمخلوق ، ولا بعضه قديم وهو المعنى - وبعضه مخلوق - وهو الكلمات والحروف . ولا بعضه كلامه وبعضه كلام غيره ... انظر مختصر الصواعق المرسلـة على الجهمية والمعطلة جـ ٢ . ص / ٢٨٦ و ٢٩٨ .
- (١) حديث الباب . وابن عمر مرت ترجمته .
- (٢) انظر جامع العلوم والحكم . لابن رجب . ص / ٢٤ .
- (٣) يقال : إنه معبد بن عبدالله بن عليـم ، ويقال : إنه معبد بن خالد الجهني القدري . صدوق مبتدع ، شهد يوم التحكيم . كان أول من تكلم بالقدر ، يقال : إنه أخذ ذلك من رجل من نصارى أهل العراق ، يقال له سوس . وأخذ عنه غيلان . عاقبه الحجاج عقوبة عظيمة ثم قتله ، وقيل صلبه عبد الملك بن مروان في سنة ثمانين بدمشق . انظر تقريب التهذيب . جـ ٢ . ص / ٢٦٢ . البداية والنهاية جـ ٩ . ص / ٣٤ .
- (٤) انظر جامع العلوم والحكم . لابن رجب . ص / ٢٤ .

ومعصية قبل خلقهم وإيجادهم ، وما يترتب على ذلك من الثواب والعقاب يوم الحساب قبل تكوينهم ، وأنه كتب ذلك وأحصاه عنده ، وأن أعمال العباد تجري على ما سبق في علمه وكتابه .

والثانية : أن الله خلق أفعال عباده كلها من الكفر والإيمان والطاعة والمعصية وشاءها منهم^(١) .

هذا وينبغي التأمل والتدبر لما ورد من الأحاديث التي فسر فيها الإسلام بالأعمال المذكورة ، كهذا الحديث وغيره ، والأحاديث التي فسر فيها الإيمان بأعمال الجوارح المذكورة ، كقوله (ﷺ) لوفد عبدالقيس : (أمركم بأربع ، الإيمان بالله ، وهل تدرؤن ما الإيمان بالله؟ شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ...) الحديث كما هو في الصحيحين عن ابن عباس^(٢) .

وفيها عن أبي هريرة أيضاً (الإيمان بضع وسبعون شعبة ، فأفضلها قول لا إله إلا الله ، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق ، والحياء شعبة من الإيمان)^(٣) .

فظاهره يقتضي التعارض ، وتحقيق وجه الجمع كما ذكره الحافظ ابن رجب - رحمه

(١) هذا القول رد لقول القدرية والمعتزلة ، فإنهم زعموا أن الله أراد الإيمان من الناس كلهم ، والكافر أراد الكفر ، وقولهم فاسد مردود لمخالفته الكتاب والسنة وهي مسألة القدر المشهورة ، سموا القدرية لإنكارهم القدر . أما أهل السنة فيقولون إن الله وإن كان يريد المعاصي قدراً فهو لا يجبرها ولا يرضأها بل يبغضها ويسخطها ويكرها وينهى عنها ، وهذا قول السلف قاطبة فيقولون ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ، والمحققون من أهل السنة يقولون : الإرادة في كتاب الله نوعان :

١ - إرادة قدرية كونية خلقية .

٢ - وإرادة دينية شرعية .

فالإرادة الشرعية هي المتضمنة للمحبة والرضى ، والكونية هي المشيئة الشاملة لجميع الموجودات . انظر العقيدة الطحاوية . ص / ١١٥ .

(٢) قال المصنف : إن هذا الحديث من رواية أبي هريرة ، والصواب ما أثبتناه كما هو في الصحيحين ، فقد رواه البخاري في صحيحه ج ١ . ص / ١٣٣ كتاب مواقيت الصلاة باب ١ ، وأيضاً في ج ٨ ص / ٣٢١٧ كتاب التوحيد باب ٥٦ . كما رواه مسلم في صحيحه ج ١ . ص / ٤٧ كتاب الإيمان حديث رقم ١٧ / ٢٤ .

ابن عباس هو : عبدالله ابن العباس بن عبدالمطلب بن هاشم القرشي ، أبو العباس : أحد المكثرين من رواية الحديث عن النبي (ﷺ) ، ولد قبل الهجرة بثلاث وقيل بخمس ، ضممه النبي (ﷺ) وقال : اللهم علمه الحكمة . يقال له : حبر العرب ، ولاء علي على البصرة . وكان على الميسرة يوم صفين ، فلم يزل على البصرة حتى قتل علي . توفي بالطائف سنة خمس وستين ، وقيل سبع ، وقيل ثمان وستين وهو الصحيح في قول الجمهور . انظر الإصابة ج ٢ . ص / ٣٣٠ .

(٣) رواه البخاري في صحيحه ج ١ . ص / ٨ كتاب الإيمان باب ٣ - كما رواه مسلم في صحيحه . ج ١ . ص / ٦٣ كتاب الإيمان ، حديث رقم ٥٨ / ٣٥ .

الله - (١) (أن يقال : إن من الأسماء ما يكون شاملاً لمسميات متعددة عند إفراده وإطلاقه ، فإذا قرن ذلك الاسم بغيره صار دالاً على بعض تلك المسميات ، والاسم المقرون به دالاً على باقيها ، وهذا كاسم الفقير والمسكين ، فإذا أفرد أحدهما دخل فيه كل من هو محتاج ، فإذا قرن أحدهما بالآخر دل أحد الاسمين على بعض ذوي الحاجات ، والآخر على باقيها . فهكذا اسم الإسلام والإيمان ، إذا أفرد أحدهما دخل فيه الآخر ، ودل بانفراده على ما يدل عليه الآخر بانفراده ، فإذا قورن بينهما دل أحدهما على بعض ما يدل عليه الآخر بانفراده ، ودل الآخر على الباقي).

ولهذا فسر النبي (ﷺ) الإيمان عند ذكره مفرداً في حديث وفد عبد القيس بما فسر به الإسلام المقرون بالإيمان في حديث جبريل ، وفسر في حديث آخر الإسلام بما فسر به الإيمان . كما في مسند الإمام أحمد عن عمرو بن عبسة (٢) .

قال : جاء رجل إلى النبي (ﷺ) فقال : يارسول الله ، ما الإسلام؟ قال : (أن يسلم قلبك لله عز وجل ، وأن يسلم المسلمون من لسانك ويدك) .

قال : أي الإسلام أفضل؟ قال : (الإيمان) قال : ما الإيمان؟ قال : (أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت) قال : فأي الإيمان أفضل؟ قال : (الهجرة) . قال : فما الهجرة؟ قال (أن تهجر السوء) قال : فأي الهجرة أفضل قال : (الجهاد) (٣) .

فجعل النبي (ﷺ) أفضل الإسلام الإيمان ، وأدخل فيه الأعمال . حاصل القول أنه إذا أفرد كل من الإسلام والإيمان بالذكر فلا فرق بينهما حينئذ . وإن قرن بين الاسمين كان بينهما فرق ، وهو أن يقال : إن الإيمان تصديق القلب وإقراره

(١) كلام ابن رجب موجود في جامع العلوم والحكم . ص / ٢٥ - ٢٦ . وابن رجب هو عبدالرحمن بن أحمد بن رجب البغدادي ثم الدمشقي الحنبلي ، الشهير بابن رجب ، الحافظ العمدة الثقة الحجة ، الحنبلي المذهب ، قدم بغداد وهو صغير ، واشتغل بسماع الحديث . وكانت له مجالس وعظ ، له مصنفات كثيرة ، منها «شرح جامع الترمذي» ، و«شرح أربعين النووي» و«شرح صحيح البخاري فوصل إلى الجنازات . وسماه فتح الباري» . اتقن فن الحديث . توفي سنة خمس وتسعين وسبعمائة . انظر شذرات الذهب . ج ٦ . ص / ٣٣٩ .

(٢) عمرو بن عبسة بن خالد بن عامر ينتهي نسبه إلى سليم وقيل عمرو بن عبسة بن خالد بن حذيفة بن عمرو السلمي ، أبو نجيع ، يقال أبو شعيب . أسلم قديماً وقال عن نفسه إنه رابع من أسلم . كان ممن اعتزل الأوثان في الجاهلية ، وبعد إسلامه عاد إلى بلاده ، فأقام بها إلى أن هاجر بعد خيبر ، وقيل الفتح ، فشهدها . نزل حمص ، مات بها ، في أواخر خلافة عثمان كما ذكره صاحب الإصابة . انظر الإصابة . ج ٣ . ص / ٥ - ٦ .

(٣) رواه أحمد في مسنده . ج ٤ . ص / ١١٤ .

ومعرفته ، والإسلام هو استسلام العبد لله تعالى وخضوعه وانقياده ، وذلك يكون بالعمل : وهو الدين ، كما سمي الله تعالى في كتابه الإسلام ديناً ، وسمى النبي (ﷺ) الإسلام والإيمان والإحسان ديناً .

وهذا أيضاً مما يدل على أن أحد الاسمين إذا أفرد دخل فيه الآخر وإنما يفرق بينهما حيث قرن أحد الاسمين بالآخر ، فيكون حينئذ المراد بالإيمان جنس تصديق القلب ، وبالإسلام جنس العمل^(١) .

وفي مسند الإمام أحمد عن أنس - رضي الله عنه^(٢) - عن النبي (ﷺ) قال : (الإسلام علانية والإيمان في القلب)^(٣) . وذلك لأن الأعمال تظهر علانية ، والتصديق بالقلب لا يظهر ، ومن هنا قال محققوا العلماء : كل مؤمن مسلم ، لأنه من حقق الإيمان ، ورسخ في قلبه ، قام بأعمال الإسلام ، وانبعث في ذلك ، لأن محله القلب ، وهو إذا صلح صلح الجسد كله ، وإذا فسد فسد الجسد كله ، كما نص عليه في الحديث^(٤) ... وليس كل مسلم مؤمناً ، لأن الإيمان قد يضعف فلا يتحقق به القلب تحقّقاً تاماً فيكون مسلماً وليس بمؤمن الإيمان التام ، ويدل عليه آية : « قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ »^(٥) . فسرّها ابن عباس وغيره بأنهم لم يكونوا منافقين بالكلية ، بل كان إيمانهم ضعيفاً ، وهذا هو الأصح^(٦) .

-
- (١) انظر جامع العلوم والحكم . لابن رجب . ص / ٢٦ و ٢٧ .
(٢) أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم بن النجار ، أبو حمزة الأنصاري الخزرجي ، خادم رسول الله (ﷺ) وأحد المكثرين من الرواية . وكانت إقامته بعد النبي (ﷺ) بالمدينة . ثم شهد الفتوح ، ثم قطن البصرة . مات سنة ثلاث وتسعين ، وقيل تسعين وقيل اثنتين وتسعين ، وله مائة وثلاث سنين . دعا له النبي (ﷺ) فقال : (اللهم أكثر ماله وولده وأدخله الجنة) قال . قد : رأيت اثنتين وأرجو الثالثة . . انظر الإصابة . ج ١ . ص / ٧١ .
(٣) هذا الحديث رواه أحمد في مسنده ج ٣ . ص / ١٣٤ و ١٣٥ . وقال صاحب فيض القدير ج ٣ ص / ١٧٨ و ١٧٩ : قال عبد الحق : حديث غير محفوظ . تفرد به علي بن مسعدة ، وفي توثيقه ، قال أبو حاتم : لا بأس به ، والبخاري : فيه نظر ، وابن عدي : أحاديثه غير محفوظة ، وقال البيهقي : رواه أحمد وأبو يعلى والبخاري ، ورجاله رجال الصحيح . انظر مجمع الزوائد ج ١ . ص / ٥٢ .
(٤) الحديث رواه البخاري في صحيحه . ج ١ . ص / ١٩ كتاب الإيمان باب ٣٩ كما رواه مسلم في صحيحه ج ٣ . ص / ١٢١٩ كتاب المساقاة حديث رقم ١٧ / ١٥١٩ ، (كلاهما عن النعمان بن بشير) وأوله (إن الحلال بين وإن الحرام بين ... إلى أن قال ، ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله ، وإذا فسد فسد الجسد كله ، ألا وهي القلب) .
(٥) سورة الحجرات من آية / ١٤ .
(٦) انظر جامع العلوم والحكم . لابن رجب . ص / ٢٧ وانظر تفسير ابن كثير ج ٤ . ص / ٢١٩ .

ويدل عليه قوله تعالى : « وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ، لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئاً » (١)
 أي لا ينقصكم من أجورها، فدل على أن معهم من الإيثار ما يقبل به أعمالهم. ولا ريب
 أنه متى ضعف الإيثار الباطن لزم منه ضعف أعمال الجوارح الظاهرة، فإذا ترك شيئاً
 من واجباته فهو محل الخلاف بين أهل السنة، هل يسمى مؤمناً ناقص الإيثار؟
 واختاره الأكثر وهو إحدى الروايتين عن أحمد، أو يقال ليس بمؤمن ولكنه مسلم.
 واختاره جماعة وهو الرواية الأخرى عن أحمد. والذي يجول في خلدي، ويدخل في
 حفظي، أن شيخ الإسلام تقي الدين ابن تيمية - رحمه الله (٢) - تعالى - يعتمد هذا
 القول ويرى أنه الذي يشهد له الكتاب والسنة، مع بعد عهدي بمطالعة شيء من
 كتبه (٣).

وأما اسم الإسلام فلا ينتفى بانتفاء بعض واجباته، وانتهاك بعض المحرمات
 وإنما ينتفى بالإتيان بما ينافيه بالكلية (٤)، فإنه حينئذ يخرج من الملة.

وقد ذكر العلماء للإسلام نواقض وعقدوا لذلك أبواب الردة، وأكثروا فيه
 الأمور التي تنقضه قولاً وفعلاً، والصحيح أن الإيثار القلبي يتفاضل، وهو أصح
 الروايتين عن أحمد، لأن إيثار الصديقين ليس كإيثار غيرهم، والآيات والأحاديث
 أدلة على ذلك، ولا شك أن مسائل الإسلام والإيثار عظيمة الشأن، لا يجوز أن يغفل
 عنها الإنسان، أو يهملها أهل التوحيد والإيثار، بل الواجب المتعين بذل الوسع في
 تحقيقها والاجتهاد والجد حتى يتبين سبيل الرشاد، ويتميز الصواب والسداد، لأن الله
 علق بها السعادة والإسعاد، وعلق على ضدها وهو الكفر والنفاق، الشقاوة والهلاك

(١) سورة الحجرات من آية / ١٤ .

(٢) هو أبو العباس، أحمد بن عبدالحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن القاسم الحراني، ولد في ربيع الأول سنة إحدى
 وستين وستائة، برع في علم الرجال وعلل الحديث وفقهه، وعلوم الإسلام وعلم الكلام وغير ذلك. حدث
 بدمشق ومصر، وقد امتحن وأوذى مرات، وحبس بقلعة مصر، القاهرة والاسكندرية، وبقلعة دمشق مرتين،
 وبها توفي في العشرين من ذي القعدة سنة ثمان وعشرين وسبعائة في القلعة معتقلاً. انظر تذكرة الحفاظ. ج ٤ .
 ص/ ١٤٩٦ وانظر فوات الوفيات. ج ١ . ص/ ٧٤ . وفيه ذكرت تصانيفه في مختلف العلوم ... وانظر البداية
 والنهاية. ج ١٤ . ص/ ١٣٥ .

(٣) انظر مجموع فتاوى ابن تيمية. لابن القاسم ج ٧ . ص/ ٣٠٦ .

(٤) انظر جامع العلوم والحكم لابن رجب. ص/ ٢٧ .

يوم التناد .

خاتمة للكلام على الإسلام والإيمان قد ثبت بما تقرر، وصح مما ذكر وتحرر من كلام خير الأنام، وأقوال الأئمة الأعلام، أن الأعمال تدخل في مسمى الإيمان والإسلام^(١). وتقدم ما يدخل من الأعمال الظاهرة فيهما. وأما الأعمال الباطنة فهي أيضاً تدخل في مساهما، فيدخل في أعمال الإسلام إخلاص الدين لله والنصح له وللمسلمين، وسلامة القلب من الغش والحسد والحقد وغير ذلك، ويدخل في مسمى الإيمان وجل^(٢) القلوب من ذكر الله، وخشوعها عند سماع ذكره وكتابه، وزيادة الإيمان بذلك، وتحقيق التوكل على الله، وخوف الله سرّاً وعلانية، والرضا بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد رسولاً، واختيار تلف النفس على الكفر، وإيثار محبة الله ورسوله على محبة سواهما، والمحبة في الله، والبغض في الله والعطاء والمنع له^(٣) وغير ذلك مما يطول ذكره.

وكل ما ذكرناه من هذه الأنواع، والأحاديث الواردة فيه دالة عليه، منها مارواه الإمام أحمد والنسائي عن معاوية بن حيدة^(٤)، قال: قلت: يارسول الله بالذي بعثك بالحق، ما الذي بعثك به؟ قال (الإسلام) قلت: ما الإسلام؟ قال (أن يسلم قلبك لله، وأن توجه وجهك إلى الله، وتصلي الصلاة المكتوبة وتؤدي الزكاة المفروضة)^(٥). وفي السنن عن جبير بن مطعم^(٦) عن النبي (ﷺ) قال: (ثلاث لا يغفل عنهم

(١) في ج . الإسلام والإيمان .

(٢) الوجل: الفزع والخوف . انظر لسان العرب . ج ١١ . ص / ٧٢٢ .

(٣) انظر جامع العلوم والحكم . . ص / ٢٩ .

(٤) معاوية بن حيدة بن معاوية القشيري، جد هز بن حكيم، نزل البصرة، وقيل: نزل خراسان ومات بها، سمع النبي (ﷺ) وأخرج له أصحاب السنن . الإصابة . ج ٣ . ص / ٤٣٢ .

(٥) رواه أحمد في مسنده ج ٥ . ص / ٣ . كما رواه النسائي في سننه . ج ٥ . ص / ٨٢ و ٨٣ كتاب الزكاة، باب (من سأل الله عز وجل) ولكن بلفظ آخر .

(٦) جبير بن مطعم بن عدي بن نوفل النوفلي، من أكابر قريش وعلماء النسب، أخذ النسب عن أبي بكر، قدم على النبي (ﷺ) في فداء أسارى بدر، فسمعه يقرأ الطور، قال: فكان ذلك أول ما دخل الإيمان في قلبي، أسلم جبير بين الحديبية والفتح، مات في خلافة معاوية، سنة سبع أو ثمان أو تسع وخمسين ... انظر الإصابة . ج ١ . ص / ٢٢٥ .

(٧) الغل: الحقد الكائن في الصدر، والإغلال: الحيانة . انظر الفائق في غريب الحديث . ج ٣ . ص / ٧٢ .

قلب مسلم : إخلاص العمل لله ، ومناصحة ولاة الأمر ، ولزوم جماعة المسلمين ، فإن دعوتهم من ورائهم^(١) .

فبين - عليه الصلاة والسلام - أن هذه الثلاث تنفي الغل عن قلب المسلم^(٢) .

وفي صحيح مسلم عن العباس بن عبدالمطلب^(٣) عن النبي (ﷺ) قال : (ذاق طعم الإيمان من رضي بالله رباً ، وبالإسلام ديناً وبمحمد رسولاً)^(٤) .

وفي الصحيحين عن أنس ، عن النبي (ﷺ) قال : (ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان ، من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، وأن يحب المرء لا يحبه إلا الله ، وأن يكره أن يرجع إلى الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يلقى في النار)^(٥) .

وفيهما عن أنس قال : (لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين)^(٦) .

وفي رواية (من أهله وماله والناس أجمعين)^(٧) فلا نزيل بإيرادها .

(١) رواه أحمد في مسنده . ج ٤ . ص / ٨٠ و ٨٢ بلفظ (قلب مؤمن) كما رواه أيضاً في ج ٣ . ص / ٢٢٥ ، ج ٥ . ص / ١٨٣ . كما رواه الترمذي في جامعه ج ٥ . ص / ٣٤ كتاب العلم باب ٧ عن أبي هريرة . وقال : وفي الباب عن أنس ومعاذ وعثمان وجبير بن مطعم وأبي الدرداء . كما رواه ابن ماجه في سننه . ج ١ ص / ٨٣ المقدمة ١٨ . وج ٢ . ص / ١٠١٥ كتاب المناسك باب ٧٦ . أول حديث (نضر الله امرءاً سمع مقالتي ...)

(٢) انظر جامع العلوم والحكم - لابن رجب . ص / ٣٠ .

(٣) العباس بن عبدالمطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشي الهاشمي ، عم النبي (ﷺ) - أبو الفضل ، ولد قبل رسول الله (ﷺ) بستين ، وكان إليه في الجاهلية السقاية والعمارة ، وحضر بيعة العقبة قبل أن يسلم ، وشهد بدرأ مع المشركين مكراً فأسر فافتدى نفسه ، ورجع إلى مكة . فيقال : إنه أسلم وكنتم عن قومه ذلك وصار يكتب إلى النبي (ﷺ) بالأخبار ، ثم هاجر قبل الفتح بقليل وشهد الفتح وثبت يوم حنين . مات بالمدينة في رجب أو رمضان سنة اثنتين وثلاثين ... انظر الإصابة . ج ٢ . ص / ٢٧١ .

(٤) رواه مسلم في صحيحه ج ١ . ص / ٦٢ كتاب الإيمان حديث رقم ٥٦ / ٣٤ .

(٥) رواه البخاري في صحيحه ج ١ . ص / ٩ و ١٠ كتاب الإيمان باب ٩ ، كما رواه مسلم في صحيحه . ج ١ . ص / ٦٦ كتاب الإيمان حديث رقم ٦٧ / ٤٣ .

(٦) رواه البخاري في صحيحه ج ١ . ص / ٩ كتاب الإيمان باب ٨ ، كما رواه مسلم في صحيحه ج ١ . ص / ٦٦ كتاب الإيمان حديث رقم ٧٠ / ٤٤ .

(٧) رواه مسلم في صحيحه ج ١ . ص / ٦٧ كتاب الإيمان حديث رقم ٦٩ / ٤٤ .

تفسير الإحسان

وقوله في الجواب عن الإحسان : (الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه)^(١) قد قدمنا من الآيات الواردة فيه ، مقروناً ، ومفرداً ، مافيه كفاية لطالب الهدى ، وإنما أخر جبريل السؤال عنه في هذا الحديث ، وإن كان قد ورد في بعض الأحاديث توسطه ، لأن الإحسان هو غاية كمال الإسلام والإيمان ، بل هو المقوم اذ بعدهم يتطرق الى أعمال الإسلام الظاهرة ، الرياء والشرك ، وإلى الإيثار النفاق ، فيظهره رياء أو خوفاً ، قال تعالى : « بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ »^(٢) .

وقال تعالى : « لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا »^(٣) .

وحقيقة الإحسان أن يعبد المؤمن ربه في الدنيا على وجه الحضور والمراقبة ، كأنه يراه بقلبه ، وينظر إليه في حال عبادته . فإذا عبد الله تعالى على هذه الصفة أوجبت له النصيح في العبادة ، وبذل الجهد في تحسينها وإتمامها وإكمالها ، فلهذا^(٤) كان جزاء من عبد مولاه ، على حالة كأنه فيها يراه ، النظر إلى الله يوم لقاها ، ويشهد بذلك قوله : « لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ »^(٥) .

فقد فسر بالنظر إلى وجه الله الكريم في جنات النعيم ، جزاءً لأهل الإحسان بعد التفضل عليهم بدخول الجنان^(٦) .

وقد وصى النبي (ﷺ) جماعة من أصحابه بهذه الوصية ، فعن أبي ذر^(٧) ، قال : (أوصاني خليلي رسول الله (ﷺ) أن أخشى الله كأنني أراه ، فإن لم أكن أراه فإنه يراني)^(٨) .

(١) زاد في نسخة جـ (فإن لم تكن تراه فإنه يراك) . (٢) سورة البقرة من آية / ١١٢ .

(٣) سورة المائدة من آية / ٩٣ . (٤) في نسخة جـ . لهذا .

(٥) سورة يونس من آية / ٢٦ . (٦) انظر جامع العلوم والحكم . لابن رجب . ص / ٣٣ .

(٧) أبو ذر الغفاري ، مختلف في اسمه ، واسم أبيه ، والمشهور أنه جندب بن جنادة بن سكن ، أسلم قديماً ، قيل أسلم بعد أربعة ، هاجر من بلدة غفار بعد أحد ، كان يوازي ابن مسعود في العلم ، مشى على رجله في غزوة تبوك .

توفي بالربذة . سنة إحدى وثلاثين ، وقيل التي بعدها . صلى عليه ابن مسعود . انظر الإصابة . ج ٤ . ص / ٦٤ . (٨) لم أقف عليه .

وعن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال : (أخذ رسول الله ﷺ) ببعض جسدي فقال : (اعبد الله كأنك تراه)^(١).

وخرجه النسائي من حديث زيد بن أرقم^(٢) : (كن كأنك ترى الله فإن لم تكن تراه، فإنه يراك)^(٣) وغير ذلك من الأحاديث.

وقوله (ﷺ) : (فإن لم تكن تراه فإنه يراك) يحتمل أن يكون هذا التعليل إشارة إلى مقام الإخلاص، وهو أن يعمل العبد على استحضار مشاهدة الله إياه واطلاعه عليه وقربه، فإذا استحضر العبد هذا في عمله فهو مخلص لله. لأن استحضاره ذلك في عمله يمنعه من الالتفات إلى غير الله وإرادته بعمله، ويحتمل أن يكون إشارة إلى مقام المشاهدة، وهو أن يعمل العبد على مقتضى مشاهدته لله تعالى بقلبه، وذلك أن يتنور القلب بالإيمان، وتنفذ البصيرة إلى العرفان، حتى يصير الغيب كالعيان، وهذا هو حقيقة مقام الإحسان^(٤).

وقد فسر طائفة من العلماء المثل الأعلى في قوله جل جلاله : « وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ » بهذا المعنى^(٥). وفي الحديث (أفضل الإيمان، أن تعلم أن الله معك حيث كنت)^(٦).

وحديث أبي أمامة^(٧) عن النبي (ﷺ) قال : (ثلاثة في ظل الله (يوم القيامة) يوم

(١) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء . ج ٦ . ص / ١١٥ .
(٢) زيد بن أرقم بن زيد بن قيس الخزرجي ، كنيته أبو عمر ، وقيل أبو عامر ، استصغر يوم أحد ، وأول مشاهدته الخندق ، وقيل المريسيع ، غزا مع النبي (ﷺ) سبع عشرة غزوة . أنزل الله تصديقه في سورة المنافقين . شهد صفين مع علي . مات بالكوفة أيام المختار سنة ست أو ثمان وستين . انظر الإصابة ج ١ ص / ٥٦٠ .
(٣) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء ج ٨ . ص / ٥٦٠ . لم أجد للنسائي رواية لهذا الحديث .
(٤) أنظر جامع العلوم والحكم . لابن رجب . ص / ٣٤ .
(٥) انظر شرح الطحاوية لابن أبي العز . ص / ١٤٤ و ١٤٥ . وجامع العلوم والحكم . لابن رجب . ص / ٧٥ . والآية من سورة الروم من آية / ٢٧ .
(٦) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ج ١ . ص / ٦٠ . وقال : رواه الطبراني في الأوسط والكبير . وقال تفرد به عثمان بن كثير ، قلت لم أر من ذكره بثقة أو لا حرج . وراوي الحديث ، عبادة بن الصامت .
(٧) صدى بن عجلان بن الحارث ، ويقال ابن وهب ، ويقال ابن عمرو بن وهب الباهلي مشهور بكنيته ، سكن الشام ، قيل إنه شهد أحداً ، ولكنه ضعيف ، بعثه رسول الله (ﷺ) إلى قومه باهلة . كان مع علي - رضي الله عنه - بصفين . قال له رسول الله (ﷺ) : (أنت مني وأنا منك) . مات سنة ست وثمانين وقيل إحدى وثمانين ... للإصابة ج ٢ . ص / ١٨٢ .

لا ظل إلا ظله ، رجل حيث توجه علم أن الله معه) (١) .

وقد دل القرآن على هذا المعنى في مواضع متعددة ، قال الله جل جلاله : « وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ » (٢) .

وقوله : « وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ » (٣) .

وقوله : « وَلَا أَدْنَىٰ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْرَأُ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا » (٤) .

وقوله : « وَلَا يَسْتَحْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ » (٥) وغير ذلك من الآيات .

وقد وردت الأحاديث الصحيحة باستحباب استحضار هذا القرب في العبادات ، كقوله (ﷺ) : (إن أحدكم إذا قام يصلي ، فإنما يناجي ربه ، أو ربه بينه وبين القبلة) (٦) .

وقوله : (إن الله قبل وجهه إذا صلى) (٧) .

وقوله : (إن الله ينصب وجهه لوجه عبده في صلاته ما لم يلتفت) (٨) .

وقوله : (إنكم لا تدعون أصم ولا غائباً إنكم تدعون سميعاً قريباً) (٩) .

(١) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد . ج ٢٠ . ص / ٢٧٩ وقال رواه الطبراني .

(٢) سورة البقرة من آية / ١٨٦ . (٣) سورة الحديد من آية / ٤ .

(٤) سورة المجادلة من آية / ٧ . (٥) سورة النساء من آية / ١٠٨ .

(٦) رواه البخاري في عدة مواضع من صحيحه ج ١ . ص / ١٠٦ كتاب الصلاة باب ٣٣ (عن أنس أن النبي ﷺ رأى نخامة في القبلة ، فشق عليه ذلك حتى رؤي في وجهه ، فقام فحكه بيده فقال : (إن أحدكم إذا قام في صلاته فإنه يناجي ربه أو إن ربه بينه وبين القبلة ، فلا يزقن قبل قبلته ، ولكن عن يساره ، أو تحت قدميه ، ثم أخذ طرف رده فبصق فيه ثم رد بعضه ، فقال : أو يفعل هكذا . كما رواه مسلم في صحيحه ج ١ . ص / ٣٩٠ كتاب المساجد ، ومواضع الصلاة حديث رقم ٥٤ / ٥٥١ .

(٧) رواه البخاري في صحيحه ج ١ . ص / ١٠٦ كتاب الصلاة باب ٣٣ (عن عبدالله بن عمر أن النبي ﷺ رأى بصاقاً في جدار القبلة ، فحكه ثم أبل الناس فقال : (إذا كان أحدكم يصلي فلا يبصق قبل وجهه ، فإن الله قبل وجهه إذا صلى) ، كما رواه مسلم في صحيحه ج ١ ص / ٣٨٨ كتاب المساجد . حديث رقم / ٥٤٧ / ٥٠ .

(٨) رواه الإمام أحمد في مسنده ج ٤ . ص / ٢٠٢ عن الحارث بن الحارث الأشعري قوله : (إن الله عز وجل أمر يحيى بن زكريا بخمس كلمات ، أن يعمل بهن وأن يأمر بني إسرائيل أن يعملوا بهن . ومنها ، أمركم بالصلاة ، فإن الله عز وجل ينصب وجهه لوجه عبده ما لم يلتفت فلا تلتفتوا) .

(٩) رواه البخاري في عدة مواضع من صحيحه ج ٥ . ص / ٧٥ كتاب المغازي باب ٣٨ ج ٧ . ص / ٢١٣ كتاب القدر باب ٧ ، ج ٨ . ص / ١٦٨ كتاب القدر باب ٩ (عن أبي موسى الأشعري قال : كنا مع رسول الله ﷺ في غزاة فجعلنا لانصعد شرفاً ولا نعلو شرفاً ولا نهبط في واد إلا رفعنا أصواتنا بالتكبير . قال : قدمنا رسول الله ﷺ فقال : (يا أيها الناس اربعوا على أنفسكم فإنكم لا تدعون أصم ولا غائباً إنها تدعون سميعاً بصيراً) الحديث . كما رواه مسلم في صحيحه ج ٤ . ص / ٢٠٧٦ كتاب الذكر حديث رقم ٤٤ / ٢٢٠٤ .

وقوله : (أنا مع عبدي ، إذا ذكرني وتحركت " بي " شفتاه)^(١) والأحاديث كثيرة .
واعلم أن من فهم من شيء من هذه الآيات والأحاديث حلولاً أو اتحاداً كما فهمه
من أزاع الله قلوبهم عن أنوار الشريعة ، أو فهم من ذلك أيضاً تشبيهاً ، فقد ضل وزل
قدمه عن الصراط المستقيم « فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم
عذاب أليم »^(٢) .

والله ورسوله بريئان من أهل هذه الطرق الزائغة الزائفة ، وأهل هذه البدع الضالة
من كل طائفة ، قالوا بالحلول والاتحاد ، وهو عين الكفر والاتحاد « إِنَّ رَبَّكَ
لَيَأْمُرُ صَادٍ »^(٣) .

فسبحان من ليس كمثله شيء ، وهو البر الوصول الذي تنزهه قدراً عن
التجسيم^(٤) ، والتعطيل والاتحاد والحلول .

(١) رواه ابن مساجدة في سننه ج ٢ . ص / ١٢٤٦ كتاب الآداب باب ٥٣ (عن أبي هريرة) وقال في التعليق قال في
الزوائد : في إسناده محمد بن مصعب القرقساني قال فيه صالح بن محمد : ضعيف . ولكن رواه ابن حبان في
صحيحه من طريق أيوب بن سويد عن الأوزاعي ، أيضاً أيوب بن سويد ضعيف . انظر أيضاً موارد الظمان في
زوائد ابن حبان . ص / ٥٧٦ كتاب الأذكار حديث رقم ٢٣١٦ .

(٢) سورة النور من آية / ٦٣ . (٣) سورة الفجر آية / ١٤ .

(٤) أشار كاتب هذه النسخة (ب) في الهامش وقال : لقد غلط المصنف هنا ، وقال : راجع المجموع لابن القاسم ،
فعلا لقد غلط المصنف هنا وذلك أنه لا يجوز إطلاق الجسم على الله من غير معرفة مراد القائل ، وهل أراد بذلك
مائثته الله ورسوله أو مانفاه الله ورسوله ، وللناس في ذلك ثلاثة أقوال : كما بينه ابن تيمية في المجموع ، وقال
للناس هنا ثلاثة أقوال :

١ - منهم من يقول : هو فوق العرش وليس بجسم .

٢ - ومنهم من يقول : هو فوق العرش وهو جسم .

٣ - ومنهم من يقول : هو فوق العرش ولا أقول هو جسم ، ولا ليس بجسم .

ثم من هؤلاء من يسكت عن هذا النفي والإثبات ، لأن كلاهما بدعة في الشرع ، ومنهم من يستفصل عن
مسمى الجسم ، فإن فسر بما يجب تنزيهه الرب عنه نفاه ، وإن فسر بما يصف الرب به لم ينف ذلك المعنى ، فالجسم
في اللغة هو البدن ، والله منزّه عن ذلك ، قد يريدون بالجسم ماهو مركب من الجواهر المفردة ، أو من المادة
والصورة ، فمن قال إن الله جسم وأراد هذا المعنى المركب فهو مخطئ . ومن نفاه عن الله فقد أصاب في نفيه عن
الله ، ولكن ينبغي أن يذكر عبارة تبين مقصوده ، وقد يراد بلفظ الجسم والتميز ويشار إليه ، بمعنى أن الأيدي
ترفع إليه في الدعاء ، ويراد به القائم بذاته ، ويراد به الموجود ، وهو عند أهل السنة ترفع إليه الأيدي في الدعاء .

ونبه أحمد على أن المعنى لا ندرى ما يريدون به ، وإذا لم يعرف مراد المتكلم به لم يوافقه لا على إثباته ولا على
نفيه ، فإذا ذكر معنى أثبتته الله ورسوله ، أثبتناه وإن ذكر معنى نفاه الله ورسوله نفينا باللسان العربي المبين ، ولم
نحتج إلى ألفاظ مبتدعة في الشرع محرفة في اللغة . انظر مجموع فتاوى ابن تيمية لابن القاسم . ج ٥ من ص /
٤١٨ الى ص / ٤٣٠ .

وقوله في الجواب لجبريل في سؤاله عن الساعة: (ماالمسؤول عنها بأعلم من السائل).

يعني أن علم الخلق في وقتها سواء، ففيه إشارة إلى أن الله استأثر بعلمها، فكأنه قال: (أنا لا أدري) كما أنك كذلك. فيؤخذ من هذا الحديث أنه ينبغي للمفتي والعالم وغيرهما إذا سئل عما لا يعلم أن يقول: لا أعلم، فإن ذلك لا ينقصه، بل يستدل به على ورعه وتقواه، ووفور علمه^(١). ويروى عن علي - رضي الله عنه^(٢) - قال: (وأبردها على كبدي إذا سئلت عما لا أعلم أن أقول لا أعلم)^(٣).

ويروى عن مالك^(٤) أنه يسأل أكثر المسائل فلا يجيب عنها ويقول: (لا أدري نصف العلم)^(٥).

والساعة؛ هي يوم القيامة، تسمى اليوم الآخر، (وسمي الآخر)^(٦) لأنه آخر انقراض الدنيا أيامها. وهل منتهاها إلى أن يدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار، أو ليس له منتهى؟.

ورجح بعض العلماء أن مبدأها من النفخة الثانية إلى استقرار الخلق في الدارين.

(١) انظر صحيح مسلم بشرح النووي ج ٢. ص / ١٥٨. وانظر جامع العلوم والحكم، لابن رجب. ص / ٣٧ بتصرف.

(٢) علي بن أبي طالب بن عبدالمطلب بن هاشم القرشي، أبو الحسن، أول الناس إسلاماً في قول أكثر أهل العلم. ولد قبل الهجرة بعشر سنين، ربي في حجر النبي (ﷺ)، شهد المشاهد كلها معه إلا تبوك، خصائصه كثيرة، نام على فراش النبي (ﷺ) ليلة الهجرة، كان من أهل العلم والفتيا، بايعه الناس بعد مقتل عثمان، ثم كان من أمر الفتنة ماكان، فقتله عبدالرحمن بن ملجم في ليلة السابع عشر من شهر رمضان سنة أربعين من الهجرة. انظر الإصابة. ج ٢. ص / ٥٠٧.

(٣) انظر كتاب جامع العلم وفضله لابن عبدالبر. ج ٢. ص / ٩٣.

(٤) مالك بن أنس بن مالك بن عامر الحميري، أبو عبدالله، إمام دار الهجرة في زمانه، وهو أحد الأئمة الأربعة، قال البخاري: أصح الأسانيد مالك عن نافع عن ابن عمر. كان ورعاً تقياً محدثاً، وإذا أراد أن يحدث تنظف وتطيب وشرح لحيته ولبس أحسن ثيابه، توفي ليلة أربع عشرة من صفر، وقيل من ربيع الأول من سنة تسع وسبعين ومائة. انظر البداية والنهاية. ج ٩. ص / ١٧٤.

٥ - نقل ابن عبدالبر عن مالك روايات كثيرة بتوقفه عن الجواب. انظر جامع بيان العلم وفضله لابن عبدالبر. ج ٢. ص / ٥٣ و ٦٤.

(٦) سقطت من نسخة د.

وفي صحيح البخاري عن ابن عمر - رضي الله عنهما - عن النبي (ﷺ) قال : (مفاتيح الغيب خمس ، لا يعلمها إلا الله ، ثم قرأ : « إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزِلُ الْغَيْثَ . » الآية (١) .

وقد قال جل جلاله : « يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مَرُّسَهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجِيبُهَا لَوْ قَهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمُ إِلَّا بَعْنَةً » (٢) .

علامات الساعة

قوله : « فأخبرني عن أماراتها » أي علاماتها التي تدل على اقترابها ، وقد ذكر لها علامتين : العلامة الأولى ، (أن تلد الأمة ربتها) أي سيدتها ومالكتها ، وفي حديث أبي هريرة (ربها) وهذه إشارة إلى فتح البلدان ، وجلب الرقيق حتى تكثر السرايري وتكثر أولادهن فتكون الأم رقيقة لسيدها وأولاده منها بمنزلته ، فإن ولد السيد بمنزلة السيد ، فيصير ولد الأمة بمنزلة ربها (٣) .

وقد فسره بعض بأنه يكثر جلب الرقيق حتى تجلب البنت فتعتق ، ثم تجلب الأم فتشترىها البنت ، وتستخدمها جاهلة بأنها أمها ، وقد وقع ذلك في الإسلام .

العلامة الثانية قوله : (أن ترى الحفاة العراة العالة) . الحفاة : وهم من لانعال لهم جمع حاف ، أي لانعل له ، والعراة : جمع عار ، وهو من ليس على جسده من الثياب مايستره ، والعالة : الفقراء ، قال تعالى « وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى » (٤) .

وقوله له : (رعاء الشاء) وهو بكسر أوله وبالمد ، جمع راع ، ويجمع أيضاً رعاة ، بضم أوله ، آخره هاء ، والرعي : الحفظ ، والمراد أن أسافل الناس يصيرون رؤساءهم

(١) رواه البخاري في صحيحه ج ٦ . ص / ٢١ كتاب التفسير باب ٢ . سورة لقمان آية / ٣٤ .

(٢) سورة الأعراف من آية / ١٨٧ .

(٣) انظر جامع العلوم والحكم لابن رجب . ص / ٣٧ و ٣٨ .

(٤) سورة الضحى آية / ٨ .

وتكثر أموالهم ، حتى يتباهون بطول البنيان وزخرفته^(١) ، يعني إذا كثرت أموال أهل الحاجة والفاقة الفقراء بسبب كونهم ملكوا الحضر وقسروهم^(٢) بالغبلة والقهر ، فامتدت لهم الآمال بعد اتساع الحال ، وجمع أنواع المال ، فصار همهم تشييد المباني ، وهدم أركان الدين بعدم العمل بآيات المثاني ، فهذا التفريط والإضاعة هو من أمارات الساعة .

وقد صرح في حديث أبي هريرة بذكر ثلاث علامات : منها أن يكون الحفاة العراة رؤوس الناس ، ومنها أن يتناول رعاء البهم^(٣) في البنيان^(٤) ، وفي حديث عبدالله بن عطاء^(٥) عن عبدالله بن بريدة^(٦) فقال فيه : (وأن ترى الصم البكم العمي الحفاة رعاء الشاة يتناولون في البنيان ملوك الناس . قال : فقام الرجل فانطلق . فقلنا : يارسول الله من هؤلاء الذين نعت؟ قال (العريب)^(٧) .

وقوله (ﷺ) : (الصم البكم العمي) إشارة إلى جهلهم وعدم علمهم وفهمهم^(٨) . والأحاديث في هذا المعنى متعددة ، والأخبار والآثار فيه كثيرة مستلذة . فمنها ماخرجه الإمام أحمد والترمذي من حديث حذيفة^(٩) عن النبي (ﷺ) قال : (لاتقوم الساعة حتى يكون أسعد الناس بالدنيا لكع بن لكع)^(١٠) .

-
- (١) انظر جامع العلوم والحكم . لابن رجب . ص / ٣٨ .
(٢) القسر : القهر على الكره . وقسره على الأمر قسراً : أكرهه عليه . انظر لسان العرب . ج ٥ ص / ٩١ و ٩٢ .
(٣) البهم : بهمه : هي ولد الضأن ذكراً كان أو أنثى ، والسخال أولاد المعز ، فإذا اجتمعت البهائم والسخال قيل لها جميعاً بهام أو بهم . مختار الصحاح ص / ٦٧ .
(٤) رواه مسلم في صحيحه ج ١ . ص / ٣٩ و ٤٠ كتاب الإيثار حديث رقم د - ٩ / ٧ .
(٥) عبدالله بن عطاء الطائفي - أصله من الكوفة ، صدوق يخطى ويدلس ، تقريب التهذيب ج ١ . ص / ٤٣٤ .
(٦) عبدالله بن بريدة بن الحصيبي الأسلمي ، أبو سهل المروزي ، قاضيتها ، ثقة ، مات سنة خمس ومائة ، وقيل بل خمس عشرة ومائة ، وله مائة سنة . تقريب التهذيب ج ١ ص / ٤٠٣ .
(٧) لم أجد نص هذا الحديث ، ولكن روى أحمد معناه في مسنده ج ٤ ص / ١٢٩ عن أبي عامر الأشعري . كما روى مسلم في صحيحه معناه ج ١ ص / ٤٠ كتاب الإيثار حديث رقم / ٧ .
(٨) انظر جامع العلوم والحكم لابن رجب . ص / ٣٨ .
(٩) حذيفة بن اليان العسبي ، من كبار الصحابة ، واسم أبيه حسيل . ويقال بالتصغير ابن جابر بن ربيعة العسبي . أراد حذيفة شهود بدر هو وأبوه فصدهما المشركون وشهد أحد ، والخندق وما بعدهما ، استعمله عمر على المدائن . وبقي بها حتى مات بعد بيعة علي بأربعين يوماً سنة ست وثلاثين . وهو صاحب سر رسول الله (ﷺ) . انظر الإصابة ج ١ ص / ٣١٧ .
(١٠) رواه أحمد في مسنده ج ٥ ص / ٣٨٩ . كما رواه الترمذي في جامعه ج ٤ ص / ٤٩٣ ، ٤٩٤ كتاب الفتن باب ٣٧ . لكع : هو اللثيم . وقيل : الوسخ من قولهم لكع عليه الوسخ أي لصق ، وقيل الصغير . انظر الفائق في غريب الحديث ج ٣ ص / ٣٢٩ . والنهاية في غريب الحديث والأثر . ج ٤ ص / ٢٦٨ .

وفي صحيح ابن حبان عن أنس عن النبي (ﷺ) قال: (لا تنقضي الدنيا حتى تكون عند لكع بن لكع)^(١).

خرج الإمام أحمد والطبراني من حديث أنس عن النبي (ﷺ) قال: (بين يدي الساعة ستون خداعة، يتهم فيها الأمين، ويؤتمن فيها المتهم، وينطق فيها الرويضة) قالوا وما الرويضة^(٢)؟ قال: (السفيه ينطق في أمر العامة)^(٣) وفي رواية (الفاسق ينطق في أمر العامة).

وفي حديث آخر: (لا تقوم الساعة حتى يسود كل قبيلة منافقوها)^(٤).

ومعلوم أنه إذا صار الرؤوس جهالاً، والملوك على ما ذكرنا من الحال، انعكست الأحوال والأسباب، وانفتح للشرك كل باب، وحن للساعة الاقتراب فلذا يصدق الكاذب، ويكذب الصادق، ويخون الأمين، ويؤتمن الخائن، ويتكلم الأحمق الجاهل، ويسكت العالم الفاضل، أو يعدم العلم بالكلية،^(٥) وتقبض أهله من البرية، كما ثبت ذلك في الأحاديث الصحيحة، والنصوص الجلية الصريحة.

فعنه (ﷺ) أنه قال: (إن من أشراط الساعة أن يرفع العلم ويظهر الجهل)^(٦).

وأخبر (ﷺ): (أنه يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤوساً جهالاً، فستلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا)^(٧).

-
- (١) ذكره الهيثمي في موارد الظلم في زوائد ابن حبان. ص/ ٤٦٥ حديث رقم ١٨٨٥.
(٢) الرويضة: تصغير الرابضة وهو العاجز الذي ربح عن معالي الأمور وتصر عن طلبها، وزيادة التاء للمبالغة. النهاية في غريب الحديث والأثر. لابن الأثير ج ٢ ص/ ١٨٥.
(٣) رواه الإمام أحمد في مسنده ج ٣. ص/ ٢٢٠ بلفظ (إن أمام الدجال ستين خداعة، ج ٢. ص/ ٢٩١ و ٣٣٨، ج ٣، ص/ ٢٢٠).
(٤) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد. ج ٧. ص/ ٣٢٧ عن ابن مسعود، وقال: رواه البزار والطبراني وفيه قصة. وفيه حسين بن قيس وهو متروك. وعن أبي بكر. وقال: رواه الطبراني في الأوسط، وفيه مبارك بن فضالة وهو مدلس، وحبيب بن فروخ لم أعرفه.
(٥) أنظر جامع العلوم والحكم ١. لابن رجب. ص/ ٣٩.
(٦) رواه البخاري في صحيحه ج ١ ص/ ٢٨ كتاب العلم باب ٢١، كما رواه مسلم في صحيحه ج ٤. ص/ ٢٠٥٦ كتاب العلم حديث رقم ٢٦٧١/٩ (كلاهما عن أنس) واللفظ لمسلم.
(٧) رواه البخاري في صحيحه ج ١ ص/ ٣٣ و ٣٤ كتاب العلم باب ٣٤، كما رواه مسلم في صحيحه ج ٤ ص/ ٢٠٥٨ كتاب العلم حديث رقم ١٣/ ٢٦٧٣ (كلاهما عن عبدالله بن عمرو) وأوله (إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً، ينتزعه من العباد، لكن يقبض العلم بقبض العلماء...) واللفظ للبخاري.

وفي صحيح الحاكم عن عبدالله بن عمرو مرفوعاً: (إن من أشرط الساعة أن يوضع الخيار ويرفع الشرار)^(١). ويصير هذا في آخر الزمان، وتنقلب حقائق الإيوان، وتنعكس فيه جميع الأمور ويصير المباح محظوراً.

وقوله (ﷺ): (يتناولون في البنيان) فيه دلالة على ذم التباهي والتفاخر، والاستطالة في الدنيا وجمعها للمباهاة، وللتكاثر والتناول في رفع البنيان فوق ما يحتاج لضرورياته الإنسان، ولم يكن البنيان في زمن النبي (ﷺ) بالإطالة معروفاً، بل بالقصر في زمنه وزمن أصحابه موصوفاً، ولا يزيدون على قدر الحاجة، والسعيد من اقتفى منهاجه. وقد خرج البخاري عن أبي الزناد^(٢)، عن الأعرج^(٣) عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله (ﷺ): (لا تقوم الساعة حتى يتناول الناس في البنيان)^(٤).

وخرج الطبراني عن أنس - رضي الله عنه - أن النبي (ﷺ) قال: (كل بناء - وأشار بيده هكذا على رأسه - أكثر من هذا، فهو وبال)^(٥).

وقال حريث بن السائب^(٦) عن الحسن^(٧): (كنت أدخل بيوت أزواج النبي (ﷺ) في خلافة عثمان فأتناول سقفها بيدي)^(٨).

(١) رواه الحاكم في مستدركه . ج ٤ . ص / ٥٥٤ كتاب الفتن والملاحم .
(٢) أبو عبدالرحمن عبدالله بن ذكوان المدني، كان فقيه أهل المدينة، وكان صاحب كتاب وحساب، وفد على هشام بحساب ديوان أهل المدينة، وثقه جماعة، توفي سنة إحدى وثلاثين ومائة، وقيل: سنة ثلاثين ومائة. انظر تذكرة الحفاظ ج ١ . ص / ١٣٤ .
(٣) أبو داود عبدالرحمن بن هرمز - مولى بني ربيعة بن الحارث - ابن عبدالملك الهاشمي، المدني، كاتب المصاحب، وكان ثقة ثبناً عالماً مقرئاً، تحول في آخر عمره إلى ثغر الإسكندرية مرابطاً، فتوفي سنة سبع عشرة ومائة. انظر تذكرة الحفاظ . ج ١ . ص / ٩٧ .
(٤) رواه البخاري في صحيحه - من حديث طويل - ج ٨ . ص / ١٠١ كتاب الفتن باب ٢٥ .
(٥) ذكره المنذري في الترغيب ج ٤ . ص / ٩٣ بلفظ (كل بناء - وأشار بيده على رأسه - أكثر من هذا فهو وبال على صاحبه يوم القيامة) وعزاه للطبراني بإسناد جيد .
(٦) حريث بن السائب التميمي، وقيل: الهلال البصري المؤذن، صدوق يخطيء. انظر تقريب التهذيب ج ١ . ص / ١٥٩ .
(٧) الحسن بن أبي الحسن البصري، واسم أبيه يسار، بالتحانية والمهمل، الأنصاري مولا هم، ثقة فقيه فاضل مشهور، وكان يرسل كثيراً ويدلس، قال البزار: كان يروي عن جماعة لم يسمع منهم فيتجوز ويقول: حدثنا وخطبنا - يعني قومه الذين حدثوا وخطبوا بالبصرة - مات سنة عشر ومائة وقد قارب التسعين. انظر تقريب التهذيب ج ١ . ص / ١٦٥ .
(٨) انظر جامع العلوم والحكم، لابن رجب . ص / ٤٠ .

وخرج ابن ماجة^(١) من حديث أنس، عن النبي (ﷺ) قال: (لا تقوم الساعة حتى يتباهى الناس في المساجد)^(٢).

وخرج أيضاً من حديث ابن عباس عن النبي (ﷺ) قال: (ستشرفون مساجدكم بعدي كما شرفت اليهود كنائسها، وكما شرفت النصارى بيعها)^(٣).

(١) الحافظ الكبير المفسر، أبو عبدالله، محمد بن يزيد القزويني، ابن ماجة الربيعي صاحب السنن، والتفسير، والتاريخ، ولد سنة تسع ومائتين، قال أبو يعلى الخليلي: ابن ماجة ثقة كبير متفق عليه، محتج به، له معرفة وحفظ، وكانت وفاته لثمان بقيت من رمضان سنة ثلاث وسبعين ومائتين - رحمه الله تعالى - انظر تذكرة الحفاظ ج ٢ . ص / ٦٣٦ .

(٢) رواه ابن ماجة في سننه ج ١ . ص / ٢٤٤ كتاب المساجد والجماعات باب ٢ . كما رواه أحمد في مسنده . ج ٣ . ص / ١٣٤ و ١٤٥ و ١٥٢ و ٢٣٠ و ٢٨٣ كما رواه أبو داود في سننه ج ١ ص ١٢٣ كتاب الصلاة باب بناء المساجد .

(٣) رواه ابن ماجة في سننه ج ١ ص / ٢٤٤ كتاب المساجد والجماعات باب ٢ وفي التعليق، قال في الزوائد: إسناده ضعيف، فيه جبارة بن المفلس وهو كذاب، وقد خرجه أبو داود بسنده عن ابن عباس مرفوعاً بغير هذا السياق (انظر سنن أبي داود . ج ١ . ص / ١٢٢ كتاب الصلاة باب بناء المساجد).

الفصل الثالث

في إخلاص العمل لله تعالى

وذلك لا يكون إلا بالنية، وما جاء أن الأعمال بالنيات، قال تعالى: « قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ » (١).

وقال جل جلاله: « تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴿٢﴾ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ » (٢).

وقال تعالى: « قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٣﴾ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٢﴾ قُلِ اللَّهُ أَعْبُدْ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي ﴿١٤﴾ فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِي... » إلى قوله: « وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى... » (٣).

وقال تعالى: « بَلِ اللَّهُ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ » (٤).

وقوله: « وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ » (٥).

وفي الصحيحين عن عمر - رضي الله عنه - أنه قال: قال رسول الله (ﷺ): (إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ماهاجر إليه) (٦).

أقول سيأتي ما في الباب من الأحاديث في الكلام على شرح هذا الحديث - إن شاء

(١) سورة الأعراف الآية / ٢٩ . (٢) سورة الزمر آية / ١ - ٢ - ٣ .

(٣) سورة الزمر من آية / ١١ - ١٧ . (٤) سورة الزمر آية / ٦٦ .

(٥) سورة البينة آية / ٥ .

(٦) رواه البخاري في عدة مواضع في صحيحه ج ١ ص / ٢ كتاب بدء الوحي باب ١ ج ١ ص / ٢٠ كتاب الإيمان باب ٤١ وكتاب النكاح والطلاق ومناقب الصحابة والعتق والإيمان . كما رواه مسلم في صحيحه . ج ٣ ص / ١٥١٥ كتاب الإمارة حديث رقم ١٩٠٧ / ١٥٥ . كما رواه أصحاب السنن المشهورون

الله تعالى - وإنما أخرت هذا الفصل بعد الأولين ولم أقدمه قبلهما لأمرين :

الأول: أن الحكم على الشيء فرع من تصوره، فلا يحكم على النية بصحة وفساد وإخلاص وشرك قبل معرفة الإسلام وتفسيره، والتوحيد وبيان أنه الدين الذي خلقت السموات لأجله، والأرض ومن فيهن، وكلف به الإنس والجن.

الثاني: أن النية إنما تعتبر في الأعمال التي ظاهرها القبول، وهي الصادرة من عاملها بعد الإقرار بالإسلام والدخول والتحلي بمسماها، والتخلي عن ضده وسواه، وتشديد أصل بنيانه، ورفع قواعده وأركانه. وإلا فمفكره الأبى عنه، لا تقبل أعماله منه، لأنه صار بربه كفوراً. « وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا »^(١).

فإن قيل: إن حقيقته معلومة بالضرورة، وقواعده محققة مشهورة، يشترك في معرفتها الخاص والعام، ولا يلتبس على أحد من الأنام.

فالجواب: أن هذه دعوى يكذبها الوجدان، ويأنف منها الحس والعقل والجنان، ويحكم بفسادها المشاهدة والعيان، ولا يختلف فيه اثنان، أنها من الزور والبهتان، وعلى تقدير كون معرفته معلومة، وأصوله كما ادعى مفهومة، هل نحكم^(٢) به لجميع الناس؟ ونخرجهم^(٣) من دائرة الكفر والإبلاس؟ ونقول كلهم يشملهم مسمى الإسلام، وإن لم يقرؤا به ولم يلتزموا بما له من الأحكام، فهذا لا يدعيه من انتقده، إذ لا يساعده عليه أحد، أو نقول كما هو الواقع والمشاهد والموجود، أهل الإسلام قليل ما هم في الوجود، بل هم كالشامة البيضاء في الجلد الأسود، فبان بطلان ما زخره المنتقد وأورد، مع أن هذه الرسالة موضوعة ومصنفة ومجموعة للراغب في الدخول والمريد، والطالب المستفيد، فلهذا اخترت تقديم رأس الأمر، وأخرت الكلام على النية التي تصحح الأعمال ويثبت بها الأجر.

قوله تعالى: « قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ » أي بالعدل، وهو الوسط من كل أمر، المتجاني^(٤) عن طريق الغالي والجاني، السالم من وصمة التفريط والإفراط والبعيد عن

(١) سورة الفرقان آية / ٢٣.

(٢) في ب. ج. يحكم.

(٣) في ب. ج. يخرجهم.

(٤) في نسخة ب. والجاني والغالي.

أثمة الإفساد والإنحطاط .

أمر رب العالمين عباده أجمعين بالاستقامة في العبادات، ومتابعة المرسلين المؤيدين بالمعجزات، فيما جاؤوا به من الشرائع الجامعة، وما أخبروا به من المغيبات الواقعة، وبإخلاص الدين كله لله فلا يشركوا معه في عبادته^(١) أحداً سواه، فإنه تعالى لا يقبل العمل حتى يكون للصواب مطابقاً، ولمنهاج الشريعة موافقاً « كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ »^(٢) يحييكم بعد موتكم، وقيل يحشركم^(٣) حفاة عراة غرلاً^(٤). والحديث^(٥) يشهد لهذا. وقيل من ابتداء خلقه على الهدى صار على الهدى، ومن ابتداء الله خلقه على الشقاوة صار إليها. والأحاديث الصحيحة دالة على ذلك، ففي البخاري: (فوالله الذي لا إله غيره، إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا باع أو ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها)^(٦)، (وإنما الأعمال بالخواتيم)^(٧).

ويجمع بين هذا وبين قوله : (خلقت عبادي حنفاء، فجاءتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم)^(٨).

وقوله تعالى : « فَطَرَتَ اللَّهُ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا »^(٩).

(١) في أ. د. في العبادة. (٢) سورة الأعراف من آية / ٢٩.

(٣) في نسخة ب. يحشرهم.

(٤) غرلاً: الغرل: جمع الأغرل، وهو الأقفل. والغرلة: القلفة. انظر النهاية في غريب الحديث، لابن الأثير. ج ٣. ص / ٣٦٢.

(٥) الحديث رواه البخاري في صحيحه ج ٦. ص / ١٩١ كتاب التفسير سورة (٥) باب ١٤. وكما رواه مسلم في صحيحه ج ٤. ص / ٢١٩٤ كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها حديث رقم ٥٦ / ٢٨٥٩ (كلاهما عن ابن عباس) ولفظ البخاري (يا أيها الناس إنكم محشورون إلى الله حفاة عراة غرلاً ...).

(٦) رواه البخاري في صحيحه ج ٧. ص / ٢١٠ كتاب القدر باب ١ كما رواه مسلم في صحيحه ج ٤. ص / ٢٠٣٦ كتاب القدر حديث رقم ١ / ٢٦٤٣ كلاهما عن عبدالله بن مسعود، اللفظ لمسلم. وأوله (إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً ثم يكون علقة مثل ذلك ...).

(٧) رواه البخاري في صحيحه ج ٧. ص / ٢١٣ كتاب القدر باب ٥ (عن ابن مسعود).

(٨) رواه مسلم في صحيحه ج ٤ ص / ٢١٩٧ كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها حديث رقم ٦٣ / ٢٨٦٥ عن عياض بن حمار. وأول الحديث (ألا إن ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم مما علمني يومي هذا ...) وعياض هو عياض بن حمار التميمي المجاشعي. صحابي سكن البصرة. وعاش إلى حدود الخمسين. تقريب التهذيب ج ٢. ص / ٩٥.

(٩) سورة الروم من آية / ٣٠.

بأنه جل جلاله خلقهم ليكون منهم مؤمن ومنهم كافر، في ثاني^(١) الحال، وإن كان قد فطر الخلق كلهم على معرفته وتوحيده، والعلم بأنه لا إله غيره، كما أخذ عليهم بذلك الميثاق، ومع هذا قدر أن منهم شقيماً، ومنهم سعيداً. «هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ»^(٢).

وفي الحديث: (كل الناس يغدو يبايع نفسه، فمعتقها أو موبقها)^(٣) وقدر الله نافذ في بريئته. وهو الذي قدر فهدى من أراد^(٤)، وأشقى من طرد من العباد، بمحض الفضل والعدل «لَا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ»^(٥).

وقوله تعالى: «فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ» يعني استقم على التوحيد وعلى إفراده بالعبادة محضاً له جميع أنواعها من الشرك والرياء، فإن الله أغنى الشركاء عن الشرك. وإنما خاطب النبي (ﷺ) بذلك، والمراد قومه، أي وحدوا الله تعالى، ولا تدعوا مع الله شريكاً في عبادته لا ملكاً ولا رسولاً، فإنهم ليسوا أهلاً لذلك. «أَلَّا لِلَّهِ الدِّينُ الخَالِصُ» يعني أنه هو الذي وجب اختصاصه بأن تخلص له الطاعة، فإنه المنفرد بصفات الألوهية والاطلاع على الأسرار والضمائر الخفية.

وسبب ذلك أن كفار قريش قالوا للنبي (ﷺ): ألا تنظر إلى ملة أبيك عبد الله، وملة جدك عبد المطلب، وسادة قومك يعبدون الأصنام فنزل: «قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ» يعني أوحده وأكفر بمن سواه «وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ» يعني أمرت بذلك لأجل أن أكون مقدمهم في الدنيا والآخرة. لأن قصب السبق في الدين إنما هي بالإخلاص، أو لأنه أول من أسلم وجهه لله من قريش ومن دان بدينهم^(٦).

(١) سقطت من نسخة د. (٢) سورة التغابن من آية / ٢.

(٣) رواه مسلم في صحيحه ج ١ ص ٢٠٣ كتاب الطهارة حديث رقم ١ / ٢٢٣ (عن أبي مالك الأشعري) وأوله (الطهور شطر الإيذان). أبو مالك هو الحارث بن الحارث الأشعري، صحابي يكنى أبا ملك، تفرد بالرواية عن (أبو سلام). تقريب التهذيب. ج ١. ص / ١٣٩.

(٤) سورة الأعلى آية / ٣ (اقتباس من السورة). (٥) سورة الأنبياء من آية / ٢٣.

(٦) انظر تفسير أنوار التنزيل - للبيضاوي. ج ٢. ص / ٣١٩.

أقول : وكلا الأمرين مجتمع فيه ، لأنه في الدارين هو المقدم ، وأول من آمن من قومه وأسلم .

« قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي » بترك الإخلاص والميل إلى ما أنتم عليه من الشرك والرياء . « عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ » لعظمة ما يقع فيه من الأهوال والأنكال « قُلِ اللَّهُ أَعْبَدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي » أقره الله تعالى أن يخبر عن إخلاصه ، وأن يكون مخلصاً له دينه ، بعد ما أمره بالإخبار عن كونه مأموراً بالعبادة والإخلاص .

وذلك لأجل الخوف من العقاب على المخالفة ، وفيه قطع لأطماع قومه . وقوله « فَأَعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِي » هذا وإن كان ظاهره التخيير ، فالمراد به التهديد ، ويستفاد منه شدة التهديد^(١) كقوله : « أَعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ »^(٢) . وقوله : « قُلْ تَمَعَّ بِكُفْرِكُمْ قَلِيلًا »^(٣) والكلام على باقي الآيات ظاهر ، ومدلولها في المراد واحد .

وقوله (ﷺ) : (إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرئ ما نوى ... الخ) .

هذا الحديث رواه الحافظ أبو عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري - رحمه الله تعالى - ومسلم ابن الحجاج والإمام مالك - رحمهم الله تعالى^(٤) - عن يحيى بن سعيد الأنصاري^(٥) عن محمد بن إبراهيم التيمي^(٦) عن علقمة بن وقاص^(٧) عن عمر بن

(١) انظر تفسير أنوار التنزيل ، للبيضاوي . ج ٢ . ص / ٣١٩ . (٢) سورة فصلت من آية / ٤٠ .

(٣) سورة الزمر من آية / ٨ .

(٤) هذا الحديث لم يخرج الإمام مالك ، فقد قال ابن حجر في فتح الباري ج ١ . ص / ١١ إن هذا الحديث متفق على صحته ، أخرجه الأئمة المشهورون إلا الموطأ ، ووهم من زعم أنه في الموطأ ، مغترأ بتخريج الشيخين له والنسائي من طريق مالك .

(٥) يحيى بن سعيد بن قيس بن عمرو ، أبو سعيد الأنصاري البخاري المدني ، قاضي المدينة ثم قاضي القضاء للمنصور ، قال الثوري : كان من الحفاظ ، وقال أبو حاتم : ثقة يوازي الزهري . وقال أحمد بن حنبل : يحيى بن سعيد أثبت الناس . توفي - رحمه الله - سنة ثلاث وأربعين ومائة . وقيل غير ذلك . انظر تذكرة الحفاظ . ج ٢ . ص / ١٣٧ .

(٦) محمد بن إبراهيم بن الحارث بن خالد التيمي ، أبو عبدالله المدني ، ثقة ، روى عن أبي سعيد الخدري وجابر وعلقمة بن وقاص . وكان فقيهاً ثقة جليل القدر . مات سنة عشرين ومائة . انظر تذكرة الحفاظ ج ١ . ص / ١٢٤ .

(٧) في جميع النسخ علقمة بن أبي وقاص ، والصواب ما أثبتناه كما هو في كتب الحديث ، والخطأ جاء عندما نقل المصنف هذا الكلام من جامع العلوم والحكم لابن رجب ص / ٥ . وعلقمة هو علقمة بن وقاص - بتشديد القاف - الليثي المدني ، ثقة ثبت ، أخطأ من زعم أن له صحبه . وقيل إنه ولد في عهد النبي (ﷺ) . مات في خلافة عبدالملك - تقريب التهذيب . ج ٢ . ص / ٢١ .

الخطاب - رضي الله عنه - وقد صدر به البخاري كتابه الصحيح ، وجعله قائماً مقام الخطبة ، ونائباً منابها ، وإشارة منه إلى أن الأعمال لا يحصل للعامل ثوابها وأنه لا ثمرة لها في الدنيا والآخرة إلا إذا كان لوجه الله تعالى طلابها ، فكل عمل لغيره مراد ، نتيجته البطلان والفساد ، وبعيد عن الصواب والسداد .

وهذا الحديث أحد الأحاديث التي يدور الدين عليها ، ويشار في أصول الإسلام إليها ، فقال الشافعي : إنه ثلث العلم ويدخل في سبعين باباً في الفقه^(١) .

وعن الإمام أحمد ، قال : أصول الإسلام على ثلاثة أحاديث ، حديث عمر (إنما الأعمال بالنيات) ، وحديث عائشة (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد) ، وحديث النعمان بن بشير^(٢) (الحلال بين والحرام بين) .

وقال : ينبغي أن يبدأ في كل تصنيف بهذه الأحاديث^(٣) .

وروى عثمان بن سعيد^(٤) عن أبي عبيد^(٥) ، قال : جمع النبي (ﷺ) جميع أمر الآخرة في كلمة : (من أحدث في أمرنا ما ليس منه فهو رد) ، وجمع أمر الدنيا في كلمة (إنما الأعمال بالنيات)^(٦) .

والمراد بالأعمال ، الأعمال الشرعية المفتقرة إلى النية ، فأما ما لا يفتقر إليها كالعادات

-
- (١) انظر فتح الباري - لابن حجر - ج ١ ص / ١١ وانظر صحيح مسلم شرح النووي ج ١٣ ص / ٥٣ .
(٢) النعمان بن بشير بن سعد بن ثعلبة الأنصاري الخزرجي ، يكنى أبا عبدالله ، له ولأبيه صحبة . كان أول مولد في الإسلام من الأنصار بعد الهجرة . كان قاضي دمشق . استعمله معاوية على الكوفة ، ثم نقله إلى إمرة حمص . دعا إلى ابن الزبير بعد موت معاوية بن يزيد ، ثم دعا لنفسه . قتل سنة خمس وستين . انظر الإصابة ج ٣ ص / ٥٥٩ .
(٣) كلام أحمد يوجد في فتح الباري . ج ١ ص / ١١ .
(٤) الإمام الحافظ أبو سعيد عثمان بن سعيد بن خالد الدارمي السجستاني محدث هراة ، وتلك البلاد ، له سؤالات عن رجال ليحيى بن معين ، وله مسند كبير وتصانيف في الرد على الجهمية ، مولده سنة مائتين ظناً ، وتوفي في ذي الحجة سنة ثمانين ومائتين . انظر تذكرة الحفاظ . ج ٢ ص / ٦٢١ .
(٥) أبو عبيد القاسم بن سلام البغدادي ، اللغوي الفقيه ، صاحب المصنفات . كان حافظاً للحديث وعلله . ومعرفة ، عارفاً بالفقه والاختلاف ، رأساً في اللغة ، إماماً في القراءات ، له فيها مصنفات . من تصانيفه كتاب الأموال والتاريخ والمنسوخ وغيرها . ولي قضاء الثغور مدة ، مات بمكة سنة أربع وعشرين ومائتين . انظر تذكرة الحفاظ . ج ٢ ص / ٤١٧ .
(٦) كلام أبي عبيد والشافعي وأحمد موجود في جامع العلوم والحكم . ص / ٥ - ٦ وكلام أحمد موجود أيضاً في فتح الباري ج ١ ص / ١١ .

من أكل وشرب ولبس وغيرها أو مثل رد الأمانات والمضمونات كالودائع والمغصوب، فلا يحتاج شيء من ذلك إلى نية، فيخص هذا من عموم الأعمال المذكورة، وإلى هذا ذهب جمع، وقال آخرون، وحكي عن الجمهور، وهو ظاهر كلام أحمد، الأعمال هنا على عمومها لا يخص منها، والمعنى على كل من القولين: أن حظ العامل من عمله نيته، فإذا كانت صالحة فعمله صالح فله أجره، وإن كانت فاسدة فعمله فاسد فعليه وزره. فصالح الأعمال وفسادها بحسب صلاح النية وفسادها، كقوله: (إنما الأعمال بالخواتيم)^(١).

وقد تكون النية مباحة، فيكون العمل مباحاً، فلا ثواب فيه ولا عقاب، والنية في اللغة: نوع من القصد والإرادة، وعند العلماء، تمييز العبادات، من العادات، والمراد منها تمييز المقصود بالعمل، هل هو لله وحده لا شريك له، أم غيره، وهذه هي التي ذكرها العارفون في كتبهم، وهي التي توجد في كلام السلف، وكذلك هي المرادة في كلام النبي (ﷺ) وسلف أمته، ويعبر عنها بالإرادة كما في القرآن^(٢) « مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الآخِرَةَ »^(٣). « تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الآخِرَةَ »^(٤).

« مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الآخِرَةِ نَزَدَلَهُ فِي حَرْثِهِ. وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤَتْهُ مِنْهَا »^(٥).

« مَنْ كَانَ يُرِيدُ العَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصَلُّهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا »^(٦) وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ »^(٦).

« مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَلَهُمْ فِيهَا ... »^(٧).

وقد يعبر عنها في القرآن بلفظ الابتغاء كقوله: « إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الأعلى »^(٨).

(١) انظر صحيح البخاري ج ٧ ص / ٢١٣ كتاب القدر باب ٥ (عن عبدالله بن مسعود).

(٢) انظر هذا الكلام في جامع العلوم والحكم، لابن رجب. ص / ٧ و ٨ و ١٢.

(٣) سورة آل عمران من آية / ١٥٢. (٤) سورة الأنفال من آية / ٦٧.

(٥) سورة الشورى من آية / ٢٠. (٦) سورة الإسراء آية / ١٨ و ١٩.

(٧) سورة هود من آية / ١٥. (٨) سورة الليل آية / ٢٠.

وقوله : « اَبْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ » (١) .

وقوله : « وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا لِأَبْتِغَاءِ وَجْهِ اللَّهِ » (٢) .

« وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ » (٣) .

وأما ماورد منها في السنة وكلام السلف فكثير لا يحصى . ففي الحديث (من غزا ولم ينو إلا عقلاً فله ما نوى) (٤) .

وحديث جابر (يحشر الناس على نياتهم) (٥) .

وحديث عمر (إنها يبعث المقتتلون على النيات) (٦) .

واعلم أن إخلاص النية لله تعالى لم يزل شرعاً لمن قبلنا ثم لنا من بعدهم ، قال

تعالى : « شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا... » (٧) .

قال أبو العالية : (وصاهم بالإخلاص لله وعبادته وحده لا شريك له) (٨) .

وقال الفضيل (٩) في قوله : « لِيَبْلُوكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا » (١٠) .

قال : أخلصه وأصوبه . والخالص إذا كان لله تعالى ، والصواب إذا كان على

السنة (١١) .

(١) سورة البقرة من آية / ٢٠٧ ومن آية ٢٦٥ ، وسورة النساء من آية / ١١٤ .

(٢) سورة البقرة من آية / ٢٧٢ .

(٣) سورة النساء آية / ١١٤ .

(٤) رواه أحمد في مسنده ج ٥ . ص / ٢١٥ و ٣٢٠ و ٣٢٧ (عن عبادة بن الصامت) ، كما رواه الدارمي في سننه . ج ٢

ص / ٢٠٨ كتاب الجهاد باب (من غزا ولم ينو شيئاً) (عن عبادة بن الصامت) ، كما رواه النسائي في سننه ج ٦ .

ص / ٢٤ كتاب الجهاد باب (من غزا في سبيل الله ولم ينو من غزاته عقلاً) .

(٥) رواه ابن ماجه في سننه ج ٢ . ص / ١٤١٣ كتاب الزهد باب ٢٦ .

(٦) انظر جامع العلوم والحكم لابن رجب - ص / ٩ وقال ابن رجب : خرج ابن أبي الدنيا من حديث عمر - رضي

الله عنه - عن النبي (ﷺ) .

(٧) سورة الشورى من آية / ١٣ .

(٨) انظر فتح الباري ج ١ ص / ١١ .

(٩) أبو علي ، الفضيل بن عياض بن مسعود بن بشر التميمي الطالقاني الأصل ، الزاهد المشهور ، أحد رجال

الطريقة ، كان في أول أمره شاطراً ، يقطع الطريق ، ثم تاب من ذلك وكان من كبار السادات ، ولد بأبيورد ،

وقبل بسمرقند ، ونشأ بأبيورد وقدم الكوفة وسمع الحديث بها ، ثم انتقل إلى مكة إلى أن توفي في المحرم سنة سبع

وثمانين ومائة - رضي الله عنه - ... وفيات الأعيان . ج ٤ . ص / ٤٧ .

(١٠) سورة الملك من آية / ٢ .

(١١) انظر جامع العلوم والحكم - لابن رجب - ص / ١٠ و ١١ .

معنى الهجرة والمراد منها

وقوله : (فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله ... الخ) أخبر (ﷺ) أن هجران بلد الشرك والكفر ، والانتقال منه إلى بلد الإسلام يختلف باختلاف النيات ، والمقاصد ، فمن كانت هجرته إلى دار الإسلام حباً لله ورسوله ، ورغبة في تعلم دين الإسلام والتفقه في التوحيد ، وإظهار الدين كما ينبغي ، حيث كان يعجز عنه في دار الشرك ولا يتمكن من إظهاره ، فهذا هو المهاجر إلى الله ورسوله حقاً ، وكفاه شرفاً وفخراً أنه حصل له مانواه وذلك نهاية المطلوب ديناً وآخر^(١) .

ومن كانت هجرته إلى دار الإسلام لطلب دنيا ، أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ماهاجر إليه من ذلك . فالأول تاجر ، والثاني خاطب ، وليس واحد منهما بمهاجر .

وفي قوله : (إلى ماهاجر إليه) تحقير لما طلب من أمر الدنيا ، واستهانة به . والهجرة لأمر الدنيا لا تنحصر ، وقد كانت الهجرة من مكة إلى المدينة واجبة بنص الكتاب والسنة ، فلذا كان المهاجرون قبل فتح مكة مهاجرون منها إلى المدينة ، للنبي (ﷺ) ، وقد هاجر منهم رجال كثير ونساء قبل ذلك إلى أرض الحبشة إلى النجاشي^(٢) .

وهذا ملخص ما ذكره شراح هذا الحديث^(٣) . وأقول : قد زعم قوم أن الهجرة من دار الكفر إلى دار الإسلام والإيمان ليست واجبة ، ولا متعينة في هذه الأزمان ، وأن محكم عقدها مفسوخ^(٤) ، ووجوبها المستمر منسوخ ، متمسكين من الدليل بما لا يبرر الغليل ، ولا يشفي القلب العليل ، وذلك ظاهر قول خير البرية : (لا هجرة

(١) المصدر السابق . ص / ١١ .

(٢) اسمه أصحمة ملك الحبشة ، معدود من الصحابة - رضي الله عنهم - وكان ممن حسن إسلامه ، ليس له رؤية . وقد توفي في حياة النبي (ﷺ) فصل عليه بالناس صلاة الغائب ، وهو الذي آوى المهاجرين من الصحابة في بداية الدعوة ، وأحسن معاملتهم . انظر سير أعلام النبلاء للذهبي ج ١ ص / ٤٢٨ و ٤٢٩ .

(٣) منهم ابن رجب في كتاب جامع العلوم والحكم . انظر من ص / ٥ إلى ص / ١١ بتصرف .

(٤) في نسخة د . منسوخ .

بعد الفتح، ولكن جهاد ونية^(١). وظاهر حديث (المهاجر من هجر ما نهى الله عنه)^(٢).

وليس الأمر كما زعموا، ولا المعنى كما فهموا، بل ليس الحكم كما جزموا به وحكموا، وإنما المراد المقصود، والمنهج المسدود، الهجرة من مكة إلى المدينة بعد فتحها للمسلمين، وزوال أوثان المشركين، وإضاءة أرجائها بأنوار الدين، ورفع قواعد التوحيد، وقصم كل جبار وعنيد، لأن الله تعالى قد بدل الحال، والمحذور فيها قد زال، والمهاجرة منها تؤدي إلى الإخلال بأم القرى والتعطيل، فسد بعد مضي تلك الحكمة ذلك السبيل. وأما الهجرة من بلدان المشركين والكفار وعدم السكنى معهم والاستقرار إلى ما للمسلمين من الديار، حيث لم يكن إقامة دين للموحد ولا إظهار، ولا تعزيز للإسلام وانتصار، فحكمها إلى الآن ثابت الوجود والإلزام، مستمر على مر السنين والأعوام، كما صرح بذلك الأئمة الأعلام، والآيات على ذلك دالة صريحة، والأحاديث ثابتة صحيحة، قال الله جل جلاله: «إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمْ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضَ اللَّهِ وَاسِعَةً فَهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا»^(٣).

وقال ابن كثير^(٤): الآية دالة على وجوب الهجرة عامة. فكل من أقام بين ظهراني المشركين وهو قادر على الهجرة وليس متمكناً من إقامة دينه فهو ظالم لنفسه مرتكب

(١) رواه البخاري في صحيحه جـ ٣ ص/ ٢٠٠ كتاب الجهاد باب ١ كما رواه مسلم أيضاً في صحيحه جـ ٣ ص/ ١٤٨٧ و ١٤٨٨ كتاب الإمامة حديث رقم ٨٥ و ٨٦ / ١٨٦٣ و ١٨٦٤ (كلاهما عن ابن عباس).

(٢) رواه البخاري في صحيحه جـ ١ ص ٨ كتاب الإيمان باب (عن عبدالله بن عمرو)

(٣) سورة النساء آية / ٩٧.

(٤) الشيخ الإمام عماد الدين أبو الفداء، إسماعيل بن عمر بن كثير البصري الأصل الدمشقي الشافعي. ولد سنة سبعمائة وقيل إحدى وسبعمائة. صاهر المزني فأكثر عنه وأفتى ودرس وناظر وبرع في الفقه والتفسير والنحو. قال الذهبي في المعجم المختص: هو فقيه بارع متقن محدث ومفسر نقاد. له تصانيف مفيدة منها التكميل في معرفة الثقات والضعفاء والمجاهيل، والبداية والنهاية، وتفسيره المشهور، وسند الشيخين، وعلوم الحديث وغيرها. انظر ذيل تذكرة الحفاظ. ص/ ٥٧ و ٣٦١.

محرمًا بالإجماع، وقد روى أبو داود بسنده عن سمرة بن جندب - رضي الله عنه^(١) - أن النبي (ﷺ) قال: (من جامع المشرك أو سكن معه فإنه مثله)^(٢) انتهى كلام ابن كثير في تفسيره^(٣).

وقال البيضاوي^(٤): الآية دالة على وجوب الهجرة. ففي الحديث (من فر بدينه من أرض إلى أرض، استوجبت له الجنة، وكان رفيق أبيه إبراهيم - عليه السلام - ونبيه محمد (ﷺ)). انتهى كلامه^(٥).

ولو لم يكن إلا قوله عليه الصلاة والسلام: (أنا بريء من كل مسلم أقام بين ظهراني المشركين)^(٦).

وقوله (ﷺ): (لا تنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة ولا تنقطع التوبة حتى تطلع الشمس من مغربها) رواه أبو داود عن معاوية - رضي الله عنه -^(٧).

(١) سمرة بن جندب بن هلال بن جريح الفزاري، يكنى أبا سليمان، كان من حلفاء الأنصار، نزل البصرة، كان زياد يستخلفه عليها إذا سار إلى الكوفة. وكان شديدًا على الخوارج. وقد سقط في قدر مملوء ماءً حاراً فمات سنة ثمان وقيل تسع وخمسين، وقيل أول سنة ستين. انظر الإصابة ج ٢. ص/٧٨.

(٢) رواه أبو داود في سننه ج ٣. ص/٩٣ كتاب الجهاد باب (في الإقامة بأرض الشرك). قال المناوي في فيض القدير ج ٦ ص/١١٢: حسن. وفيه سليمان بن موسى الأموي الأشدق. قال في الكاشف قال النسائي: ليس بالقوي، وقال البخاري: له مناكير.

(٣) انظر تفسير ابن كثير ج ١. ص/٥٤٢.

(٤) هو القاضي الإمام ناصر الدين عبدالله بن عمر الشيرازي، قاضيها وعالمها وعالم أذربيجان، وتلك النواحي مات بتهريز سنة خمس وثمانين وستائة. ومن مصنفاته المنهاج في أصول الفقه، وشرح التبيين والغاية القصوى. وأنوار التنزيل وغيرها من التصانيف الفذة... انظر البداية والنهاية ج ١٣. ص/٣٠٩.

(٥) انظر تفسير أنوار التنزيل ج ١ ص/٢٣٩.

(٦) رواه أبو داود في سننه ج ٣ ص/٤٥ كتاب الجهاد باب النهي عن قتل من اعتصم بالسجود (عن جرير بن عبدالله)، كما رواه الترمذي في جامعه ج ٤. ص/١٥٥ (جرير بن عبدالله بن جابر البجلي - صحابي مشهور مات سنة إحدى وخمسين وقيل بعدها. تقريب التهذيب ج ١. ص/١٢٧).

(٧) رواه أبو داود في سننه ج ٣ ص ٣ كتاب الهجرة باب في الهجرة هل انقطعت، كما رواه أحمد في مسنده ج ٤ ص/٩٨. ومعاوية هو معاوية بن أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية الأموي، ولد قبل البعثة بخمس سنين وقيل بسبع وقيل بثلاث عشرة والأول أشهر. قيل أسلم بعد الحديبية، وكتب إسلامه حتى أظهره عام الفتح، كان من الحبسة - كان يكتب للنبي (ﷺ) - فيما بينه وبين العرب. ولاء عمر الشام بعد أخيه يزيد وأقره عثمان ثم استمر فلم يبايع علياً ثم حارب واستقل بالشام. مات في رجب سنة ستين. انظر الإصابة ج ٣. ص/٤٣٣.

وقوله - عليه الصلاة والسلام - : (لا تنقطع الهجرة ما كان الجهاد) رواه سعيد (١).

وقوله (ﷺ) : (لا تنقطع الهجرة ما قوتل العدو) رواه أحمد والنسائي (٢).

لكان في الدليل كافياً ، وبالمقصود وافياً ، كيف وقد قال الله جل جلاله :
« وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرْعَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ » (٣) الآية .

هذا ما خطر في البال من المقالة ، حين كتبت هذه العجالة من غير مراجعة في ذلك
للأسفار ، وإن كان صبح الحق قد تبلج بالإسفار ، وأشرق بما ذكرنا من الحججة المحججة
الأنوار ، وانجلي عن وسيم وجهها الغبار .

(١) رواه سعيد وهو سعيد بن منصور بن شعبة ، أبو عثمان الخراساني ، نزيل مكة ، ثقة . وكان لا يرجع عما في كتابه
لشدة وثوقه به . مات سنة سبع وعشرين ومائتين وقيل بعد ، انظر تقريب التهذيب ج ١ . ص / ٣٠٦ كما روى
الحديث أيضاً أحمد في مسنده ج ٤ . ص / ٦٢ و ج ٥ . ص / ٣٧٥ (عن رجل من الصحابة).

(٢) رواه أحمد في مسنده ج ٥ ص / ٢٧٠ (عن عبدالله السعدي) كما رواه النسائي في سننه ج ٧ ص / ١٤٦ و ١٤٧
باب ذكر الاختلاف في انقطاع الهجرة (عن عبدالله السعدي) - عبدالله السعدي القرشي العامري واسم أبيه :
وقدان وقيل غير ذلك ، صحابي ، يقال : مات في خلافة عمر ، وقيل : عاش إلى خلافة معاوية . تقريب التهذيب
ج ١ . ص / ٤١٩ .

(٣) سورة النساء آية / ١٠٠ .

ما جاء في النية

خاتمة

اعلم أن سائر الأعمال كطلب العلم ، والجهد ، والصلاة ، والصيام ، والحج ، والإنفاق ، وغير ذلك ، مثل الهجرة ، في هذا المعنى ، وصلاحتها وفسادها بحسب النية الباعثة عليها ، وقد ورد الوعيد على العمل لغير الله عموماً .

خرج الإمام أحمد من حديث أبي بن كعب^(١) ، عن النبي (ﷺ) قال : (بشر هذه الأمة بالسوء والرفعة والدين والتمكين في الأرض فمن عمل منهم عمل الآخرة للدنيا لم يكن له في الآخرة نصيب)^(٢) .

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة عن النبي (ﷺ) قال : (يقول الله تبارك وتعالى : أنا أغنى الشركاء^(٣) عن الشرك ، من عمل عملاً أشرك معي فيه غيري ، تركته وشركه)^(٤) . وخرجه ابن ماجه بلفظ (فأنا منه بريء)^(٥) .

وخرج أحمد عن شداد بن أوس^(٦) عن النبي (ﷺ) قال : (من صلى يرائي فقد أشرك ، ومن صام يرائي فقد أشرك ، ومن تصدق يرائي فقد أشرك ، وإن الله عز وجل يقول : « أنا خير قسيم ، فمن أشرك بي شيئاً فإن عمله ، قليله وكثيره ، لشريكه الذي

(١) أبي بن كعب بن قيس بن عبيد الأنصاري البخاري أبو المنذر ، وأبو الطفيل سيد القراء من أصحاب العقبة الثانية ، شهد بدرًا والمشاهد كلها ، قال له النبي (ﷺ) : (إن الله أمرني أن أقرأ عليك) . وهو أول من كتب للنبي (ﷺ) . مات سنة ثلاثين ، وقيل قبل مقتل عثمان بجمعة ، وقيل سنة اثنتين وعشرين وقيل تسع عشرة ، وقيل عشرين . انظر الإصابة . جـ ١ ص ١٩ .

(٢) رواه أحمد في مسنده جـ ٥ ص / ١٣٤ بالسوء : أي ارتفاع المنزلة والقدر عند الله . انظر النهاية في غريب الحديث والأثر جـ ٢ ص / ٤١٤ .

(٣) في نسخ المخطوطة (أنا أغنى الأغنياء) والصواب ما أثبتناه كما هو عند مسلم وابن ماجه .

(٤) في نسخ المخطوطة (شريكه) .

(٥) رواه مسلم في صحيحه جـ ٤ . ص / ٢٢٨٩ كتاب الزهد والرفاق حديث رقم ٢٩٨٥ / ٤٦ ، كما رواه ابن ماجه في سننه جـ ٢ . ص / ١٤٠٥ كتاب الزهد باب ٢١ .

(٦) شداد بن أوس بن ثابت الخزرجي الأنصاري - أبو يعلى ، ويقال أبو عبد الرحمن . كان من الذين أوتوا العلم والحلم ، وكانت له عبادة واجتهاد في العمل ، سكن حمص ، ومات سنة ثمان وخسين ودفن ببيت المقدس ، وقيل مات سنة إحدى وأربعين ، وقيل سنة أربع وستين . انظر الإصابة جـ ٢ . ص / ٢٣٩ .

أشرك به ، أنا غني عنه»^(١) .

وفي الصحيحين عن أبي موسى الأشعري^(٢) ، أن أعرابياً أتى إلى النبي (ﷺ) فقال : (يارسول الله ، الرجل يقاتل للمغنم ، والرجل يقاتل للذكر ، والرجل يقاتل ليرى مكانه ، فمن في سبيل الله؟ فقال رسول الله (ﷺ) : (من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله)^(٣) .

وفي رواية لمسلم سئل رسول الله (ﷺ) عن الرجل يقاتل شجاعة ، ويقاقل حمية ، ويقاقل رياءً ، فأبي ذلك في سبيل الله؟ فذكر الحديث^(٤) .

وخرج النسائي من حديث أبي أمامة قال : جاء رجل إلى النبي (ﷺ) فقال : أرأيت رجلاً غزا يلتمس الأجر والذكر ، ماله؟ فقال رسول الله (ﷺ) : (لا شيء ، إن الله لا يقبل إلا ما كان خالصاً ، وابتغى به وجهه)^(٥) .

وخرج أبو داود من حديث أبي هريرة أن رجلاً قال : (يارسول الله رجل يريد الجهاد وهو يريد عرضاً من عرض الدنيا ، فقال رسول الله (ﷺ) : (لا أجر له ، فأعادها عليه ثلاثاً)^(٦) .

وخرج أبو داود من حديث عبدالله بن عمرو قال : قلت يارسول الله أخبرني عن الجهاد والغزو ، فقال : (إن قاتلت صابراً محتسباً بعثك الله صابراً محتسباً ، وإن قاتلت

(١) رواه أحمد في مسنده ٥ ج ٤ . ص / ١٢٦ .

(٢) عبدالله بن قيس بن سليم بن حصار ، مشهور باسمه وكنيته معاً . وكان قد سكن الرملة ثم أسلم وهاجر إلى الحبشة ، وقيل بل رجع إلى بلاده ولم يهاجر إلى الحبشة ، هو قول الأكثر ، قدم المدينة بعد خيبر ، استعمله النبي (ﷺ) على بعض اليمن ، واستعمله عمر على البصرة ، واستعمله على الكوفة . وكان أحد الحكيمين بصفين ، ثم اعتزل الفريقين . وكان فقيهاً قارئاً قاضياً ، مات سنة اثنتين وقيل أربع وأربعين ، وقيل سنة خمسين وقيل غير ذلك . واختلفوا هل مات بالكوفة أو بمكة . انظر الإصابة ج ٢ . ص / ٣٥٩ .

(٣) رواه البخاري في صحيحه ج ٣ ص / ٢٠٦ كتاب الجهاد باب ١٥ ، كما رواه مسلم في صحيحه ج ٣ ص / ١٥١٢ كتاب الإمارة حديث رقم ١٩٠٤ / ١٩٠٤ .

(٤) رواه مسلم في صحيحه ج ٣ ص / ١٥١٣ كتاب الإمارة حديث رقم ١٩١٤ / ١٩١٤ .

(٥) رواه النسائي في سننه ج ٦ ص / ٢٥ كتاب الجهاد (من غزا يلتمس الأجر والذكر) .

(٦) رواه أبو داود في سننه ج ٣ ص / ١٣ كتاب الجهاد - باب من يغزو ويلتمس الدنيا ، كما رواه أحمد في مسنده ج ٢ . ص / ٣٦٦ .

مرايئاً مكاثراً بعثك الله مرايئاً مكاثراً، على أي حال قاتلت أو قتلت بعثك الله بتلك الحال^(١).

وخرج الإمام أحمد والترمذي وابن ماجه من حديث أبي سعيد ابن فضالة^(٢) قال: قال رسول الله (ﷺ): (إذا جمع الله الأولين والآخرين ليوم لا ريب فيه نادى مناد: من كان أشرك في عمل عمله لله عز وجل فليطلب ثوابه من عند غير الله، فإن الله أغنى الشركاء عن الشرك)^(٣).

وحديث الثلاثة الذين هم أول ما يقضى فيهم تسجر بهم النار، مشهور، خرجه مسلم^(٤).

فالحاصل أن الرياء يحبط العمل إذا كان أصل القصد اتفاقاً، فإن كان طارياً في أثناء العمل فمحل خلاف بين أئمة السلف، هل يبطل كله، أو يثاب على نيته الأولى؟ وأما إذا عمل لله خالصاً ثم ألقى الله له الثناء في الناس، ففرح بفضل الله ورحمته فلا يضر. فقد أخرج مسلم من حديث أبي ذر أن النبي (ﷺ) سئل عن الرجل يعمل العمل لله من الخير ويحمده الناس عليه فقال: (تلك عاجل بشرى المؤمن)^(٥).

(١) رواه أبو داود في سننه ج ٣. ص/ ١٤ كتاب الجهاد، باب (من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا).
(٢) أبو سعيد بن فضالة الأنصاري، ويقال ابن أبي فضالة، ويقال أبو سعيد بن فضالة ابن أبي فضالة. ذكرها ابن سعد في طبقة أهل المدينة، له صحبة. انظر الإصابة ج ٤ ص/ ٨٦.
(٣) رواه أحمد في مسنده ج ٣ ص/ ٤٦٦ و ج ٤. ص/ ٢١٥، كما رواه الترمذي في جامعه ج ٥. ص/ ٣١٤ كتاب التفسير سورة ١٨ (الكهف)، كما رواه ابن ماجه في سننه ج ٢. ص/ ١٤٠٦ كتاب الزهد باب ٢١.
(٤) رواه مسلم في صحيحه ج ٣. ص/ ١٥١٣ كتاب الإمارة حديث رقم ١٩٠٥/١٥٢ (عن أبي هريرة. ونص الحديث كما هو الصحيح، عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أنه قال: سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: (إن أول الناس يقضى يوم القيامة عليه رجل استشهد فأتي به فعرفه نعمه فعرفها، قال فما عملت فيها؟ قال، قاتلت فيك حتى استشهدت، قال: كذبت، ولكنك قاتلت لأن يقال جريء، فقد قيل. ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقى في النار، ورجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن، فأتي به فعرفه نعمه فعرفها. قال فما عملت فيها؟ قال تعلمت العلم وعلمته، وقرأت فيك القرآن، قال كذبت، ولكنك تعلمت العلم ليقال عالم، وقرأت القرآن ليقال هو قارئ. فقد قيل. ثم أمر فسحب على وجهه حتى ألقى في النار، ورجل وسع الله عليه وأعطاه من أصناف المال كله، فأتي به فعرفه نعمته فعرفها. قال فما عملت فيها؟ قال ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها إلا أنفقت فيه لك. قال كذبت. ولكنك فعلت ليقال هو جواد. فقد قيل. ثم أمر به فسحب على وجهه. ثم ألقى في النار...).

(٥) رواه مسلم في صحيحه ج ٤ ص/ ٢٠٣٤ كتاب البر والصلة والآداب حديث رقم/ ١٦٦ / ٢٦٤٢.

وخرج الترمذي وابن ماجة من حديث أبي هريرة، أن رجلاً قال يارسول الله،
الرجل يعمل العمل فيسره فإذا اطلع عليه أعجبه . قال : (له أجران ، أجر السر وأجر
العلانية)^(١) .

وبالجملة فليس على النفس شيء أشق من الإخلاص لأنها لا نصيب لها فيه^(٢) .
وبما ذكرته لمن تدبر وعقل أمر الله ونهيه كفاية .

(١) رواه الترمذي في جامعه ج ٤ ص / ٥٩٤ كتاب الزهد باب عمل السر . قال أبو عيسى : هذا حديث حسن
غريب . كما رواه ابن ماجة في سننه ج ٢ ص / ١٤١٢ كتاب الزهد باب ٢٥ .
(٢) انظر جامع العلوم والحكم ص / ١٦ .

الفصل الرابع

في دعائم الإسلام التي يتم لها بها النظام

ويكفر جاحدها أو بعضها من الأنام، وهي الشهاداتان والصلاة والزكاة والصوم وحج البيت الحرام.

وقال الله جل جلاله : « الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ » (١).

وقال : « وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ ﴿٤٥﴾ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلْقَوْنَ رَبَّهُمْ وَإِنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ » (٢).

وقال جل جلاله : « وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تَقَدَّمُوا لَأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ » (٣).

وقال تعالى : « فَإِذَا أَطْمَأْنَنْتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا » (٤).

وقال تعالى : « وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَرُفُلًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُدْهَبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرِي لِلذَّاكِرِينَ » (٥).

وقال جل جلاله : « فَأَقِنُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَأَحْصُرُوهُمْ وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ » (٦).

وقال تعالى : « فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ فِي الدِّينِ وَنَفَصِلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ » (٧).

(٢) سورة البقرة آية / ٤٥ و ٤٦ .

(٤) سورة النساء من آية / ١٠٣ .

(٦) سورة التوبة من آية / ٥ .

(١) سورة البقرة آية / ٣ .

(٣) سورة البقرة آية / ١١٠ .

(٥) سورة هود آية / ١١٤ .

(٧) سورة التوبة آية / ١١ .

وقال عز وجل : « وَأَمْرٌ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَأَصَطِرْ عَلَيْهَا » (١) .

وقوله : « قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَشِعُونَ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ » إلى قوله : « وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٤﴾ أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ﴿٥﴾ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ » (٢) .

وقد تعدد ذكر الصلاة والزكاة في القرآن مقرونتين ومفردتين ، آخر ذلك قوله جل جلاله : « وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ » (٣) .

وستأتي أدلة باقي الأركان في موضعها (إن شاء الله تعالى) (٤) .

وأما الشهادة فقد تقدمت دلائلها قبل هذا ، وأخرج الشيخان عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما - قال سمعت رسول الله (ﷺ) يقول : (بني الإسلام على خمس ، شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً عبده ورسوله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وحج البيت ، وصوم رمضان) (٥) .

وقوله تعالى : « يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ » الإيمان في اللغة يطلق على التصديق ، أما الإيمان الشرعي المطلوب فقد قدمت من النصوص ما يشهد على القطع أنه : قول واعتقاد وعمل ، وأكثر السلف على ذلك .

وقال أبو العالية « يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ » أي بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وجنته وناره ولقائه (٦) . وفسره بعض السلف (٧) بما غاب عن العباد من أمر الجنة والنار ، وقال ابن عباس : بما جاء منه أي من الله ، وقيل الغيب : القرآن ، وقيل القدر . « وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ » قال ابن عباس : أي يقيمون الصلاة بفروضها ، بإتمام

(١) سورة طه من آية / ١٣٢ .

(٢) سورة المؤمنون من آية / ١ - ١١ .

(٣) سورة البينة آية / ٥ .

(٤) رواية البخاري في صحيحه ج ١ ص / ٨ كتاب الإيمان باب ٢ ، كما رواه مسلم في صحيحه ج ١ ص / ٢٥ كتاب الإيمان حديث رقم ١٦ / ٢١ .

(٥) انظر تفسير ابن كثير ج ١ ص / ٤١ وتفسير الطبري ج ١ ص / ٧٩ و ٨٠ .

(٦) منهم أبو مالك ، وأبو صالح ، وابن عباس ، وابن مسعود .

الركوع والسجود والتلاوة والخشوع^(١). « وَمَمَّارَزَقَهُمْ يُفِقُونَ » اختار بعض العلماء^(٢) عموم الآية في الزكاة والنفقات، أي أنهم يؤدون اللازم لهم في أموالهم كالزكاة ونفقة من تلزمهم نفقته، لأن الله عمم وصفهم ومدحهم بذلك، وكل من الزكاة والنفقة ممدوح به محمود عليه، وإنما قرن الله بين الصلاة والزكاة، لأن الصلاة حق الله تعالى وعبادته، وهي^(٣) مشتملة على توحيدهِ والثناء عليه، وتمجيده والابتهاال إليه، ودعائه والتوكل عليه.

والإنفاق هو الإحسان إلى المخلوقين بالنفع المتعدي إليهم، وأولى الناس بذلك القرابات والأهل والماليك ثم الأجانب^(٤).

وقوله تعالى: « إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا » أي فرضاً مفروضاً محدود الأوقات، لا يجوز إخراجها عن أوقاتها في شيء من الأحوال، والأول قول ابن عباس. ولتقتصر عن الكلام على تفسير هذه الآيات لتلايفوت الغرض من الاختصار، والمقصود شرح حديث (بني الإسلام...)، وإيضاح ما احتوى عليه من الكلام^(٥)، والمقصود تمثيل الإسلام، ببنيان، ودعائم البنيان هذه الخمس، فلا يثبت البنيان بدونها، وبقية خصال الإسلام كتتمة البنيان، فإذا فقد منها شيء نقص البنيان، ولكنه قائم لا ينتقض بنقض ذلك بخلاف نقض هذه الخمس الدعائم، فإن الإسلام يزول بذلك^(٦).

قال ابن حجر^(٧) : هذا حديث عظيم، وهو أحد قواعد الإسلام وجوامع

(١) انظر تفسير ابن كثير ج ١ ص / ٤١ .

(٢) منهم ابن جرير الطبري .

(٣) في أ. د فهي . والصواب الواو كما في تفسير ابن كثير .

(٤) هذا الكلام موجود في تفسير ابن كثير ج ١ ص / ٤١ و ٤٢ نقل باختصار من تفسير الطبري ج ١ ص / ٧٩ و ٨١ .

(٥) في ب. الأحكام . . وفي ج، الأمثال . (٦) انظر جامع العلوم والحكم . ص / ٤١ .

(٧) أحمد بن علي بن محمد الكناي العسقلاني، أبو الفضل، والمعروف بابن حجر، الإمام المنفرد بمعرفة الحديث وعلله في الأزمنة المتأخرة، ولد في ثاني عشر شعبان من سنة ثلاث وسبعين وسبعائة بمصر، ونشأ بها، وحفظ القرآن وهو ابن تسع، ثم حفظ العمدة وألفية الحديث للعراقي وغيرهما، وبحث في ذلك على الشيوخ، وارتحل إلى بلاد الشام والحجاز واليمن وغيرها. وتفقه في شتى العلوم. وكان يقول: أنا أقرأ في خمسة عشر علماً لا يعرف علماء عصري أسماءها. ثم تصدى لنشر الحديث وقصر عليه. ومن مصنفاته فتح الباري، والمشتبه، والتهذيب ولسان الميزان وغيرها من المصنفات. توفي - رحمه الله - سنة اثنتين وخمسين وثمان مائة. انظر البدر الطالع . ج ١ . ص / ٨٧ .

الأحكام، إذ فيه معرفة الدين، وما يعتمد عليه عامة المسلمين، ولأنه حاو جميع الأركان، التي كلها منصوص عليها في القرآن، والمراد من الشهادتين، الإيذان بالله ورسوله، وقد ذكر ذلك البخاري تعليقاً فقال: (بني الإسلام على خمس إيمان بالله ورسوله)^(١) وذكر بقية الحديث. وفي رواية لمسلم: (على خمس على أن يوحد الله) وفي رواية (على أن يعبد الله ويكفر بما دونه)^(٢).

الركن الثاني : الصلاة

فأما الصلاة: فهي مشتقة من الدعاء لاشتغالها عليه، هذا قول أكثر أهل العربية والفقهاء^(٣). وشرعاً: قرينة فعلية ذات إحرام وسلام، هي أعظم الدعائم بعد الشهادتين، وفرضت ليلة الإسراء في السماء، وذلك بمكة المشرفة قبل الهجرة بسنة^(٤)، بخلاف سائر الشرائع، فإنها فرضت بالأرض، وفرضها عليه وعلى أمته (ﷺ) وهو في السماء، دليل على مزيتها على غيرها من الفرائض.

واختلف العلماء هل فرضت ركعتين وزيدت في الحضر، أو أربعاً ثم قصرت؟ على قولين: وقد دل على مشروعيتها الكتاب والسنة، وأجمعت على فرضيتها الأمة، واتفقوا على قتل الممتنع من فعلها، وإنما اختلفوا في قتله، هل كفرأ؟ وهو قول جماعة من السلف والخلف منهم عبدالله بن المبارك^(٥) وأحمد

(١) رواه البخاري تعليقاً في صحيحه ج ٥ ص/ ١٥٧ كتاب التفسير سورة ٢ باب ٣٠.

(٢) رواه مسلم في صحيحه ج ١ ص/ ٤٥ كتاب الإيذان حديث رقم ١٩ و ١٦/٢٠.

(٣) انظر المغني ج ١ ص/ ٣٦٩ الصلاة في اللغة: الدعاء. قال تعالى: «وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ». وهي في الشرع: عبارة عن الأفعال المعلومة، فإذا ورد في الشرع يصرّف إلى الصلاة الشرعية. انظر المغني ج ١ ص/ ٣٦٩.

(٤) (قوله بسنة) يخالف ما في شروط الصلاة للشيخ محمد بن عبد الوهاب فإنه قال: وصلى في مكة ثلاث سنين. انتهى من هامش، ب.

(٥) عبدالله بن المبارك بن واضح المروزي - أبو عبد الرحمن - مولى بني حنظلة، كان قد جمع بين العلم والزهد. وكان كثير الانقطاع، محباً للخلوة، شديد الورع. توفي سنة إحدى وثمانين ومائة، وكان مولده بمرور سنة ثماني عشرة ومائة. انظر وفيات الأعيان ج ٣ ص/ ٣٢.

وإسحاق^(١).

قال أيوب السخيتاني^(٢) : ترك الصلاة كفر، لا يختلف فيه . وحكى إسحاق، عليه إجماع أهل السنة، وقال محمد بن نصر المروزي^(٣) : هو قول جمهور أهل الحديث . وذهبت طائفة منهم إلى أن من ترك شيئاً من أركان الإسلام الخمسة عمداً أنه كافر بذلك . وروي عن سعيد بن جبير^(٤) ونافع^(٥) والحكم^(٦)، وهو رواية، عن أحمد به قال : ابن حبيب^(٧) من المالكية^(٨).

وقد وردت أحاديث تدل على أن من تركها فقد خرج من الإسلام . ففي صحيح مسلم عن جابر - رضي الله عنه - عن النبي (ﷺ) قال : (بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة)^(٩).

(١) إسحاق بن أبي الحسن إبراهيم بن مخلد الخنظلي المروزي، أبو يعقوب، المعروف بابن راهوية، جمع بين الحديث والفقه والورع، كان أحد أئمة الإسلام، اعترف له الإمام أحمد بالإمامة، وكانت ولادته سنة إحدى وستين أو ثلاث وستين أو ست وستين ومائة . وتوفي بنيسابور سنة ثمان أو سبع وثلاثين ومائتين وقيل ثلاثين ومائتين . انظر وفيات الأعيان ج ١ . ص / ١٩٩ .

(٢) أيوب ابن أبي تيمية - كيسان - الإمام أبو بكر السخيتاني، أحد الأعلام، كان من الموالى، قال ابن سعد: كان أيوب ثقة ثبتاً في الحديث جامعاً، كثير العلم حجة عدلاً، ويقال: إنه كان يقوم الليل كله ويخفي ذلك، فإذا كان عند الصبح رفع صوته كأنه قام تلك الساعة . مات سنة إحدى وثلاثين ومائة في الطاعون وله ثلاث وستون سنة . انظر تذكرة الحفاظ ج ١ ص / ١٣٠ .

(٣) محمد بن نصر المروزي الفقيه، ولد ببغداد، ونشأ بنيسابور، واستوطن سمرقند، كان من أعلم الناس باختلاف الصحابة، كان من أولياء الله الصالحين وكان مفتي نيسابور، خرج إلى سمرقند فتوفي بها في محرم سنة أربع وتسعين ومائتين . انظر المنتظم ج ٦ ص / ٦٣، وتاريخ بغداد ج ٣ ص / ٣١٥ .

(٤) سعيد بن جبير بن هشام الأسدي بالولاء، كوفي، أحد أعلام التابعين، أخذ العلم عن ابن عباس وابن عمر - رضي الله عنهما - أخذ القراءة عن ابن عباس عرضاً، وسمع منه التفسير، وأكثر روايته عنه، قتله الحجاج في شعبان سنة خمس وتسعين، وقيل أربع وتسعين بواسط . انظر وفيات الأعيان ج ٢ ص / ٢٦١ .

(٥) نافع - أبو عبد الله المدني - مولى ابن عمر، ثقة ثبت فقيه مشهور، أصح الأسانيد مالك عن نافع عن ابن عمر، مات سنة سبع عشرة ومائة أو بعد ذلك ... تقريب التهذيب ج ٢ ص / ٢٩٦ .

(٦) الحكم بن عتيبة - أبو محمد - الكندي، الكوفي، ثقة ثبت فقيه، إلا أنه ربما دلس، مات سنة ثلاث عشرة ومائة وقيل غير ذلك . تقريب التهذيب ج ١ ص / ١٩٢ .

(٧) عبد الملك بن حبيب القرطبي، أحد الأئمة، مصنف (الواضحة)، كثير الوهم صحفي، قال ابن حزم، ليس بثقة، وضعفه البعض، توفي في شهر رمضان سنة ثمان وثلاثين ومائتين . يكنى أبا مروان، كان محققاً يحفظ مذهب مالك . انظر لسان الميزان ج ٤ ص / ٥٩ . والأعلام ج ٤ ص / ٣٠٢ .

(٨) انظر هذا الكلام في جامع العلوم والحكم لابن رجب - ص / ٤١ .

(٩) رواه مسلم في صحيحه ج ١ ص / ٨٨ كتاب الإيثار حديث رقم ١٣٤ / ٨٢ .

وخرج محمد بن نصر المروزي عن عبادة بن الصامت^(١) عن النبي (ﷺ) قال :
(لا تترك الصلاة متعمداً فمن تركها متعمداً فقد خرج من الملة)^(٢) .

وفي حديث معاذ بن جبل - رضي الله عنه^(٣) - عن النبي (ﷺ) : (رأس الأمر
الإسلام وعموده الصلاة)^(٤) . فجعل الصلاة كعمود الفسطاط^(٥) الذي لا يقوم
الفسطاط ولا يثبت إلا به ، ولو سقط العمود لسقط الفسطاط ، ولم يثبت بدونه .

وقال عمر : (لاحظ في الإسلام لمن ترك الصلاة)^(٦) .

وقال سعد^(٧) وعلي بن أبي طالب : (من تركها فقد كفر)^(٨) .

وقد استدلل الإمام أحمد وإسحاق - رحمهما الله تعالى - على كفر تارك الصلاة
بكفر إبليس ، بتركه السجود لآدم ، وترك السجود لله أعظم^(٩) . وفي صحيح مسلم
عن أبي هريرة عن النبي (ﷺ) قال : (إذا قرأ ابن آدم السجدة اعتزل الشيطان يبكي
ويقول : يا ويلى أمر ابن آدم بالسجود فسجد فله الجنة ، وأمرت بالسجود فأبيت فلي
النار)^(١٠) .

(١) عبادة بن الصامت بن قيس الخزرجي الأنصاري أبو الوليد ، شهد بدرأ والمشاهد بعدها . كان أحد النقباء
بالعقبه ، أول من ولي قضاء فلسطين ، وولاه أبو عبيدة إمارة حمص . ثم صرفه ، كان ممن جمع القرآن في عهد النبي
(ﷺ) وكان ممن علم أهل الشام القرآن وفقههم . توفي بالرملة سنة أربع وثلاثين ببيت المقدس وقيل عاش إلى
خلافه معاوية وقيل إنه عاش إلى سنة خمس وأربعين . . انظر الإصابة ج ٢ . ص / ٢٦٨ .

(٢) روى أحمد معناه في مسنده عن أم أيمن ج ٦ ص / ٤٢٠ كما روى معناه ابن ماجه في سننه ج ٢ ص / ١٣٣٩ .
حديث أم أيمن عند أحمد ، أن رسول الله (ﷺ) قال : (لا تترك الصلاة متعمدة ، فمن تركها متعمداً فقد برئت
منه ذمة الله ورسوله) . ج ، كتاب الفتن باب ٢٣ .

(٣) معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس الخزرجي الأنصاري ، الإمام المقدم في علم الحلال والحرام ، شهد المشاهد
كلها . أمره النبي (ﷺ) على اليمن ، وبعثه قاضياً ، وهو أحد القراء . كانت وفاته بالطاعون في الشام سنة سبع
عشرة ، أو التي بعدها وهو قول الأكثر . انظر الإصابة . ج ٣ ص / ٤٢٦ .

(٤) رواه الترمذي في الجامع الصحيح ج ٥ ص / ١١ و ١٢ كتاب الإيذان باب ٨ .

(٥) الفسطاط : بيت من الشعر . . . (الفسطاط أيضاً) : مدينة بمصر بناها عمرو بن العاص . انظر مختار الصحاح
ص / ٥٠٣ .

(٦) رواه مالك في الموطأ ج ١ ص / ٣٩ و ٤٠ كتاب الطهارة باب ١٢ حديث رقم ٥١ .

(٧) سعد بن أبي وقاص ، واسم وقاص ، مالك به وهيب بن عبدمناف القرشي الزهري أبو إسحاق ، أحد العشرة
المشهود لهم بالجنة . وآخرهم موتاً ، أول من رمى بسهم في سبيل الله ، أحد الستة في الشورى . رأس من فتح
العراق ، ولي الكوفة لعمر ، ثم عزل ، ووليها لعثمان ، كان حجاب الدعوة ، اعتزل الفتنة ، مات بالعقيق سنة
إحدى وخمسين أو ست أو سبع أو ثمان وقيل غير ذلك . الإصابة ج ٢ . ص / ٣٣ .

(٨) انظر جامع العلوم والحكم لابن رجب ص / ٤١ . (٩) انظر جامع العلوم والحكم - لابن رجب ص / ٤١ .

(١٠) رواه مسلم في صحيحه ج ١ ص / ٨٧ كتاب الإيذان حديث رقم ١٣٣ / ٨١ .

الزكاة

وأما الزكاة فقد فرضت في السنة الثانية من الهجرة، وقرر النبي (ﷺ) نصاب كل مزكى من أنواعها ومعشر ونقد كما هو مبين في الأحاديث الصحيحة، دل على فرضيتها الكتاب والسنة والإجماع، أما الكتاب فما قدمنا من الآيات، وأما السنة فالحديث المتقدم، وأما الإجماع، فقال القرافي^(١): اتفقوا على فرضيتها فمن جردها فهو كافر، ومن أقر بها وامتنع عن فعلها وأدائها قوتل عليها. قال ابن مسعود^(٢): (تارك الزكاة ليس بمسلم)^(٣).

صوم رمضان

أما صوم رمضان فهو فريضة دل عليه الكتاب والسنة والإجماع، قال تعالى: «يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ»^(٤)... الآية. قال تعالى: «فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ»^(٥).

والسنة ماتقدم^(٦)، والإجماع انعقد على فرضيته وكونه أحد أركان الإسلام، فرض في السنة الثانية من الهجرة بعد ليلتين خلتا من شعبان، فمن جرده قتل، ومن أقر به وامتنع استتيب، فإن تاب وإلا قتل.

(١) القرافي: أحمد بن إدريس بن عبدالرحمن بن عبدالله الصنهاجي البهنشي المصري. انتهت إليه رئاسة الفقه على مذهب مالك. كان إماماً بارعاً في الفقه والأصول والعلوم العقلية. وله معرفة بالتفسير، ومن كتبه: الذخيرة، والقواعد، وشرح التهذيب، وشرح المحصول للإمام فخر الدين الرازي، والأجوبة الفاخرة على الأسئلة الفاجرة، وكتاب الانتقاد في الاعتقاد، وغيرها من الكتب النافعة. توفي بدير الطين في جمادى الآخرة عام أربعة وثلاثين وستائة ودفن بالقرافة. انظر الديباج المذهب ج ١ ص ٢٣٦.

(٢) عبدالله بن مسعود بن غافل بن حبيب الهذلي، أبو عبدالرحمن، حليف بني زهرة، أسلم قديماً، وهاجر الهجرتين، وشهد بدرأ والمشاهد بعدها. لازم النبي (ﷺ) كان صاحب نعله. كان سادس من أسلم، وأول من جهر بالقرآن بمكة، أحد القراء، بعثه عمر إلى الكوفة معلماً، وأمره عثمان على الكوفة، ثم عزله. توفي سنة اثنتين وثلاثين بالمدينة، وقيل ثلاث وقيل مات بالكوفة. انظر الإصابة ج ٢ ص / ٤٦٨.

(٣) انظر جامع العلوم والحكم - لابن رجب. ص / ٤٢.

(٤) سورة البقرة من آية / ١٨٣.

(٥) سورة البقرة من آية / ١٨٥.

(٦) حديث الباب (بني الإسلام على خمس ...).

وعن ابن عباس مرفوعاً: (عرى الإسلام وقواعد الدين ثلاث، عليهن أسس الإسلام، شهادة أن لا إله إلا الله، والصلاة، وصوم رمضان، من ترك منها واحدة فهو كافر بها حلال الدم)^(١).

وعن عمرو بن مالك^(٢) مرفوعاً (من ترك منهن واحدة فهو بالله كافر، ولا يقبل منه صرف ولا عدل، وقد حل دمه وماله)^(٣).

الحج

وأما الحج فهو خامس الأركان، دل على ركنيته الكتاب والسنة والإجماع. أما الكتاب فقوله تعالى: « وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حُجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ »^(٤).

والسنة الحديث المتقدم^(٥)، ومارواه مسلم والترمذي من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: (يا أيها الناس إن الله فرض عليكم الحج، فحجوا. فقال رجل: أكل عام يارسول الله؟ فسكت حتى قالها ثلاثاً، وقال لو قلت نعم لوجبت ولما استطعتم)^(٦).

وأجمعت الأمة على وجوبه، فمن جحده كفر، ومن امتنع من فعله فالله حسيبه، وروى عن عمر - رضي الله عنه - (فيمن تمكن من الحج ولم يحج، أنهم ليسوا بمسلمين. وكان يعتقد كفرهم، ولذلك أراد أن يضرب عليهم الجزية، وقال لم

(١) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ج ١ ص / ٤٧ و ٤٨ وقال: رواه أبو يعلى . انظر جامع العلوم ص / ٤٢ .
(٢) عمرو بن مالك النكري - بضم النون - أبو يحيى، أو أبو مالك البصري، صدوق له أوهام . مات سنة تسع وعشرين ومائة . تقريب التهذيب ج ٢ . ص / ٧٧ .
(٣) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ج ١ ص / ٤٨ وقال: رواه الطبراني في الكبير بلفظ (بني الإسلام على خمس ...)
انظر جامع العلوم والحكم . ص / ٤٢ .
(٤) سورة آل عمران من آية / ٩٧ .
(٥) حديث الباب المتقدم (بني الإسلام على خمس).
(٦) رواه مسلم في صحيحه ج ٣ ص / ٩٧٥ كتاب الحج حديث رقم ٤١٢ / ١٣٣٧ ، كما رواه الترمذي في جامعه ج ٣ . ص / ١٧٨ كتاب الحج باب ٥ .

يدخلوا في الإسلام بعد ، فهم مستمرين على كتابتهم^(١) .

واعلم أن هذه الدعائم بعضها مرتبط ببعض . وروي أنه لا يقبل بعضها دون بعض^(٢) .

ففي مسند الإمام أحمد عن زياد بن نعيم الحضرمي^(٣) قال : قال رسول الله (ﷺ) : (أربع فرضهن الله في الإسلام فمن أتى بثلاث لم يغنين عنه شيئاً حتى يأتي بهن جميعاً ، الصلاة ، والزكاة ، وصوم رمضان ، وحج البيت)^(٤) .

وعن علي - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله (ﷺ) : (من ملك الزاد وراحلة تبلغه إلى بيت الله الحرام ، ولم يحج ، فلا عليه أن يموت يهودياً أو نصرانياً)^(٥) رواه الترمذي .

الجهاد

خاتمة :

لم يذكر الجهاد في هذا الحديث مع أن الجهاد أفضل الأعمال^(٦) وأنجح وسيلة يتقرب بها العبد إلى الله ذي الجلال ، وينال بها السعادة في الحال والمآل والفوز ببلوغ السؤل والآمال . وأعظم ذلك الرضوان الأكبر الذي لا يزال . فالآيات المحكمات بفضلها شاهدة والأحاديث الصحيحة في ذلك واردة ، قال تعالى : « فليقتل في سبيل الله الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَنْ يُقْتَلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا »^(٧) .

(١) انظر جامع العلوم والحكم - لابن رجب . ص / ٢٧ .

(٢) انظر المصدر السابق . ص / ٤٢ .

(٣) زياد بن ربيعة بن نعيم - بضم النون - الحضرمي ، ينسب إلى جده البصري ، ثقة . مات سنة خمس وتسعين ومائة . تقريب التهذيب ج ١ ص / ٢٦٧ .

(٤) رواه أحمد في مسنده ج ٤ ص / ٢٠٠ و ٣٠١ ، كما ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ج ١ ص / ٤٧ وقال : رواه أحمد والطبراني في الكبير وفي إسناده ابن لهيعة .

(٥) رواه الترمذي في الجامع الصحيح ج ٣ ص / ١٧٦ كتاب الحج باب ٣ .

(٦) انظر جامع العلوم والحكم . لابن رجب . ص / ٤٣ .

(٧) سورة النساء من آية / ٧٤ .

« وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٩﴾ دَرَجَاتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا » (١).

قال تعالى : « الَّذِينَ آمَنُوا وَهَجَرُوا وَجْهَهُدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمَ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٢٠﴾ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّتِ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ » (٢).

وقال : « إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْتَ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَنِّلُونَهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْنُلُونَ وَيُقَنَّلُونَ وَعَدَّ عَلَيْهِ حَقًّا » (٣).

وقال تعالى : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ﴿١١﴾ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ » (٤).

وفي الصحيحين : (تكفل الله للمجاهد في سبيله أن يدخله الجنة أو يرجعه إلى مسكنه الذي خرج منه بما نال من أجر وغنيمة) (٥).

وفي المسند عن معاذ من حديث طويل : (والذي نفس محمد بيده ما شجب ولا اغبرت قدم في عمل يتغى به درجات الجنة بعد الصلاة المفروضة كجهاد في سبيل الله ، ولا ثقل ميزان عبد ، كدابة تنقله في سبيل الله ، أو يحمل عليه في سبيل الله) (٦).

وفي الصحيحين عن أبي هريرة عن النبي (ﷺ) قال : (أفضل الأعمال الإيثار بالله ورسوله ثم الجهاد في سبيل الله) (٧).

(١) سورة النساء من آية / ٩٥ و ٩٦ .

(٢) سورة التوبة آية / ٢٠ و ٢١ .

(٣) سورة التوبة من آية / ١١١ .

(٤) سورة الصف آية / ١٠ و ١١ .

(٥) رواه البخاري في صحيحه ج ٤ . ص / ٥٠ كتاب فرض الخمس باب ٨ وج ٨ ص / ١٨٨ كتاب التوحيد باب

٤٨ كما رواه مسلم في صحيحه ج ٣ ص / ٤٩٦ كتاب الإمارة حديث رقم ١٠٤ / ١٨٧٦ .

(٦) رواه أحمد في مسنده ج ٥ . ص / ٢٤٦ .

(٧) رواه البخاري في صحيحه ج ١ ص / ١٢ كتاب الإيثار باب ١٨ كما رواه مسلم في صحيحه ج ١ ص / ٨٨

كتاب الإيثار حديث ١٣٥ / ١٣٦ / ٨٢ .

وعنه (ﷺ) : (لغدوة في سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما فيها)^(١).

وعنه : (من قاتل في سبيل الله فواق ناقة وجبت له الجنة)^(٢).

وفي حديث معاذ بن جبل - رضي الله عنه - (أن رأس الأمر: الإسلام، وعموده: الصلاة، وذروة سنامه: الجهاد)^(٣).

وذروة سنام كل شيء: أعلاه، فبين أنه أعلى شيء منه، وإنما لم يذكر في الحديث، لأن المقصود منه بيان دعائمه وأركانه التي بسقوط أحدها يسقط جميع بنيانه، والجهاد ليس من الدعائم، لأنه أكثر أهل العلم على أنه ليس فرض عين، بل هو فرض كفاية بخلاف هذه الأركان، وأيضاً الجهاد كما قال العلماء لا يستمر فعله إلى آخر الدهر، بل إذا نزل عيسى بن مريم - عليه السلام - لم يبق حينئذ غير ملة الإسلام، فحينئذ تضع الحرب أوزارها، ويحمد الله تعالى من سائر الملل الضالة نارها، ويمحو من ظاهر الغبراء آثارها، ويمحق أعوانها وأنصارها، فلا يبقى إلا ملة الإسلام، وشريعته عليه الصلاة والسلام، والعمل على ماقرربه الأحكام، فلا حاجة إلى الجهاد لزوال الكفر والإلحاد، بخلاف أركان الإسلام فإنها لا تزال ممهدة المسالك، والكل لها سالك، حتى يأتيهم أمر الله وهم على ذلك)^(٤).

(١) رواه البخاري في صحيحه ج ٣ ص ٢٠٢ كتاب الجهاد والسير باب ٥، كما رواه مسلم في صحيحه ج ٣

ص/ ١٤٩٩ كتاب الإمامة حديث رقم ١١٢/ ١٨٨٠ كلاهما عن أنس.

(٢) رواه أحمد في مسنده ج ٢ ص/ ٤٤٦ و ٥٢٤، ج ٥ ص/ ٢٣٠ و ٢٣٥ و ٢٤٤ (عن معاذ) ج ٦ ص/ ٤٤٤.

(٣) رواه الترمذي في الجامع الصحيح ج ٥ ص/ ١١ و ١٢ كتاب الإيذان باب ما جاء في حرمة الصلاة.

(٤) انظر جامع العلوم والحكم - لابن رجب - ص/ ٤٤ بتصرف.

الفصل الخامس

في تعيين قبول شرعه المطهر (ﷺ) ولزوم العمل بهديه الأنور
وإلغاء مخالفه وضده، وإبطال العمل به ورده

قال الله تعالى : « قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ » (١).

وقال تعالى : « وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ » (٢) الآية.

قال عز وجل : « وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ » إلى قوله « فَلَا وَرَيْكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا » (٣).

وقال سبحانه وتعالى : « وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ » (٤) الآية.

وقال جل جلاله : « وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ » (٥).

وقال تبارك وتعالى : « وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ » (٦).

وقال تعالى : « أُولَئِكَ كَفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتٍ فِي ذَلِكَ لِرَحْمَةٍ وَذِكْرٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ » (٧).

(١) سورة آل عمران آية / ٣١ و ٣٢ .

(٢) سورة النساء من آية / ١٣ وسورة الفتح من آية / ١٧ .

(٣) سورة النساء آية / ٦٤ و ٦٥ .

(٤) سورة النحل من آية / ٤٤ .

(٥) سورة النحل آية / ٦٤ .

(٦) سورة العنكبوت آية / ٥١ .

وقال جل جلاله « وَمَا أَرْسَلْنَاكُمْ إِلَّا رِسَالًا فَخُذُوا وَمَا نَهَكُمُ عَنْهُ فَأْتُوا وَأَنْتُمْ عَلِيمُونَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ » (١).

أخرج البخاري ومسلم من حديث القاسم بن محمد (٢) عن عمته عائشة - رضي الله عنها - قالت: قال رسول الله (ﷺ): (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد) (٣).

وفي رواية لمسلم (من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد) (٤).

وفي بعض ألفاظ الحديث (من أحدث في ديننا ما ليس منه فهو رد) (٥).

حقيقة محبة الله ورسوله وطاعتهما

وقوله تعالى: « قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني » .

أقول: هذه الآية المحكمة، لأساس أعمال أكثر الناس هادمة، وعليها بالبدع والضلال والأهواء حاكمة، فكل من ادعى محبة الله عز وجل وليس على طريقة نبيه المرسل، فقد بلغ والله الغاية القصوى في الزور والكذب والدعوى، بل هو في الخلد الأبدي، والعذاب سرمدي (٦)، حتى يتبع الشرع المحمدي ويقتدي بدين نبيه ويهتدي. فيالها من آية عظيمة الشأن والمقدار، جسيمة الفوائد والأسرار، يفضح

(١) سورة الحشر من آية / ٧.

(٢) القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق: من سادات التابعين، وأحد الفقهاء السبعة بالمدينة. روى عن جماعة من الصحابة. أمه ابنة يزيدجر، آخر ملوك الفرس، كان يقول في سجوده: (اللهم اغفر لأبي ذنبه في عثمان). توفي سنة إحدى أو اثنتين ومائة، وقيل سنة ثمان ومائة، وقيل غير ذلك. انظر وفيات الأعيان ج ٢ ص / ٥٩.

(٣) رواه البخاري في صحيحه ج ٣ ص / ١٦٧ كتاب الصلح باب ٥، كما رواه مسلم في صحيحه ج ٣ ص / ١٣٤٣ كتاب الأفضية حديث رقم ١٧ / ١٧١٨.

(٤) رواه مسلم في صحيحه ج ٣ ص / ١٣٤٤ كتاب الأفضية حديث رقم ١٨ / ١٧١٨، كما رواه البخاري في صحيحه ج ٣ ص / ١٦٧ كتاب الصلح باب ٥.

(٥) ذكر ابن رجب في جامع العلوم والحكم ص / ٥٦ وفي بعض ألفاظه (من أحدث في ديننا)، وقد بحث عنه في السنن فلم أظف عليه.

(٦) السمرمد: الدائم.

مضمونها غالب العمال ، ويفضح مكنونها برد ما لهم من الأعمال ، وتنبىء بخيبة الرجاء لهم والآمال ، وقطع الأسباب التي أملوا بها القرب من الله والاتصال .

وذلك أنه لم يقيم فيهم برهانها ، ولم يظهر على صفحات أعمالهم سلطانها ، فإن لكل قول حقيقة ، ومن شغف بمحجوب سلك طريقه .

قال الحسن البصري^(١) : قال أصحاب النبي (ﷺ) : يا رسول الله إنا نحب ربنا حباً شديداً ، فأحب الله تعالى أن يجعل لحبه علماً فأنزل الله تعالى هذه الآية^(٢) . قال غيره من السلف : زعم قوم أنهم يحبون الله تعالى فابتلاهم بهذه الآية فقال : « قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحِبُّكُمْ اللَّهُ » .

أي يحصل لكم فوق ما طلبتم من محبتكم إياه هو محبته إياكم ، وهو أعظم من الأول ، كما قال بعض الحكماء والعلماء : ليس الشأن أن يحب إنما الشأن أن تحب^(٣) .

« وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ » باتباعكم للرسول (ﷺ) والعمل على منهاجه ، والأخذ بما جاءكم به ، وترك ما نهاكم عنه ، فهذا حقيقة الاتباع الذي رتب الله عليه لمن اتصف به المحبة التي هي غاية المطلوب للمحب من المحبوب ، التي يندرج تحتها التجاوز عن الذنوب ، « وَاللَّهُ غَفُورٌ » لكل من لقيه لا يشرك به شيئاً «رَحِيمٌ» بعباده المؤمنين .

« قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ » أمر جل جلاله كل خاص وعام أن يطيعه في جميع ما أنزل من الأمر والنهي وسائر الأحكام . «وَالرَّسُولَ» قرن سبحانه طاعته فيما أنزل بطاعة رسوله فيما بين وفصل . « فَإِنْ تَوَلَّوْا » تخالفوا وتعرضوا عن أمره المبين ، « فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكٰفِرِينَ » فدل على أن مخالفته في الطريقة كفر صراح في الحقيقة ، والله تعالى لا

(١) الحسن بن أبي الحسن - يسار - البصري . كان من سادات التابعين وكبرائهم ، وجمع كل فن من علم وزهد وورع وعبادة ، كان حكياً فصيحاً . نشأ بوادي القرى . كان يقول الحق ولا يخاف في الله لومة لائم . كان صاحب مواظب ونصائح . ولد لستين بقية من خلافة عمر بالمدينة . توفي بالبصرة ، مستهل رجب سنة عشر ومائة . انظر وفيات الأعيان ج ٢ . ص / ٦٩ .

(٢) انظر تفسير الطبري ج ٦ ص / ٣٢٢ و ٣٢٤ . وتفسير ابن كثير ج ١ ص / ٣٥٨ .

(٣) انظر تفسير ابن كثير ج ١ ص / ٣٥٨ . أما قوله : وقال غيره من السلف ، ومنهم ابن جريج . انظر تفسير الطبري ج ٦ ص / ٣٢٣ .

يجب من اتصف بالكفر ورجسه وإن ادعى وزعم أنه يحب الله ويتوب إليه في نفسه، حتى يتابع خاتم الرسل، ورسوله إلى العالم جنة وإنسه، الذي لو كان (الأنبياء، بل المرسلون بل) أولو العزم المرسلون من إخوانه (أحياء) لما وسعهم إلا اتباعه، والدخول في طاعته واتباع شريعته^(١) في زمانه، واتضح بما قررناه أن كل من ادعى محبة الله الكريم، ولم يتبع شرع نبيه القويم، فهو على غير الصراط المستقيم، بل هو كاذب في دعواه، مؤثر على الحق متابعة هواه، قد تيمم الطريق المعوج، وسلك أقبح المنهج، ومع كونه توسط من الضلال سنناً، يرى سوء عمله حسناً، وأي محبة تجدي والمحب يعصي محبوبه، ولا يحصل قصده ومطلوبه، بل يخالف ويتعدى حدوده، ويجعل من دونه حبه وإلهه ومعبوده.

وقال بعض العارفين (٢):

تعصي الإله وأنت تزعم حبه وهذا العمري في القياس شنيع
لو كان حبك صادقاً لأطعته إن المحب لمن يحب مطيع

فهذه الدعوى التي زعمها الملحدون، وتسمى بها المبطلون، هي التي ادعاها قریش والمشركون. فكانوا بعبادة من عبده إلى الله يتقربون. وقد حكى الله تعالى عنهم أنهم قالوا: « مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ » (٣).

فأذاهم الله تعالى من بأسه هلاكاً وحتفاً، وأذهب غيظ قلب نبيه وأصحابه منهم وأشفى، واستبيحت دماؤهم وأموالهم، وساءت للكافرين منهم أحوالهم، وصار إلى الجحيم عاقبتهم ومآلهم. « فَلَوْلَا نَصْرُهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ قُرْبَانًا آلِهَةً بَلْ ضَلُّوا عَنْهُمْ وَذَلِكِ إِفْكَهُمَ وَمَا كَانُوا يَفْقَهُونَ » (٤).

(١) انظر تفسير ابن كثير ج ١ ص/ ٣٥٨. ما بين المعقوفتين. يوجد في التفسير وذكرته للتوضيح.
(٢) القائل هو الإمام الشافعي، انظر ديوان الشافعي ص/ ١٢٤. وانظر طريق الهجرتين وباب السعادت لابن القيم. ص/ ٥٢٨. وجامع العلوم والحكم لابن رجب ص/ ٣٦٦.

(٣) سورة الزمر من آية ٣.
(٤) سورة الأحقاف آية ٢٨.

بل ادعاها قبلهم النصارى واليهود، مع إصرارهم على قتل الأنبياء وتكذيب الرسل والجحود، فلعنهم الله وغضب عليهم، وجعل منهم الخنازير والقروذ^(١). « ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ »^(٢).

ولا ريب أن الكلام على المحبة يستدعي طولاً ، بل يستلزم أبواباً وفصولاً ، ولكن لا بد من نبذة يسيرة ، حتى تكون للإفادة مشيرة ، ولمريد الدين والتوحيد بصيرة .

فأقول مستعيناً بالله ، متوكلاً عليه ، رافعاً أكف الضراعة في التوسل إليه : (اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل ، فاطر السموات والأرض ، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون ، اهديني لما اختلف فيه من الحق بإذنك ، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم) ^(٣).

وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه ، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه ، ولا تجعله ملتبساً علينا فنضل ، واجلعلنا للمتقين إماماً .

اعلم أن المحبة نوعان : محبة الطبع ، ومحبة العقل ، فمحبة الطبع كمحبة أبي طالب للنبي (ﷺ) وليس الكلام فيها ، وإنما الكلام في المحبة العقلية ، وهي ما يقتضي العقل رجحانها ، ويستدعي اختيارها ، وإن خالفها هواه ، ألا ترى المريض يعاف الدواء ، وينفر عنه طبعه ، لكنه يميل إليه باختياره ، ويهوى تناوله بمقتضى عقله ، لما يعلم أن صلاحه فيه ، فهذه نتيجة دخول الإيثار في القلب ، بحيث يختلط باللحم والدم ، فتتكشف له محاسن الإسلام وزينه ، وقبح الكفر وشينه . فهذه هي التي شيد بها أصل الكفر وأصل الإسلام ، وافترق بسببها الأنام . قال تعالى : « وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّوهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ »^(٤).

(١) مقتبسة من قوله تعالى : « مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ » سورة المائدة من آية / ٦٠ .
(٢) سورة البقرة من آية ٦١ ، وسورة آل عمران من آية ١١٢ ، وسورة المائدة من آية ٧٨ .
(٣) رواه مسلم في صحيحه ج ١ ص / ٥٣٤ كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، حديث رقم ٧٧٠ / ٢٠٠ ، وكذلك رواه أحمد ، وأبو داود ، والنسائي ، وابن ماجه .
(٤) سورة البقرة من آية / ١٦٥ أندادا : أمثالا من الأصنام والآلهة يعبدونها .

فالكفر وسائر المعاصي إنما تنشأ من تقديم هوى النفس على محبة الله ورسوله . وقد وصف الله تعالى بذلك المشركين في مواضع من كتابه المبين^(١) فقال ، وهو أصدق القائلين : « فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَأَعْلَمْ أَنَّمَا يُتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ »^(٢) .

وقال : « وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ »^(٣) .

وقال تعالى^(٤) : « وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي ءَاتَيْنَاهُ ءَايَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الضَّالِّينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ »^(٥) . وقال تعالى : « وَأَسْتَقِمُّ كَمَا أُمِرْتُ وَلَا نَتَّبِعُ أَهْوَاءَهُمْ »^(٦) .

وقال تعالى : « إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ الْهُدَىٰ »^(٧) .

وقال سبحانه وتعالى : « أَمْ مَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيْنِهِ مِنْ رَبِّهِ كَمَنْ زَيْنَ لَهُ سُوءَ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ »^(٨) .

فأصل ما اجتال به الشيطان من أراد الله إضلاله من العباد ، وأول ما أوقعهم به في مهواة الكفر والإلحاد ، فنالوا بذلك الطرد والإبعاد ، محبتهم لأهتهم ، ومساواة الإله الحق بالأنداد ، وكذلك أهل البدع والأهواء^(٩) ، الذين عمت في كل قطر منهم البلوى . تجارى بهم الهوى كما يتجارى بصاحبه الكلب . فنسلوا إلى الضلالة من كل حذب ، ولم يبق لهم من دين بأدنى سبب . قدموا أهواءهم على الشرع وآثروه ، وأعلنوا بضلالهم وأظهروه ، ولم يقدموا محبة الله على السوى بل كرهوها فقدموا عليها الهوى « ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَلَهُمْ »^(١٠) .

(١) انظر جامع العلوم والحكم - لابن رجب . ص / ٣٣٦ . (٢) سورة القصص آية / ٥٠ .

(٣) سورة المؤمنون من آية / ٧١ . (٤) نسخة ب . ج . جل جلاله .

(٥) سورة الأعراف آية / ١٧٥ و ١٧٦ . (٦) سورة الشورى من آية / ١٥ .

(٧) سورة النجم من آية / ٢٣ . (٨) سورة محمد آية / ١٤ .

(٩) في نسخ المخطوطة الأهوى ، والصواب الأهواء . ولكن أتى بها المصنف على هذا النحو لمراعاة السجع .

(١٠) سورة محمد آية / ٩ .

« وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَءَامَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ » (١).

وأما محبة الله تعالى فهي مشكاة (٢) التوحيد ونبراسه، بل هي في الحقيقة أصله وأساسه، ولكن المحبة الصحيحة هي (٣) التي تقتضي المتابعة في حب ما يحب، وبغض ما يكره.

فمن أحب الله تعالى ورسوله محبة صادقة من قلبه، أوجب له ذلك أن يحب بقلبه ما يحبه الله ورسوله، ويكره ما يكرهه الله ورسوله، ويرضى بما يرضى الله ورسوله، ويسخط لما يسخط الله ورسوله، وأن يعمل بجوارحه الظاهرة والباطنة بمقتضى هذا الحب والبغض. فإن عمل بجوارحه شيئاً يخالف ذلك، بأن ارتكب بعض ما يكرهه الله ورسوله، أو ترك بعض ما يحبه الله ورسوله، مع وجوب القدرة عليه، دل على نقص محبته الواجبة (٤)، لأن الواجب على كل مؤمن أن يحب ما أحبه الله محبة توجب له الإتيان بما وجب عليه منه، وأن يكره ما كرهه الله كراهة توجب له الكف عما حرم عليه منه (٥).

ويدل على ذلك قوله تعالى : « فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِي مَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا » (٦).
وقال تعالى : « وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَىٰ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ » (٧).

-
- (١) سورة محمد آية / ٢.
(٢) المشكاة : الكوة غير النافذة، والنبراس : المصباح. أي محبة الله في قلب المؤمن نور يضيء له الطريق، ويهديه إلى الصراط المستقيم. فهذه المحبة كالكوة التي يخرج منها نور المصباح.
(٣) سقطت من نسخة د.
(٤) انظر جامع العلوم والحكم - لابن رجب - ص / ٣٦٦.
(٥) المصدر السابق . ص / ٣٦٥.
(٦) سورة النساء آية / ٦٥.
(٧) سورة الأحزاب من آية / ٣٦.

وقال تعالى : « قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِّنْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ » (١).

فمن ملأت هذه المحبة زوايا قلبه، صار قلبه مشكاة، مصباحها معرفة الله تعالى، المشرقة أنوارها، البديعة أسرارها، فلا تبقى حينئذٍ فيه سوى عظمة الله تعالى وخوفه ومهابته وإجلاله والأنس به والشوق إليه، وتصير هذه الأحوال في قلبه، بسبب المعرفة، مشاهدة له بعين البصيرة، فلا تستطيع الجوارح الظاهرة أن تنبعث إلى شيء من الأشياء أو عمل من الأعمال إلا بموافقة مارسى (٢) ورسخ في القلب.

ولهذا السر البديع أشار (ﷺ) بقوله في خطبته بعد قدومه المدينة : (أحبوا الله من كل قلوبكم) (٣).

لأنه متى امتلأ القلب بالمحبة امتلأ بعظمة الله تعالى، فيمحي اذ ذاك كل ماسواه، ولا يبقى للعبد شيء من نفسه وهواه، ولا إرادة إلا ما يريد منه مولاه، فلا يتحرك إلا بأمره، ولا ينطق إلا بتوحيده وذكره، ولا يلهج إلا بحمده وشكره، رغبة به عن سواه، ومحبة لرسوله وما جاء به من عند الله، فيحب الله، ويبغض الله، ويعادي فيه ويوالي له (ويتبرأ من جميع عاداته) (٤) ويعطي له، ويمنع، ويذل ويخضع، ويسارع بامتثال أوامره من الطاعات وأداء العبادات، وصرف جميع أنواعها له، فلا يدعو غيره، ولا يتقرب بندور ولا نسك لسواه، ولا يخاف ولا يرجو إلا إياه، ولا يرغب إلا فيه، ولا يهرب ولا يخشى إلا منه، ولا يستغيث [ولا يستعين ولا يستعيد] (٥) إلا به، ولا

(١) سورة التوبة من آية / ٢٤.

(٢) رسى : ثبت.

(٣) انظر تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد . ص / ٤٦٦.

(٤) ما بين المعقوفتين سقطت من جـ .

(٥) ما بين المعقوفتين زائد في نسخة أ.

يتوكل إلا عليه، ولا ينب إلا إليه، ومن كان هذا حاله، صدق على الحقيقة مقاله :
رضيت بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمدٍ رسولاً، وتحقق حينئذٍ بطعم الإيمان، لأنه لم
يتخذ ولياً من دون الله، ولا يتبع غيره حكماً، ولم يتبع غيره رباً، فالرضى بربوبية الله،
التي هي عين التوحيد، تستلزم الرضى بعبادته وحده، والكفر بالأنداد^(١)، وتستلزم
الرضى بتدبيره للعبد واختياره له، والرضى بالإسلام ديناً يقتضي اختياره على سائر
الأديان، والرضى بمحمدٍ رسولاً يقتضي الرضى بجميع ما جاء به من عند الله، وقبول
ذلك بالتسليم وانسراح الصدر به، كما قال : « ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِيْ أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا
مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا »^(٢).

ودخل في زمرة « الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ
مُهْتَدُونَ »^(٣).

لأن هذا قام بحق الله الذي خلقه لأجله، وهو العبادة^(٤) بأنواعها، فصار جزاؤه
الأمْن من عذاب النار، كما صرح بذلك معاذ في حديثه^(٥). بل ما أجدر هذا أن يكون
ممن حقق التوحيد لرب الأرباب، فيصير مع السبعين ألفاً يدخلون الجنة بغير
حساب^(٦).

(١) الأنداد : النظائر والأشباه والمائل . تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .

(٢) سورة النساء من آية / ٦٥ .

(٣) سورة الأنعام آية / ٨٢ .

(٤) في ب - ج ، توحده بالعبادة .

(٥) عن معاذ بن جبل قال : كنت رديف رسول الله (ﷺ) على حمار يقال له عفير . قال : فقال : (يامعاذ، تدري
ماحق الله على العباد وماحق العباد على الله؟) قلت : الله ورسوله أعلم . قال : فإن حق الله على العباد أن يعبدوا الله
ولا يشركوا به شيئاً ، وحق العباد على الله عز وجل أن لا يعذب من لا يشرك به شيئاً) قال : قلت يا رسول الله :
أفلا أبشر الناس؟ قال : (لا تبشروهم فيتكلوا) ... انظر صحيح مسلم ج ١ ص / ٥٨ / ٥٩ حديث رقم ٣٠ / ٤٩ .

(٦) حديث عكاشة، وفيه (هم الذين لا يسترقون ولا يكتمون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون) فقام عكاشة بن
خصين فقال : ادع الله أن يجعلني منهم . قال : (أنت منهم) ثم قام رجل آخر فقال : ادع الله أن يجعلني منهم .
فقال : (سبقك بها عكاشة) .

معنى لا إله إلا الله

فهذا الذي ذكرنا هو تحقيق معنى (لا إله إلا الله) وتصديق « إِيَّاكَ تَعْبُدُ وَإِيَّاكَ سَتَعْبُدُ » (١).

لأن معناها أنه لا ياله غيره حياً ورجاءً وخوفاً ورغبة ورهبة وطاعة وخضوعاً وغير ذلك، ولا يعبد بأنواع العبادة إلا هو، ولا يستعيذ ولا يستعين إلا به، وكل ما ذكرته لا يختلف من أهل التوحيد فيه اثنان، إذ كل ذلك قد قام عليه البرهان، ودلت عليه إجمالاً وتفصيلاً الأحاديث وآيات القرآن، قال الله تعالى « وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ » (٢).

وفي حديث النعمان بن بشير (الدعاء هو العبادة) (٣) وفي حديث أنس عن النبي (ﷺ) (الدعاء مخ العبادة) (٤).

ومعلوم أن السؤال هو حقيقة العبادة، لأن فيه إظهار الذل والمسكنة والحاجة والافتقار، والاعتراف بقدرة المسؤل على دفع هذا الضرر، ونيل المطلوب وجلب المنافع ودفع المضار، وكل هذا لا يصلح إلا لله وحده (٥) ولولا اعتقاد المشركين فيمن يدعوه من دون الله ما ذكرنا من قدرته على دفع الضرر، وإيصال المطلوب إليه لما دعاه، واتخذة إلهاً من دون الله.

ولهذا كفار قريش وغيرهم إذا تعاضم عليهم الخطب (٦)، وتفاقم (٧) الكرب،

(١) سورة الفاتحة آية / ٥.

(٢) سورة غافر من آية / ٦٠.

(٣) رواه أحمد في مسنده ج ٤ ص / ٢٦٧ و ٢٧١ و ٢٧٦. كما رواه ابن ماجه في سننه ج ٢ ص / ١٢٥٨ كتاب الدعاء باب ١. كما رواه الترمذي في الجامع الصحيح ج ٥ ص / ٤٥٦ كتاب فضل الدعاء باب ١. كما ذكره البخاري في الأدب المفرد ص / ٢٤٩ حديث رقم ٧١٤.

(٤) رواه الترمذي في الجامع الصحيح ج ٥ ص / ٤٥٦ كتاب فضل الدعاء باب ١. وقال أبو عيسى: هذا حديث غريب من هذا الوجه، لا نعرفه إلا من حديث ابن لهيعة.

(٥) انظر جامع العلوم والحكم - لابن رجب - ص ١٨٢.

(٦) الخطب: الشأن والأمر صغر أو عظم.

(٧) تفاقم: عظم.

استحقروا الآلهة ورجبوا عنها، فيطلبون رفع ذلك من الله، ولا يطلبونه منها، كما حكى الله تعالى ذلك عنهم فقال: « قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَنْتُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَنْتُمْ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٠﴾ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ » (١).

وقال (تعالى) (٢): « وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ » (٣) الآية . . والآيات كثيرة.

ومع هذا الإخلاص لله تعالى منهم في الشدة، أرسل (الله) (٤) إليهم محمداً نبيه وعبده، مبيناً لهم أن هذا الاعتقاد، هو الكفر بالله والشرك والإلحاد الذي لا يرضاه لأحد ولا من أحد من العباد، ودعاهم إلى توحيد الألوهية الذي هو توحيد العبادة، فأبوا إلا الإصرار على ما رأى كل منهم عليه آباءه وأجداده « إِنَّهُمْ أَلْفَوْا آبَاءَهُمْ حُرُصَالِينَ ﴿٦٦﴾ فَهُمْ عَلَىٰ آثَرِهِمْ يُهْرَعُونَ » (٥)؛ « وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ، وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ » (٦). فأمر نبيه بالقتال، وأباح له الدماء والأموال، ولم يعصمهم الإقرار بالربوبية لله، ولا الإخلاص له في اشتداد الحال، فأتى الله ما أَرَادَهُ من النور، وحقق لنبيه النصر والظهور، وأزال عن الحنيفية كل محذور. « وَعَدَّ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ، وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ » (٧).

فإذا كان هذا حال من يخلص في الشدة (الدعاء) (٨) لله وحده، فما بالك بمن يخلص للسند في الشدة، وأعجب منه من أغواه (٩) الشيطان وكان له قريناً، فظن هذا الشرك ديناً، وكان مدة عمره به رهيناً. « كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ » (١٠).

- (١) سورة الأنعام آية / ٤٠ - ٤١ .
 (٢) سورة الإسراء من آية / ٦٧ .
 (٣) سورة الصافات آية / ٦٩ و٧٠ يهرون : يزعمون ويحثون على الإسراع الشديد على آثارهم .
 (٤) سورة التوبة من آية / ٣٢ .
 (٥) سورة الروم آية / ٦ .
 (٦) في ب . ج . الدعوة .
 (٧) أغواه : أضل . يقال أغواه الله : أضله . لسان العرب ج ١٥ ص / ١٤٠ .
 (٨) سورة الروم آية / ٥٩ .

وما ظنك بحال من كفر الدعاة الى التوحيد، وتبين في معاداة أهله وموالاته أعدائه من شيطان مارد^(١)، ولم يخش ما بين يديه من العذاب الشديد « وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ »^(٢). هذا (وما قررته)^(٣) في كون (أن)^(٤) الدعاء حقيقة العبادة من قولي، لأن فيه إظهار الذل ... الخ.

ينبغي أن يتدبر فإنه أصل، ترجع سائر أنواع^(٥) العبادة إليه، وميزان حقائقها توزن عليه، فإن المتقرب بالنسك والندر وكذلك الرجاء والخوف والرغبة والرهبة والتوكل والإنابة - لو يعلم عجز المتقرب إليه [وعدم دفعه الضر و جلبه النفع وقدرته عليه]^(٦) لما تضرع وتمسكن وأبدى الخضوع بين يديه، ولم يشرع الله جل جلاله، التقرب بشيء من حقه^(٧) (إلى ملائكته أو رسله أو الصديقين والصالحين من خلقه)^(٨).

قال تعالى : « أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنَ بِهِ اللَّهُ »^(٩).

وقال سبحانه وتعالى : « قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ أَتُنُوبِي بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَرَةٍ مِنْ عِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ »^(١٠).

ولا يتقرب إلى الله إلا بما شرعه على لسان من لا ينطق عن الهوى « فَمَنْ أَبْتَعَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأَوْلِيكَ هُمُ الْعَادُونَ »^(١١).

قال تعالى : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ »^(١٢)

(٢) سورة التوبة آية / ١١٥ .

(١) في نسخة ب . ج . د . مرید .

(٤) زائدة في نسخة ج . د .

(٣) سقطت من نسخة ، ب . ج . ما قررته .

(٦) ما بين المعقوفين سقطت من أ ، د .

(٥) سقطت من ج .

(٨) ما بين المعقوفين سقطت من ب . ج .

(٧) في نسخة د، خلقه .

(١٠) سورة الأحقاف آية / ٤ .

(٩) سورة الشورى من آية / ٢١ .

(١١) سورة المؤمنون آية / ٧ .

(١٢) سورة المائدة آية / ٣٥ « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ » .

« أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ؟ » (١).

ولم يشرع لهذه الأمة التي هي خير أمة أخرجت للناس ، ونبيها (ﷺ) أفضل الخلق من غير التباس إلا ما شرعه لأولي العزم من المرسلين ، وهو إفراده بالعبادة وإخلاصها له وإقامة الدين . قال تعالى : « شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا » (٢).

وقال : « وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ » (٣).

وقد قص الله علينا فيما أنزل إلينا ماجرى من نوح وقيامه بالدعوة ، وإبراهيم وتبرئه من أبيه وقومه وما كانوا يعبدون ، وما جرى من خاتمهم (عليه الصلاة والسلام) حيث قال : « أَيُّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّكَ مَعَ اللَّهِ ، إِلَهَةٌ أُخْرَى قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ اللَّهُ وَحْدٌ وَإِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ » (٤).

وهؤلاء صفوة الرسل الذين أمر الله تعالى نبيه محمداً (ﷺ) أن يقتدي بهداهم ، فيما أمرهم الله (تعالى) (٥) به ونهاهم ، مع أنهم من صفائر الذنوب مبرؤون ، أخبرنا سبحانه أنهم : « وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحِطَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ » (٦).

ولهذا كانت مخافتهم من الوقوع في الشرك وسؤالهم الله (تعالى) (٧) أن يباعدهم منه ، واستعاذتهم به تعالى من الوقوع فيه من غير علم ، أكثر وأعظم وأشد من غيرهم ، مع أنهم مرسلون بإزالته ، ومع وجوب عصمتهم من الذنوب فضلاً عنه ، وما ذلك إلا لكونهم أعلم بالله وأخوف وأتقى من غيرهم .

وشرع لنا - جل جلاله - بعد الإيذان به ، الإيذان بملائكته وكتبه ورسله . والإيذان بهم لا يصح إلا بتصديقهم فيما جاؤوا به ، وجميع ما أخبروا به من حق الله ، الذي هو

(١) قال سبحانه وتعالى : « أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ » . سورة الإسراء من آية / ٥٧ .

(٢) سورة الشورى من آية / ١٣ .

(٣) سورة الأنعام من آية / ١٩ .

(٤) سورة الأنعام من آية / ٨٨ .

(٥) سورة الأنبياء آية / ٢٥ .

(٦) زائدة في ج .

(٧) زادت في نسخة ، ب .

توحيده، وحقهم وهو المتابعة والمحبة التي هي أصل طاعة الله ورسوله الذي أخبرنا (ﷺ) (أنه لا يؤمن أحدنا حتى يكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين).

كما رواه البخاري ومسلم^(١). وأخبر (أنه لا يؤمن أحدنا حتى يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما) كما في الصحيحين^(٢).

وأخبر^(٣) (ﷺ) (أنه لا يؤمن أحدنا حتى يكون هواه تبعاً لما جاء به)^(٤).

وحق أتباعهم الذين حازوا السعادة باتباعهم، وهو الدعاء لهم والترحم عليهم والاستغفار. قال تعالى في سياق المدح: « وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ »^(٥).

وقال:- « مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ »^(٦).

والأحاديث كثيرة في هذا المعنى، فهذا ماشرعه (الله) ونبيه لنا.

وهذه المحبة هي المحبة الواجبة المشروعة المحمودة، وضدها المحبة المذمومة^(٧)، الممنوعة المردودة، وهي التي جرى كلب الغلو في قلوب أهلها وعظامهم، وتجارى،

(١) رواه البخاري في صحيحه ج ١ ص / ٩ كتاب الإيمان باب ٨، كما رواه مسلم في صحيحه ج ١ ص / ٦٧ كتاب الإيمان حديث رقم ٤٤ / ٧ (كلاهما عن أنس) بلفظ (فوالله الذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين) واللفظ للبخاري.

(٢) رواه البخاري في صحيحه ج ١ ص / ٩ - ١٠ كتاب الإيمان باب ٩. كما رواه مسلم في صحيحه ج ١ ص / ٦٦ كتاب الإيمان حديث رقم ٤٣ / ٦٧ (كلاهما عن أنس) (بلفظ): ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان، من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه، كما يكره أن يقذف في النار) واللفظ لمسلم.

(٣) في نسخة ج، أخبرنا.

(٤) انظر السنة لابن أبي عاصم ج ١ ص / ١٢ (عن عبدالله بن عمر) بلفظ (لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به) وفي تعليقه (إسناده ضعيف، رجاله ثقات غير نعيم بن حماد ضعيف لكثرة خطئه، وقد اتهمه بعضهم..) كما قال ابن رجب في جامع العلوم والحكم ص / ٣٦٤ (تصحیح هذا الحديث بعيد جداً من وجوه: منها أنه حديث انفرد به نعيم بن حماد المروزي، كان قد وثقه جماعة من الأئمة فلما عثروا على مناكيره حكموا عليه بالضعف).

(٦) سورة الفتح من آية / ٢٩.

(٥) سورة الخشر آية / ١٠.

(٧) في نسخة أ، المذمومة.

حتى صاروا بها فجاراً وكفاراً، ولم^(١) يبأوا بالإذية فيها، ورأوا التعذيب فيها عذباً، ولم يرجعوا^(٢) عنها حتى^(٣) أدخلوا ناراً، فهؤلاء زادوا على محبة (اليهود عزيزاً والمسيح النصارى)^(٤).

وهكذا شأن^(٥) من يعتقد الألوهية في الأشخاص ويسميها أسراراً، ويصرف لهم أنواع العبادة، بل هم في قلبه أعظم رجاءً وخوفاً واعتماداً ودعاءً وتعظيماً ووقاراً (من أمدهم بالأموال والبنين، وجعل لهم جنات وجعل لهم أنهاراً، وأرسل بقدرته السماء عليهم مدراراً)^(٦) « وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ »^(٧).

ومن تدبر الآيات المحكمات ورضي بها حكماً، وكشف مولاه عن عين بصيرته ظلمة العمى، تحقق أن الألوهية صفة تدور معها العبادة وجوداً وعدماً، وعلم يقيناً أن من صرف لنبي أو ولي نوعاً من العبادة فقد جعله ندأً لإله الأرض والسماء « وَسَأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِلَهًا يُعْبَدُونَ »^(٨).

« وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنِ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ »^(٩).

وبان له أن اعتقاد النفع والضرر هو معنى السر الذي يدعى في الأنام، وعبرت عن ذلك قريش بالألوهية في دعواها ذلك للأصنام.

ولا تنقلب الحقائق بالأوضاع، (فإن كل وقت له وضاع)^(١٠)، وهل يحل (الخمر)^(١١) إذا سمي نبيذاً أو عتيق المدام؟ [أو السحر إذا سمي تعويداً، فكيف

(١) في نسخة أ، فلم .

(٢) سقطت من نسخة ، ب .

(٣) في نسخة أ. ج. د. ، حين

(٤) سقطت من نسخة ، ب .

(٥) في نسخة د، إشارة .

(٦) ما بين المعقوفتين اقتباس من قوله تعالى : « يُرْسِلُ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَيَبِينْ وَيَجْعَلْ لَكُمْ

جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا » سورة نوح - آية ١١ و١٢ .

(٧) سورة النحل آية / ٧٣ .

(٨) سورة الزخرف آية / ٤٥ .

(٩) سورة الأحقاف آية / ٥ .

(١٠) زائدة في نسخة ج .

يحل من ساخ في الأوساخ عبادة الخلق بتسميتهم الأشياخ ذلك «إِنَّهُمْ أَخَذُوا الشَّيَاطِينَ
أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ» (١) [(٢)] .

«وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لِيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَدِّدُوا لَكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ» (٣) .
« وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرَّهُمْ وَمَا يُفْتَرُونَ » (٤) .

التحذير من اتباع أهل الكتاب

وحديث أبي واقد الليثي - رضي الله عنه (٥) - يوضح للمهتدي المراد ، ويكشف
(سر) (٦) هذا الاعتقاد ، ولا بأس بإيراده . خرج الترمذي وصححه عن أبي واقد
الليثي قال : خرجنا مع رسول الله (ﷺ) إلى حنين ، ونحن حدثاء عهد بكفر ،
وللمشركين سدرة يعكفون عندها ، وينوطون (٧) عليها ثيابهم وأسلحتهم ، يقال لها
(ذات) أنواط ، فمررنا بسدرة فقلنا : يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات
أنواط ، فقال لهم رسول الله (ﷺ) : (الله أكبر ، إنها السنن قلتم والذي نفسي بيده كما
قالت بنو إسرائيل اجعل لنا إلهًا كما لهم آلهة . قال : إنكم قوم تجهلون ، لتركبن سنن من
كان قبلكم) (٨) .

(١) سورة الأعراف من آية / ٣٠ .

(٢) سورة الأنعام من آية / ١٢١ .

(٣) سورة الأنعام من آية / ١١٢ .

(٤) مختلف في اسمه ، قيل : الحارث بن مالك ، وقيل : ابن عوف ، وقيل : عوف بن مالك بن الحارث بن أسيد بن

جابر بن عبدمناف ، كان حليف بني أسد ، اختلف في إسلامه ، قيل : أسلم قديماً ، وقيل : أسلم قبل الفتح ،

قيل : إنه شهد بدرًا ولم يثبت ، خرج إلى مكة فمات بها وكانت وفاته سنة ثمان وستين ، وقيل : مات سنة خمس

وثمانين ، ونقل عن البخاري أنه مات في خلافة معاوية . انظر الإصابة ج ٤ . ص / ٢١٥ .

(٥) ما بين المعقوفتين سقطت من أ .

(٦) ناط الشيء ينوطه : علقه ، والنوط : معلق . لسان العرب ج ٧ ص / ٤١٨ في النهاية في غريب الحديث والأثر

- وفيه (اجعل لنا ذات أنواط) هي اسم شجرة بعينها ، كانت شجرة للمشركين ينوطون بها سلاحهم ، أي

يعلقونه بها ويعكفون حولها . فسألوه أن يجعل لهم مثلها ، فنهاهم عن ذلك . النهاية في غريب الحديث ج ٥

ص / ١٢٨ .

(٨) رواه الترمذي في جامعه ج ٤ ص / ٤٧٥ كتاب الفتن باب ١٨ . وقال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح .

كما رواه أحمد في مسنده ج ٥ ص / ٢١٨ .

وقوله : (إلى حين) هو واد بين مكة والطائف حارب فيه النبي (ﷺ) هوازن وثقيفاً، وكان المسلمون فيه اثني عشر ألفاً، وهوازن وثقيف أربعة آلاف .

قوله : (ونحن حدثاء عهد بكفر) هذا فيه تمهيد عذر عما عسى أن يقال كيف يليق صدور هذا من أصحاب النبي (ﷺ) وهم يعلمون أنه (ﷺ) أول ما أتاهم بلا إله إلا الله التي معناها ومقتضاها أن تكون الألوهية، وكذا ما تستحقه الألوهية اعتقاداً وقولاً وعملاً لله تعالى، وإبطال الآلهة التي كانوا يعتقدون فيها البركة، ودفع الضر، وجلب النفع، وإنه إنما استباح دماءهم وأموالهم لأجل ذلك . فذكر أن المنتقل إلى الإسلام بعد الشرك، إذا كان قريب عهد بالجاهلية، لا يأمن من أن يكون في قلبه بقية، بخلاف قديم الإسلام، لا تكاد تخفى عليه الأحكام .

وقوله : (الله أكبر) أتى (ﷺ) بهذا اللفظ المنبئ بالتفخيم، المشعر بالتعظيم، الدال على التهويل والاستعظام، لما أتوا به من الكلام، مبالغة منه - عليه الصلاة والسلام - عليهم في الجواب والرد، وإغلاظاً في إبطال ما جنحوا له^(١) من القصد، لتعي إرادة قلوبهم عظمة أمر مطلوبهم، مع أنهم ليس لهم قصد ولا طلبه، سوى الوسيلة إلى الله والقربة، لكنهم لم يفتنوا حين صدور هذا المقال، لما يؤول له الحال، وأن اعتقاد مثل هذا في ملك أو بشر أو حجر أو شجر هو الشرك الأكبر الذي لا يغفر .

وقوله : (إنها السنن) أي الطرق والسبل، عبر بضمير الشأن، والقصة تفخيماً وتهويلاً، وردعاً في الرد وتنكيلاً، وقد بلغت هذه الجملة الغاية، وتضمنت هذه النهاية من النهي والتغليظ في الزجر عن سؤال مثل هذا الأمر .

وفي قوله : (إنها السنن) إشعار بأن النفس إليها تميل، لا تكاد تجنح لغير ذلك السبيل، وأن السالم منها في الناس قليل، إذ البواعث لها قوية والدواعي إليها^(٢)

(١) في نسخة ج، إليه

(٢) في نسخة د. بها .

شهوة ، والمبرأ منها نزر^(١) في البرية .

وقوله : (قلتم والذي نفسي بيده) أثبت (ﷺ) ما أثبتته الله تعالى لذاته العلية ، التي هي من التعطيل برية ، وعن شبه المحدثات عرية ، بل هي منزهة سنية ، قال الله تعالى : « بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ »^(٢) .

وقال تعالى : « يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ »^(٣) .

وقال جل جلاله : « وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ »^(٤) .

وهذه وأمثالها من الصفات الواجبة الثابتة بالدليل ، تؤمن بها كما آمن بها السلف الصالح من غير تشبيه ولا تعطيل ، ومن لجأ إلى غير ذلك فقد ضل سواء السبيل .

أقسم (ﷺ) لهم في الجواب ، مع أنه الصادق المصدوق والناطق بالحق والصواب ، والمبرأ خبره عن وصمة^(٥) الخطأ والارتباب « وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۗ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۗ ۞ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ »^(٦) .

ليتمكن في قلوبهم مقتضى الخطاب والفحوى ، فيأتوا من الإصغاء إليه والإقبال عليه بالغاية القصوى .

وقوله : « كما قالت بنو إسرائيل » المراد بهم أهل الكتاب^(٧) ، وإسرائيل هو لقب يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم - عليهم السلام - لقب بالعبرانية بإسرائيل ، ومعناه صفوة الله ، وقيل معناه عبدالله ، وقد ذكرهم الله تعالى ونوه بفضلهم على أهل زمانهم ومآلاتهم من الكتاب والحكم والنبوة ، ومارزقهم من الطيبات ، وما جرى منهم وعليهم في مواضع كثيرة من كتابه ، وقد بين (ﷺ) أن ماصدر من بعض الصحابة من ذلك المقييل ، مشابه لما قالته لموسى بنو إسرائيل ، وقاعدة التشبيه غالباً اقتضاء المماثلة

(٢) سورة المائدة من آية / ٦٤ .

(٤) سورة الزمر من آية / ٦٧ .

(٦) سورة النجم آية / ٣ - ٥

(١) نزر : قليل .

(٣) سورة الفتح من آية / ١٠ .

(٥) الوصم : الغيب .

(٧) في نسخة ب - جد الكتاين .

والمساواة. وفي ذكر بني إسرائيل تسليية للنبي (ﷺ) عما شاهده من قومه ورآه. وذلك أن بني إسرائيل لما أهلك الله تعالى عدوهم وأنجاهم، وفضلهم على غيرهم واجتباهم، ومنحهم أصناف نعمه وأولاهم، وأراد اختبار حالهم مع أنه لا يخفى عليه شيء فابتلاهم. وذلك أنه لما جاوزوا البحر مخوفين^(١) بالسلامة والنصر، متحوفين^(٢) بالعز والفخر، مروا على قوم لهم أصنام (صورتهم)^(٣) تشابه صور^(٤) البقر، وهم يغدون عليها للتبرك بالأصال والبكر، وعلى عبادتها يقيمون ويعكفون^(٥)، وهذا أول شأن عبادة العجل الذي كانوا له يعبدون، وكان القوم من العمالقة الذين أمر الله نبيه موسى بقتالهم، لكفرهم وضلالهم، « قَالُوايَمُوسَى أَجْعَلْ لَنَا آلِهَةً »^(٦) صنماً تشابه صورته صورة البقرة، نعبده، ونتقرب إلى الله بذلك. « كَمَا لَهُمَّ إِلَهَةٌ »^(٧) كل منهم مقيم على عبادتها وناسك، فأجابهم - عليه الصلاة والسلام - بالجواب المسدد الموفق، والحكم الفصل المحقق، مفتتحاً له ببيان وصفهم وماهم عليه من الجهل المطلق « قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ »^(٨) (إذ)^(٩) سؤلكم هذا بعدما رأيتم الآيات، لايناسب ولا يجوز لو كنتم تعلمون، ثم أفصح لهم في الجواب عن السؤال بإيضاح عاقبة أولئك القوم ومايصيرون إليه من الحال، وأنهم لو كان قصدهم التقرب إلى الله تعالى فهو عين الكفر والضلال، وأن الله تعالى هادم ما لهم من الدين، ومحطم^(١٠) أصنامهم التي لا يزالون عليها عاكفين، فتقربهم بذلك إلى الله باطل، ضلالهم وشرهم زايل، وحالهم إلى سوء العاقبة آيل^(١١) « قَالَ أَغَيَّرَ اللَّهُ أَبْعِيَكُمْ إِلَيْهَا »^(١٢) أي أطلب لكم غيره معبوداً « وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى

(١) حف القوم بالشيء، وحواليه، يحفون حفاً وحفوه حفوه: أحذقوا به وأطاقوا به وعكفوا واستداروا. انظر لسان العرب ج ٩. ص / ٤٩.

(٢) التحفة: بالضم، البر والल्प والطفرة. ترتيب قاموس المحيط ج ١ ص / ٣٦١.

(٣) زائد في نسخة ج.

(٤) في نسخة ج. صورة.

(٥) عكف على الشيء: أقبل عليه مواظباً لا يصرف عنه وجهه، وقيل: أقام عليه، لسان العرب ج ٩. ص / ٢٢٥.

(٦) سورة الأعراف من آية / ١٣٨.

(٧) سورة الأعراف من آية / ١٣٨.

(٨) سورة الأعراف من آية / ١٣٨.

(٩) في نسخة د، إلى.

(١٠) في نسخة ج، ومحطم.

(١١) سورة الأعراف آية / ١٤٠.

الْعَلَمَيْنِ»^(١) أي من كان منهم^(٢) موجوداً، وفيه غاية التنبيه على سوء هذه المقالة، حيث قابلوا ما هم فيه من النعيم والتفضيل وحسن الحالة، بالكفر والشرك والضلالة.

وقوله: (لتركن سنن من كان قبلكم) يحتمل أن يكون بفتح السين، أي طريق من كان قبلكم من الأولين، ويحتمل أن يكون بضمها، فيكون المراد بها الطرائق، أي لتأخذن أو لتأتين ما أتاه من قبلكم من الخلائق، وقد أخبر (ﷺ) بهذا المقال، فوقع كما أخبر وطابق المقال وقائع الحال. ولو نرخي^(٣) لطرف الفهم في الميدان الرسن^(٤)، فيجول في تتبع ما أتاه أهل الشرك والضلال من السنن، وما غيره من الشرع القويم، والصراط المستقيم، الذي هو أقوم سنن، لاستوعب من الأسفار سفراً ضخماً، مع أنني لا أحيط بجميعه علماً، ولوجدنا ما فعله أهل البدع والشرك والجحود، يزيد بالضعف على ما فعله النصراني واليهود، ويستفاد من قوله: (لتركن سنن من كان قبلكم) أن سنن أهل الكتاب التي ابتدعوها، والبدع التي اخترعوها، كلها خارجة عن الشرع المقرر والدين القيم المطهر، وكذلك جميع سنن المبتدعين ومناهج أهل الأهواء والمشركين، ويستفاد منه أيضاً النهي عن التشبيه بأهل الجاهلية وأنه ينبغي للمؤمن الموحد أن يجعل الخوف من الشرك نصب عينيه، وكذلك ينبغي له التفتن أنه إذا خفي على الصحابة مع جلالة قدرهم وعلمهم، وكذلك بنو إسرائيل، فينبغي التحرز عن أمثاله.

هذا وقد صرح في هذا الحديث الصحيح، بأن مراد السائل على سبيل التلويح والتبرك والاعتقاد، كما هو طريقة من قبلهم من الآباء والأجداد، ولم يصرحوا ذلك في الطلبة، ولم يكن لهم سواه من رغبة، إذ لم يفصحوا بطلب^(٥) الآلهة كما أفصح ذلك بنو إسرائيل، وقد ساوى النبي (ﷺ) بين الطلبتين، وجعلها من واحد القبيل، ولم يراع صورة لفظ القبيل.

(١) سورة الأعراف من آية / ١٤٠ .
(٢) في نسخة جـ ، منكم .
(٣) أرخى الستر : أرسله .
(٤) الرسن : الجبل وما كان من زمام على أنف .
(٥) في نسخة جـ . بذكر .

فقد ثبت بما قررناه وتحقق بها سطرناه، أن معنى السر المراد، وحقيقته التي تقصد وتراد، هو اعتقاد القدرة على جلب النفع، ودفع الضر عن الأنفس والأموال والأولاد، وهذه بعينها صفة الألوهية، التي اختصت بها الذات العلية، دون سائر البرية، (الذي جعل الأرض مهاداً وأرسى الجبال فيها أوتاداً، وذراً فيها جميع العباد، انتظم بقدرته وحكمته أمر العباد والمعاش) (١) ولكن لا يبصر الحق من (٢) على أبصار بصيرته غواش، فالشمس تعمي أعين الخفاش، والنار يتهافت فيها الفراش. « وَنُقِلَبُ أَفْعِدْتَهُمْ وَأَبْصَرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوْلَ مَرَّةٍ وَنَذَرَهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ » (٣).

فإذا كان هذا تغليظ النبي (ﷺ) وتشديده، وزجره البليغ وتهديده، ووعدته بارتكاب السنن ووعيده، مع قرب (عهد) (٤) السائلين بالأصنام، وحدوث الدخول في الإسلام، جهل من سأل بما سأل، وكونه للمعنى المقصود ما عقل، فلم (٥) يقترن ما طلبوه بالعمل، إذ لو عملوا بما طلبوه، وفعلوا المحذور وارتكبوه، لخرجوا والله من الدين، وحكم عليهم بحكم المرتدين، بإجماع أئمة المسلمين، فما بالك بمن يعتقد هذا الشرك ديناً، ويتقرب به إلى الله يقيناً. « قُلْ أَتَسْتَبْتُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ » (٦).

لقد ضل في مفازة الهلاك وقره (٧)، وتوسط (٨) في غي (٩) الجحيم، لوقوعه في إبلاسه وكفره « وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ مَّا كَانُوا يَكْفُرُونَ » (١٠).

(١) ما في بين المعقوفين اقتباس من قوله تعالى: « أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا . الخ » سورة النبأ آية ٦-١١.

(٢) سقط من نسخة جـ.

(٣) سورة الأنعام آية / ١١٠.

(٤) زائدة في نسخة ب.

(٥) في نسخة ب . جـ ولم .

(٦) سورة يونس من آية / ١٨.

(٧) القفر : الخلاء من الأرض . انظر ترتيب قاموس المحيط جـ ٣ ص / ٦٦٤ .

(٨) سقطت من نسخة ب . جـ.

(٩) الغي : قعر البشر .

(١٠) سورة يونس من آية / ٤ .

ومن تدبر ما حصلناه، وتأمل مكنون ما فصلناه، ووعى الأصل الذي أصلناه، وهو أن الألوهية تدور مع العبادة، تبين أن أكثر الناس في واد الشرك يهيمون .

« وَإِنْ تُطَعْ أَكْثَرُ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ » (١) .

وتحقق أن جميع أنواع العبادة محض حق الله وحده، فمن صرف لملك أو رسول أو صالح أو جني أو حجر أو شجر شيئاً منها فقد أشرك بربه وكفر. « أَيْشِرْكَوْنَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلِقُونَ » (٢) .

أنواع العبادة

وقد ذكر الله تعالى أنواع العبادة مفصلة ومجملة في كتابه، وأفصح بأن جميعها حق له، كما صرح بذلك علي خطابه، ومن طبع على قلبه فلا يزال في ارتيابه. « وَمَا تُعْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ » (٣) .

قال الله جل جلاله : « قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَأَشْرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُكْرِمُ » (٤) .

وقال تعالى : « فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ » (٥) .

وقال علي - رضي الله عنه - عن النبي (ﷺ) : (لعن الله من ذبح لغير الله ...)
الحديث بطوله في مسلم (٦) .

(١) سورة الأنعام آية / ١١٦ .

(٢) سورة الأعراف آية / ١٩١ .

(٣) سورة يونس من آية / ١٠١ .

(٤) سورة الأنعام من آية / ١٦٢ و ١٦٣ .

(٥) سورة الكوثر آية / ٢ .

(٦) رواه مسلم في صحيحه ج ٣ ص / ١٥٦٧ كتاب الأضاحي حديث رقم ٤٣ و ٤٥ / ١٩٧٨ .

وقال تعالى : « وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ » (١).

وفي الصحيح عن عائشة - رضي الله عنها - أن رسول الله (ﷺ) قال : (من نذر أن يطيع الله فليطعه . ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصه) (٢).

ولهذا لما رأى النبي (ﷺ)، وهو يخطب، رجلاً قائماً في الشمس، فقال : (من هذا)؟ فقالوا: هذا أبو إسرائيل نذر أن يقوم في الشمس، ويصوم ولا يفطر ولا يتكلم . قال : (مروه فليستظل وليتكلم وليتم صومه ...) وهو في البخاري (٣).

وقال تعالى : « وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ » (٤).

وقال تعالى : « وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ » (٥).

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي (ﷺ) قال : (إذا وقعتم في الأمر العظيم فقولوا حسبنا الله ونعم الوكيل) (٦).

[وروى البخاري عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال : حسبنا الله، قالها إبراهيم حين ألقى في النار، وقالها محمد (ﷺ) حين قالوا : « إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ » (٧).

وعن ابن عباس عن النبي (ﷺ) قال : (من سره أن يكون أقوى الناس فليتوكل على الله) (٨) [(٩).

(١) سورة البقرة آية / ٢٧٠ .

(٢) رواه البخاري في صحيحه ج ٧ ص / ٢٣٣ كتاب الإيمان والنذور باب ٢٨ ، وأيضاً باب ٣١ ص / ٢٣٤ .

(٣) رواه البخاري في صحيحه ج ٧ ص / ٢٣٤ كتاب الإيمان والنذور باب ٣١ .

(٤) سورة المائدة من آية / ٢٣ . (٥) سورة الطلاق من آية / ٣ .

(٦) ذكره المناوي في فيض القدير ج ١ ص / ٤٥٤ - ٤٥٥ . وقال : رواه ابن مردويه في تفسيره عن أبي هريرة بسند ضعيف .

(٧) رواه البخاري في صحيحه ج ٥ ص / ١٧٢ تفسير سورة آل عمران باب ١٣ آية / ١٧٣ .

(٨) الحديث ذكره المناوي في فيض القدير ج ٦ ص / ١٤٩ و ١٥٠ .

(٩) ما بين المعقوتين سقطت من نسخة ج .

وعن (عمر) (١) - رضي الله عنه - عن النبي (ﷺ) (قال) (٢) : « لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خصاصاً وتروح بطاناً » (٣).

وقال (تعالى) (٤) : « فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا اللَّهَ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ » (٥).

(وقال تعالى) (٦) : « فَلَا تَخْشَوْا النَّكَاسَ وَأَخْشَوْنَ » (٧).

وعن عائشة أن رسول الله (ﷺ) قال : (من التمس رضى الناس بسخط الله سخط الله عليه ، وأسخط عليه الناس ، ومن التمس رضى الله بسخط الناس رضى الله عنه ، وأرضى عليه الناس) (٨).

وقال تعالى : « فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا » (٩).

وفي الصحيح : (أنا أغنى الشركاء عن الشرك ، من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه) رواه مسلم (١٠).

وقال تعالى : « إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْـَٔرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا » (١١).

وفي الصحيحين عن النبي (ﷺ) : إن الله عز وجل يقول : (هل من داع فاستجيب له ، هل من سائل فأعطيه) (١٢).

(١) في نسخة أ ، ب عن ابن عمر . والصواب ما أثبتناه كما في السنن . (٢) سقطت من نسخة ب . ج .
(٣) رواه أحمد في مسنده ج ١ ص / ٣٠ و ٥٢ ورواه الترمذي في جامعه ج ٤ ص / ٥٧٣ كتاب الزهد ، كما رواه ابن ماجه في سننه ج ٢ ص / ١٣٩٤ كتاب الزهد . وذكره الهيثمي في موارد الظمان . ص / ٦٣٢ حديث رقم / ٢٥٤٨ .
(٤) في نسخة ج ، الله .
(٥) سورة آل عمران من آية / ١٧٥ .
(٦) لم يذكر في نسخة ج .
(٧) سورة المائدة من آية / ٤٤ .
(٨) رواه الترمذي في جامعه ج ٤ ص / ٦٠٩ كتاب الزهد باب ٦٤ . ولكن بلفظ آخر . كما ذكره الهيثمي في موارد الظمان في زوائد ابن حبان ص / ٣٧٠ حديث رقم / ١٥٤٢ .
(٩) سورة الكهف من آية / ١١٠ .
(١٠) رواه مسلم في صحيحه ج ٤ ص / ٢٢٨٩ كتاب الزهد حديث رقم ٤٦ / ٢٩٨٥ (عن أبي هريرة) .
(١١) سورة الأنبياء من آية / ٩٠ .
(١٢) رواه البخاري في صحيحه ج ١ ص / ٤٧ كتاب التهجد باب ١٤ ، وج ٧ ص / ١٤٩ كتاب الدعوات باب ١٤ ، ج ٨ ص / ١٩٧ كتاب التوحيد باب ٣٥ ، كما رواه مسلم في صحيحه ج ١ ص / ٥٢٢ كتاب صلاة المسافرين حديث رقم ١٦٨ - ١٧١ / ٧٥٨ . (كلاً عن أبي هريرة) .

وحديث ابن عباس في وصية النبي (ﷺ): (إذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله)^(١) .

وفي الصحيح (احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز)^(٢) .

وقال تعالى : « إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَبْ لَكُمْ »^(٣) .

وقال تعالى : « وَهَمَّا يَسْتَغِيثَانِ اللَّهَ وَيْلَكَ آمِنْ »^(٤) .

وقال (ﷺ) حين أتاه أناس من أصحابه يستغيثون به (من)^(٥) منافق كان يؤذيهم : (إنه لا يستغاث به وإنما يستغاث بالله)^(٦) .

وقال تعالى : « وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ »^(٧) .

وقال تعالى : « وَتَوَبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهُ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ »^(٨) .

وقوله (ﷺ) للصحابي الذي قال : أتوب إلى الله ولا أتوب إلى محمد : (عرف الحق لأهله)^(٩) .

وقال تعالى : « قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ »^(١٠) السورتان^(١١) .

(١) رواه الترمذي في جامعه ج ٤ ص / ٦٦٧ كتاب صفة القيامة باب ٥٩ قال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح . كما رواه أحمد في مسنده ج ١ ص / ٢٩٣ و ٣٠٣ و ٣٠٧ .

(٢) رواه مسلم في صحيحه ج ٤ ص / ٢٠٥٢ كتاب القدر حديث رقم ٣٤ / ٢٦٦٤ عن أبي هريرة وأوله : (المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف) .

(٣) سورة الأنفال من آية / ٩ .

(٤) سورة الأحقاف من آية / ١٧ .

(٥) في نسخة ب ، عن .

(٦) انظر كتاب مجموعة التوحيد . كتاب التوحيد - لمحمد بن عبد الوهاب . ص / ٧٤ وقد عزاه إلى الطبراني .

(٧) سورة الزمر من آية / ٥٤ .

(٨) سورة النور من آية / ٣١ .

(٩) رواه أحمد في مسنده ج ٣ ص / ٤٣٥ (عن الأسود بن سريع) .

(١٠) سورة الفلق آية / ١ .

(١١) سورة الفلق والناس / ٨ .

التحليل والتحرير من حق الله تعالى

ومن أعظم العبادة الطاعة في تحليل ما حرم الله (تعالى) ^(١) وتحريم ما أحل، وقد سمي الله (تعالى) ^(٢) ذلك عبادة. قال تعالى (حكاية عن إبراهيم) ^(٣): «يَتَابَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ» ^(٤).

وقال تعالى: «الَّذِينَ أَخَذُوا عَهْدًا إِلَيْكُمْ بِبَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ» ^(٥) أي لا تطيعوه.

وقال تعالى: «اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ» ^(٦).

وحدث عدي بن حاتم ^(٧) حين أتى النبي (ﷺ) وفي عنقه صليب من ذهب، وكان على دين الركوسية، فرقة من النصارى، وكان النبي (ﷺ) يقرأ سورة براءة، فقال: (اطرح هذا الذي في عنقك) فطرحه، فلما انتهى إلى قوله تعالى: «اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ». قلت يارسول الله لم يكونوا يعبدونهم. فقال: (أليسوا يحرمون ما أحل (الله) ^(٨) فيحرمونه، ويحلون ما حرم (الله) ^(٩) فيحلونه). قلت: بلى. قال: (فتلك عبادتهم) ^(١٠).

ومن أنواع العبادة التعظيمات التي لا يستحقها سوى من له الكبرياء في السموات والأرض ومن له العزة (جميعاً) ^(١١)، ولذا جميع التحيات التي كانت تحيا بها الملوك، المنبئة بالخضوع، لما كانت ملكاً له وحقاً، لا يجوز صرف شيء منها لغيره، جعل قراءتها في الصلاة واجبة وجوباً مكرراً.

(١) لم يذكر في ج. د.

(٢) للتوضيح.

(٣) سورة يس من آية / ٦٠.

(٤) سورة التوبة من آية / ٣١.

(٥) عدي بن حاتم بن عبد الله بن سعد الطائي، أسلم في سنة تسع، قيل عشر، وكان نصرانياً قبل ذلك. شهد فتح العراق، ثم سكن الكوفة، وشهد صفين مع علي، ومات بعد الستين. قيل: بلغ عشرين ومائة، وقيل: مائة وثمانين. وكان جواداً كأيبه. انظر الإصابة ج ٢ ص / ٤٦٨.

(٦) لم يذكر في نسخة. ب. ج.

(٧) لم يذكر في نسخة. ب. ج.

(٨) رواه الترمذي في جامعه - مع اختلاف بعض الألفاظ - ج ٥ ص / ٢٧٨ كتاب التفسير باب ١٠. وانظر تحفة الأحوذى ج ٨ ص / ٤٩٢ حديث رقم / ٥٠٩٢.

(٩) سقطت من نسخة د.

الحلف بغير الله

ومن ذلك الحلف بغيره، فمن حلف بغيره معظماً له تعظيم العبادة، فقد أجمع أهل الإسلام على كفره. وإن لم يقصد ذلك صار كفراً دون كفر. ففي الحديث: (إن الله ينهاكم أن تحلفوا بأبائكم وأمهاتكم، من كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت)^(١). وهذا مروى في الصحاح.

وفي الصحيح: (من حلف بغير الله فقد كفر)^(٢).

وفي الترمذي عن عمر - رضي الله عنه - أن النبي (ﷺ) قال: (من حلف بغير الله فقد أشرك)^(٣). وقد أبان (ﷺ) لأئمة معالم التوحيد، وحى جناب (٤) التوحيد وصانته، وأعلى قواعده وأركانه، وسد كل طريق يوصل إلى الضلال، أو يكون للشرك به اتصال.

ولهذا تغیظ (ﷺ) وقال للمسيء في المقال، الذي قرن مشيئته بمشيئة الله ذي الجلال: (أجعلتني لله نداً، قل ماشاء الله وحده) والحديث رواه النسائي^(٥).

وعن حذيفة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله (ﷺ): (لا تقولوا ماشاء الله وشاء فلان، ولكن قولوا ماشاء الله (وحده) ثم شاء فلان). رواه أبو داود^(٦).

فهذا نبيه الثابت الصحيح وزجره البليغ الصريح، عن تعاطي مثل هذا التشريك القبيح، مع أن الله جعل للعبد مشيئة فقال: «وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ»^(٧).

(١) رواه البخاري في صحيحه ج ٧ ص ٢٢١ كتاب الإيمان والنذور باب ٤، كما رواه مسلم في صحيحه ج ٣ ص ١٢٦٦ حديث رقم ١٦٤٦/١، ص ١٢٦٧ حديث رقم ٣/١٦٤٦ (عن ابن عمر).

(٢، ٣) الحدیثان رواهما الترمذی فی جامعہ ج ٤ ص ١١٠ کتاب النذور والإیمان باب ٨ عن عمر بلفظ: (من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك) انظر أيضاً تيسير العزيز الحميد. ص ٥٨٩.

(٤) في نسخة د. جانب.

(٥) رواه النسائي في سننه ج ٧ ص ٦ كتاب الإيمان والنذور باب الحلف بالكعبة (عن قتيلة).

(٦) رواه أبو داود في سننه ج ٤ ص ٢٩٥ باب لا يقال خبث نفسي. (وحده) لا يوجد في السند.

(٧) سورة الإنسان من آية / ٣٠.

ولكن لصيانة التوحيد وجنابه ، سد من الشرك جميع أبوابه ، فنهاهم عن تشريك مشيئة الخالق بالخلق ، ومساواة الرازق بالمرزوق .

(وهنا)^(١) انتهى بنا الكلام على تفسير هذه الآية . ويكون به عن تفسير باقي الآيات كفاية ، وقد خرج بنا الحرص على الإفادة عما لنا من القصد والإرادة ، ونرجع إلى ما نحن بصدده ونعود ، مستمدين من الإله القادر المعبود ، الإعانة على انجاح المقصود .

قوله (ﷺ) : (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد)^(٢) . أقول : هذا الحديث عظيم الشأن والمقدار ، وعليه في الإسلام المدار ، بل هو في الحقيقة أصل من أصوله ، إذ هو محتو على كثير من فصوله ، وهو للأعمال الظاهرة كالميزان ، كما أن حديث (إنما الأعمال بالنيات) ميزان لأعمال الجنان ، وما يريده من القصد كل إنسان ، فكل عمل لوجه الله غير مراد ، مصيره إلى الإلغاء والفساد ، فليس للعامل فيه ثواب ، وإنما يجب عليه منه المتاب ، فكذلك كل عمل لا يكون عليه أمر الله ورسوله مردود ، لخروجه عن السنن المقصود ، والمنهج المطهر المحمود ، فعمل العامل رد عليه لسريان البطلان عليه ، بعدوله عن الأمر المشروع ، والهدى المقرر المتبوع .

فالحديث يدل بمنطوقه على رد الأعمال المخالفة للسنة والكتاب ، ويدل بمفهومه على القبول لما وافقهما وحصول الثواب .

قال الحافظ^(٣) ابن رجب - رحمه الله تعالى - : قوله : (ليس عليه أمرنا) إشارة إلى أن أعمال العاملين ينبغي أن تكون تحت أحكام الشريعة ، وتكون أحكام الشريعة حاکمة عليها بأمرها ونهيها ، فمن كان عمله جارياً تحت أحكام الشرع موافقاً لها فهو مقبول ، ومن كان خارجاً عن ذلك فهو مردود ، ويدخل تحت قوله : « أَمْ لَّهُمْ

(١) في نسخة دو هذا .

(٢) مر ذكره ، فقد رواه البخاري ومسلم .

(٣) كلام ابن رجب يوجد في جامع العلوم والحكم ص ٥٦ و ٥٧ .

شُرْكُوا شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ» (١).

وهو شبيهه^(٢) بحال الذين كانت صلاتهم عند البيت مكاءً^(٣) وتصديّةً^(٤). وهذا كمن تقرب إلى الله بسماع الملاهي أو بالرقص أو بكشف الرأس في غير الإحرام، وما أشبه ذلك من المحدثات التي لم يشرع الله ورسوله التقريب بها بالكلية، وليس ما كان قرابة في عبادة يكون قرابة في غيرها مطلقاً. فقد رأى النبي (ﷺ) رجلاً قائماً في الشمس، فسأل عنه، فقيل إنه نذر أن يقوم ولا يقعد ولا يستظل وأن يصوم ولا يفطر. فأمر النبي (ﷺ) أن يقعد ويستظل ويتم صومه. فلم يجعل قيامه وبروزه في الشمس قرابة يوفى بنذرهما، مع أن القيام عبادة في مواضع، كالصلاة والأذان والدعاء بعرفة والبروز للشمس قرابة للمحرم، فدل على أنه ليس كل ما كان قرابة في موطن يكون قرابة في كل المواطن. وإنما يتبع ذلك في ماوردت به الشريعة في مواضعها. انتهى كلامه - رحمه الله -.

وأقول : قوله : (وذلك كمن تقرب إلى الله بسماع الملاهي أو بالرقص)^(٥) هذه إشارة صريحة ونذارة فصيحة، ونكتة مؤذنة بالخزي والفضيحة، على من عبد الله بالملاهي، وكان في العكوف عليها لاهياً^(٦) وعماً يراد به غافلاً ساهياً^(٧)، اتخذ معبوده وإلهه هواه، وعبادته دفة ورقصه وغناه. ومراده - رحمه الله تعالى - ما وقع من أهل زمانه، وما شاهده في أوطانه من ترك أكثر الناس سنن الاتباع، واتباعهم سنن الهوى والابتداع، وتقربهم بالرقص المسمى بالسماع، مع أن ما حدث في ذلك الزمان المار،

(١) سورة الشورى من آية / ٢١ .

(٢) سقطت من نسخة د .

(٣) المكاء : مخفف الصغير . وقد مكأ أي صفر، مختار الصحاح ص / ٦٣١ .

(٤) تصديّة : تصفيقاً .

(٥) أي أقبل مواظباً عليه .

(٦) الصواب نصب لاهياً وساهياً . لكن المصنف وقف عليها للسجع (في نسخ المخطوطة لاهي غافل ساهي) .

والصواب ما أثبتناه .

(٧) الصواب لاهياً وساهياً . لكن المصنف وقف عليها للسجع (في نسخ المخطوطة لاهي غافل ساهي) . والصواب ما أثبتناه .

لا يفي بالنسبة لما بعده بعشر معشار، فقد جرى بعده رحمة الله - أمور وأمر، أذهبت من السنة المحمدية مشرق النور، وهتكت من الملة الأحمدية الستور، وارتكب من البدع والأهواء كل محظور، وصار ذلك عندهم هو الدين المشهور، والمنهج المحمود المأثور، (و) (١) شغلوا باستماع السماع، وشغفوا بنغمة (٢) اليراع (٣)، وأصغوا إلى اللهو بالقلوب والأسماع، ونثلوا (٤) إليه بالإسراع، وما لهم إلى غيره إزماع (٥).

وقد هجروا السنة والقرآن، وأقبلوا على استماع الدف والألحان، التي هي رنة الشيطان، وجعلوا العبادة رقصاً وطرباً، واتخذوا دين الله هوأ ولعباً، وحققوا لمشايخهم الأسرار، بملازمتهم للعود والدف والمزمار، وحكموا على من قام عليهم الله بالإنكار بأنه من جملة الكفار، « أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ ﴿٢٨﴾ جَهَنَّمَ يَصَلُّونَهَا وَبَسَّ الْأَقْرَارِ ﴿٢٩﴾ وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَدَادًا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ » (٦).

لبسوا شعار الصوفية الأمائل (٧)، ونسبوا أنفسهم إلى أولئك الزهاد الأفاضل، وجعلوا ذلك الشعار حبائل إلى أكل أموال الناس بالباطل، والكل منهم محتال عليها خاتل (٨). أيجسبون أن الله عن صنيعهم غافل، أو ليس بمحاسب لهم ومساءل. « أَمْ يَحْسِبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَىٰ وَرُسُلْنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ » (٩). « وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهُ غَفْلًا غَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ » (١٠).

(١) زائدة في نسخة جـ.

(٢) النغم : الكلام الخفي، والنغمة : أي حسن الصوت في القراءة . مختار الصحاح ص/ ٦٧٠ .

(٣) اليراع : وجمعه يراعة وهي القصبه، والمراد بها الدف والمزمار ونحوهما من آلات اللهو . مختار الصحاح ص/ ٧٤٢ .

(٤) نثلوا إليه : انصبوا ... ترتيب قاموس المحيط جـ ٤ ص/ ٣٢٤ .

(٥) أي أثبتوا عليه وما لهم في الغير ميل . وأزمع على الأمر : ثبت عليه عزمه، والإزماع هنا : الميل والإقبال . مختار الصحاح ص/ ٢٧٤ .

(٦) سورة إبراهيم آية / ٢٨ - ٣٠ .

(٧) الصوفية الأمائل، هم قداماؤهم المتمسكون بالسنة والشريعة قبل حدوث البدع والملاهي في متأخرهم .

(٨) ختله : خدعه، خاتله : خادعه، واختتل : تسمع لسر القوم ... ترتيب قاموس المحيط جـ ٢ . ص/ ١٥ .

(٩) سورة الزخرف آية / ٨٠ . (١٠) سورة إبراهيم من آية / ٤٢ .

وحكموا لأنفسهم وقضوا بأنهم وردوا عين الشريعة فارتوتوا، وزعموا أنهم شربوا من سلسالها^(١) سلسيلاً^(٢)، لا يصدعون فيها ولا يصدون عنها سبيلاً .

وادعوا أنهم أهل الشوق والذوق، وأصحاب الطريقة الحقيقية، صدقوا هم أهل الشوق، ولكن على الطريقة السامرية الزايغة المنهاج، وهم أهل الذوق في الحقيقة ولكن من ملحها الأجاج .

فقد ذكر القرطبي^(٣) في تفسيره - رحمه الله تعالى - وغيره من المفسرين أن أول من أحدث هذا وجعله عبادة، عباد العجل أصحاب السامري، فصار شريعة (منقادة)^(٤) .

قلت: والعلماء بالله، والله تعالى لمثل هذه البدع الشركية منكرون، وأبو القاسم الجنيد^(٥) شيخ الطريقة الصوفية وأمثاله، من أقدار هذا الرجس مبرؤون، ويبالغون في الإنكار على من خالف الكتاب والسنة ويغضبون .

وقد صنف من قدماء علماء المذاهب الأربعة في البدع مصنفات^(٦)، وبينوا ما وقع في الملة الخنيفية من السنن المحدثات، (وما شانوها)^(٧) به من الأهواء والضلالات، وما غيروا به الصراط المستقيم، من مناسك الشرك العظيم .

« فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ » (٨)

(١) السهل اللين المنقاد، وهو الماء العذب أو البارد، وتسلسل الماء: جرى في الحدود... ترتيب قاموس المحيط . ج ٢ . ص / ٥٩٣ و ٥٩٤ .

(٢) اللين الذي لا خشونة فيه، والخمر، وعين في الجنة . ترتيب قاموس المحيط ج ٢ ص / ٥٩٣ .

(٣) أبو عبدالله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرج الأنصاري الخزرجي القرطبي صاحب كتاب التذكرة بأمور الآخرة، والتفسير الجامع لأحكام القرآن . كان إماماً عالماً من الغواصين على معاني الحديث، حسن التصنيف جيد النقل، توفي بمبنة بني خصيب من صعيد مصر سنة إحدى وسبعين وستمائة... انظر شذرات الذهب ج ٥ . ص / ٣٣٥ .

(٤) سقطت من نسخة . ب . ج .

(٥) الجنيد بن محمد بن الجنيد، أبو القاسم الخزاز، ويقال: القواريري، أصله من نهاوند، ولادته ونشأته ببغداد، وسمع بها الحديث، ولقي العلماء ثم اشتغل بالعبادة، كان كثير العبادة والذكر والتهجد، متصوفاً . مات سنة ثمان وتسعين ومائتين . انظر طبقات الخنابلة ج ١ ص / ١٢٧ .

(٦) مثل البدع والنهي عنها لابن وضاح . والباعث لابن شامة، والاعتصام للشاطبي، وغيرها من الكتب .

(٧) في نسخة ج . شابوها . (٨) سورة النور من آية / ٦٣ .

وقوله (ﷺ): (من أحدث) أي أتى بشيء لم يكن موجوداً في زمن النبي (ﷺ) وهذا هو المسمى بالبدعة.

وقوله: (في أمرنا) الأمر يطلق على الشأن. قال تعالى: «وَمَا أَمْرٌ فَرَعَوْتُكَ بِرَشِيدٍ»^(١). والمراد به هنا الدين والشرع أي ديننا وشرعنا.

وقوله: (هذا) إشارة إلى دين النبي (ﷺ) الذي رضي به ربنا لنا، وأكمّله أتم إكمال، وبين شرائعه في العبادات والمعاملات من حرام وحلال، فلينظر العاقل فيمن أحدث فيه ما ليس منه هل رآه ناقصاً فأراد التكميل، أو ظن أن النبي (ﷺ) ترك شيئاً من البيان فاستخرجه هذا بالتأويل والاستنباط من الحديث والتزويل، وإلا يكن الأمر كذلك، بل قد أوضحت جميع المسالك، فليس وراء ذلك إلا التغيير في الدين والتبديل، واتباع الهوى والتضليل. « قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ »^(٢).

وفي هذا الحديث تصريح بأن من عمل عملاً لا يرجع إلى دليل شرعه النبي (ﷺ) أنه مردود، فكيف (إن)^(٣) خالفه أو نفاه أو انتهك منه الحدود؟ وسواء فعله هو أو غيره، إذ لا فرق بين أن يكون محدثاً لما فعله أو سبقه غيره به، فسلك طريقه المحدود. فكل فعل لم يكن على أمر الرسول (ﷺ) فهو مردود غير مقبول.

وفاعله آثم ملعون لمخالفته الهدى المسنون، فقد صح عنه (ﷺ) أنه قال: (من أحدث (فيها) حدثاً أو آوى محدثاً فعليه لعنة الله)^(٤).

وقوله في حديث علي كما في صحيح مسلم: (لعن الله من آوى محدثاً)^(٥) يتناول هذا.

(١) سورة هود من آية / ٩٧.

(٢) سورة المائدة آية / ٧٧.

(٣) في نسخة . إذا

(٤) رواه البخاري في صحيحه ج ٨ ص / ١٠ كتاب الفرائض باب ٢١، وص / ١٤٥ كتاب الاعتصام باب ٦٥،

كما رواه مسلم في صحيحه ج ٢ ص / ٩٩٤ كتاب الحج حديث رقم ٤٦٧ / ١٣٧٠.

(٥) رواه مسلم في صحيحه ج ٣ ص / ١٥٦٧ كتاب الأضاحي حديث رقم ٤٣ و ٤٤ و ٤٥ / ١٩٧٨.

فتبين أنه لا يصح شيء من الأعمال، ولا يقبل إلا ما وافق الشريعة المحمدية،
ووردت به السنة في مواضعه، وما خرج عن ذلك فهو مردود.

وقولي: (وردت به السنة في مواضعه) احتراز عن العبادات المشروع أصلها. ولكن
ينهى عنها بخصوصها في مواضع، كصيام يوم العيد، والصلاة في أوقات النهي،
وكذلك الصلاة عند القبور، فهذه مردودة إذ لا يتقرب إلى الله تعالى بما نهى عنه.

والأحاديث في النهي عما ذكرناه كثيرة شهيرة، فلا نطيل بها، ومن ذلك من عمل
عملاً أصله مشروع وقربة ثم أدخل فيه ما ليس بمشروع، أو أدخل فيه بمشروع، فهذا
أيضاً مخالف للشريعة بقدر إخلاله بما أدخل به، أو إدخاله ما أدخل فيه، فإن كان ما أدخل
به من أجزاء العمل أو شروطه موجباً لبطلانه في الشريعة، كمن أدخل بالطهارة للصلاة
مع القدرة عليها أو أدخل بالركوع أو بالسجود أو بالطمأنينة فيها، فهذا عمله مردود
عليه، وعليه إعادته إن كان فرضاً، وإن كان ما أدخل به لا يوجب بطلان العمل كمن
أدخل بالجماعة للصلاة المكتوبة عند من يوجبها، فهذا لا يقال إن عمله مردود من أصله
بل هو ناقص^(١).

وأما إن زاد في العمل المشروع ما ليس بمشروع فزيادته مردودة عليه ولا يثاب
عليها، إذ ليست قربة، ولكن تارة يبطل العمل بها من أصله، كمن زاد في صلاته
ركعة عمداً مثلاً، وتارة لا يبطل بها العمل ولا يرد من أصله، كمن توضأ أربعاً، أو
واصل في صيامه.

وقد يبذل بعض ما يؤمر به في العبادة بما هو منهي عنه كمن ستر عورته في الصلاة
بثوب محرم، أو توضأ للصلاة بماء مغصوب، أو صلى في بقعة مغصوبة، فهذا قد
اختلف فيه العلماء، هل عمله مردود فيه من أصله أو أنه غير مردود، وتبرأ به الذمة
من عهدة الواجب. وأكثر الفقهاء على أنه ليس مردوداً من أصله، وعن الإمام أحمد

(١) انظر جامع العلوم والحكم . لابن رجب . ص/ ٥٧ .

رضي الله عنه - في ذلك روايتان : كما هو صريح عبارة موفق الدين في الكافي - رحمه الله (١) - ويشبه هذا الحج ببال حرام . وقد ورد في حديث أنه مردود على صاحبه ، ولكنه حديث لا يثبت (٢) .

قال الحافظ ابن رجب - رحمه الله تعالى - : وقد اختلف العلماء في ذلك أيضاً هل يسقط به الفرض أم لا؟ والأكثر على أنه لا يبطله إلا ما نهي عنه في الإحرام ، وهو الجماع ، ولا يبطله ما لا يختص بالإحرام من المحرمات كالقتل والسرقة وشرب الخمر ، وكذا الصيام لا يبطله إلا ارتكاب (مانهي) (٣) عنه فيه بخصوصه ، وهو جنس الأكل والشرب والجماع بخلاف (مانهي) (٤) عنه الصائم لا بخصوص الصيام كالكذب والغيبة عند الجمهور (٥) .

قلت : (ومما نهي) (٦) عنه فيه بخصوصه ، الحجامة ، فمذهب الإمام أحمد - رحمه الله تعالى - أن من احتجم أو حجم يبطل صومه ، لقول النبي (ﷺ) (أفطر الحاجم والمحجوم) (٧) .

قال في الكافي : رواه عن النبي (ﷺ) أحد عشر نفساً ، وقال أحمد حديث ثوبان (٨) وشداد صحيحان . انتهى (٩) .

(١) شيخ الإسلام عبدالله بن أحمد بن محمد بن قدامة ، أبو محمد المقدسي ، إمام عالم بارع ، لم يكن في عصره أفقه منه ، قرأ القرآن وسمع الحديث الكثير وتفقه ببغداد على مذهب الإمام أحمد ، له مصنفات كثيرة منها (المغني) و(الكافي) وغيرهما . توفي في عيد الفطر سنة عشرين وستمائة . . انظر البداية والنهاية ج ١٣ . ص / ٩٩ . وانظر كلامه - رحمه الله - في الكافي ج ١ ص / ١١٠ و ١١٥ .

(٢) انظر جامع العلوم والحكم . ص / ٥٧ و ٥٨ .

(٣) في نسخة د ، ما ينهي .

(٤) في نسخة د ، ما ينهي .

(٥) انظر جامع العلوم والحكم - لابن رجب - ص / ٥٨ .

(٦) في نسخة د ، ما ينهي .

(٧) رواه البخاري في صحيحه تعليقا عن الحسن مرفوعاً ج ٢ ص / ٢٣٦ كتاب الصوم باب ٣٢ ، كما رواه أحمد في مسنده ج ٢ ص / ٣٦٤ (عن أبي هريرة) .

(٨) ثوبان ، مولى رسول الله (ﷺ) . قيل : إنه من العرب ، وقيل : إنه من السراة اشتراه الرسول (ﷺ) ثم اعتقه ، فخدمه إلى أن مات ، ثم تحول إلى الرملة ثم حمص ، وقد روي أن الرسول (ﷺ) دعا له ، وتكفل للرسول (ﷺ) أن لا يسأل أحداً شيئاً في مقابل الجنة ، مات بحمص سنة أربع وخمسين . انظر الإصابة ج ١ ص / ٢٠٤ .

(٩) انظر الكافي في فقه الإمام أحمد لابن قدامة . ج ١ . ص / ٣٥٣ و ٣٥٤ .

وكذلك الاعتكاف إنما يبطله ما نهي عنه بخصوصه كالجماع، وأما بطلانه بالسكر عند الأكثر، فلنهي السكران عن قربان المسجد فصار كالحائض، ولا يبطل بغير ذلك من الكبائر، وخالف في ذلك طائفة من السلف منهم عطاء^(١) والزهري^(٢) والثوري^(٣)، ومالك وغيرهم، فقالوا يبطل بالكبائر. وما نهي عنه بعينه أيضاً ذبح المحرم للصيد، هذا حاصل الأعمال المتعلقة بالعبادات.

وأما ما يتعلق منها بالمعاملات كالعقود والفسوخ ونحوهما، فما غير الأوضاع الشرعية كجعل حد الزنا عقوبة مالية وما أشبه ذلك فهو مردود من أصله، ولا ينتقل به الملك، لأن هذا غير معهود في أحكام الإسلام، ويدل عليه أن النبي (ﷺ) قال للذي سأله أن ابني كان عسيفاً^(٤) على فلان فزني بامرأته فافتديت منه بمائة شاة وخادم، قال النبي (ﷺ): (المائة شاة والخادم رد عليك، وعلى ابنك جلد مائة وتغريب عام)^(٥).

وما كان منها عقداً منهيّاً عنه في الشرع، إما لكون المعقود عليه ليس محلاً للعقد، أو لفوات شرط فيه، أو لظلم يحصل به للمعقود معه أو عليه، أو لكون العقد يشغل عن ذكر الله تعالى الواجب عند تضايق وقته وغير ذلك، فهذا العقد قد اضطرب الناس فيه.

قال الحافظ ابن رجب - رحمه الله تعالى^(٦) - : والأقرب إن شاء الله أنه (إن)^(٧) كان

- (١) عطاء بن أبي رباح - أسلم - وقيل سالم بن صفوان، أبو محمد، مولى بني فهر، أو جح المكي، كان من أجلاء الفقهاء وتابعي مكة وزهادها، إليه وإلى مجاهد انتهت فتوى مكة في زمانها، توفي سنة خمس عشرة ومائة، وقيل أربع عشرة ومائة وله ثمان وثمانون سنة. وفيات الأعيان ج ٣ ص/٣٦١.
- (٢) محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب القرشي الزهري، وكنيته أبو بكر، الفقيه الحافظ، متفق على جلالاته وإتقانه. ولد سنة خمسين ومات سنة خمس وعشرين ومائة، وقيل: قبل ذلك بسنة أو سنتين. تقريب التهذيب ج ٢ ص/٢٠٧.
- (٣) سفيان بن سعيد بن مسروق، أبو عبد الله الثوري، سيد الحفاظ، ثقة عابد فقيه، كان مولده في سنة سبع وتسعين، وطلب العلم وهو حدث، مات في البصرة سنة إحدى وستين ومائة: انظر تذكرة الحفاظ ج ١ ص/٢٠٣. وتقرّب التهذيب ج ١ ص/٣١١.
- (٤) العسيف: الأجير.
- (٥) رواه البخاري في صحيحه ج ٣ ص/١٦٧ كتاب الصلح باب ٥ ص/١٧٥ كتاب الشروط باب ٩ وج ٨ ص/١٢٠ كتاب الأحكام باب ٣٩، كما رواه مسلم في صحيحه ج ٣ ص/١٣٢٤ و١٣٢٥ كتاب الحدود حديث رقم ٢٥/١٦٩٧/١٦٩٨ (عن أبي هريرة). وانظر أيضاً جامع العلوم والحكم. لابن رجب ص/٥٨.
- (٦) انظر جامع العلوم والحكم. لابن رجب. ص/٥٨ و٥٩.
- (٧) سقطت من نسخة، ب.

النهي عنه لحق الله عز وجل فهذا يفسد الملك بالكلية، ونعني بكون الحق لله تعالى أن لا يسقط برضى المتعاقدين عليه، وإن كان النهي عنه لحق آدمي معين بحيث يسقط برضاه به، فإنه يقف على رضاه به، فإن رضي لزم العقد، واستمر الملك. وإن لم يرض به فله الفسخ. فإن كان الذي يلحقه الضرر لا يعتبر رضاه بالكلية كالزوجة والعبد في الطلاق والعتق فلا عبرة برضاه ولا بسخطه، وإن كان النهي رفقاً بالمنهي خاصة لما يلحقه من المشقة، فخالف وارتكب المشقة لم يبطل بذلك عمله.

فأما الأول، وهو ما كان النهي عنه لحق الله فله صور كثيرة:

منها نكاح من يحرم نكاحه، إما لعينه كالمحرمات على التأييد بسبب أو نسب أو للجمع أو لفوات شرط، لا يسقط بالتراضي بإسقاطه، كنكاح المعتدة والمحرمة والنكاح بغير ولي ونحو ذلك، فهذا يفسد الملك بالكلية. وقد روي أن النبي (ﷺ) فرق بين رجل وامرأة تزوجها وهي حبل، فرد النكاح لوقوعه في العدة^(١).

ومنها عقود الربا فلا يفيد الملك ويؤمر بردها، وقد أمر النبي (ﷺ)، من باع صاع تمر بصاعين أن يرد^(٢).

ومنها بيع الخمر والميتة والخنزير والأصنام والكلب وسائر ما نهى عن بيعه، كبيع الغرر، والغش وما يلحق بذلك، وكبيع الطعام قبل قبضه وغير ذلك، مما لا يجوز التراضي ببيعه.

أما الثاني وهو ما كان النهي عنه لحق آدمي فله صور عديدة:

منها إنكاح الولي من لا يجوز له إنكاحها إلا بإذنها لا بغير إذنها، وقد رد النبي (ﷺ) نكاح امرأة ثيب زوجها أبوها وهي كارهة^(٣). وروي (عنه)^(٤) أنه خير امرأة زوجت

(١) رواه أبو داود في سننه ج ٢ ص/ ٢٤١ و ٢٤٢ كتاب النكاح باب في الرجل يتزوج المرأة فيجدها حبل.
(٢) رواه البخاري في صحيحه ج ٣ ص/ ٦٤ كتاب الوكالة باب ١١، كما رواه مسلم في صحيحه ج ٣ ص/ ١٢١٥ كتاب المساقاة حديث رقم ١٥٩٤ / ٩٧ / ٩٦ ولفظه: جاء بلال بتمر برني فقال له رسول الله (ﷺ): (من أين هذا) فقال بلال: تمر كان عندنا رديء فبعت منه صاعين بصاع لمطعم النبي (ﷺ) فقال رسول الله عند ذلك: (أوه عين الربا لا تفعل ولكن إذا أردت أن تشتري التمر فبعه ببيع آخر، ثم اشتر به).

(٣) رواه البخاري في الصحيح ج ٦ ص/ ١٢٥ كتاب النكاح باب ٤٢، ج ٨ ص/ ٥٧ كتاب الإكراه باب ٣، كما رواه مالك في الموطأ ج ٢ ص/ ٥٣٥ كتاب النكاح باب ١١ حديث رقم / ٢٥. ولفظه: عن خنساء بن خذام الأنصارية أن أباه زوجها وهي ثيب فكرهت ذلك. فجاءت رسول الله (ﷺ) فذكرت ذلك له فرد نكاحها).

(٤) سقطت من نسخة ج.

بغير إذنها^(١). وفي بطلان هذا النكاح ووقوفه على الإجازة، روايتان عن أحمد^(٢).
وقد ذهب طائفة من العلماء إلى أن من تصرف لغيره في ماله بغير إذنه لم يكن تصرفه باطلاً من أصله، بل يقف على إجازته، فإن أجازته جاز، وإن رده بطل.
واستدلوا بحديث عروة بن الجعد^(٣) في شرائه للنبي (ﷺ) شاتين، وإنما أمره بشراء شاة واحدة، ثم باع إحداهما، وقبل ذلك النبي (ﷺ)^(٤).

ومنها تصرف المريض في ماله كله، هل يقع باطلاً من أصله أم يقف تصرفه في (الثلاثين)^(٥) على إجازة الورثة؟ فيه اختلاف. وقد صح أن النبي (ﷺ) رفع إليه أن رجلاً أعتق ستة ممالك له عند موته لآمال له غيرهم، فجزأهم ثلاثة أجزاء، فأعتق اثنين، وأرق أربعة وقال له قولاً شديداً^(٦). ولعل الورثة لم يجيزوا عتق الجميع^(٧).

ومنها بيع المصراة، وبيع النجش، وتلقي الركبان ونحو ذلك، وفي صحته كله اختلاف مشهور، فذهبت طائفة من أهل الحديث إلى بطلانه، والصحيح أنه يصح ويقف على إجازة من حصل له ظلم بذلك، فقد صح عن النبي (ﷺ) أنه جعل

(١) رواه أبو داود في سننه ج ٢ ص ٢٣٢ كتاب النكاح باب في البكر يزوجهما أبوها ويستأمرها، كما رواه ابن ماجه في سننه ج ١ ص ٦٠٣ كتاب النكاح باب ١٢ باب من زوج ابنته وهي كارهة، ولفظه: عن ابن عباس، أن جارية أتت النبي (ﷺ) فذكرت أن أباهما زوجها وهي كارهة فخيرها النبي (ﷺ).

(٢) انظر جامع العلوم والحكم، لابن رجب ص / ٥٩.

(٣) عروة ابن الجعد، ويقال: عروة ابن أبي الجعد البارقي، له أحاديث، حسن التصرف في البيع والشراء، حضر فتح الشام ونزها، سيره عثمان إلى الكوفة، وروي في داره ستون فرساً مربوطة. انظر الإصابة ج ٢ ص / ٤٧٦.

(٤) رواه البخاري في صحيحه ج ٤ ص / ١٨٧ كتاب المناقب ٢٨. ولفظه: عن عروة بن الجعد، أن النبي (ﷺ) أعطاه ديناراً يشتري له به شاة فاشترى له به شاتين، فباع إحداهما بدينار، فجاءه بدينار وشاة فدعا له بالبركة في بيعه. فكان لو اشترى التراب لربح فيه، كما رواه الترمذي في جامعه ج ٣ ص / ٥٥٩ كتاب البيوع ص / ٣٤.

(٥) أي يوقف تصرفه في الثلاثين على الإجازة وينفذ في الثلث. أما نص جامع العلوم والحكم لابن رجب ص / ٥٩ (أم يوقف تصرفه في الثلث على إجازة الورثة).

(٦) رواه مسلم في صحيحه ج ٣ ص / ١٢٨٨ كتاب الإيمان والنذور حديث رقم ١٦٦٨ / ٥٦، كما رواه مالك في الموطأ ج ٢ ص / ٧٧٤ كتاب العتق والولاء باب ٣ حديث / ٣ عن (عمران بن حصين) وهو عمران بن حصين ابن عبيد بن خلف الخزاعي، أبو نجيذ، أسلم عام خير، وصحب، وقضى بالكوفة. مات سنة اثنتين وخمسين بالبصرة. تقريب التهذيب. ج ٢ ص / ٨٢.

(٧) انظر جامع العلوم والحكم. لابن رجب. ص / ٥٩.

مشتري المصراة بالخيار^(١) ، وأنه (جعل) للركبان الخيار إذا هبطوا للسوق^(٢) . وهذا كله يدل على أنه غير مردود من أصله .

أما بيع الحاضر للبادي فمن صححه جعله من هذا القبيل ، ومن أبطله جعل الحق فيه لأهل البلد كلهم وهم غير منحصرين ، فلا يتصور إسقاط حقهم ، فصار كحق الله تعالى .

ومنها لو باع رقيقاً يحرم التفريق بينهم ، وفرق بينهم ، كالأم وولدها ، فهل يقع باطلاً مردوداً؟ . وهو قول الأكثر . وقد روي أن النبي (ﷺ) أمر برد هذا البيع^(٣) .

ونص أحمد على أنه لا يجوز التفريق بينهم ولو رضوا بذلك . وذهبت طائفة إلى جواز التفريق بينهم برضاهم . ومنها لو خص بعض أولاده بالعطية دون بعض ، فقد صح عن النبي (ﷺ) أنه أمر بشير^(٤) بن سعد لما خص ولده النعمان بالعطية أن يرده^(٥) .

ولم يدل ذلك على أنه لم ينتقل الملك بذلك إلى الولد ، فإن هذه العطية تصح وتقع

(١) رواه مسلم في صحيحه جـ ٣ ص/ ١١٥٨ كتاب البيوع حديث رقم ٢٣ و ٢٤ و ٢٥ / ١٥٢٤ . ولفظه : عن أبي هريرة (من اشترى شاة مصراة فهو بالخيار ثلاثة أيام ، فإن ردها رد معها صاعاً من طعام لا سمراء) حديث ٢٥ .

(٢) انظر صحيح مسلم جـ ٣ ص/ ١١٥٧ ، ١١٥٨ كتاب البيوع حديث رقم ١٨ و ٢٢ / ١٥٢٠ و ١٥٢٣ . ومنها حديث عن ابن عباس قال : نهى رسول الله (ﷺ) أن نتلقى الركبان ، وأن يبيع حاضر لباد) . أما حديث الخيار للركبان ، حديث أبي هريرة أن النبي (ﷺ) ، قال : (لا تلقوا الجلب فمن تلقاه فاشترى منه ، فإذا أتى سيده السوق فهو بالخيار) رواه مسلم في صحيحه جـ ٣ ص/ ١١٥٧ كتاب البيوع حديث رقم ١٧ / ١٥١٨ .

(٣) انظر الجامع الصحيح للترمذي جـ ٣ ص/ ٥٨٠ و ٥٨١ كتاب البيوع باب ٥٢ . وسنن ابن ماجة جـ ٢ ص/ ٧٥٥ و ٧٥٦ كتاب التجارات باب ٤٦ . وسنن الدارمي جـ ٢ ص/ ٢٢٧ و ٢٢٨ كتاب السير باب النهي عن التفريق بين الوالدة وولدها .

(٤) بشير بن سعد بن جلاس - بضم الجيم مخففاً - الخزرجي الأنصاري ، والد النعمان بن بشير ، صاحب الحديث المشهور في الهبة لولده ، شهد بدرأ ، واستشهد بعين التمر سنة اثنتي عشرة ، يقال إنه أول من باع أبا بكر من الأنصار بعثه النبي (ﷺ) إلى فذك في شعبان ثم بعثه في شوال نحو وادي القرى . انظر الإصابة جـ ١ ص/ ١٥٨ .

(٥) انظر صحيح مسلم جـ ٣ ص/ ١٢٤١ و ١٢٤٤ كتاب الهبات حديث رقم ٩ و ١٩ / ١٦٢٣ و ١٦٢٤ عن النعمان . وانظر أيضاً جامع العلوم والحكم لابن رجب ص/ ٥٩ و ٦٠ .

مراعاة، فإن سوى بين أولاده في العطية أو استرد ما أعطى الولد جاز، وإن مات ولم يفعل شيئاً من ذلك، قال مجاهد: تبطل، وحكي عن أحمد نحوه، والجمهور على أنها لا تبطل.

وهل للورثة الرجوع فيها أم لا؟ قولان مشهوران، هما روايتان عن أحمد، كذا قال ابن رجب - رحمه الله (١) - . قلت: مذهب مالك أنها حيث كانت في الصحة وأجيزت قبل الموت أنها لا تبطل، وليس للورثة رجوع فيها بعد الموت، وإن كانت في المرض فهي موقوفة على إجازة الورثة.

ومنها الطلاق المنهي عنه، كالطلاق في الحيض، بأن قيل: إنما ينهى عنه لحق الزوج حيث كان يخشى عليه أن يعقبه فيه الندم، فمن فعل شيئاً منهياً عنه رفقاً به، ولكنه تجشم (٢) المشقة، فإنه لا يحكم بطلانه، كمن صام في المرض والسفر أو صلى قائماً مع تضرره بذلك، أو اغتسل مع خشية الضرر على نفسه. وأنواع هذا كثيرة. وقيل: إنما ينهى عنه لحق المرأة لما فيه من الإضرار بها بتطويل العدة، فلورضيت بذلك بأن سألته الطلاق بعوض في الحيض، فهل يزول بذلك تحريره؟

فيه قولان مشهوران للعلماء: مشهور مذهب الشافعية والحنابلة زوال التحريم (٣).

وقد أطلنا الكلام في إيضاح هذا المقام حرصاً على الإفادة، ولينال الراغب مراده، مع أن هذه الفروع نبذة من تفاريع هذا الحديث المرفوع. وإلا فالذي تشهد به الأسباب، أن هذا من جوامع كلم من أوتي الحكمة وفصل الخطاب، ففرائد جواهره مكنونة، وفوائد ظواهره مخزونة، لا تحصى بعد ولا حساب، ولا يرتقي إلى ذروتها كل إدراك، بل العجز عن دركها هو الإدراك. واعلم أرشدني الله (تعالى) (١) وإياك إلى

(١) انظر جامع العلوم والحكم . لابن رجب . ص / ٦٠ .

(٢) تجشم : تكلفه على مشقة ... ترتيب قاموس المحيط ج ١ ص / ٤٩٥ .

(٣) انظر جامع العلوم والحكم . ص / ٦٠ . (٤) لم يذكر في نسخة أ.

أقوم سنن، وصرف عني وعنك مضلات الفتن، أن هذا الحديث صريح في الحث والحض على الاتباع، وناطق بالتحذير عن الأهواء والابتداع، فمن أخذ به فبالحق قد تمسك، وبالدين القيم قد تنسك، ومن خالفه فقد هلك، واتبع سبيل الغي وسلك.

خاتمة

علم (من)^(١) هذا الحديث، ومما قدمنا من الكلام على الإخلاص، الذي هو تجريد العمل لله الذي هو حق له على الاختصاص، أن العمل المتقبل لا بد له من شرطين، بإجماع أهل العلم من غير نزاع ولا مين^(٢) :

أحدهما: أن يكون خالصاً لله وحده.

والثاني: أن يكون موافقاً للشريعة^(٣).

كما نطقت بذلك الآيات المحكمات والأحاديث المشهورة الصحيحة. فمتى كان العمل خالصاً لله تعالى، ولم يكن صواباً، صار ذلك على القطع سراياً، أو كان موافقاً للشريعة، ولكنه غير خالص لوجه الله الكريم، فهو رد على الشريك، لأن الله خير قسيم، فتبين بهذا أن عمل غلاة أهل الطريقة الصوفية ممن تعبد الله على جهالة، أنه لاشك سفه وضلالة، بل هو فعل الرهبان، الذين كذبوا الرسل وأنكروا القرآن، ولو فرض أنهم فيه مخلصون، فهو غير مقبول، لعدم موافقة هدي الرسول، فمن تدبر أحوال هؤلاء المنتسبين إلى الصوفية وما ابتدعوه من الرهبانية، رآه في الحقيقة خرقاً للسنن السنية، فأعمالهم مثل أعمال الرهبان، الذين أخبر الله عنهم في القرآن.

فقال جل جلاله: « وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا »^(٤).

(١) في نسخة د . في .

(٢) المين: الكذب وجمعه ميون . مختار الصحاح ص / ٦٤١ .

(٣) انظر تفسير ابن كثير ج ١ ص / ٢٥٤ (شرح قوله تعالى: « بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ »).

(٤) سورة الفرقان آية / ٢٣ .

وقال عز وجل : « وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَلُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيَعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا » (١).

وقال سبحانه وتعالى : « وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَشِيعَةٌ (٢) عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ (٣) نَصَلْنَا نَارًا حَامِيَةً (٤) تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ آتِيَةٍ » (٢).

فقد تأولها بعض السلف على ما ذكرته (٣). فأين حال هؤلاء الذين خرقوا منهاج هذه الملة، وخرجوا من واضحها إلى الأهواء والبدع المضلة، من حال من قال الله تعالى (فيه) (٤) « بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ » (٥).

قال سعيد بن جبير (٦) : « أَسْلَمَ وَجْهَهُ، أي أخلص « وَجْهَهُ، أي دينه » وهو مُحْسِنٌ « أي متبع الرسول (ﷺ) وكذا قال غيره. وقيل : أخلص العمل لله وحده لا شريك (٧) له.

وأما إن كان العمل موافقاً للشريعة في الصورة الظاهرة، ولكن عامله لم يخلص القصد لله تعالى، فعمله أيضاً مردود. وهذا حال المرئيين والمنافقين.

قال الله جل جلاله : « إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالًا يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا » (٨).

(١) سورة النور آية / ٣٩.

(٢) سورة الغاشية آية ٢ - ٥.

(٣) ذكر ابن كثير في تفسيره ج ١ ص / ١٥٤ - ١٥٥ منهم، عمر بن الخطاب - رضي الله عنه.

(٤) سقطت من نسخة ب. وفي نسخة ج، فيهم.

(٥) سورة البقرة آية / ١١٢.

(٦) سعيد بن جبير يكنى أبا عبدالله، مولى بني والبة، من بني أسد بن خزيمة. كان عالماً تقياً ورعاً. كان يخرج في السنة مرتين : مرة للحج ومرة للعمرة. قتله الحجاج لأنه قاتله مع ابن الأشعث، وكان قتله في سنة أربع وتسعين وقيل : خمس وتسعين. انظر صفة الصفوة ج ٣ ص / ٧٧.

(٧) انظر قول سعيد وما بعده في تفسير ابن كثير ج ١ ص / ١٥٤.

(٨) سورة النساء آية / ١٤٢.

وقال تعالى : « فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ الَّذِينَ هُمْ يَرَاءُونَ ﴿٦﴾ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ » (١).

وقال سبحانه وتعالى : « فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا » (٢).

وقد ضمن الله عز وجل لمن أخلص العمل وأحسنه الأجر، وأمنهم من كل مكروه ومحذور، فلا يجول ذلك في صدور، ولا يجول ما هم فيه من الحبور، ولا يزول ما أوتوا من البشر والأنس والسرور. « وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ » فيما يستقبلونه « وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ » على ما مضى مما يتركونه (٣).

(١) سورة الماعون آية / ٤ - ٧.

(٢) سورة الكهف من آية / ١١٠.

(٣) انظر تفسير ابن كثير من قوله : (وأما إن كان العمل) ج ١ ص / ١٥٥.

الفصل السادس

في أمره (ﷺ) عند الاختلاف بالتمسك بسنته وسنة خلفائه الراشدين
التي هي منهاج النجاة والهداية، وتحذيره من ارتكاب البدع
التي هي سبل الضلالة والغواية.

قال تعالى: « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا » (١).
وقال تعالى: « وَإِذِ قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا » (٢).

وقال تعالى: « وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ » (٣).

وقال تعالى: « فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِي مَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا » (٤).

وقال تعالى: « وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ ۗ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا » (٥).

وقال تعالى: « يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا ﴿١٧٤﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَأَعْتَصَمُوا بِهِ ۖ فَسُكِّدْ لَهُمْ فِي رَحْمَةِ مِنَّةٍ وَفَضْلِ وَيَهْدِهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا » (٦). وقال تعالى: « قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ » إلى قوله: « وَأَتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ » (٧).

(٢) سورة النساء آية / ٦١ .

(٤) سورة النساء آية / ٦٥ .

(٦) سورة النساء آية / ١٧٤ و ١٧٥ .

(١) سورة النساء آية / ٥٩ .

(٣) سورة النساء من آية / ٦٤ .

(٥) سورة النساء آية / ١١٥ .

(٧) سورة الأعراف آية / ١٥٨ .

وقال تعالى : « كَتَبْنَا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ » (١).

وقال تعالى : « وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَى هُدًى مُسْتَقِيمٍ » (٢).

وقال تعالى : « وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُمْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا » (٣).

وقال تعالى : « يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ، وَسِرَاجًا مُنِيرًا » (٤).

وقال تعالى : « وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِلَّا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ » (٥).

وأخرج الإمام أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجه من رواية ثور بن يزيد (٦) عن خالد بن معدان (٧) عن عبد الرحمن بن عمرو السلمي (٨) عن العرابض بن سارية قال : وعظنا رسول الله (ﷺ) موعظة وجلت منها القلوب وذرفت منها العيون ، فقلنا : يارسول الله كأنها موعظة مودع فأوصنا . قال : (أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن تأمر عليكم عبد حبشي ، وإنه من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً . فعليكم بستي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين ، عضوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة) (٩).

(١) سورة إبراهيم من آية / ١ (٢) سورة الحج من آية / ٦٧ .

(٣) سورة الأحزاب آية / ٣٦ . (٤) سورة الأحزاب آية / ٤٥ و ٤٦ .

(٥) سورة الشورى من آية / ٥٢ و ٥٣ .

(٦) ثور بن يزيد ، أبو خالد الحمصي ، ثقة ثبت إلا أنه يرى القدر . مات سنة خمسين ، وقيل : ثلاث وخمسين ومائة . تقريب التهذيب ج ١ ص / ١٢١ .

(٧) خالد بن معدان ، أبو عبدالله ، الكلاعي الحمصي ، عالم أهل بلده في زمانه ، مات سنة ثلاث ومائة ، وهو أحد الأثبات غير أنه يدلس ويرسل ، حديثه في الكتب الستة ، وقيل : إنه مات سنة أربع ومائة . انظر تذكرة الحفاظ ج ١ ص / ٩٣ .

(٨) عبد الرحمن بن عمرو بن عبسة السلمي ، الشامي ، مقبول . مات سنة عشر ومائة ، تقريب التهذيب ج ١ ص / ٤٩٣ .

(٩) رواه أحمد في مسنده ج ٤ ص / ١٢٦ و ١٢٧ كما رواه أبو داود في سننه ج ٤ ص / ٢٠٠ و ٢٠١ باب لزوم السنة . كما رواه الترمذي في جامعه ج ٥ ص / ٤٤ كتاب العلم باب ١٦ . ورواه أيضاً ابن ماجه في سننه ج ١ ص / ٩ و ١٥ و ١٦ المقدمة باب ٦ .

زاد ابن ماجة (فقد تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك) (١).

التمسك بالكتاب

قوله (تعالى) (٢) : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ » أي اتبعوا كتابه الكريم الهادي إلى سبيل السلام، والصراط المستقيم، واعتصموا به فإنه الحبل المتين، والنور الواضح المبين، والشفاء لما في الصدور والمخرج من الظلمات إلى النور، فمن ترك العمل براهينه وحججه، وعدل عن قيم نهجه فقد نبذه وراء ظهره واتخذة نسياً منسياً، وتوغل في علو كفره « فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا » (٣).

التمسك بسنة الرسول (ﷺ)

« وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ » أي تمسكوا بسنته المضيئة الأنوار، وخذوا بطريقته الوضيئة المنار والسمحة الرافعة للأغلال (٤) والآصار (٥)، فمن لزمها فاز بالرضوان والسلامة في دار النعيم والمقامة، ومن أخطأ فقد باء بالخسران والندامة. (وقد) (٦) قرن الله تعالى في كتابه طاعته بطاعة نبيه المصطفى، وكفى بذلك لجنابه شرفاً، وبين في كثير من الآيات أن من أطاع (رسوله) (٧) فقد أطاعه ومن عصى أمره فقد عصى أمر الله وأصاعه.

ففي الصحيحين عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله (ﷺ) :
(من أطاعني فقد أطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله) (٨).

(١) رواه ابن ماجة في سننه ج ١ ص / ١٦ المقدمة باب ٦. ورواه الحاكم في مستدرکه ج ١ ص / ٩٦ كتاب العلم.
(٢) لم يذكر في نسخة ب. ج.
(٣) سورة مريم من آية / ٥٩.
(٤) الأغلال : الغل بالكسر : الغش والحقد. والغل بالضم : واحد الأغلال. يقال في رقبة غُل من حديد، ومنه قيل للمرأة السبيطة الخلق : غُلٌ قَمِيل. انظر مختار الصحاح ص / ٤٧٩.
(٥) الآصار : الإصر بالكسر : العهد، والذنب والثقل. ترتيب قاموس المحيط ج ١ ص / ١٥٣.
(٦) سقطت من نسخة د.
(٧) في نسخة ج، الرسول.
(٨) رواه البخاري في صحيحه ج ٨ ص / ١٠٤ كتاب الأحكام باب ١، كما رواه مسلم في صحيحه ج ٣ ص / ١٤٦٦ كتاب الإمارة حديث رقم ٣٢ و ٣٣ / ١٨٣٥.

طاعة أولي الأمر

قوله: « وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ » المراد بهم أمراء المسلمين في عهد الرسول (ﷺ) وكذلك بعده، لأن السبب وإن كان خاصاً، فالحكم عام قطعاً. فقد روى البخاري عن ابن عباس أنها نزلت في عبدالله بن حذافة بن قيس^(١) إذ بعثه النبي (ﷺ) في سرية^(٢). وروى الإمام أحمد بسنده عن علي - رضي الله عنه - قال: بعث رسول الله (ﷺ) سرية واستعمل عليهم رجلاً من الأنصار. فلما خرجوا وجد عليهم^(٣) في شيء. فقال: ليس قد أمركم رسول الله (ﷺ)^(٤) أن تطيعوني، قالوا: بلى قال: فاجمعوا لي حطباً، ثم دعا بنار فأضرمها فيه. ثم قال: قد عزمت عليكم لتدخلنّها، قال شاب: إنما فررتم إلى رسول الله (ﷺ) من النار فلا تعجلوا حتى تلقوا رسول الله (ﷺ) فإن أمركم أن تدخلوها فادخلوها. قال: فرجعوا إلى النبي (ﷺ) فقال (لهم): (لو دخلتموها ما خرجتم منها أبداً، إنما الطاعة في المعروف)^(٥).

فقد دلت الآية على وجوب طاعة الأمراء في زمن النبي (ﷺ) وبعده، ويندرج في ذلك القضاة وأمراء السرايا. وفي الحديث (من أطاع أميرى فقد أطاعنى، ومن عصى أميرى فقد عصانى)^(٦).

وصرحت الأحاديث على أن وجوب طاعتهم في غير المعصية، فقوله:

-
- (١) عبدالله بن حذافة بن قيس بن عدي السهمي القرشي من السابقين الأولين، أمره النبي (ﷺ) على سرية. كما أمره أن ينهى أهل منى من صيام أيام التشريق، أسر في بلاد الروم. قيل رأس ملكهم في مقابل أن يخلى عنه وعن جميع أسرى المسلمين. مات بمصر في خلافة عثمان. وشهد فتحها قبل ذلك. الإصابة ج ٢ ص/ ٢٩٦.
- (٢) رواه البخاري في صحيحه ج ٥ ص/ ١٨٠ كتاب التفسير سورة ٤ باب ١١، كما رواه مسلم في صحيحه ج ٣ ص/ ١٤٦٥ كتاب الإمامة حديث رقم ٣١/ ١٨٣٤. وانظر أيضاً تفسير ابن كثير ج ١ ص/ ٥١٦ و ٥١٧.
- (٣) وجد عليهم: غضب عليهم.
- (٤) لم يذكر في نسخة ب، ج.
- (٥) رواه أحمد في مسنده ج ١ ص/ ١٢٤ و ٨٢ كما رواه البخاري في صحيحه ج ٨ ص/ ١٠٦ كتاب الأحكام باب ٤. ورواه مسلم في صحيحه ج ٣ ص/ ١٤٦٩ كتاب الإمامة. حديث رقم ٣٩ و ٤٠/ ١٨٤٠. كما ذكره ابن كثير في تفسيره ج ١ ص/ ٥١٧.
- (٦) رواه البخاري في صحيحه ج ٨ ص/ ١٠٤ كتاب الأحكام باب ١، كما رواه مسلم في صحيحه ج ٣ ص/ ١٤٦٦ كتاب الإمامة حديث رقم ٣٢ و ٣٣/ ١٨٣٥ (عن أبي هريرة).

« وَأُولَى الْأَمْرِ » أي أطيعوا أولي الأمر فيما أمروكم به من طاعة الله تعالى لا في معصية الله، فإنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، وفي الصحيح عن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله (ﷺ): (السمع والطاعة على المرء فيما أحب وكره ما لم يؤمر بمعصية، فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة)^(١).

وعن أبي هريرة أن النبي (ﷺ) قال: (سيلي عليكم بعدي ولاة، فيليكم البرُّ ببرِّه، ويليكم الفاجر بفجوره، فاسمعوا لهم وأطيعوا في كل ما وافق الحق، وصلوا وراءهم فإن أحسنوا فلكم (ولهم)^(٢) وإن أساءوا فلكم وعليهم)^(٣).

وروى مسلم عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله (ﷺ): (من رأى من أميره (شيئاً) فكرهه ليصبر، فإنه ليس أحد يفارق الجماعة إلا مات ميتة جاهلية)^(٤).

وقيل: المراد بأولي الأمر، أهل الفقه والدين، روي عن ابن عباس ومجاهد^(٥) وعطاء والحسن وأبي العالية، وقال الحافظ ابن كثير^(٦): والظاهر أنها عامة في كل من ولي أمراً كالأمراء والعلماء.

قال الله تعالى: « لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ »^(٧) وقال تعالى: « فَسَلُّوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ »^(٨).

(١) رواه البخاري في صحيحه ج ٨ ص/ ١٠٥ و ١٠٦ كتاب الأحكام باب ٤، كما رواه مسلم في صحيحه ج ٣ ص/ ١٤٦٩ كتاب الإمامة حديث رقم ١٨٣٩/٣٨.

(٢) سقطت من نسخة ج.

(٣) انظر تفسير الطبري ج ٨ ص/ ٥٠٢ وقال المحقق في الهامش: هذا الحديث ضعيف جداً. وانظر أيضاً تفسير ابن كثير ج ٢ ص/ ٥١٧.

(٤) رواه البخاري في صحيحه ج ٨ ص/ ٨٧ كتاب الفتن باب ٨، كما رواه أيضاً في ج ٨ ص/ ١٠٥ كتاب الأحكام باب ٤، كما رواه مسلم في صحيحه ج ٣ ص/ ١٤٧٨ كتاب الإمامة حديث رقم ١٨٤٩/٥٥.

(٥) مجاهد بن جبر - بفتح الجيم وسكون الموحدة - أبو الحجاج المخزومي، مولا هم المكي، ثقة إمام في التفسير وفي العلم، مات سنة إحدى أو اثنتين أو ثلاث أو أربع ومائة. وله ثمانون سنة. انظر تقريب التهذيب ج ٢ ص/ ٢٢٩ وصفة الصفوة ج ٢ ص/ ٢٠٨.

(٦) انظر تفسير ابن كثير ج ١ ص/ ٥١٨.

(٧) سورة المائدة من آية / ٦٣.

(٨) سورة الأنبياء من آية / ٧.

الرجوع إلى الكتاب والسنة

وقوله: « فَإِن نَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ » قال مجاهد وغير واحد من السلف: أي إلى كتاب الله وسنة رسوله. أمر الله تعالى عباده المؤمنين إذا اختلفوا في فرع أو أصل الدين، أمر إلزام وإيجاب، أن يراجعوا في ذلك الأمر الكتاب وسنة الرسول^(١) الكاشفة لكثيف الحجاب، الجالية دياجر^(٢) الشك والارتباب، المسفرة^(٣) بضياء الحق والصواب، فبها يكون فصل الخطاب، فما شهدا له بالصحة فهو الحق الذي هم فيه يختلفون، وماذا^(٤) بعد الحق إلا الضلال فأنى يصرفون، ويشهد لذلك قوله:

« وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ »^(٥).

فما حكم به كتاب الله وسنة الرسول، هو فصل النزاع فلا يجوز عنه العدول، فمن لم يرض بهما حكماً عند النزاع فهو كافر مباح الدم والمال بالإجماع. ولهذا قال: « إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ » فإن الإيمان يوجب ذلك. قوله: « ذَلِكَ خَيْرٌ » أي التحاكم إلى كتاب الله وسنة رسوله والرجوع إليهما في فصل النزاع في فروع الدين وأصوله. « وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا » أي أحسن مآلاً ومآباً، أو أحسن جزاءً وثواباً^(٦). وقوله تعالى: « وَإِذِ قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ » سبب نزول هذه الآية والتي قبلها، أن منافقاً ويهودياً تحاصماً، واليهودي يريد النبي، والمنافق يريد كعب بن الأشرف^(٧). ثم تراضيا عمر بن الخطاب، فلما استقرأ^(٨) حالهما قتل المنافق، وقال: هكذا أفضي لمن لم يرض بقضاء الله ورسوله. وقيل: نزلت في جماعة

(١) انظر تفسير ابن كثير ج ١ ص / ٥١٨ .

(٢) دياجر: الظلام.

(٣) في نسخة ج، المفسرة.

(٤) في نسخة ج، ما.

(٥) سورة الشورى من آية / ١٠ .

(٦) انظر تفسير ابن كثير ج ١ ص / ٥١٨ .

(٧) كعب بن الأشرف اليهودي، من بني نهبان من طيء، حليفة بني قريظة. أمه من بني النضير، كان عدواً لله

ورسوله، يهجو النبي (ﷺ) وأصحابه ويحرض عليهما كفار قريش في شعره. أرسل النبي (ﷺ) إليه محمد بن

مسلمة الأنصاري وآخرين ليقتلوه، فقتلوه في الرابع عشر من ربيع الأول على رأس خمسة عشر شهراً من الهجرة.

انظر إمتاع الأسع ج ١ ص / ١٠٧ و ١٠٩ .

(٨) في نسخة د، استقر.

من المنافقين ممن أظهر الإسلام، أرادوا أن يتحاكموا إلى حكام الجاهلية. والآية كما قال ابن كثير: أعم من ذلك كله، فإنها دامة لمن عدل عن الكتاب والسنة، وتحاكم إلى ماسواهما من الباطل^(١).

وقوله: «يُصَدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا»^(٢) أي يعرضون عنك إعراضاً كالمستكبرين عن ذلك. ويقولون ما ذكر الله عنهم «بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءِآبَاءَنَا»^(٣) وهؤلاء بخلاف المؤمنين الذين قال الله فيهم: «إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا»^(٤) الآية.

وقوله تعالى: «وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ» أي فرضت طاعته على من أرسلته إليهم، وأوجبت ذلك عليهم. ولكن لا يطيع أحد إلا بإذني وبتوفيقي ومشيتي^(٥)؟.

وقوله تعالى: «فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ» أقسم تعالى بنفسه الكريمة المقدسة أنه لا يؤمن أحد حتى يحكم الرسول في الأمور، فما حكم به فهو الحق الذي تشرح به الصدور، ويجب له في الظاهر والباطن الانقياد، والرضى بما حكم والتسليم، وعدم الحرج والانقياد، فيتلقى بالقبول من غير ممانعة، ولا مدافعة ولا منازعة، ويشهد لهذا ما ثبت عن عبدالله بن عمرو بن العاص قال: قال رسول الله (ﷺ): (لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به)^(٦).

وسبب نزول هذه الآية كما رواه البخاري عن عروة^(٧) قال: خصم الزبير رجلاً

(١) انظر تفسير ابن كثير ج ١ ص ٥١٩. (٢) سورة النساء من آية / ٦١.

(٣) سورة البقرة من آية / ١٧٠.

(٤) سورة النور من آية / ٥١. وانظر تفسير ابن كثير ج ١ ص ٥١٩.

(٥) انظر تفسير ابن كثير ج ١ ص ٥١٩.

(٦) ذكره ابن أبي عاصم في كتاب السنة ج ١ ص ١٢ وقد مر ذكر الحديث.

(٧) عروة بن الزبير بن العوام القرشي الأسدي، أبو عبدالله، أحد الفقهاء السبعة بالمدينة. كان صالحاً عالماً، قطعت رجله لإصابتها بالأكلة فلم يتحرك بل كان يكبر أحياناً، وأصيب في ولده فلم يجزع، كان جواداً محباً للخير، كان يقرأ بربع القرآن كل يوم، ويقوم الليل. ولد ليلة اثنين أو ست وعشرين من الهجرة، وتوفي في قرية فرع (قرية من المدينة) سنة ثلاث أو أربع وتسعين. انظر وفيات الأعيان ج ٣ ص ٢٥٥.

من الأنصار في شراج الحرة . فقال النبي (ﷺ): (اسق يازبير ثم أرسل إلى جارك) .

فقال الأنصاري : إن كان ابن عمك . فتلون وجه النبي (ﷺ) ثم قال : (اسق يازبير ثم احبس الماء حتى يرجع إلى الجدر ثم أرسل الماء إلى جارك .) (١) الحديث .
وقيل نزلت في الزبير وحاطب بن أبي بلتعة (٢) ، اختصما في ماء ، ففضى النبي (ﷺ) -
أن يسقي الأعلى ثم الأسفل (٣) .

وهذه الآية أيضاً كما ترى صريحة الدلالة على أن من لم يرض بتحكيم سنته أنه كافر يستوجب القتل ، لأن من لم يطعه ولم يرض بحكمه لم يقبل رسالته .

وقوله تعالى : « وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُ الْهُدَىٰ » (٤) أي من سلك غير الطريقة التي أوضحها الرسول ، والشريعة التي كل ماسواها غير مقبول ، من بعد ما توضح له الهدى ، وتبين له الضلال والردى . « وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ » (٥) وهذا ملازم للصفة الأولى ، ولكن قد تكون المخالفة لنص الشارع ، وقد تكون المخالفة لإجماع الأمة لأنه كالنص القاطع (٦) ، لأن الله تعالى قد عصمها أن تجتمع على ضلالة ، فلا يظهر على أهل الحق أهل الجهالة ، ولا يكون الحق مهجوراً في جميع الأمصار والأعصار ، ومن قال غير هذا فهو مخالف لما صح في الأحاديث والأخبار ، وتواترت به الآثار ، بل زائغ عن سبيل نبيه المختار .

وقوله تعالى : « يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ » الآية . هذا خطاب من الله لجميع الناس ، وإخبار بأنهم « قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ » وهو الدليل القاطع للعدو والحجة

(١) رواه البخاري في صحيحه ج ٥ ، ص / ١٨٠ و ١٨١ كتاب التفسير سورة ٤ باب ١٢ ، كما رواه مسلم في صحيحه ج ٤ ص / ١٨٢٩ و ١٨٣٠ كتاب الفضائل حديث رقم ١٢٩ / ٢٣٥٧ . وانظر تفسير ابن كثير ج ١ ص / ٥٢٠ .

(٢) حاطب بن أبي بلتعة بن عمرو بن عمير اللخمي ، حليف بن أسد بن عبد العزى ، شهد بدرأ ، نزلت فيه قوله : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ » وذلك عندما بعث بكتاب إلى أهل مكة يخبرهم بتجهيز الرسول (ﷺ) ، شهد الحديبية ، وقد بعثه الرسول (ﷺ) إلى المقوقس عظيم مصر . توفي سنة ثلاثين . انظر الإصافة ج ١ ص / ٣٠٠ .

(٤) سورة النساء من آية / ١١٥ .

(٣) انظر تفسير ابن كثير ج ١ ص / ٥٢١ .

(٦) انظر تفسير ابن كثير ج ١ ص / ٥٥٥ .

(٥) سورة النساء من آية / ١١٥ .

المزيلة للشبهة (والالتباس)^(١) . « وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا » ضياءً واضحاً . قال غير واحد : هو القرآن والبرهان ، وقيل : إنه الرسول أيضاً .

ثم بين صفة المؤمنين في الدنيا والآخرة بقوله : « فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَأَعْتَصَمُوا بِهِ » الآية .

فأخبر أنهم في الدنيا على منهاج الاستقامة ، وطريق السلامة ، وفي الآخرة على الصراط المستقيم المفضى بهم إلى روضات النعيم^(٢) .

وقوله^(٣) تعالى : « قُلْ يَتَّبِعُهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا » أي قل يا محمد « يَتَّبِعُهَا النَّاسُ » الآية .

وهذا خطاب للأسود والأحمر والعربي والعجمي ، وهذا من شرفه أنه خاتم النبيين وأنه مبعوث إلى الناس كافة^(٤) .

وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : (والذي نفسي بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة ، ثم لا يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار) رواه الإمام أحمد^(٥) .

وقوله تعالى : « وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ » أي ماصح « إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا » أي إذا قضى رسول الله وإنما ذكر الله تعالى لتعظيم أمر الرسول وللإعلام بأن قضاءه الذي يقضي به ، وحكمه الذي يحكم به أنه قضاء الله تعالى (فلا يجوز عنه العدول)^(٦) لأنه « وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۗ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ »^(٧) .

(١) زائدة في نسخة د .

(٢) انظر تفسير ابن كثير ج ١ ص / ٥٩٢ .

(٣) في نسخة ج ، وقال .

(٤) في نسخة أ . د . أجمعين . وقد أثبتنا الصواب كما في تفسير ابن كثير ج ٢ ص / ٢٥٤ .

(٥) رواه الإمام أحمد في مسنده ج ٢ ص / ٣٥٠ ، كما رواه مسلم في صحيحه ج ١ ص / ١٣٤ كتاب الإيثار حديث رقم ١٥٣ / ٢٤٠ .

(٦) ما بين المعقوفين سقط من نسخة ب . ج . (٧) سورة النجم آية / ٣ و ٤ .

وقوله: « أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخَيْرَةُ » يعني (بغير) (١) أن يختاروا من أمرهم شيئاً، بل عليهم أن يجعلوا اختيارهم تبعاً لاختيار الله ورسوله والخيرة كعنة مايتخير.

وقوله تعالى: « وَدَاعِيَا إِلَى اللَّهِ » أي إلى توحيدهِ وعبادته « بِإِذْنِهِ » أي بتيسيره « وَسِرَاجًا مُنِيرًا » يستضاء به (عن) (٢) ظلمات الجهالة والردى، وتقتبس منه أنوار الهدى، ومن كان برهاناً على جميع الخلق، كان حقيقاً أن يكتفى به عن غيره.

وقول العرياض (٣): (وعظنا رسول الله ﷺ موعظة) وفي رواية أحمد وأبي داود والترمذي (بليغة) وفي رواية، أن ذلك كان بعد صلاة الصبح، وكان كثيراً ما يعظ أصحابه في غير الخطب الراتبة كالجمع والأعياد، وقد أمره الله تعالى بذلك.

فقال: « وَعَظُّهُمْ وَقَوْلُهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا » (٤).

[وقال: « ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ » (٥). ولكنه كان لا يديم وعظهم بل يتخولهم (٦) به أحياناً. والبلاغة] (٧) في الموعظة مستحسنة، لأنها أقرب إلى قبول القلوب واستجلابها، والبلاغة: هي التوصل إلى إفهام المعاني المقصودة، وإيصالها إلى قلوب السامعين بأحسن صورة من الألفاظ الدالة عليها، وأفصحها وأحلاها للأسماع، وأوقعها للقلوب. وكان يقصر خطبته ولا يطيلها، بل كان يبلغ يوجز (٨).

وقوله: (ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب) هذان الوصفان مدح الله تعالى بهما المؤمنين عند سماع الذكر، كما قال عز وجل: « إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ » (٩).

(١) زائدة في نسخة ج.
(٢) قول العرياض انظر جامع العلوم والحكم ص / ٢٤٤.
(٣) سورة النحل من آية / ١٢٥.
(٤) سورة النساء من آية / ٦٣.
(٥) يتخولهم: يتعهدهم، وقيل: يتحولهم، أي يتأمل حالاتهم التي ينشطون فيها للموعظة. . انظر الفائق في غريب الحديث ج ١ ص ٤٠١.
(٦) ما بين المعقوفتين سقطت من نسخة ب.
(٧) سورة الأنفال من آية / ٢.
(٨) انظر جامع العلوم والحكم . ص / ٢٤٤.
(٩) سورة الأنفال من آية / ٢.

وقال : « وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ » (١) .

وقال : « أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ » (٢) .

وقال : « اللَّهُ نَزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِنْبًا مُتَشَبِهًا مَثَانِي نَفْسٍ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ » (٣) .

وكان رسول الله (ﷺ) يتغير حاله ، كما قال جابر : كان رسول الله (ﷺ) إذا خطب فذكر الساعة ، اشتد غضبه وعلا صوته ، واحمرت عيناه ، كأنه منذر جيش يقول : (صبحكم ومساكم) . خرجه البخاري ومسلم (٤) .

وقولهم : (يارسول الله كأنها موعظة مودع فأوصنا) يدل على أنه (ﷺ) قد أبلغ في تلك الموعظة ما لم يبلغ في غيرها ، فلذلك فهموا أنها موعظة مودع ، فإن المودع يستقصي (مالا يستقصي غيره) (٥) في القول والفعل ، ولذلك أمر النبي (ﷺ) أن يصلي صلاة مودع . لأن من استشعر أنه مودع بصلاته أتقنها على أكمل وجوهها ، ولربما (كان) (٦) قد وقع منه تعريض بالتوديع في تلك الخطبة كما عرض بذلك في خطبته في حجة الوداع وقال : (لا أدري لعلي «لا» (٧) ألقاكم بعد عامي هذا) وطفق يودع الناس فقالوا : هذه حجة الوداع ، ولما رجع من حجه إلى المدينة ، جمع الناس بهاء بين مكة والمدينة ، يسمى خمأً وخطبهم فقال : (يا أيها الناس إنما أنا بشر يوشك أن يأتيني رسول ربي فأجيب) .

(ثم حض على التمسك بكتاب الله ووصى بأهل بيته) خرجه مسلم (٨) .

-
- (١) سورة الحج من الآية / ٣٤ و ٣٥ .
(٢) سورة الزمر من آية / ٢٣ وانظر أيضاً جامع العلوم والحكم ص / ٢٤٥ .
(٣) رواه مسلم في صحيحه ج ٢ ص / ٥٩٢ كتاب الحج حديث رقم ٤٣ / ٨٦٧ . ولكن لم أجد للبخاري رواية لهذا الحديث .
(٤) مابين المعقوفتين سقطت من نسخة د .
(٥) سقطت من نسخة أ . ب .
(٦) سقطت من نسخة د .
(٧) رواه مسلم في صحيحه ج ٤ ص / ١٨٧٣ كتاب فضائل الصحابة حديث رقم ٣٦ / ٢٤٠٨ عن زيد بن أرقم . وانظر أيضاً جامع العلوم والحكم لابن رجب ص / ٢٤٦ .

وقولهم: ^(١) (فأوصنا) يريدون وصية جامعة كافية، فإنهم لما فهموا أنه مودع استوصوه وصية ينفعهم بنفعهم التمسك بها بعده، ويكون فيها كفاية لمن تمسك بها، وسعادة (له) ^(٢) في الدنيا والآخرة.

وقوله (ﷺ): (أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة)، هاتان كلمتان جامعتان للشرف والسيادة والفوز والسعادة، وبها تنال الدرجة العالية الطولى في الآخرة والأولى.

معنى التقوى

أما التقوى فهي أشرف الخصال وأسانها، وأجلها قدراً وأسامها، بل كل مكرمة ناشئة عنها، وكل منقبة فاشية (منها) ^(٣). وناهيك بها من خصلة خصها الله تعالى بالوصية، وعم بالإيحاء بها الأولين والآخرين من البرية فقال: « وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ » ^(٤).

وأصل التقوى أن يجعل العبد بينه وبين ما يخافه ويحذره وقاية تقيه من ذلك، وهو فعل طاعته، واجتناب معاصيه ^(٥). وتارة تضاف التقوى إلى الله تعالى. كقوله: « وَأَتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ » ^(٦).

« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مِمَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ » ^(٧).

فإذا أضيف التقوى إليه سبحانه، فالمعنى: اتقوا سخطه وغضبه ^(٨)، وهو أعظم ما يتقى.

-
- (١) انظر جامع العلوم والحكم لابن رجب . ص / ٢٤٧ .
(٢) سقطت من نسخة أ . د .
(٣) في نسخة ج ، عنها .
(٤) سورة النساء من آية / ١٣١ .
(٥) انظر جامع العلوم والحكم لابن رجب ص / ١٤٨ .
(٦) سورة المائدة من آية / ٩٦ .
(٧) سورة الحشر آية / ١٨ .
(٨) في نسخة د . وعظمته .

وعن ذلك : ينشأ عقابه الدنيوي والأخروي ، وقال الله تعالى : « وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ » (١) .

وقال تعالى : « هُوَ أَهْلُ النَّفْوَى وَأَهْلُ الْمَعْرِفَةِ » (٢) .

فهو جل جلاله أهل أن يخشى ويهاب ويجل ويعظم في صدور عباده حتى يعبدوه ويطيعوه لما يستحقه من الإجلال والإكرام وصفات الكبرياء والعظمة وقوة البطش وشدة البأس (٣) .

ففي الحديث عن أنس عن النبي (ﷺ) قال : قال الله تعالى : (أنا أهل أن أتقى ، فمن اتقاني فلم يجعل معي إلها آخر ، فأنا أهل أن أغفر له) (٤) .

وتارة (٥) تضاف إلى عقاب الله وإلى مكان عقابه وزمانه . قال تعالى : « فَأَتَقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ » (٦) .

وقال تعالى : « وَأَتَقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ » (٧) .

« وَأَتَقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا » (٨) .

وقال معاذ بن جبل : (ينادى يوم القيامة ، أين المتقون؟ فيقومون في كنف (من) الرحمن لا يحتجب عنهم ولا يستتر . قالوا : من المتقون؟ قال : قوم ألغوا الشرك وعبادة الأوثان وأخلصوا لله بالعبادة) (٩) .

(١) سورة آل عمران من آية / ٢٨ .

(٢) سورة المدثر من آية / ٥٦ .

(٣) انظر جامع العلوم والحكم لابن رجب . ص / ١٤٨ .

(٤) رواه الإمام أحمد في مسنده ج ٣ ص / ١٤٢ و ٢٤٢ . كما رواه ابن ماجة في سننه ج ٢ ص / ١٤٣٧ كتاب الزهد باب ٣٥ ، كما رواه الترمذي في جامعه ٢ ج ٥ ص / ٤٣٠ كتاب التفسير ، سورة المدثر .

(٥) انظر جامع العلوم والحكم لابن رجب . ص / ١٤٩ .

(٦) سورة البقرة من آية / ٢٤ .

(٧) سورة البقرة من آية / ٢٨١ .

(٨) سورة البقرة من آية / ٤٨ ، وآية ١٢٣ .

(٩) انظر كلام معاذ في جامع العلوم والحكم ص / ١٤٩ ، وانظر تفسير ابن كثير ج ١ ص / ٤٠ .

فأعظم ما يتقى الشرك ، لأنه الذنب الذي لا يغفر كما قال تعالى : « إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ » (١) .

وحرم الله على من أشرك به في عبادته الجنة كما قال : « إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَهُ النَّارُ » (٢) .

وفي البخاري عن ابن مسعود عن النبي (ﷺ) : (من مات وهو يدعو الله نداً دخل النار) (٣) .

وفي صحيح مسلم عن جابر عن النبي (ﷺ) (٤) قال : (من لقي الله لا يشرك به شيئاً دخل الجنة ، ومن لقيه يشرك به شيئاً دخل النار) (٥) .

وقال ابن عباس : المتقون الذين يحذرون من الله عقوبته في ترك ما يعرفون من الهدى ، ويرجون رحمته في التصديق بما جاء به (٦) .

وقال الحسن : المتقون اتقوا ما حرم عليهم وأدوا ما افترض عليهم (٧) .

وفي الحديث (لا يبلغ العبد أن يكون من المتقين حتى يدع ما لا بأس به حذراً مما به بأس) (٨) .

وحديث (من اتقى الشبهات استبرأ لدينه وعرضه) (٩) .

-
- (١) سورة النساء من آية / ٤٨ .
(٢) سورة المائدة من آية / ٧٢ .
(٣) انظر صحيح البخاري ج ٥ ص / ١٥٣ كتاب التفسير باب ٢٢ .
(٤) في نسخة ب . ج ، أن رسول الله (ﷺ) .
(٥) رواه مسلم في صحيحه ج ١ ص / ٩٤ كتاب الإيمان حديث رقم ١٥٢ / ٩٣ .
(٦) انظر جامع العلوم والحكم . لابن رجب ص / ١٤٩ (وانظر تفسير ابن كثير ص / ٣٩) .
(٧) انظر جامع العلوم والحكم . لابن رجب ص / ١٤٩ (وانظر تفسير ابن كثير ص / ٣٩) .
(٨) رواه الترمذي في جامعه ج ٤ ص / ٦٣٤ كتاب القيامة باب ١٩ . قال أبو عيسى : هذا حديث حسن غريب لانعرفه إلا من هذا الوجه . كما رواه ابن ماجة في سننه ج ٢ ص / ١٤٠٩ كتاب الزهد باب ٢٤ .
(٩) انظر صحيح البخاري ج ١ ص / ١٩ كتاب الإيمان باب ٣٩ . وانظر أيضاً صحيح مسلم ج ٣ ص / ١٢١٩
١٢٢٠ كتاب المساقاة حديث رقم ١٥٩٩ / ١٠٧ (عن النعمان بن بشير) وأوله : (إن الحلال بين وإن الحرام بين) .

وقال ابن مسعود في قوله تعالى: « اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ » قال: (أن يطاع فلا يعصى وأن يذكر فلا ينسى وأن يشكر فلا يكفر) خرجه الحاكم (١).

وشكره يدخل فيه جميع فعل الطاعات، ومعنى ذكره فلا ينسى، ذكر العبد بقلبه لأوامر الله، في حركاته وسكناته وكلماته، فيمثلها، ونواهيها في ذلك كله فيتجنبها (٢).

وحقيقتها اجتناب المناهي (٣)، وامثال الأمر في الباطن والظاهر، فبالجملة هي وصية الله لجميع خلقه، ووصية رسوله لأُمَّته (٤).

(كان النبي ﷺ) إذا أمر أميراً على سرية أو صاه في خاصة نفسه بتقوى الله تعالى وبمن معه من المسلمين خيراً (٥).

وفي حديث أبي ذر قلت: يارسول الله أوصني، قال: (أوصيك بتقوى الله فإنها رأس الأمر كله...) وهو حديث طويل أخرجه ابن حبان (٦).

وحديث معاذ بن جبل (اتق الله حيثما كنت) (٧).

وخرج الإمام أحمد من حديث أبي سعيد الخدري (٨) قال: قلت: يارسول الله أوصني. قال: (أوصيك بتقوى الله فإنها رأس كل أمر عليك بالجهاد فإنها رهبانية الإسلام) (٩) وفي رواية (عليك بتقوى الله فإنها جماع كل أمر).

(١) خرجه الحاكم في مستدركه ج ٢ ص ٢٩٤ كتاب التفسير شرح معنى « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ » وقال هذا صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

(٢) انظر جامع العلوم والحكم ص ١٥٠.

(٣) انظر جامع العلوم والحكم ص ١٥٠.

(٤) رواه مسلم في صحيحه ج ٣ ص ١٣٥٧ كتاب الجهاد حديث رقم ١٧٣١ / ٣ (هذا جزء من حديث طويل رواه مسلم في صحيحه عن بريدة).

(٦) انظر مسند الإمام أحمد ج ٣ ص ٨٢ (عن أبي سعيد الخدري) انظر جامع العلوم والحكم ص ١٥٠.

(٧) رواه الترمذي في جامعه ج ٤ ص ٣٥٥ كتاب البر والصلة باب ٥٥ ماجاء في معاشره الناس. وقال هذا حديث حسن صحيح.

(٨) سعد بن مالك بن سنان الخزرجي الأنصاري مشهور بكنيته، استصغر يوم أحد وغزا ما بعد أحد. أحد المكثرين من الرواية عن الرسول ﷺ. كان فقيهاً بايع الرسول ﷺ على أن لا تأخذه في الله لومة لائم. دخل على معاوية فصحه. مات سنة ثلاث أو أربع أو خمس وستين. وقيل: أربع وسبعين. انظر الإصابة ج ٢ ص ٣٥.

(٩) رواه الإمام أحمد في مسنده ج ٣ ص ٨٢.

وخرج الترمذي عن يزيد بن سلمة^(١) أنه سأل النبي (ﷺ) فقال: إني سمعت منك كثيراً فأخاف أن ينسني أوله آخره. فحدثني بكلمة تكون جماعاً. قال: (اتق الله فيما تعلم)^(٢).

لم يزل السلف الصالح يتواصون بها^(٣)، ويوصون بها في خطبهم. والتقوى في السر هي علامة الإيمان، ولها تأثير عظيم في إلقاء الله تعالى لصاحبها المحبة والثناء في قلوب المؤمنين^(٤)، ويدل على ذلك قوله تعالى: « إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وِدًّا »^(٥).

وحدِيث (إذا أحب الله تعالى عبداً نادى جبريل إن الله يحب فلاناً) إلى آخر قوله (فيوضع له القبول)^(٦).

وقال أبو الدرداء^(٧): (ليتق الله أحدكم أن تلعنه قلوب المؤمنين وهو لا يشعر بمعاصي الله فيلقي الله تعالى له البغض في قلوب المؤمنين)^(٨).

وقال سليمان التيمي^(٩): إن الرجل ليصيب الذنب في السر فيصبح وعليه مذلته^(١٠).

(١) يزيد بن سلمة بن يزيد بن مشعجة الجعفي، له وفاده. ونزل الكوفة. إنه سأل النبي (ﷺ) أن يعلمه كلمة تحفظه من نسيان الحديث. فقال له الرسول (ﷺ): (اتق الله فيما تعلم) انظر الإصابة ج ٣ ص / ٦٥٧.

(٢) رواه الترمذي في جامعه ج ٥ ص / ٤٩ كتاب العلم باب ١٩. ماجاء في فضل الفقه على العبادة. وقال الترمذي: هذا حديث له إسناده متصل. وهو عندي مرسل. ولم يدرك سعيد بن أشوع، يزيد بن سلمة.

(٣) أنظر جامع العلوم والحكم لابن رجب. ص / ١٥٠.

(٤) أنظر جامع العلوم والحكم لابن رجب. ص / ١٥٠. (٥) سورة مريم آية / ٩٦.

(٦) رواه البخاري في صحيحه ج ٤ ص / ٧٩ كتاب بدء الخلق باب ٦ وأيضاً في ج ٨ ص / ١٩٥ كتاب التوحيد باب ٣٣، كما رواه مسلم في صحيحه ج ٤ ص / ٢٠٣٠ كتاب البر والصلة والآداب حديث رقم ١٥٧ / ٢٦٣٧ (عن أبي هريرة).

(٧) عويمر، مشهور بكنيته وباسمه جميعاً، اختلف في اسمه فقيل: عامر وعويمر، واختلف في اسم أبيه فقيل: عامر أو مالك أو ثعلبة، أو يزيد بن قيس الأنصاري الخزرجي، أسلم يوم بدر وشهد أحداً. ولاء معاوية قضاء الشام في خلافة عمر. توفي لستين بقية من خلافة عثمان. وقيل توفي اثنتين وثلاثين. والأصح الأول. انظر الإصابة ج ٣ ص / ٤٥.

(٨) ذكره أبو نعيم في حلية الأولياء ج ١ ص / ٢١٥.

(٩) شيخ الإسلام أبو المعتمر سليمان بن طرخان القيسي مولا هم البصري التيمي، نزل في التيم فنسب إليهم، كان عابد البصرة وعالمها، ثقة، مكث أربعين سنة يصوم يوماً، ويفطر يوماً، ويصلي صلاة الفجر بوضوء العشاء. مات في ذي القعدة سنة ثلاث وأربعين ومائة، وله ثلاث وسبعون سنة. انظر تذكرة الحفاظ ج ١ ص / ١٥٠.

(١٠) ذكره أبو نعيم في حلية الأولياء ج ٣ ص / ٣١.

وهذا من أعظم الأدلة على وجود الإله الحق المجازي بذرات الأعمال في الدنيا قبل الآخرة، ولا يضيع عنده عمل عامل، ولا ينفع من قدرته حجاب ولا استتار، فالسعيد من أصلح ما بينه وبين الله، فإنه من أصلح ما بينه وبين الله، أصلح الله ما بينه وبين الخلق، ومن التمس محامد الناس^(١) بسخط الله عاد من الناس ذاماً (له)^(٢). انتهى الكلام على التقوى، ومقامها يستدعي الإطناب لا الاختصار. ولكن لا يليق بهذه الأوراق إلا الاقتصار، ولو تتبعنا ماورد فيها من الآيات والأخبار وما ثبت عن السلف الصالح فيها من الآثار لاستدعى جملة من الأسفار.

السمع والطاعة لولاة الأمر

وأما السمع والطاعة لولاة أمور المسلمين ففيها سعادة الدنيا، وبها ينتظم مصالح العباد في معاشهم، وبها يستعينون على إظهار دينهم، وطاعة ربهم. كما قال علي - رضي الله عنه - : (إن الناس لا يصلحهم إلا إمام بر أو فاجر، إن كان فاجراً عبدالمؤمن فيه ربه، وحمل الفاجر فيها إلى أجله)^(٣).

وقال الحسن في الأمراء: (هم يلون من أمورنا خمساً: الجمعة، والجماعة، والعيد، والثغور، والحدود. والله ما يستقيم الدين إلا بهم، وإن جاروا أو ظلموا، والله لما يصلح الله بهم أكثر مما يفسدون، مع أن الله إن طاعتهم لغيب، وإن فرقهم لكفر)^(٤).

وخرج الإمام أحمد والترمذي من حديث أبي أمامة قال: سمعت رسول الله (ﷺ) يخطب في حجة الوداع يقول: (اتقوا الله وصلوا خمسكم وصوموا شهركم وأدوا زكاة أموالكم وأطيعوا إذا أمركم تدخلوا جنة ربكم)^(٥).

وفي المسند عن أبي هريرة عن النبي (ﷺ) قال: (من لقي الله لا يشرك به شيئاً وأدى زكاة ماله طيبة بها نفسه محتسباً وسمع وأطاع فله الجنة أو دخل الجنة)^(٦).

(١) في نسخة جـ الخلق. (٢) انظر جامع العلوم والحكم. لابن رجب. ص/١٥٣.

(٣) انظر جامع العلوم والحكم. ص/٢٤٧. (٤) المصدر السابق ص/٢٤٧.

(٥) رواه الإمام أحمد في مسنده جـ ٥ ص/٢٥١ و٢٦٢ (بلفظ اعبدوا ربكم).

(٦) رواه الإمام أحمد في مسنده جـ ٢ ص/٣٦١ و٣٦٢.

وقوله^(١) (ﷺ): (وإن تأمر عليكم عبد) وفي رواية (حبشي) هذا مما تكاثرت به الروايات عن النبي (ﷺ) وهو مما أطلع الله تعالى النبي (ﷺ) عليه من أمر أمته من بعده، وولاية العبيد عليهم. وفي صحيح البخاري عن أنس (رضي الله عنه)^(٢) عن النبي (ﷺ) قال: (اسمعوا وأطيعوا وإن استعمل عليكم عبد حبشي، كأن رأسه زبيبة)^(٣).

وفي صحيح مسلم عن أبي ذر قال: (إن خليلي (ﷺ) أوصاني أن أسمع وأطيع ولو كان عبداً حبشياً مجدع الرأس^(٤)) والأحاديث في (هذا)^(٥) كثيرة لا تحصى والآثار لاتعد ولا تستقصى.

التمسك بسنة الخلفاء الراشدين

وقوله^(٦) (ﷺ): (فمن يعيش منكم - بعدي - فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي عضواً عليها بالنواجذ).

هذا إخبار منه (ﷺ) بما وقع في أمته من بعده من كثير الاختلاف في أصول الدين وفروعه، وفي الأقوال والأعمال والاعتقادات. وهذا موافق لما روي عنه من افتراق أمته على بضع وسبعين^(٧) فرقة وأنها كلها في النار إلا فرقة واحدة، وهي من كان على ما هو عليه وأصحابه^(٨). وكذلك في هذا الحديث الأمر عند الاختلاف والافتراق بالتمسك بسنته وسنة الخلفاء الراشدين.

والسنة: الطريقة المسلوكة، فيشمل ذلك التمسك بما كان عليه هو وخلفاؤه الراشدون، من الاعتقادات والأعمال والأقوال، وهذه هي السنة الكاملة.

(١) انظر جامع العلوم والحكم لابن رجب. ص/ ٢٤٩.

(٢) ما بين المعقوفتين سقطت من نسخة ب. ج.

(٣) انظر صحيح البخاري ج ٨ ص/ ١٠٥ كتاب الأحكام باب ٤.

(٤) رواه مسلم في صحيحه ج ٣ ص/ ١٤٦٧ كتاب الإمارة حديث رقم ١٨٣٧/٣٦ بلفظ (إن كان).

(٥) في نسخة د. هذه.

(٦) انظر جامع العلوم والحكم لابن رجب. ص/ ٢٤٨ و ٢٤٩.

(٨) سيأتي إن شاء الله ذكر هذا الحديث عند التحدث عن افتراق الأمة.

ولهذا كان السلف قديماً لا يطلقون السنة^(١) إلا على ما يشمل ذلك، وكثير من العلماء^(٢) المتأخرين يخصص اسم السنة بما يتعلق بالاعتقادات لأنها أصل الدين، والمخالف على خطر عظيم، وفي ذكر هذا الكلام بعد الأمر بالسمع والطاعة لأولي الأمر إشارة إلى أنه لا طاعة لأولي الأمر إلا في طاعة الله تعالى، كما صح عنه أنه قال: (إنما الطاعة في المعروف)^(٣).

وفي المسند عن أنس أن معاذ بن جبل قال: يارسول الله أرأيت إن كان^(٤) علينا أمراء لا يستنون بسنتك ولا يأخذون بأمرك فما تأمر في أمرهم، فقال رسول الله ﷺ: [(لا طاعة لمن لم يطع الله عز وجل)^(٥).

وأخرج ابن ماجة من حديث ابن مسعود -رضي الله عنه- أن النبي ﷺ قال: [٦] (فسيلي أموركم بعدي رجال يطفئون السنة ويعملون بالبدعة، يؤخرون الصلاة عن مواعيقتها) فقلت: يارسول الله إن أدركتهم كيف أفعل؟ قال (لا طاعة لمن عصى الله)^(٧).

وفي أمره^(٨) ﷺ) باتباع سنته وسنة الخلفاء^(٩) الراشدين بعد أمره بالسمع والطاعة لولاية الأمور عموماً دليل على أن سنة الخلفاء الراشدين متبعة كاتباع سنته بخلاف غيرهم من ولاية الأمور.

وفي مسند الإمام أحمد وجامع الترمذي عن حذيفة -رضي الله عنه- قال: كنا عند النبي ﷺ جلوساً، فقال: (لا أدري ما قدر بقائي فيكم فاقصدوا باللذين من بعدي

(١) سقطت من نسخة جـ.

(٣) رواه البخاري في صحيحه جـ ٥ ص/ ١٠٧ كتاب المغازي باب ٥٩، وأيضاً جـ ٨ ص/ ١٠٦ كتاب الأحكام باب ٤، كما رواه مسلم في صحيحه جـ ٣ ص/ ١٤٦٩ كتاب الإمارة حديث رقم ٣٩ و٤٠ / ١٨٤٠ (عن علي).

(٤) في نسخة ب. كانت.

(٦) مابين المعقوفتين ذكرته للتوضيح حيث أن المصنف جمع بين حديثين. الحديث الأول من رواية معاذ بن جبل، والحديث الثاني من رواية عبدالله بن مسعود انظر جامع العلوم والحكم. ص/ ٢٤٩.

(٧) رواه ابن ماجة في سننه جـ ٢ ص/ ٩٥٦ كتاب الجهاد باب ٤، كما رواه الإمام أحمد في سننه بلفظ متقارب جـ ١ ص/ ٣٩٩ و٤٠٠.

(٨) انظر جامع العلوم والحكم. ص/ ٢٤٩.

(٩) في نسخة ب. جـ. خلفائه.

- وأشار إلى أبي بكر وعمر - وتمسكوا بعهد عمار وما حدثكم ابن مسعود فصدقوه^(١) .
وفي رواية (تمسكوا بعهد ابن أم عبد واهتدوا بهدي عمار) .

فنص (ﷺ) في آخر عمره على من يقتدى به من بعده ، والخلفاء الراشدون الذين أمر بالاقتراء بهم هم أبو بكر وعمر وعثمان وعلي - رضي الله عنهم - فإن حديث سفينة^(٢) عن النبي (ﷺ) (الخلافة بعدي ثلاثون سنة ثم تكون ملكاً)^(٣) .

قال مالك - رحمه الله - قال عمر بن عبدالعزيز - رحمه الله تعالى - :^(٤) (سن رسول الله (ﷺ) وولاة الأمر من بعده سنناً ، الأخذ بها اعتصام بكتاب الله ، وقوة على دين الله ، ليس لأحد تبديلها ولا تغييرها ولا النظر في أمر خالفها ، من اهتدى بها فهو مهتد ومن استنصر بها فهو منصور ، ومن تركها واتبع غير سبيل المؤمنين ولاه الله ماتولى وأصلاه جهنم وساءت مصيراً)^(٥) .

قال خلف بن خليفة^(٦) : شهدت عمر بن عبدالعزيز يخطب الناس وهو خليفة فقال في خطبته : (ألا إن ما سن رسول الله (ﷺ) وصاحباؤه فهو وظيفة دين ، نأخذ به وننتهي إليه)^(٧) .

(١) رواه أحمد في مسنده ج ٥ ص / ٣٨٥ . كما رواه الترمذي في جامعه ج ٥ ص / ٦١٠ كتاب المناقب - مناقب أبي بكر وعمر - كما رواه الترمذي في جامعه عن ابن مسعود ج ٥ ص / ٦٧٢ كتاب المناقب باب ٣٨ مناقب عبدالله ابن مسعود . قال : هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه من حديث عبدالله بن مسعود ، لانعرفه إلا من حديث يحيى بن كهيل .

(٢) سفينة : مولى رسول الله (ﷺ) ، اختلف في اسمه على واحد وعشرين قولاً . قيل اسمه مهرا بن عبدالرحمن ، يكنى أبا عبدالرحمن ، لقبه رسول الله (ﷺ) سفينة وذلك لأنه حمل شيئاً كثيراً في أحد الأسفار . انظر الإصابة ج ٢ ص / ٥٨ .

(٣) رواه الإمام أحمد في مسنده ج ٥ ص / ٢٢٠ و ٢٢١ كما رواه الترمذي في جامعه ج ٤ ص / ٥٠٣ كتاب الفتن باب ٤٨ .

(٤) عمر بن العزيز بن مروان بن الحكم - أمير المؤمنين - أبو حفص الأموي القرشي ، مولده بالمدينة زمن يزيد ، ونشأ في مصر في ولاية أبيه عليها . يضرب المثل بعدله وزهده ، ولي إمرة المدينة في خلافة الوليد ، ثم ولي الخلافة بعد سليمان . مات بدير سمعان في رجب سنة إحدى ومائة . وله أربعون سنة سوى ستة أشهر - رحمه الله تعالى . انظر تذكرة الحفاظ ج ١ ص / ١١٨ .

(٥) انظر جامع العلوم والحكم ص / ٢٥٠ ، وذكر ابن قدامة المقدسي في لمعة الاعتقاد مامعناه ص / ٦٥٥ .
(٦) خلف بن خليفة بن صاعد الأشجعي مولاهم ، أبو أحمد الكوفي ، نزل واسط ثم بغداد ، صدوق ، اختلف في الآخر ، وادعى أنه رأى عمرو بن حريث الصحابي ، فأنكر عليه ذلك ابن عيينة وأحمد ، مات سنة إحدى وثمانين ومائة على الصحيح . تقريب التهذيب ج ١ ص / ٢٢٥ .

(٧) انظر جامع العلوم والحكم لابن رجب . ص / ٢٥٠ . وانظر حلية الأولياء ج ٥ ص / ٢٩٨ .

وقد روى أبو نعيم^(١) من حديث عفيف الكندي^(٢) أن رسول الله (ﷺ) قال :
(إنه سيحدث بعدي أشياء فأحبها إلي أن تلمزوا ما أحدث عمر).

وكان علي يتبع أحكامه وقضاياه ويقول : (إن عمر كان رشيد الأمر).

وروى أشعث^(٣) عن الشعبي^(٤) قال : (إذا اختلف الناس في شيء فانظروا ما صنع
عمر فخذوا به)^(٥).

وروى عن ابن مسعود : أنه كان يحلف بالله أن الصراط المستقيم هو الذي ثبت عليه
عمر حتى دخل الجنة .

وبكل حال ما جمع عليه عمر الصحابة فاجتمعوا عليه في عهده فلا شك أنه الحق
ولو خالف فيه بعد ذلك من خالف ، وإنما وصف الخلفاء بالراشدين لأنهم عرفوا الحق
وقضوا به^(٦) .

والراشد ضد الغاوي ، والغاوي من عرف الحق وعمل بخلافه ، وفي رواية
(المهديين) يعني أن الله تعالى يهديهم للحق ولا يضلهم ، فالأقسام (على)^(٧) ثلاثة :
راشد ، وغاو ، وضال .

(١) أحمد بن عبد الله بن أحمد الأصبهاني ، صاحب كتاب حلية الأولياء . كان من الحفاظ المحدثين وأكابر الحفاظ
الثقات ، وله كتاب تاريخ أصبهان . ولد في رجب سنة ست وثلاثين وثلاثمائة . وقيل : أربع وثلاثين . وتوفي في
صفر ، وقيل : يوم الإثنين الحادي والعشرين من المحرم سنة ثلاثين وأربعمائة بأصبهان . انظر وفيات الأعيان .
ج ١ / ص ٩١ .

(٢) عفيف الكندي ابن عم الأشعث بن قيس ، قيل : عمه وبه جزم الطبري . وقيل : غير ذلك ، قال ابن حبان : له
صحبة ، قال الطبري : اسمه شرحبيل ، وعفيف لقبه . قدم مكة فرأى النبي (ﷺ) يصلي في الحرم ومعه علي
وخديجة ، وقال تمنيت أن أكون رابعهم . وكان يقول بعد إسلامه ، لو كان الله يرزقني الإسلام يومئذ كنت ثابتاً
مع علي . انظر الإصابة ج ٢ ص ٤٨٧ .

(٣) أشعث بن سوار الكندي النجار الأثرم ، صاحب التواييت ، قاضي الأهواز ، ضعيف . مات سنة ست وثلاثين
ومائة . . تقريب التهذيب ج ١ ص ٧٩ .

(٤) عامر بن شرحبيل بن عبد ، أبو عمرو ، كوفي تابعي ، جليل القدر ، وافر العلم ، عالم الكوفة ، يقال : إنه أدرك
خمسائة صحابي . خرج مع ابن الأشعث ثم عفا عنه الحجاج ، ولد بعد ست سنوات من خلافة عثمان بالكوفة ،
وقيل : سنة عشرين ، وقيل : سنة تسع عشرة ، كما قال عن نفسه ، وتوفي بالكوفة سنة أربع وثلاث أو ست أو
سبع أو خمس ومائة . وكانت وفاته فجأة . انظر وفيات الأعيان ج ٣ ص ١٢ .

(٥) ذكره أبو نعيم في حلية الأولياء ج ٤ ص ٣٢٠ .

(٦) انظر جامع العلوم والحكم لابن رجب . ص / ٢٥٠ و ٢٥١ .

(٧) زائدة من نسخة ج .

فالراشد عرف الحق واتبعه^(١) ، والغاوي عرف الحق ولم يتبعه ، والضال لم يعرف بالكلية . فكل راشد فهو مهتد ، وكل مهتد هداية تامة فهو راشد ، لأن الهداية إنما تتم بمعرفة الحق والعمل به أيضاً^(٢) .

وقوله^(٣) : (عضوا عليها بالنواجذ) كناية عن شدة التمسك بها ، والنواجذ : الأضراس . وقوله^(٤) : (إياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة) تحذير للأمة من اتباع الأمور المحدثثة المبتدعة ، وأكد ذلك بقوله (كل بدعة ضلالة) .

المراد بالبدعة

والمراد^(٥) بالبدعة ، ما أحدث مما لأصل له في الشريعة يدل عليه ، فأما ما كان له أصل (في الشريعة)^(٦) يدل عليه فليس ببدعة شرعاً ، وإن كان بدعة لغة . وفي صحيح مسلم عن جابر - رضي الله عنه - أن النبي (ﷺ) كان يقول في خطبته : (إن خير الحديث كتاب الله ، وخير الهدي هدي محمد (ﷺ)) ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل بدعة ضلالة^(٧) .

وخرج الترمذي وابن ماجه من حديث كثير بن عبدالله المزني^(٨) - وفيه ضعف - عن أبيه^(٩) عن جده^(١٠) عن النبي (ﷺ) قال : (من ابتدع (بدعة)^(١١) ضلالة لا يرضاه الله ورسوله كان عليه مثل آثام من عمل بها لا ينقص ذلك من أوزارهم شيئاً)^(١٢) .

(١) في نسخة ج فاتبعه . (٢) انظر جامع العلوم والحكم ص / ٢٥١ .

(٣) انظر جامع العلوم والحكم ص / ٢٥١ . (٤) انظر جامع العلوم والحكم ص / ٢٥١ .

(٥) انظر جامع العلوم والحكم ص / ٢٥٢ . (٦) سقطت من نسخة ج .

(٧) رواه مسلم في صحيحه ج ٢ ص / ٢٩٢ كتاب الجمعة حديث رقم ٤٣ / ٨٦٧ .

(٨) كثير بن عبدالله بن عمرو بن عوف المزني ، المدني ، ضعيف ، منهم من نسبه إلى الكذب . تقريب التهذيب ج ٢ ص / ١٣٢ .

(٩) هو عبدالله بن عمرو بن عوف بن زيد المدني ، مقبول . تقريب التهذيب ج ١ ص / ٤٣٧ .

(١٠) هو عمرو بن عوف بن زيد بن ملحمة ، ويقال : مليحة المزني أبو عبدالله ، أحد البكائين ، كان قديم الإسلام ، أول غزوة شهدتها الأبوء . ويقال : أول مشاهدته الخندق . مات في ولاية معاوية . الإصابة ج ٣ ص / ٩ .

(١١) سقطت من نسخة ج .

(١٢) رواه الترمذي في جامعه ج ٥ ص / ٤٥ كتاب العلم باب ١٦ ، وقال : حديث حسن ، كما رواه ابن ماجه في سننه ج ١ ص / ٧٦ المقدمة باب ١٥ من أحيا سنة قد أميتت . ورواه أبو داود ج ٤ ص / ٢٠١ كتاب السنة .

وخرج الإمام أحمد عن غضيف بن الحارث الثمالي^(١) قال: بعث إلي عبد الملك بن مروان^(٢) فقال: إنا قد جمعنا الناس على أمرين، رفع الأيدي على المنابر يوم الجمعة، والقصاص بعد الصبح والعصر، فقال: أما إنها من أمثل بدعتكم عندي، ولست بمجيبكم إلى شيء منها لأن النبي (ﷺ) قال: (مأحدث قوم بدعة إلا رفع الله مثلها من السنة، فتمسك بسنة خير من إحداث بدعة)^(٣).

فقوله^(٤) (ﷺ): (كل بدعة ضلالة) من جوامع الكلم لا يخرج عنه شيء، فهو أصل من أصول الدين يرجع إليه، وهو شبيه بقوله: (من أحدث في أمرنا ما ليس منه فهو رد).

فكل من أحدث شيئاً ونسبه إلى الدين، ولم يكن له أصل يرجع إليه فهو ضلالة والدين بريء منه، وسواء في ذلك مسائل الاعتقادات والأعمال والأقوال الظاهرة والباطنة.

فالمحدثات ضربان: ما أحدث مما يخالف كتاباً أو سنة أو أثراً أو إجماعاً فهذه البدعة الضلال، وما أحدث من الخير مما لا خلاف فيه لواحد مما ذكر فهي محدثة غير مذمومة^(٥).

فمن ذلك جمع عمر - رضي الله عنه - الناس في قيام رمضان على إمام واحد في المسجد، ومن ذلك أذان الجمعة الأول زاده عثمان لحاجة الناس إليه، أقره علي - رضي

(١) غضيف - بالضاد المعجمة مصغراً - ويقال: بالطاء المهملة. ابن الحارث السكوني ويقال: الثمالي، يكنى أبا أسماء، حمصي، مختلف في صحبته. قال ابن حبان: من قال الحارث بن غطيف وهم. ومنهم من فرق بين غضيف بن الحارث فأثبت صحبته، وغطيف فقال: إنه تابعي. وهو أشبه. مات سنة بضع وستين. تقريب التهذيب ج ٢ ص/١٠٥.

(٢) عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص الأموي، أبو الوليد المدني ثم الدمشقي، كان طالب علم قبل الخلافة، ثم اشتغل بها فتغير حاله، ملك ثلاث عشرة سنة استقلالاً، وقبلها منازعاً لابن الزبير تسع سنين. مات سنة ست وثمانين وقد جاوز الستين. تقريب التهذيب ج ١ ص/٥٢٣.

(٣) رواه أحمد في مسنده ج ٤ ص/١٠٥ وانظر جامع العلوم والحكم ص/٢٥٢.

(٤) انظر جامع العلوم والحكم ص/٢٥٢ و٢٥٣.

(٥) انظر جامع العلوم والحكم ص/٢٥٢ و٢٥٣.

الله عنهما - واستمر (عليه) ^(١) عمل المسلمين. ومن ذلك جمع المصحف في كتاب واحد، توقف فيه زيد بن ثابت ^(٢)، ثم وافق أبا بكر وعمر - رضي الله عنهما - على جمعه لما علم أنه مصلحة. ومن ذلك جمع عثمان الأمة على مصحف واحد وإعدام ما سواه مما يخالفه خشية تفرق الأمة، فاستحسنه علي وأكثر الصحابة، وكان ذلك عين المصلحة. وكذلك قتال مانعي الزكاة، توقف فيه عمر وغيره حتى بين لهم أبو بكر - رضي الله عنه - أصله الذي يرجع إليه من الشريعة فوافقه الناس على ذلك. ومن ذلك كتابة الحديث، نهى عنه عمر وطائفة من الصحابة ^(٣)، ورخص فيه الأكثرون، واستدلوا بأحاديث من السنة. وكذلك كتابة القرآن الكريم.

في ^(٤) هذه الأزمان، التي بعد العهد فيها بعلوم السلف، يتعين (فيها) ^(٥) ضبط ما نقل عنهم من ذلك كله لتمييز به ما كان من العلم موجوداً في زمانهم وما أحدث من ذلك بعدهم، فيعلم بذلك السنة من البدعة. وقد صح عن ابن مسعود - رضي الله عنه - أنه قال: (إنكم قد أصبحتم اليوم على الفطرة وإنكم ستحدثون ويحدث لكم، فإذا رأيتم محدثة فعليكم بالهدى) ^(٦).

وابن مسعود قال هذا في زمن الخلفاء الراشدين. وروى ابن مهدي ^(٧) عن مالك قال: (لم يكن شيء من هذه الأهواء في عهد النبي ﷺ) وأبي بكر وعمر وعثمان. ^(٨) وكان مالك يشير بالأهواء إلى ما حدث من التفرق في أصول الديانات من أمر الخوارج

(١) سقطت من نسخة ب. د.

(٢) زيد بن ثابت بن الضحاك الأنصاري الخزرجي، أبوسعيد، وقيل: أبو ثابت، استصغر يوم بدر، يقال: إنه شهد أحداً، ويقال: أول مشاهدته الخندق. كانت معه راية بني النجار يوم تبوك. كان من كتبة الوحي، كان من علماء الصحابة. وهو الذي جمع القرآن في عهد أبي بكر. قال (ﷺ): (أفرضكم زيد) مات سنة اثنتين أو ثلاث أو خمس وأربعين. وقيل: إحدى أو اثنتين أو خمس وخمسين. وفي خمس وخمسين قول الأكثر. انظر الإصابة ج ١ ص/ ٥٦١ و ٥٦٢.

(٣) انظر جامع العلوم والحكم. ص/ ٢٥٣ و ٢٥٤. (٤) انظر جامع العلوم والحكم. ص/ ٢٥٤.

(٥) سقطت من نسخة ج. (٦) انظر الباعث على إنكار البدع والحوادث. لأبي شامة ص/ ١٥.

(٧) عبدالرحمن بن مهدي بن حسان، الحافظ الكبير، أبوسعيد البصري مولى الأزدي وقيل مولى بني العنبر، مولده سنة خمس وثلاثين ومائة. إمام ثبت، عالم بالرجال والحديث، وكان فقيهاً بصيراً بالفتوى عظيم الشأن. وكان زاهداً يقوم الليل. مات في جمادى الآخرة سنة ثمان وتسعين مائة. انظر تذكرة الحفاظ ج ١ ص/ ٣٢٩.

(٨) انظر جامع العلوم والحكم. ص/ ٢٥٤.

والروافض والمرجئة وغيرهم من الفرق الضالة، وأصعب من ذلك ما أحدث من الكلام في أفعال الله تعالى من قضائه وقدره. فكذب بذلك من كذب، وزعم أنه نزه الله تعالى بذلك من الظلم. وأصعب من ذلك ما أحدث من الكلام في ذات الله تعالى وصفاته، مما سكت عنه النبي (ﷺ) وأصحابه والتابعون لهم بإحسان. فقوم نفوا كثيراً مما ورد في الكتاب والسنة من ذلك، وزعموا أنهم فعلوا تنزيهاً لله تعالى عما تقتضي العقول تنزيهه عنه، وزعموا أن لازم ذلك مستحيل على الله تعالى^(١).

وقوم لم يكتفوا بإثباته حتى أثبتوا ما يظن أنه لازم له بالنسبة إلى المخلوقين. وهذا اللازم نفيًا وإثباتًا درج صدر الأمة على السكوت عنها. ومما حدث في الأمة بعد عصر الصحابة والتابعين الكلام في الحلال والحرام بمجرد الرأي، ورد كثير مما وردت به السنة في ذلك لمخالفته الرأي والأقيسة العقلية. ومما حدث بعد ذلك الكلام في الحقيقة بالذوق^(٢) والكشف، وزعم أن الحقيقة تنافي الشريعة، وأن المعرفة وحدها تكفي مع المحبة، وأنه لا حاجة إلى الأعمال، وأنها حجاب، وأن الشريعة إنما يحتاج إليها العوام، وربما انضم إلى ذلك الكلام في الذات والصفات بما يعلم قطعاً مخالفته للكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة^(٣) « وَاللَّهِ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ »^(٤).

خاتمة في الكلام على شيء من بدع الضلالة التي أحدثها أهل الأهواء والسفه والجهالة، وعمت البلوى بها في سائر الأقطار على توالي الأعوام والأعصار، فهي في عامة البلدان، محكمة الدعائم والأركان، منشورة فيها (ها)^(٥) الأعلام، مشهورة بين الخاص والعام، غلب على أهلها الهوى فمالوا إليها، واستجالهم الشيطان فحملهم عليها، وزين لهم الوسيلة إلى رب الأرباب، والقرية (التي)^(٦) تنجي من العذاب.

« وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ مِمَّا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ »^(٧).

(١) انظر جامع العلوم والحكم ص/ ٢٥٤.
(٢) في نسخة ب. ج، والذوق.
(٣) انظر جامع العلوم والحكم لابن رجب ٢٥٤.
(٤) سورة البقرة من آية / ٢١٣.
(٥) سقطت من نسخة د.
(٦) سقطت من نسخة د.
(٧) سورة ص من آية / ٢٦.

فمن ذلك^(١) ما بني في كل بلد من القباب والمشاهد التي لا ينكر وجودها أحد ،
 لاتكاد تحصى بحساب ولا عدد ، ورفع القبور التي فيها وتغطيتها بالتوابيت المتخذة
 من الأخشاب، ونشر غالي اللباس عليها وغالي الثياب، وتخليقها^(٢) في كثير من الأيام
 والليالي بأنواع الأطياب وغلقتها بالأقفال والأبواب . واتخاذ السدنة لها والبواب ،
 وقصدهم بفعل هذه البدعة الذميمة وتعظيمهم لعظام هؤلاء الموتى الرميمة ، وإيقاع
 الإجلال لهم والخوف منهم ، والرغبة فيهم ، والتوقير في قلوب العباد ، حتى
 استحوذوا عليها فكانوا^(٣) لها عباداً^(٤) . واعتقدوا فيها جلب النفع ودفع الضر ونيل
 المدد والإمداد ، وحصول السعادة والإسعاد ، وصيروهم من دون الله أنداداً^(٥)
 . الغاية من هذه الأمور التي هي الكفر والشرك والإلحاد ، التوصل إلى الدنيا
 والاصطياد بهذه الحبائل التي لاتزال كل يوم لها تصطاد ، وقد أدركوا بذلك السؤال
 والمراد ، ونالوا كثيراً من الأموال بسبب ما أظهره من الاعتقاد ، ولم يبالوا بما وقعوا فيه
 من الطرد والإبعاد عن جناب من تقدس بوحدانيته وتنزه عن الشريك والمثيل والأنداد
 والأضداد ، فويل لهم ثم ويل لهم يوم يقوم الأشهاد . واعلم أن ما ذكرته من هذه
 الأحوال والأمور التي لا يفعلها إلا كل ظالم كفور ، من تعظيم أصحاب القبور ،
 ووقوع الخوف (في القلوب)^(٦) منها المهابة .

ولهذا لا تهاب الكعبة المشرفة ، ويهاب الميت فلا يظأ أحد بسوء أعتابه ، ولا تهتك
 حتى الظلمة حماه ولا جنابه ، كلها مضادة للصرات المستقيم ، ومنابذة لأوضاع
 الشرع^(٧) القويم ، هاتكة جناب الحنيفية السمحاء وحماها ، مغيرة رسومها بعد
 ماشادها الرسول وحماها ، عادلة عن منهاجها الأقوم ، وصراتها الواضح الأعظم ،
 مائلة إلى الملة المظلمة المنهاج ، نائلة أربابها هلاك الأبد في الفجاج ، البينة الانحراف

(١) سقطت من نسخة د .

(٢) الخلق : بالفتح ضرب من الطيب ، وخلقته تخليقاً : طلاه به . مختار الصحاح ص/ ١٨٧ .

(٣) في نسخة ب . ج ، وكانوا .

(٤) في جميع النسخ (عباد) ، والصواب ما أثبتناه ، إنها أتى بها المصنف مرفوعاً مراعاة السجع .

(٥) في جميع النسخ (أنداد) ، والصواب ما أثبتناه ، إنها أتى بها المصنف مرفوعاً مراعاة السجع .

(٦) زائدة في نسخة . ب . (٧) في نسخة ج . د ، الشر ، والصواب ما أثبتناه .

عن الدين القيم، والبالغة^(١) في الاعوجاج .

فمن تدبر كتاب الله المين، وتأمل كلام رسوله الأمين، تحقق أن ما ذكرته يزيد على أفعال المشركين، ويشهد لذلك أن قريشاً وغيرهم يخلصون لله في الشدائد، وهؤلاء يدعون الأنداد إذا حل بهم الكرب العظيم الزائد، فقد صح أمره (ﷺ) بإزالة المعبدات والأوثان، وطمس التماثيل (وهدم القبور)^(٢) المشرقة البنيان، وفعل ذلك أصحابه اتباعاً لهديه فيما فتحوه من البلدان، إذ لا يجوز بقاء مراسم الشرك في مكان، بل تجب المبادرة إلى إزالتها على أهل الإيمان، فأين قوله (ﷺ) لعلي بن أبي طالب - رضي الله عنه - : (لاتدع تماثلاً إلا طمسته ولا قبراً مشرفاً إلا سويته)^(٣).

(وهدمه مسجد الضرار^(٤))، وقطع عمر - رضي الله عنه - الشجرة التي بويع النبي (ﷺ) تحتها لما أخبر أن أناساً ينتابونها، وأمره - صلى الله (ﷺ) - الصحابة أن يعموا قبر دانيال^(٥) لما فتحوا تستر فوجدوه في بيت الهرمزان على سرير وعند رأسه مصحف^(٦) .

من حال أصحاب هذه البدع التي زادت في علوها وإسرافها فرأوا دين الله في رفع القبور وإسرافها .

وفي الحديث عن جابر^(٧) - رضي الله عنه - قال : نهى رسول الله (ﷺ) أن

(١) في نسخة د. المبالغة .

(٢) سقطت من نسخة أ . د .

(٣) رواه مسلم في صحيحه ج ٢ ص / ٦٦٦ كتاب الجنائز حديث رقم ٩٦٩ . كما رواه أحمد في مسنده ج ١ ص / ٩٦ و ١٢٩ وغيرهما .

(٤) قصة مسجد ضرار وهو المسجد الذي قال الله تعالى فيه : « وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ ... الآية » سورة التوبة من آية / ١٠٧ .

ومضمون القصة هو أن طائفة من المنافقين بنوا صورة مسجد قريباً من مسجد قباء وأرادوا أن يصلي لهم رسول الله (ﷺ) فيه ، حتى يروج لهم ما أرادوه من الفساد والكفر والعناد ، فعصم الله رسوله (ﷺ) من الصلاة فيه وذلك أنه كان على جناح السفر إلى تبوك . فلما رجع منها نزل عليه الوحي في شأن المسجد ، ثم دعا (ﷺ) مالك بن الدخشم ومعن بن عدي وأمرهما بأن يحرقاه بالنار . انظر البداية والنهاية ج ٥ ص / ٢١ و ٢٢ وتفسير ابن كثير ج ٢ ص / ٣٨٧ .

(٥) دانيال ، نبي من الأنبياء . انظر ما ذكر في شأنه في البداية والنهاية ج ٢ ص / ٤٠ .

(٦) ما بين المعقوفتين سقطت من نسخة ج . د انظر تيسير العزيز الحميد ص / ٣٤١ .

(٧) جابر بن عبدالله بن حرام الأنصاري السلمى ، يكنى أبا عبدالله . أو أبا عبد الرحمن أو أبا محمد ، أحد المكثرين من الرواية عن رسول الله (ﷺ) ، شهد بيعة العقبة ، كان يسقى أصحابه الماء يوم بدر ، شهد مع النبي (ﷺ) تسع عشرة غزوة ، كان له حلقة في مسجد رسول الله (ﷺ) . مات سنة ثمان وسبعين وقيل : سنة أربع وتسعين . وقيل : غير ذلك . يقال : إنه عاش أربعاً وتسعين سنة . انظر الإصابة ج ١ ص / ٢١٣ .

يخص القبر، وأن ينى عليه وأن يقعد عليه) رواه مسلم^(١).

وروى عقبه بن عامر (رضي الله عنه)^(٢) قال: (لا يجعل على القبر من التراب أكثر مما خرج منه)^(٣).

ومن ذلك دعائهم أصحاب هذه القبور والالتجاء إليهم في كل شدة ومكروه ومحدور، والإخلاص لهم^(٤) في الشدات ورفع الأكف لهم في الدعوات، وسؤالهم منهم جميع الحاجات، وكشف المضرات وتفريج الكربات، والاستغاثة بهم في النوازل المهيات. ويحكى عن بعض هؤلاء أنه إذا دعى أربابه يقول متبجحاً: إنهم أسرع إجابة وإنهم ينجحون له قصده وطلابه، فتعساً لكل مشرك ما أظفح جوابه، وتبأ له ما أشنع خطابه. وبعضهم يحكى عنه أنه يقول: استغثت بفلان فأغاث، وعجل لي ما سألت من غير إبطاء ولا ارتياح^(٥).

فمن كان هذا حاله، وهذه عبادته وأفعاله، وشاهده ما أفصح به مقاله، فقد نبذ الدين الحق من غير مبالاة ولا اكتراث. ولكنه قد أخذ هذا من ملة آبائه بطريقة الميراث، فصار من جملة المتمسكين بالضلال والوراث، وبعض هؤلاء يقول: قبر الشيخ فلان تريق مجرب، وسائله لا يرد ولا يخيب، وغالب هؤلاء استدرجهم الشيطان بشرك^(٦) التقليد، وحسن لهم أن آباءهم وأجدادهم على الدين الرشيد، والصراط المسلك الحميد، وأنهم باتخاذهم الوسائط توسطوا غارب الرأي^(٧) السيد

(١) رواه مسلم في صحيحه ج ٢ ص ٦٦٧ كتاب الجنائز حديث رقم ٩٤ / ٩٧٠.

(٢) ما بين المعقوفتين سقطت من نسخة ب. ج. وعقبه بن عامر هو، عقبه بن عامر بن عيسى بن عمرو الجهني، صحابي مشهور. كان قارئاً عالماً بالفرائض والفقه، فصيح اللسان، وهو أحد من جمع القرآن، له مصحف خاص على غير تأليف مصحف عثمان. شهد الفتوح، وشهد صفين مع معاوية، أمره على مصر، مات في خلافة معاوية. قيل: مات سنة ثمان وخمسين. الإصابة ج ٢ ص ٤٨٩.

(٣) لم أقف على كلام عقبه. (٤) سقطت من نسخ ج.

(٥) في نسخة د. ارتياح. والارتياح: هو راث علي خبره: أبطأ، وفي المثل: رب عجلة وهبت ريثاً. مختار الصحاح ص/ ٢٦٥.

(٦) في نسخة د، بشركه.

(٧) غارب: ما بين السنام إلى العنق، ومنه قولهم: جبلك على غاربك، أي اذهبي حيث شئت، انظر مختار الصحاح ص/ ٤٧٠.

« قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ » (١).

ولهذا كان جواب أسلافهم لمن جاءهم بالتوحيد من الرسل وأتباعهم الموحدين

إنا « وَجَدْنَا آبَاءَنَا هَالِكًا عَابِدِينَ » (٢) « قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ » (٣)

« إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّقْتَدُونَ » (٤).

قال الله تعالى مبيناً لهم ضلالهم وضلال من هم مقلدون وبآثارهم مقتدون :

« إِنْتُمْ الْفَوَءَاءُ آبَاءَهُمْ ضَالِّينَ ﴿٦١﴾ فَهُمْ عَلَىٰ آثَرِهِمْ يُرْعُونَ » (٥).

ومن شرح الله صدره للإسلام، ورأى ما يفعله عند القبور والمشاهد أكثر الأنام، يعلم بالقطع واليقين، أن هذه الأمور مضادة للدين، بل هي في الحقيقة هدم لأصله

الراسخ، ودين محدث للدين القيم ناسخ. « أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ

مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ » (٦)

وقال : « قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرُوْنِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ

أَتُنْفِي بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا أَوْ أَتُكْرَمُونَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ » (٧).

وقد تضمنت هذه الآية الكريمة، الإلزام بعدم ما يدل على ألوهية من عبد من دونه

فلا يستحق العبادة، وهذا الإلزام بطريق العقل المتضمن له قوله : « أَرُوْنِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ

الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ » ..

وتضمنت أيضاً الإلزام بعدم ما يقتضي ألوهيتهم بطريق النقل، كما هو صريح « أَتُنْفِي

بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا أَوْ أَتُكْرَمُونَ مِنْ عِلْمٍ ». فإذا كان القرآن المجيد ناطقاً^(٨) بالتوحيد،

ولم يشرع الله تعالى لنبينا (ﷺ) إلا ما شرعه لجميع الرسل، وهو إقامة الدين كله لله .

(١) سورة سبأ آية / ٤٩ .

(٢) سورة الأنبياء من آية / ٥٣ .

(٣) سورة الشعراء آية / ٧٤ .

(٤) سورة الزخرف من آية / ٢٢ .

(٥) سورة الصافات آية / ٦٩ و ٧٠ .

(٦) سورة الشورى الآية / ٢١ .

(٧) سورة الأحقاف الآية / ٤ .

(٨) في نسخ المخطوطة (ناطق) والصواب ما أثبتناه لأنه خير .

والمراد بذلك أن يوحدَ جل جلاله في العبادة، ولا^(١) يُشركَ معه خلق من خلقه .
قال تعالى : « شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا » إلى قوله : « أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ
وَلَا تُنْفِرُوا فِيهِ »^(٢) .

وقال تعالى : « وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ يَعْبُدُوا اللَّهَ وَأَجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ
فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ (فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ) »^(٣) .

والآيات المحكمات كثيرة لا تحصى ، فإذا علم هذا بالبرهان ، الذي دلت عليه
محكمات القرآن ، وتحقق (القلب والجنان أن الله تعالى لم يأذن لإنس ولا جان ، أن
يصرفوا شيئاً)^(٤) من أنواع العبادة التي هي محض حقه ، إلى رسول أو ملك أو صالح
أو أحد من جميع خلقه . قال تعالى : « وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ »^(٥) .

ومن صرف شيئاً منها إلى أحد فقد كفر بربه وجحد ، وإن الرسل إنما أرسلوا
بجميع ذلك ، وإزالة آثار تلك المسالك ، وإن الدماء والأموال إنما استبيحت بعد
الامتناع عن هذا الحال ، والإقلاع عن الشرك والضلال ، فحينئذ يتجه لنا سؤال ، وهو
أن يبحث ويقال : (لكل مشرك وضال)^(٦) ، ماتقول في الدعاء ، هل هو عبادة أم لا؟
وإذا ثبت عندك أنه عبادة ، هل يكفر من دعا غير الله أم لا؟ وإذا تقرر أنه دعاء وأنه
يكفر من دعا أحداً غير الله ، فيقال : ماتقول في الاستغاثة ، هل هي نوع من الدعاء أم
لا؟ فإن قال : إنها نوع منه ، فيقال : ما بالكم تفعلونها وتستغيثون بالأموال والعظام
الرفات ، وتسألونهم الحوائج وترون هذا منهجاً من أحسن المناهج؟

وإن باهت وقال : (ليست من الدعاء في حال ، قيل : هذا محال ، لا يجوز في بال ،
ولا يقوله إلا معتوه في عقله خبال ، ولكن بين لنا ما فيها وما حقيقتها التي تدعيها ، فإن
لكل قول حقيقة ، وكل سالك في طريق يعرف طريقه ، فهناك يقف حماره في العقبة ،
ولا يتم له ما طلبه ، وحينئذ يلجئه الفلج والإلزام ، ويلجمه الخصام باللجام ، وينكص
على عقبه من فرط الإحجام ، ودحوض حجته عند الخصام .

(١) في نسخة ب . ج ، فلا . (٢) سورة الشورى آية / ١٣ .

(٣) سورة النحل من الآية / ٣٦ . ما بين المعقوفتين زبدت في نسخة ج .

(٤) ما بين المعقوفتين سقطت من نسخة ج . (٥) سورة الذاريات الآية / ٥٦ .

(٦) ما بين المعقوفتين سقطت من نسخة ج .

فيقول إذ ذاك : لسنا ندعوهم ولا بهم نستغيث ، وإنما نطلب منهم الشفاعة إلى الله فهو المغيث ، فنقول : هذه دعوى تقرب من الصدق فلانأبناها^(١) بالتكذيب ، ولكنها متضمنة لشرك التقريب . وهذه بعينها هي دعوى الجاهلية الأولى ، وهي مساوية لها في الشرك بالطريقة الأولى .

الشفاعة وأنواعها

قال الله تعالى : « وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شَفَعُونَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتَسْتَبُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ » (٢) .

وقال تعالى : « وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ » (٣) .

قال أكثر المفسرين : كانت الكفار إذا سئلوا من خلق السموات والأرض يقولون : (الله) (٤) ، كما حكاها الله تعالى عنهم . فإذا سئلوا عن عبادة الأصنام قالوا : « مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ » (٥) أي لأجل طلب شفاعتهم عند الله تعالى ، وهذا كفر منهم .

قال الحافظ ابن كثير : قال قتادة والسدي^(٦) ومالك عن زيد بن أسلم^(٧) : « إِلَّا

(١) أبين : أبين الرجل يابئنه أبناً : اتهمه وعابه ، والأبن : التهمة ، انظر لسان العرب ج ١٣ / ص ٣ .

(٢) سورة يونس آية / ١٨ .

(٤) لم يذكر لفظ الجلالة (الله) في نسخة جـ .

(٥) سورة الزمر من آية / ٣ .

(٦) قتادة بن دعامة بن قنادة السدوسي البصري ، الضرير ، الأكمه ، المفسر ، قال أحمد بن حنبل : قتادة عالم بالتفسير وباختلاف العلماء ، ووصفه بالحفظ والفقه ، مع حفظه وعلمه بالحديث ، كان رأساً في العربية واللغة وأيام العرب والنسب . مات بالطاعون سنة ثمان عشرة ومائة وقيل : سبع عشرة ومائة . وله سبع وخمسون سنة ، وكان يرى القدر . انظر تذكرة الحفاظ ج ١ / ص ١٢٢ .

(٧) زيد بن أسلم الإمام ، أبو عبد الله العمري المدني : مولى ابن عمر ، كان له حلقة للعلم بمسجد رسول الله ﷺ ، وله تفسير يرويه عنه ولده عبد الرحمن ، وكان من العلماء الأبرار ، مات سنة ست وثلاثين ومائة . انظر تذكرة الحفاظ ج ١ / ص ١٣٢ .

لِيُقَرَّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى» (أي) (١) ليشفعوا ويقربونا عنده .

ولهذا كانوا يقولون في تلبيتهم إذا حجوا في جاهليتهم : (لييك لا شريك لك إلا شريكاً هو لك تملكه وما ملك) (٢) .

وذلك أنهم عمدوا إلى أصنام اتخذوها على صورة الملائكة المقربين في زعمهم ، فعبدوا تلك الصور تنزيلاً لذلك منزلة عبادتهم الملائكة ، ليشفعوا لهم عند الله في نصرهم ورزقهم وما ينوبهم من أمور الدنيا ، فأما المعاد فكانوا جاحدين له كافرين به . انتهى (٣) .

فإذا قيل إن الكفار إنما كانوا يعتقدون القرية ويرجونها ويطلبون الشفاعة ويسألونها من أصنام ينحتونها ونحن إنما نتقرب إليه بأكرم الخلق عليه . فالجواب أن يقال : (ما) (٤) ذكرتم ممنوع وبنص القرآن معارض مدفوع . فعقيدتهم المذكورة (وطلبتهم المشهورة) (٥) ليست على أصنامهم مقصورة ، ولا في أوثانهم محصورة ، بل عموا الملائكة والرسل والأنبياء والصالحين ، والأصنام والجن والشياطين .

قال الله تعالى : « وَإِذْ قَالَ اللَّهُ لِيَعِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي آلِهَتَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ » (٦) الآية .

وقال تعالى : « اتَّخِذُوا أَحْبَابَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ » (٧) الآية .

وقال تعالى : « قُلْ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ دُونِي ۖ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضَّرِّ عَنْكُمْ وَلَا جُوعِيلاً ﴿٥١﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ » (٨) .

(١) سقطت من نسخة د .

(٢) انظر صحيح مسلم ج ٢ ص / ٨٤٢ كتاب الحج حديث رقم ١١٨٥ / ٢٢ عن (ابن عباس) .

(٣) انظر تفسير ابن كثير ج ٤ ص / ٤٥ .

(٤) في نسخة د . كما .

(٥) ما بين المعقوفتين سقطت من نسخة أ . د .

(٦) سورة المائدة من آية / ١١٦ .

(٧) سورة التوبة من آية / ٣١ .

(٨) سورة الإسراء آية / ٥٦ و ٥٧ .

وقال جل جلاله : « إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَلُكُمْ » (١) .

فقد ظهر من صريح هذه الآيات ما ذكرناه من التعميم والمساواة ، مع أننا لو فرضنا الأمر وقدرناه على خلاف الواقع ، وقلنا إنما طلبوا ذلك من الأصنام ، فهل يكون هذا دافعاً (٢) للنص القاطع ، والبرهان الساطع ، فقد ساوى بين الملائكة والبشر والجن والأصنام في هذا الاعتقاد والحكم الشارع ، ولم يفرق بين عباد الشياطين والجن والأشجار والأصنام ، وبين عباد الملائكة (الأنبياء) (٣) والرسل الكرام ، وسائر الصالحين من الأنام ، بل قاتلهم (ﷺ) واستباح الدماء والأموال ، وأذاقهم الله تعالى أعظم الوبال .

ولم يزل على تلك الحال ، حتى أنقذ الله تعالى من أنقذه منهم من الضلال ، ومن سبقت له السعادة في المال . قال الله تعالى : « وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ » (٤) .

وقال سبحانه وتعالى : « وَقَالُوا هُمْ حَتَّى لَا تُكُونَ فَتَنَةً وَيَكُونَ الَّذِينَ كَفَرُوا

لِلَّهِ » (٥) . وقال تعالى : « فَأَقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَأَحْضُرُوهُمْ » (٦) الآية . فإن قيل : ما ذكرت من الكفر بطلب هذه الشفاعة ظاهر في غير خاصة الله من عباده ، مسلم من غير نزاع .

وأما خاصته وخيرته من عباده ، فالكلام معكم فيه من وجهين : إما أن تمنعوا شفاعتهم وتنفوا ما أثبت الله تعالى ونبيه لهم من الشفاعة ، فهذا كفر بواح (٧) .

وإما أن تثبتوها كما أثبتها الله تعالى ونبيه (ﷺ) لهم بطريق التفضل ، وتعتقدون أنهم

(١) سورة الأعراف من آية / ١٩٤ .

(٢) في نسخ المخطوطة (دافع) والصواب ما أثبتناه لأنه خبر . ولكن المصنف وقف عليه لضرورة السجع .

(٣) ما بين المعقوفين . سقطت من نسخة أ . د .

(٤) سورة المؤمنون آية / ١١٧ .

(٥) سورة الأنفال من آية / ٣٩ .

(٦) سورة التوبة من آية / ٥ .

(٧) أي ظاهر مكشوف بين .

يَشْفَعُونَ وَيُشْفَعُونَ، فكيف يكون سؤالها وطلبها منهم كفرةً مبيحاً للدم والمال . فنقول في الجواب عن هذا: اعلم أن أصدق الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد . والقرآن العظيم هو الصراط المستقيم، الذي لا يؤمه إلا الأتقى، ولا يعدل عن نوره إلا الأشقى، فمن التمس الهدى من غيره ضل، ومن أضاع منه نصيبه زل، ونحن نثبت ما أثبتته القرآن .

وننفي من الشفاعة مانفى، ولا ندين الله^(١) إلا بذلك، وكفى به شرفاً، ومن ابتغى وراء ذلك فقد جاء إداً^(٢) وسرفاً .

وتحقيق الجواب عن هذه الشبهة والارتباب، أن الذي ندين الله به ونعتقه، أن الله في الآخرة يتفضل على خاصته من عباده وخيرته من خلقه بالشفاعة بعد إذنه لهم فيمن يشفعون له، وبعد رضاه أعمال المشفوع لهم وأقوالهم، وأنه سبحانه وتعالى، لا يرضى إلا التوحيد، فهذه الشفاعة المقيدة بهذه الثلاثة القيود، يكفر منكرها ويحرمها كل جاحد كنود^(٣)، وأجلها وأعظمها شفاعة نبينا في فصل القضاء، وهي المقام المحمود، فهي في الحقيقة لله تعالى، فإذا أراد رحمة عبد شفع إلى نفسه فأذن لمن شاء أن يشفع فيه، وقد دل على هذه الآيات الصريحة والأحاديث الصحيحة .

قال جل جلاله : « أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أُولَئِكَ أَنْتُمْ أُولُو الْأَيْمَانِ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ ﴿١٣﴾ قُلْ لِلَّهِ الشَّفَعَةُ جَمِيعًا » (٤) .

وقال تعالى : « مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ » (٥) .

وقال تعالى : « مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ » (٦) .

(١) لم يذكر في جـ .

(٢) إداً : الإد : العجب والأمر الفظيع والداهية والمنكر . انظر قاموس المحيط ج ١ ص / ١٢٢ .

(٣) في جـ ، كفسور .

(٤) سورة الزمراية / ٤٣ و ٤٤ .

(٥) سورة السجدة من آية / ٤ .

(٦) سورة البقرة من آية / ٢٥٥ .

وقال تعالى : « يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَعَةُ إِلَّا مَنْ أِذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا » (١) .

وقال تعالى : « إِلَّا مَنْ بَعْدَ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُرِضَى » (٢) والآيات كثيرة .

وفي الصحيحين عنه في حديث الشفاعة قال : (إني آتي تحت العرش ، فأخبر الله ساجداً ويفتح علي بمحامد لا أحسنها الآن فيدعني ما شاء الله أن يدعني ثم يقال يا محمد : ارفع رأسك وقل تسمع واشفع تشفع . قال : فيحدي حداً ثم أدخلهم الجنة ثم أعود) (٣) فذكر أربع مرات .

و ضد هذه الشفاعة الشفاعة الشركية التي أثبتها المشركون ، ونفاها الله تعالى .

وقال تعالى (٤) : « وَأَتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَعَةٌ » (٥) .

وقال تعالى : « يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِي يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَعَةٌ » (٦) .

وفي الصحيح عن أبي هريرة - (رضي الله عنه) (٧) - عن النبي (ﷺ) قال : (أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه) (٨) .

وروى الترمذي عن عوف بن مالك (٩) قال : قال رسول الله (ﷺ) : (أتاني آت من عند ربي فخيرني بين أن يدخل نصف أمتي الجنة (١٠) وبين الشفاعة ، فاخترت الشفاعة وهي لمن مات ولا يشرك بالله شيئاً) (١١) .

(١) سورة طه آية / ١٠٩ .

(٢) سورة النجم من آية / ٢٦ .

(٣) رواه البخاري في صحيحه ج ٨ ص / ٢٠٠ و ٢٠٢ كتاب التوحيد باب ٣٦ ، كما رواه مسلم في صحيحه ج ١ ص / ١٨٢ و ١٨٤ و ١٨٥ كتاب الإيذان حديث رقم ٣٢٦ و ٣٢٧ / ١٩٣ (عن أنس) .

(٤) في نسخة ب . فقال .

(٥) سورة البقرة من آية / ٢٥٤ .

(٦) سورة البقرة من آية / ٢٥٤ .

(٧) رواه البخاري في صحيحه ج ١ ص / ٣٣ كتاب العلم باب ٣٣ .

(٨) عوف بن مالك بن أبي عوف الأشجعي ، كنيته أبو عبد الرحمن ، وقيل : أبو محمد ، وقيل : غير ذلك ، قال الواقدي : أسلم عام خيبر ونزل حمص . وقال غيره : شهد الفتح وكان معه راية أشجع ، وسكن دمشق . وقال ابن سعد : أخى رسول الله (ﷺ) بينه وبين أبي الدرداء . مات سنة ثلاث وسبعين في خلافة عبد الملك . انظر الإصابة ج ٣ ص / ٤٣ .

(٩) في نسخة أ . د . (أن يدخل الجنة نصف أمتي) .

(١٠) رواه الترمذي في جامعه ج ٤ ص / ٦٢٧ كتاب صفة القيامة باب ١٣ .

فتبين من هذه النصوص أن الشفاعة المنفية هي الشفاعة للمشرك لأن الله تعالى لا يرتضيه ولا يرضى قوله ، فلا يأذن لأحد أن يشفع فيه ، إذ هي معلقة بأمرين : رضاه عن المشفوع ، وإذنه للشافع ، فلا توجد إلا بمجموعهما ، وهذه هي التي نفيها كما نفاها الله تعالى .

وأما الشفاعة المثبتة فهي التي لأهل التوحيد ، كما صرح بها القرآن الكريم المجيد ، وتواترت بها الأحاديث الصحيحة الأسانيد ، وأما كون الطلب لها والسؤال كفراً مبيحاً للدم والمال ، فهذا كلام في^(١) غاية الإجمال ، بل هو من المغالطة في المناظرة^(٢) والجدال ، والذي نجزم به وندين ، هو ما أفصح به النور المبين ، وذلك أن الحكم مختلف باختلاف الحال ، في صدور السؤال والمقال . فما كان في حياته - عليه الصلاة والسلام - فليس إلى منعه من سبيل ، لورود النص فيه والدليل ، ولا يلزم على ذلك وقوع محذور^(٣) . وحاشى أن يقر أحداً على محذور . فقد سأله الشفاعة من أصحابه جماعة ، ولو كان سؤالها في حياته شركاً لسد بابه ، بل لم تسأل ذلك الصحابة . فلا ريب في جواز ذلك ولا إشكال وليس للمقال فيه مجال .

أما بعد موته (ﷺ) فهو مما لا سبيل إليه ، والطرق دونه مسدودة وما يتشبه به المخالف للصواب ، من موضوعات^(٤) الأدلة وضعافها مردودة لا تقاوم قواطع النصوص .

ولا تعارض براهين المنع المنصوص على استواء العموم في ذلك والخصوص . وحاصل التحقيق في إيضاح ذلك^(٥) ، أن نقول : (اعلم أن الشفاعة كالأستغاثة محض

(١) في نسخة ب ، فيه .

(٢) في نسخة د ، المظاهرة .

(٣) في نسخة ب ، المحذور .

(٤) موضوعات : أي الأحاديث والآثار الموضوعية أو الضعيفة . في نسخة أ : موضوعات .

(٥) في نسخة ب ، هذا الطريق .

حق لله تعالى لا خلاف (فيه) (١) بين أهل الحق في ذلك ولانزاع ولا عبرة بخلاف أهل الزيغ والابتداع، الذين يحرفون الكلم على خلاف مراد واضعة، ويضعونه (٢) على وفق أهوائهم لا على وفق مواضعه، بل يتدعون الأقوال ويخترعون شبه الضلال. قال تعالى: « مَا لَكُمْ مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ » (٣).

وقال تعالى: « وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ » (٤). قال جل جلاله: « قُلْ لِلَّهِ الشَّفَعَةُ جَمِيعًا » (٥) وغير ذلك من الآيات.

فإذا تقرر أنها من خالص حق رب العالمين، وأنها داخلة في جملة أنواع الدين، الذي قضاه وأمر به، وأوجهه لنفسه دون البرية أجمعين. كما قال سبحانه (٦) في كتابه المبين: « وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا يَاَهُ » (٧).

وقال جل جلاله: « إِنَّ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا يَاَهُ » (٨).

وقال تعالى: « فَكَادُوعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الَّذِينَ » (٩).

وقال سبحانه وتعالى: « وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ » (١٠).

امتنع صرفها لغيره فلا يجوز صرفها لرسول ولا نبي ولا ملك مقرب ولا ولي لأن ذلك من الشرك الجلي، إلا أن الدليل القاطع، خص عموم النهي بالأموات لقيام المانع، ودل على أن الاستغاثة بالحي الحاضر فيما يقدر عليه وكذلك الاستشفاع، كل منهما جائز من غير منازعة ولادفاع، وأنها خارجان من عموم الامتناع.

قال الله جل جلاله: « فَاسْتَعْنَهُ الَّذِي مِّن شَيْعِيهِ عَلَى الَّذِي مِّنْ عَدُوِّهِ » (١١) الآية.

- | | |
|-------------------------------|-------------------------------|
| (١) زيدت في نسخة ب. | (٢) في نسخة ب، يضعون. |
| (٣) سورة السجدة من آية / ٤. | (٤) سورة الأنعام من آية / ٥١. |
| (٥) سورة الزمر من آية / ٤٤. | (٦) لم يذكر في نسخة د. |
| (٧) سورة الاسراء من آية / ٢٣. | (٨) سورة يوسف من آية / ٤٠. |
| (٩) سورة غافر من آية / ٦٥. | (١٠) سورة البينة من آية / ٥. |
| (١١) سورة القصص من آية / ١٥. | |

قال تعالى : « وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ
وَأَسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا » (١).

فإن قيل : إذا كانتا من أنواع العادات فلم يختص الجواز بالأحياء دون الأموات ،
والأصل العموم والمساواة ، قلنا : لانسلم كون صدور ذلك عبادة ولايواطىء
لسان أحد في ذلك اعتقاده ، حتى يتسنى على ذلك الاعتراض ، فيلزم الإيراد
والانتقاض ، وغاية ما في ذلك ونهاية ما هنالك ، لسالكي هذه المسالك ، التوصل إلى
التوسل بما يقدرون عليه ، وبالذوات لا التوسل بالذوات ، وهذا مقدور عليه في الحياة
دون المات ، ولو كان هذا أمراً محظوراً وحجراً في حال الحياة محجوراً ، وشركاً برب
المشارك والمغارب ، وكفراً مورداً لسوء العواقب ، وموقعاً في مهواة المعاطب (٢) ،
لعتب عليه الصلاة والسلام على سواد بن قارب (٣) ، حين طرق قوله أسماعه (فكن (٤)
لي شفيحاً يوم لا ذو شفاعة) ولمنع - عليه الصلاة والسلام - غيره من الصحب
الكرام .

فان قيل إن الرسل والأنبياء والصدّيقين والشهداء والصالحين أحياء في القبور ،
ونبينا (ﷺ) له المزية عليهم فكيف يكون سؤاله شركاً محظوراً .

قلنا : هنا ضلت الأفهام وزلت الأقدام ، وصار لها على المحذور إقدام ، ودخل
هذا الالتباس في قلوب أناس من المشهورين بالعلم والمنطق والذكاء والفهم ، فلهجوا
بذلك في الأشعار من غير تأمل ولا إشعار ولا تدبير للقول (٥) واستبصار ، فطفحت
الأفهام عن مدارك الأحكام .

(١) سورة النساء من آية / ٦٤ .

(٢) المهوى : إرادة النفس ، والمعاطب : المهالك ، أي موقعاً نفسه بإرادته في المهالك .

(٣) سواد بن قارب الدوسي أو السدوسي له صحبة ، وكان كاهناً في الجاهلية ، ثم جاء إلى النبي (ﷺ) وذكر له قصته
مع الجن ، وقال في آخرها هذا الشعر ومنها :

سواك بمغن عن سواد بن قارب

فكن لي شفيحاً يوم لا ذو شفاعة

ذكره البخاري في تاريخه ، والبغوي ، والطبراني . وله طرق عند أبي يعلى والحاكم والبيهقي ... انظر الإصابة جـ ٢

ص / ٩٦ .

(٤) في نسخة أ . د ، وكن .

(٥) في نسخة د ، القول .

وحاصل الجواب بإيجاز من غير إطباب ، أن هذه الحياة المقررة قد ذكرها الله تعالى في كتابه مكررة ، فليس فيها ارتياب ولا إنكار . والفاعل المختار يتصرف كيف يشاء بما تقتصر عن الإحاطة به الأفكار ، وقدرته جل وعلا لا تحيط بها العقول ولا يسوغ إلا الإيمان بما أخبر به واتباع النقول ، والتمسك بما أنزل إلينا من النور الذي هو شفاء لما في الصدور ، وهو المنزل بالحق حكماً للناس فيما وقع فيه الاختلاف والالتباس^(١) .

فهذه الحياة التي أخبر بها الله تعالى وحكم ، ليست كالحياة التي حكم بفنائها على من براه^(٢) من النسَم^(٣) ، وأوجده من العدم ، وأناط بها تكليف العباد وافترقوا بسبب ذلك في المعاد، وإنما هي حياة غير معقولة لنا ولا مكيفة، بل هي حياة برزخية نؤمن بها كما أخبر به^(٤) على أي صفة ، ومن المعلوم أن الموت انتقال من دار إلى دار ، ومن حال إلى حال نعوذ بالله من أهل النار . وأن أرواح الأنبياء والشهداء والصدّيقين والسعداء في الرفيق الأعلى قرارها ، ومسرحها رياض الجنان وأنهارها ، وروحه الشريفة (ﷺ) في أعلى مكان من تلك الجنان ، في جوار الرحمن ، فتلك الأرواح قد فارقت الأشباح^(٥) ولزمت الملاء الأعلى ليس لها عنه من براح^(٦) « يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً »^(٧) .

وهذه هي العيشة الهنية ، غير أن لها اتصالاً بأجسامها السفلية ، وبهذا الاتصال والتعلق منها بالأجسام يحصل النعيم في الضريح للأبدان ، المصرح به في القرآن ، ومنه يحصل لنبينا - عليه الصلاة والسلام - رده على من سلم عليه السلام .

فهذه الحياة لها شأن ، وللحياة الدنيوية شأن وأي شأن ، ولو ساوت الحياة البرزخية حقيقة الحياة الدنيوية ، لزم مساواة الحادث للقديم^(٨) ، وتعالى الله عن ذلك ، الحي

(١) في نسخة ب . ج . الالباس .

(٢) براه : خلقه .

(٣) النسَم : النفس والمراد الخلق .

(٤) سقطت من نسخة ، أ . د .

(٥) الأشباح : الشبح . الشخص ، والمراد الأجسام .

(٦) البراح : المكان والمنزلة .

(٧) سورة الفجر آية / ٢٧ و ٢٨ .

(٨) الحادث : المخلوق ، والقديم : الله جل جلاله ، أي لزم من ذلك مساواة المخلوق الذي يزول ويفنى بالخالق القديم الذي لا أول له ولا آخر ، والباقي الذي لا يفنى .

الباقى الوارث الحكيم، والمبين للأمة أحكام التنزيل، هو الذى تلقيت عنه هذه الأحوال كلها على الإجمال والتفصيل، وهو الذى بين شفاعة الأنبياء والمرسلين والشهداء والملائكة والصالحين .

وقد قاتل من تعلق بهؤلاء من المشركين، فهلا فرق فى القضية بين طالب الشفاعة من الأصنام، وطالبها من صفوة البرية. وما ذكر الله تعالى فى كتابه من الآيات إعلماً لنبىه (ﷺ) بحصول حقيقة الممات، بخطاب التخصيص له والتعميم لسائر البريات، وإخباره عن نفسه بذلك، وأنه بشر لا بد من سلوكه فى هذه المسالك، وطلب فاطمة -رضي الله عنها-^(١) الميراث، واختلاف أصحابه فى دفنه بعد تحققهم الموت، وفى قتال أهل الردة وغير ذلك دليل على ما ذكرنا، فإذا كان أصحابه أعلم الأنام، بمدارك الأحكام، فكيف يسوغ لهم هذا الاختلاف وهو حي فى قبره، كحياته بين أظهرهم، ولم وقع التنازع فى بيعة أبي بكر - رضي الله عنه - هلا رجعوا ذلك إليه، وعرضوا ذلك كله عليه، ولم عدلوا إلى الاستشفاع بعده بدعاء عمه العباس وتركوا سيد الناس، ما ذاك إلا لما أوتوا من العلم، ومنحوا من الفهم ورزقوا من الاتباع، وترك الأهواء والابتداع - رضي الله عنهم أجمعين - .

هذا ما ظهر فى تحقيق هذه المسألة وتقريرها، وكشف أسرارها وتحريرها فعرض عليها بالنواجذ والأنياب، فإنك قد لا تجده مسطراً فى كتاب .

(١) فاطمة الزهراء بنت محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب الهاشمية، كانت تكنى أم أيها - أصغر بنات النبي (ﷺ) وأحبهن إليه . اختلف فى مولدها قيل : ولدت فاطمة وقريش تبني الكعبة، وكان عمر النبي (ﷺ) خمساً وثلاثين سنة، وقيل : ولدت قبل المبعث بقليل، تزوجها علي بن أبي طالب فى رجب سنة مقدمهم المدينة وبنى بها مرجعه من بدر، ولها يومئذ ثمان عشرة سنة . وقيل غير ذلك . قال النبي (ﷺ) : (أفضل نساء الجنة أربع : مريم، وآسية وخدمية وفاطمة) توفيت - رضي الله عنها - ليلة الثلاثاء لثلاث خلون من شهر رمضان سنة إحدى عشر . ودفنت بالبقيع وقيل غير ذلك . انظر الإصابة ج ٤ ص / ٣٧٧ .

التحذير من الغلو في الصالحين والنهي عن اتخاذ القبور مساجد

ومن ذلك تقبيل هؤلاء القبور والطواف بها، والتمسح ببنائها وأخذ تربتها وأكلها، ونقلها للتبرك وإيقاد النيران^(١) والسرّج فيها، وشد الرحال إليها، وإلقاء الخرق عليها، وكل هذا^(٢) من الأوضاع الجاهلية التي غيروا بها الحنيفة، ووضعوا للات والعزى^(٣)، وراموا بها نصراً وعزاً، حتى ظهر عليهم (ﷺ) فلم يبق منهم ركزاً^(٤). فمن اعتصم بكتاب الله، وتمسك بسنة رسوله، يعلم أن هذه الأمور كلها تضاد أمر الله ونهيه وما جاء به رسوله من عنده، فإن الذي شرعه لنا الرسول لا يجوز عنه العدول، وما زاد عليه باطل غير مقبول، فزيارة القبور التي أمر بها وكان يعلم بها أصحابه إذا خرجوا إلى المقابر أن يقولوا: (السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، نسأل الله لنا ولكم العافية)^(٥).

والحكمة فيها إنما هو تذكّر الآخرة، والإحسان إلى الميت بالدعاء له، والترحم والاستغفار، ولذلك شرعت الصلاة للدعاء له والشفاعة فيه.

فإذا كان هذا ما شرعه لنا على لسان نبيه (ﷺ)^(٦) قبل موته، فبعد الدفن أولى، ولكن هذا مصداق قوله - عليه الصلاة والسلام -^(٧): (إنها السنن لتركبن سنن من كان قبلكم)^(٨).

فهذا «فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ»^(٩).

(١) في نسخة ب. النار. (٢) في نسخة ب، هذه.

(٣) اللات والعزى هما إلهتان للكفار كانوا يعبدونها من دون الله عز وجل في الجاهلية. واللات: صخرة مربعة بالطائف عليها بناء ولها حي وحرم، يقصدها العرب ويقدمون لها الذبائح. وكان حجاجها بنى مغيث من ثقيف.

والعزى: كانت عبارة عن شجرة بواد نخلة إلى الشرق من مكة، وكانت من أعظم الأصنام عند القرشيين. وكانوا يزورونها ويقدمون لها الذبائح، كما خصصوا لها موضعاً على مثال حرم الكعبة. انظر قيام الدولة العربية الإسلامية في حياة محمد (ﷺ) ص/ ٥٥ و ٥٦.

(٤) الركز: الصوت الخفي. (٥) انظر صحيح مسلم ج ٢ ص/ ٦٧١ حديث رقم ١٠٤ / ٩٧٥ (عن بريدة).

(٦) زيدت في ب. ج. (٧) في نسخة د. (ﷺ).

(٨) رواه أحمد في مسنده ج ٥ ص/ ٢١٨ كما رواه الترمذي في جامعه ج ٤ ص/ ٤٧٥ كتاب الفتن باب ٨، وقال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح. (كلاهما عن أبي واقد).

(٩) سورة البقرة من آية / ٥٩ وسورة الأعراف من آية / ١٦٢.

فبدلوا الدعاء للميت بدعائه والشفاعة عند الله له بطلب الشفاعة منه، وخصوصاً تلك القبور والمشاهد^(١) بالدعاء والعبادة.

وقد وردت السنة بإبطال ذلك، والتغليظ في الوعيد لمن فعله، لأن ذلك يصيرها أوثاناً تعبد من دون الله، وإنما حملهم على ذلك الغلو في الصالحين، وفرط محبتهم، وهذا هو الذي تغيرت به الحنيفية من قديم الدهر وحديثه، وهو السبب في كفر بني آدم كما حكاه الله تعالى عن قوم نوح، قال تعالى: « وَقَالُوا لَا نَدْرَأُ الْهَتَكَ وَلَا نَدْرَأُ وَدَاوَالَ سَوْاعَا وَلَا يُغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا »^(٢).

فإن هؤلاء أسماء رجال صالحين ماتوا، وعكفوا على قبورهم، ثم صوروا تماثيلهم ثم طال عليهم الأمد فعبدوهم^(٣). قال (ﷺ): (إياكم والغلو فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو)^(٤).

وقال عليه الصلاة والسلام: (لاتطروني كما أطرت النصارى عيسى بن مريم، إنما أنا عبد (فقولوا عبدالله ورسوله) أخرجه البخاري ومسلم عن عمر - رضي الله عنه^(٥)).

وروى الإمام مالك في الموطأ أن رسول الله (ﷺ) قال: (اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد)^(٦).

فإذا كان هذا قبر سيد ولد آدم (ولحده أفضل من السماء والأرض والنبى دعا ربه)^(٧) أن لا يجعله وثناً بسبب العبادة، فصرح أن من عبده أو دعاه أو عبدالله عنده

(١) المشاهد: هي القبور المعمورة بالفضل أو الصلاح والسيادة، وسموها مشاهد لشهودهم واجتماعهم عندها وهي تسمية خاطئة، أرادوا بها تحسين أفعالهم، وكان الأولى أن تسمى أوثاناً أو أصناماً، ولو كانت قبور قوم صالحين.

(٢) سورة نوح من آية / ٢٣.

(٣) انظر صحيح البخاري ج ٣ ص ٧٣ كتاب التفسير باب (وداً ولا سواعاً ويعوق) عن ابن عباس، وانظر تفسير الطبري ج ٢٩ ص ٦٢، وانظر تفسير ابن كثير ج ٤ ص ٣٢٦.

(٤) رواه أحمد في مسنده ج ١ ص ٢١٥ و ٣٤٧ (عن ابن عباس).

(٥) رواه البخاري في صحيحه ج ٤ ص ١٤٢ كتاب الأنبياء باب ٤٨. وهذا الحديث مما انفرد به البخاري عن مسلم حيث أنني لم أجد لمسلم رواية لهذا الحديث. انظر جامع الأصول ج ١١ ص ٥١.

(٦) رواه مالك في موطئه ج ١ ص ١٧٢ كتاب قصر الصلاة في السفر باب ٨٥.

(٧) ما بين المعقوفتين سقطت من نسخة د.

فقد صيره وثناً فما بالك بغيره ، وهذا فيه من التهديد البليغ ، والزجر الشديد ، ما ليس وراءه مزيد .

وفي السنن عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال : (لعن رسول الله ﷺ) زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج) (١) .

وروى الإمام أحمد عن عبدالله بن مسعود مرفوعاً : (إن من شرار أمتي من تدركهم الساعة وهم أحياء ومن يتخذ القبور مساجد) (٢) .

وفي الصحيحين عن عائشة - رضي الله عنها - قالت : (لما نزل برسول الله ﷺ) طفق يطرح خميصة له على وجهه ، فإذا اغتم بها كشفها فقال : (وهو كذلك لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد ، يحذر مثل ما صنعوا) .

ولولا ذلك لأبرز قبره غير أنه خشي أن يتخذ مسجداً . (٣) وقد صرح النبي ﷺ بالنهي عن ذلك . فروى مسلم عن جندب بن عبدالله (٤) قال : سمعت رسول الله ﷺ قبل أن يموت بخمس يقول : (إني أبرأ إلى الله أن يكون لي منكم خليل ، فإن الله قد اتخذني خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً ، ولو كنت متخذاً من أمتي خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً ، ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم مساجد ، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد ، إني أنهاكم عن ذلك) (٥) .

(١) رواه الترمذي في جامعه ج ٢ ص / ١٣٦ كتاب الصلاة باب ٢٣٨ ماجاء في كراهية أن يتخذ القبر مسجداً . كما رواه أبو داود في سننه ج ٣ ص / ٣١٨ كتاب الجنائز باب ماجاء في زيارة النساء القبور حديث رقم ٣٢٣٦ . كما رواه النسائي في سننه ج ٤ ص / ٩٤ باب التغليظ في اتخاذ السرج على القبور . كما رواه ابن ماجه في سننه ج ١ ص / ٥٠٢ كتاب الجنائز باب ٤٩ ماجاء في النهي عن زيارة القبور للنساء حديث رقم ١٥٧٤ . كما رواه أحمد في مسنده ج ١ ص / ٢٢٩ ، ٢٨٧ ، ٣٢٤ و ٢٣٧ .

(٢) رواه أحمد في مسنده ج ١ ص / ٤٣٥ .

(٣) رواه البخاري في صحيحه ج ٤ ص / ١٤٤ كتاب الأنبياء باب ٥٠ ، كما رواه مسلم في صحيحه ج ١ ص / ٣٧٧ كتاب المساجد ومواضع الصلاة حديث رقم ٥٣١ / ٢٢ - ولولا ذلك - هذا كلام عائشة . انظر صحيح مسلم ج ١ ص / ٣٧٦ حديث رقم ٥٢٩ / ١٩ .

(٤) جندب بن عبدالله بن سفيان البجلي ثم العلقمي ، أبو عبدالله ، وقد ينسب إلى جده ، فيقال جندب بن سفيان سكن الكوفة ، ثم البصرة ، قدمها مع مصعب بن الزبير ، روى عنه أهل المصريين ، أهل البصرة يقولون : جندب عبدالله ، وأهل الكوفة يقولون : جندب بن سفيان . مات بعد الستين . انظر الإصابة ج ١ ص / ٢٤٨ و ٢٤٩ .

(٥) رواه مسلم في صحيحه ج ١ ص / ٣٧٧ كتاب المساجد ومواضع الصلاة حديث رقم ٥٣٢ / ٢٣ .

فنهى - عليه الصلاة والسلام - في مرض موته، ونهى وهو في السياق عن^(١) اتخاذ القبور مساجد، ومعلوم أن كل مكان يعبد فيه أو يدعى فيه فقد جعل مسجداً، وهذا تحذير منه لأُمَّته عن مشابهتهم اليهود والنصارى في ذلك، فتدركهم اللعنة، لأن اللعنة ليست خاصة باليهود والنصارى، بل كل من اتخذ القبور مساجد، وخصها بنوع من أنواع العبادة، فهو ملعون ولو لم يبن عليها مسجداً، ولكن تشابهت قلوبهم . « فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا »^(٢) .

ومن ذلك صرفهم النذور إلى الأموات في القبور، وقد ثبت بالدليل القاطع أنه نوع من أنواع العبادة (كما نص عليه الشارع)^(٣) ، وأنه حق لله تعالى لا يصلح لغيره، فما يفعل عندها من التقرب بالعبادة والدعاء والنسك كله بدعة شركية، وشرعة جاهلية، يخالف لدين الإسلام مشابهه لأفعال عبدة الأوثان والأصنام، ولو كان قصد الناذر التقرب الى الله بذلك، لم يجز فعله هنالك . لأن التقرب إلى الله بذبح نسك، في مكان يذبح فيه للنصب شرك . ويدل على ذلك ما في سنن أبي داود عن ثابت الضحاك^(٤) ، قال : نذر رجل أن يذبح إبلاً ببوانة^(٥) . فسأل النبي (ﷺ) فقال : (هل فيها وثن من أوثان الجاهلية يعبد) قال : لا . قال : (فهل كان فيها عيد من أعيادهم؟) قالوا : لا . قال رسول الله (ﷺ) : (أوف بنذرِك فإنه لا وفاء بنذر في معصية الله، ولا في ما لا يملك ابن آدم)^(٦) .

(١) في نسخة ج، من

(٢) سورة الاسراء من آية / ٩٩ .

(٣) ما بين المعقوفتين زيدت في نسخة ب .

(٤) ثابت بن الضحاك بن خليفة بن ثعلبة الأنصاري الأشهلي، شهد بيعة الرضوان، وشهد بدرأ. كان رديف رسول الله (ﷺ) يوم الخندق ودليله إلى حمراء الأسد، وكان ممن بايع تحت الشجرة . قيل : ولد سنة ثلاث من الهجرة ومات سنة خمس وأربعين . قال صاحب الإصابة : وهذا غلط فلعله ولد سنة ثلاث من المبعث فإن من يشهد الحديبية سنة ست ويباع فيها كيف يكون مولده بعد الهجرة بثلاث، وقيل : إنه مات سنة أربع وستين . انظر الإصابة ج ١ ص / ٢٩٣ .

(٥) بوانة : هضبة وراء ينبع قريبة من ساحل البحر، قريب منها ماء يسمى القصيبة . انظر معجم البلدان ج ٢ ص / ٥٠٥ .

(٦) رواه أبو داود في سننه ج ٣ ص / ٢٣٨ كتاب الإيمان باب ما يؤمر به من الوفاء بالنذر .

وروى الضياء^(١) في المختارة عن علي بن الحسين^(٢) - رضي الله عنهم - أنه رأى رجلاً يجيء إلى فرجة (كانت)^(٣) عند قبر النبي (ﷺ) فيدخل فيها فيدعو فيها، وقال: ألا أحدثكم بحديث سمعته عن^(٤) أبي^(٥) عن جدي عن رسول الله (ﷺ) قال: (لا تتخذوا قبوري عيداً، ولا بيوتكم قبوراً، وصلوا علي فإن صلاتكم تبلغني أينما كنتم)^(٦).

وفي سنن أبي داود عن أبي هريرة قال: قال رسول الله (ﷺ): (لا تجعلوا بيوتكم قبوراً ولا تجعلوا قبوري عيداً، وصلوا علي فإن صلاتكم تبلغني حيث ما كنتم)^(٧).

فهذا أمره (ﷺ) ونهيه الذي أمرنا بالأخذ به، وعدم مخالفته. قال الله تعالى: «وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا»^(٨).

وقال (ﷺ): (كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبي، قالوا: ومن يأبى يارسول الله؟ قال: من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبى) رواه البخاري^(٩).

(١) الإمام العالم ضياء الدين أبو عبد الله، محمد بن عبد الواحد، بن أحمد بن عبد الرحمن السعدي المقدسي ثم الدمشقي الصالحي، الحنبلي صاحب التصانيف النافعة، ولد سنة تسع وستين وخمسة، ترك آثاراً كثيرة منها: فضائل الأعمال، والأحاديث المختارة، وفضائل القرآن، ومناقب أصحاب الحديث وغيرها. عاش أربعاً وسبعين سنة وتوفي في جمادى الآخرة سنة ثلاث وأربعين وستائة. انظر تذكرة الحفاظ ج ٤ ص/ ١٤٠٥ الأعلام ج ٧ ص/ ١٣٤.

(٢) علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب - زين العابدين - ثقة ثبت عابد فقيه فاضل مشهور، قال ابن عيينة عن الزهري: ما رأيت قرشياً أفضل منه. مات سنة ثلاث وتسعين وقيل غير ذلك. تقريب التهذيب ج ٢ ص/ ٣٥.

(٣) ما بين المعقوفتين زيدت في نسخة ج.

(٤) في نسخة ج، من.

(٥) هو الحسين بن علي بن أبي طالب، ولد في شعبان سنة أربع من الهجرة. ورد أحاديث كثيرة في فضله، وفضل أخيه الحسن. منها ما رواه البخاري في صحيحه قال (ﷺ): (هما ریحانتان في الدنيا) وما رواه الترمذي عنه (ﷺ): (الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة) وغيرها من الأحاديث. قتل يوم الجمعة العاشر من محرم سنة إحدى وستين، وهو ابن ست وخمسين سنة وخمسة أشهر وقيل كان ابن ثمان وخمسين. انظر صفة الصفوة ج ١ ص/ ٧٦٢.

(٦) انظر تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد. ص/ ٣٥٤.

(٧) رواه أبو داود في سننه ج ٢ ص/ ٢١٨ كتاب المناسك باب زيارة القبور.

(٨) سورة الحشر من آية / ٧.

(٩) رواه البخاري في صحيحه ج ٨ ص/ ١٣٩ كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة باب ٢ (عن أبي هريرة).

وهذا هديه وشرعه في زيارة القبور، وهدى السلف والخلف - رضي الله عنهم أجمعين - الذين اقتبسوا من مشكاة أنواره، واقتدوا في جميع أقوالهم وأفعالهم بأثاره، ولقد وقعت بهم الحوادث ودهمتهم الخطوب الكوارث، وألمت بهم مدلهيات^(١) النوايب وحلت بهم غياهب^(٢) المصايب، وأمطرت عليهم بالبلايا سحاب، ودرجت عليهم من الشدائد غياهب، من مقتل عثمان - رضي الله عنه - ثم مابعده من الفتن، وما حل بأهل المدينة في وقعة الحرة من المحن، واستباحة الدماء والأموال والفروج، ومع ذلك لم يكن لهم عن هديه (ﷺ) خروج (ولا إلى سنن الجاهلية عدول وخروج)^(٣) ولم ينقل عن أحد منهم أنه التجأ إلى رسول الله (ﷺ) أو استغاث به أو دعاه أو استنصر به.

وإنما ذلك لعلمهم أنه نهى عن ذلك وحذر، وتوعد عليه وأنذر، وبين لهم وأخبر أنه من الشرك الأكبر، قال تعالى: « قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّيهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هِيَ مُمْسِكَةٌ بِرَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ » (٤).

وقال تعالى: « وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِنْ الظَّالِمِينَ » (٥).

وقال تعالى: « قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا » (٦).

وقال تعالى: « وَأَنَّ الْمَسْجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا » (٧).

(١) مدلهيات : ليلة مدلهمة : أي مظلمة .

(٢) غياهب : شدة سواد الليل .

(٣) ما بين المعقوفتين زيدت في نسخة ، ب .

(٤) سورة الزمر من آية / ٣٨ .

(٥) سورة يونس آية / ١٠٦ .

(٦) سورة الأعراف من آية / ١٨٨ .

(٧) سورة الجن آية / ١٨ .

وقوله في حديث إنذاره عشيرته : (يامعشر قريش اشتروا أنفسكم لا أغني عنكم من الله شيئاً، ياصفية^(١) عممة رسول الله لا أغني عنك من الله شيئاً، ياعباس بن عبدالمطلب لا أغني عنك من الله شيئاً، يافاطمة بنت محمد سليمان من مالي ماشئت لا أغني عنك من الله شيئاً)^(٢) .

فمن أنار الله تعالى قلبه بأنوار الإيمان، وشرح صدره لقبول الحق والعرفان، اتضح له واستبان ماوقع من الناس في هذه الأزمان عند القبور من العبادة والنسك وإيقاد النيران، وعند الأشجار والأحجار من سائر البلدان . ومن شاهد مايفعل عند قبره الشريف، ومايفعل عند قبر كل صالح كالرفاعي^(٣) وأحمد البدوي^(٤) بمصر، وعبد القادر^(٥) ومعروف الكرخي،^(٦) وفي المشهد الذي يدعى أنه قبر علي،

(١) صفية بنت عبدالمطلب بن هاشم القرشية، عممة رسول الله (ﷺ) والدة الزبير بن العوام وهي شقيقة حمزة، أمها هالة بنت وهب خالة رسول الله (ﷺ)، أول من تزوجها الحارث بن حرب ثم هلك، فخلف عليه العوام بن خويلد فولدت له الزبير، وأسلمت وعاشت إلى خلافة عمر وهاجرت مع ولدها الزبير ... انظر الإصابة ج ٤ ص/٣٤٨ .

(٢) رواه البخاري في صحيحه ج ٣ ص/١٩٠ كتاب الوصايا باب ١١، وج ٦ ص/١٧ كتاب التفسير سورة ٢٦ (الشعراء)، باب ٢، كما رواه مسلم في صحيحه ج ١ ص/١٩٢ كتاب الإيمان حديث رقم ٣٥١/٢٠٦ كلاهما عن أبي هريرة . والحديث عن البخاري ومسلم (ياعباس بن عبدالمطلب ثم ياصفية عممة رسول الله ...).

(٣) أحمد بن علي بن يحيى الرفاعي الحسيني، أبو العباس، الإمام الزاهد، مؤسس الطريقة الرفاعية، ولد في قرية حسن - من أعمال واسط بالعراق - سنة اثنتي عشرة وخمسةائة . وتفقه وتآدب في واسط وتصوف فانضم إليه خلق كثير من الفقهاء . توفي بقرية أم عبدة بالبطنج - بين واسط والبصرة - سنة ثمان وتسعين وخمسةائة . وقبره محط الرحال لسالكي طريقته . انظر الإعلام ج ١ ص/١٦٩ .

(٤) أحمد بن علي بن إبراهيم الحسيني أبو العباس البدوي المتصوف، صاحب الشهرة في الديار المصرية، أصله من المغرب . ولد بفاس سنة ست وتسعين وخمسةائة . طاف البلاد وأقام بمكة والمدينة ودخل مصر أيام الملك الظاهر بيبرس . عظم شأنه في مصر فانتسب إلى طريقته جمهور كبير . توفي سنة خمس وسبعين وستائة ودفن في طنطا . انظر الإعلام ج ١ ص/١٧٠ .

(٥) عبدالقادر بن أبي صالح بن جنكي دوست، أبو محمد الجليلاني الحنبلي المشهور، الزاهد، صاحب المقامات والكرامات، ولد بجيلان سنة إحدى وسبعين وأربعمائة - وراء طبرستان - ثم قدم بغداد، تفقه على القاضي ابن سعيد . كان إمام زمانه، اشتغل بالوعظ إلى أن برز فيه، جلس في مدرسة أبي سعيد للتدريس والفتوى سنة ثمان وعشرين وخمسةائة . واشتهر وصار يقصد للزيارة، صنف في الفروع والأصول، ومن كتبه : الغنية لطالب طريق الحق، والفتح الرباني وغيرها . توفي سنة إحدى وستين وخمسةائة . انظر فوات الفوات ج ٢ ص/٣٧٣ والإعلام ج ٤ ص/١٧١ .

وليس كذلك، وما يفعل في البصرة، وعند الزبير ببغداد^(١)، وما يفعل عند قبر ابن عباس والمحجوب^(٢) وأبي وطالب^(٣)، وما كان يفعل في مشاهد الأحساء قبل هذه الأيام وبلدان فارس وعمان ومشاهد اليمن، وكل بلاد إلا ماشاء الله تعالى، علم أن هذا فسخ لدين الحق والهدى، ونسخ لبروده المحكمة السدى، ورفع لقواعد الشرك والضلال^(٤) والردى. وذلك لطول العهد بلوامع الشريعة الغراء وبعد المدى، وتيقن أن هذا مصداق قوله - عليه الصلاة والسلام - : (بدأ الدين^(٥) غربياً وسيعود غربياً كما بدأ^(٦)).

وفي رواية (بدأ الإسلام غربياً وسيعود غربياً كما بدأ فطوبى للغرباء)^(٧) (الذين يصلحون إذا فسد الناس)^(٨) وفي أخرى (الذين يصلحون ما أفسد الناس)^(٩).

ولقد وقع ما أخبر به (ﷺ) ووعد، وتطاول على غربة الإسلام الأمد، فلا يمضي قرن إلا خلفه من هم أسوأ من الأولين حالاً، وأعظم فتنة وأقبح أفعالاً، والموفق فيه من رزقه الله (تعالى)^(١٠) فيه إخلاص الدين، وإسلام وجهه وإحسان عمله^(١١) لرب العالمين. وعرج فيه على معراج التسليم والصبر، إلى منهج الاحتساب للأجر. فقد صح عن من له غاية الشرف ونهاية الفخر: (يأتي على الناس زمان المتمسك فيه بدينه

(٦) معروف بن فيروز، أبو محفوظ، العابد، المعروف بالكرخي، نسبة إلى كرخ بغداد، أحد المشهورين بالزهد، والعزوف عن الدنيا، وكان يوصف بأنه مجاب الدعوة. ويحكى عنه كرامات، كان في صغره يصلي بالصبيان، كان أبوه صابئاً من كهرمان. وكان معروف يعرض على أبيه الإسلام. توفي سنة مائتين، وقبل سنة أربع ومائتين. انظر تاريخ بغداد ج ١٣ ص ١٩٩.

(١) سقطت من نسخة د. (٢) محجوب.

(٣) أبو طالب. (٤) سقطت من نسخة ج.

(٥) في نسخة ج الإسلام. (٦) رواه الإمام أحمد في مسنده ج ٢ ص ٣٨٩ عن أبي هريرة.

(٧) رواه مسلم في صحيحه ج ١ ص ١٣٠ و ١٣١ كتاب الإيثار حديث رقم ٣٣٢ / ١٤٥ عن أبي هريرة. كما رواه الإمام أحمد في مسنده ج ١ ص ٣٩٨، ورواه أيضاً الترمذي في جامعه ج ٥ ص ١٨ وأوله (إن الإسلام).

(٨) رواه أحمد في مسنده ج ٢ ص ٧٣.

(٩) رواه الترمذي في جامعه ج ٥ ص ١٨ كتاب الإيثار باب ١٣ حديث رقم ٢٦٢٦.

(١٠) زيدت في ب. ج.

(١١) سقطت من ج.

كالقابض على الجمر^(١).

وورد عنه (ﷺ) أنه قال : (يأتي على الناس زمان للعامل فيه أجر خمسين منكم)^(٢).

فلأجل غربة الإسلام والدين ، وتغلب أهل الأهواء من المبتدعين ، واتباع سنن الغاوين والمشركين وخسوف بدر الحق ، وكسوف شمسهم ، وتغيير الصراط المستقيم وطمسهم ، يكفر من قام يدعو إلى التوحيد ويرمي بالخروج من ملة الإسلام من غير ترديد ، ويحكم عليه بالبدع والتضليل ، من غير برهان ولا دليل «وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ»^(٣) وحسداً ، ولكن الله وفق من شاء من الخلق ولما اختلف فيه من الحق ، فأرشده إلى الخير وهدى «وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ»^(٤).

ويخذل من يشاء بعدله القويم ، وقضائه السوي الحكيم ، فيستحب العمى على الهدى والجحيم على النعيم «يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ، وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ»^(٥).

«وَعَدَ اللَّهُ لَإِيْحِفُ اللَّهُ وَعَدَّهُ، وَلَكِنَّا كَثَرْنَا نَاسٍ لَا يَعْلَمُونَ»^(٦).

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده ج ٢ ص / ٢٩٠ - ٢٩١ ، كما رواه الترمذي في جامعه ج ٤ ص / ٥٢٦ كتاب الفتن ولفظ الحديث كما روي عن أنس بن مالك (يأتي على الناس زمان الصابر فيهم على دينه كالقابض على الجمر .) وقال الترمذي : هذا حديث غريب من هذا الوجه .

(٢) روى هذا الحديث بطوله الترمذي وأبو داود وابن ماجه ، عن أبي ثعلبة الخشني في تفسير قوله تعالى «يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ» .

أ - رواه الترمذي في جامعه ج ٥ ص / ٢٥٧ كتاب تفسير سورة المائدة حديث رقم ٣٠٥٨ وقال الترمذي هذا حديث حسن غريب .

ب - ورواه أبو داود في سننه ج ٤ ص / ١٢٣ كتاب الملاحم والفتن حديث رقم / ٤٣٤١ .

ج - كما رواه ابن ماجه في سننه ج ٢ ص / ١٣٣٠ كتاب الفتن باب ٢١ وانظر أيضاً مجمع الزوائد ج ٧ ص / ٢٨٣ .

(٣) سورة آل عمران من آية / ١٩ .

(٤) سورة البقرة من آية / ٢١٣ .

(٥) سورة التوبة آية / ٣٢ .

(٦) سورة الروم آية / ٦ .

الفصل السابع

في الأمر بالاعتصام بكتاب الله المين، والتمسك بحبله المتين وذم الافتراق في الدين، وإخبار الرسول الأمين (ﷺ) (١) بافتراق أمته المجيين على ثلاث وسبعين، وأنها كلها في النار مع المكذبين إلا من كان على سنته وسنة أصحابه المهديين (ﷺ) ورضي عنهم أجمعين وحشرنا في زمرةهم يوم الدين.

قال الله جل جلاله : « يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٢﴾ » .

وقال تعالى : « يَأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا ﴿١٧٤﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَأَعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴿٣﴾ » .

وقال سبحانه وتعالى : « وَهَذَا صِرَاطٌ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿٤﴾ » .

وقال تعالى : « وَأَنْ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّيْنَاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٥﴾ » .

وقال تعالى : « وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٦﴾ » .

وقال تعالى : « فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ ﴿٧﴾ » .

(٢) سورة آل عمران آية / ١٠٢ و ١٠٣ .

(٤) سورة الأنعام آية / ١٢٦ .

(٦) سورة الأنعام آية / ١٥٥ .

(١) زيدت في نسخة جـ .

(٣) سورة النساء آية / ١٧٤ و ١٧٥ .

(٥) سورة الأنعام آية / ١٥٣ .

(٧) سورة الأنعام من آية / ١٥٧ .

وقال جل جلاله : « كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلْنَا إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿١﴾ .
 وقال تعالى : « فَأَلَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ ۖ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٢﴾ .

وقال جل جلاله : « يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣﴾ .

وقال تعالى : « يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن أُهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ ﴿٤﴾ الْآيَةَ .

وقال تعالى : « مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن نَّصَدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥﴾ .

وقال جل جلاله : « كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿٦﴾ .

وقال تعالى ﴿٧﴾ : « وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨﴾ .

وقال تعالى : « قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٩﴾ .

(٢) سورة الأعراف من آية / ١٥٧ .

(٤) سورة يونس من آية / ١٠٨ .

(٦) سورة إبراهيم آية / ١ .

(٨) سورة النحل من آية / ٨٩ .

(١) سورة الأعراف آية / ٢ و ٣ .

(٣) سورة يونس آية / ٥٧ و ٥٨ .

(٥) سورة يوسف من آية / ١١١ .

(٧) سقطت من نسخة ب .

(٩) سورة النحل آية / ١٠٢ .

وقال عز وجل : « إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا » (١).

وقال سبحانه وتعالى : « الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ۗ قِيمًا لِنُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِمَّنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ۗ مَّا كُنْتُمْ فِيهِ أَبَدًا » (٢).

وقال تعالى : « تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا » (٣).

قال تعالى : « وَإِنَّهُ لَنَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٣٠﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٣١﴾ عَلَى قَلْبِكَ ... » (٤) الآية .

وقال عز وجل : « وَمَا كُنْتَ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ سِيمِينَكَ إِذَا لَأْتَابَ الْمُبْتُلُونَ ﴿١٨﴾ بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ » (٥).

وقال تعالى (٦) : « وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ ... » (٧) الآية .

وقال تعالى : « وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَجْمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَءِمْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ ۗ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى » (٨).

وقال تعالى : « كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَ تَهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ » (٩).

(٢) سورة الكهف آية / ١ - ٣ .

(٤) سورة الشعراء آية رقم / ١٩٢ - ١٩٤ .

(٦) لم يذكر في نسخة ب .

(٨) سورة فصلت من آية / ٤٤ .

(١) سورة الإسراء آية / ٩ .

(٣) سورة الفرقان آية / ١ .

(٥) سورة العنكبوت آية / ٤٨ و ٤٩ .

(٧) سورة الزمر من آية / ٥٥ .

(٩) سورة البقرة من آية / ٢١٣ .

وقال جل جلاله : «وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوْتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ» (١).

وقال سبحانه وتعالى : «وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ» (٢).

وقال تعالى : «إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ» (٣).

وقال سبحانه وتعالى : «مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ» (٤) مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ» (٤).

وقال تعالى : «شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ» (٥) وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمْ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ» (٥).

وقال تعالى : «وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَةُ» (٦).

عن أبي سعيد - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله (ﷺ) : (كتاب الله هو حبل الله الممدود من السماء إلى الأرض) رواه أبو جعفر الطبري (٧) بسنده (٨).

(١) سورة آل عمران من آية / ١٩ .

(٢) سورة الأنعام آية / ١٥٩ .

(٣) سورة الشورى آية / ١٣ و ١٤ .

(٤) سورة البينة آية / ٤ .

(٥) محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب، الإمام أبو جعفر الطبري، كان مولده في سنة أربع وعشرين ومائتين. صنف التاريخ الحافل، وله التفسير الكامل، وكتاب تهذيب الآثار وغيرها من المصنفات النافعة. وكانت وفاته وقت المغرب عشية يوم الأحد ليومين بقيا من شوال من سنة عشر وثلاثمائة. وقد جاوز الثمانين بخمس أو ست سنين. انظر البداية والنهاية ج ١١ ص / ١٤٥ وتذكرة الحفاظ ج ٢ ص / ٧١٠.

(٨) انظر تفسير الطبري ج ٧ ص / ٧٢ تحقيق محمود واهمد ابنا شاكر. كما رواه الإمام أحمد في مسنده ج ٣ ص / ١٤ و ١٧ و ٢٦ و ٥٩. ورواه أيضاً الترمذي في جامعه ج ٥ ص / ٦٦٣ كتاب المناقب باب ٣٢ وأوله (إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به، لن تضلوا بعدي ...).

وروى ابن مردويه^(١) من طريق إبراهيم بن مسلم الهجري^(٢) عن أبي الأحوص^(٣) عن عبدالله قال: قال رسول الله (ﷺ): (إن هذا القرآن هو حبل الله المتين وهو الشفاء النافع، عصمة لمن تمسك به ونجاة لمن اتبعه)^(٤).

وروى من حديث حذيفة وزيد بن أرقم نحو ذلك.

وروى مسلم في صحيحه من حديث سهيل^(٥) بن أبي صالح عن أبيه^(٦) عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله (ﷺ) قال: (إن الله يرضى لكم ثلاثاً ويسخط لكم ثلاثاً، يرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً، وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا، وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم، ويسخط لكم قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال)^(٧).

وأخرج الإمام أحمد بسنده عن عبدالله بن لحي^(٨) قال: حججنا مع معاوية بن أبي سفيان، فلما قدمنا مكة قام حين صلى الظهر، فقال: إن رسول الله (ﷺ) قال: (إن

(١) الحافظ الثبت العلامة - أبو بكر أحمد بن موسى بن مردويه الأصبهاني، صاحب التفسير والتاريخ، وعمل المستخرج على صحيح البخاري، ولد سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة. ومات لست بقين من رمضان سنة عشر وأربعائة. انظر تذكرة الحفاظ ج ٣ ص/ ١٠٥٠.

(٢) إبراهيم بن مسلم العبدي، أبو إسحاق الهجري بفتح الهاء والجيم، يذكر بكنيته، لين الحديث (قال في الخلاصة: أنكروا عليه كثرة روايته عن أبي الأحوص، عن عبدالله وعامتها مستقيمة، رفع الموقوفات). تقريب التهذيب ج ١ ص/ ٤٣.

(٣) عوف بن مالك بن نضلة - بفتح النون وسكون المعجمة - الجشمي - بضم الجيم وفتح المعجمة - أبو الأحوص الكوفي، مشهور بكنيته، ثقة، قتل في ولاية الحجاج على العراق. تقريب التهذيب ج ٢ ص/ ٩٠.

(٤) رواه الدارمي في سننه ج ٢ ص/ ٤٣١ كتاب فضائل القرآن باب ١، ورواه أيضاً عبدالرزاق في مصنفه ج ٣ ص/ ٣٧٥.

(٥) سهيل بن أبي صالح - ذكوان السمان - أبو يزيد المدني - صدوق، تغير حفظه بآخره، روى له البخاري مقروناً وتعليقاً. مات في خلافة المنصور. تقريب التهذيب ج ١ ص/ ٣٣٨.

(٦) ذكوان - أبو صالح - السمان الزيات، المدني، ثقة، ثبت، وكان يجلب الزيت إلى الكوفة. مات سنة إحدى ومائة. تقريب التهذيب ج ١ ص/ ٢٣٨.

(٧) رواه مسلم في صحيحه ج ٣ ص/ ١٣٤٠ كتاب الأفضية حديث رقم ١٧١٥/١٠ (بلفظ: يكره)، ومن غير: وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم، وهذا اللفظ مروى في مسند أحمد ج ٢ ص/ ٣٦٧.

(٨) في جميع النسخ عن عبدالله بن يحيى، والصواب ما أثبتناه كما هو في مسند أحمد وسنن أبي داود. وراوي الحديث هو عبدالله بن لحي الحميري، أبو عامر الهوزني الحمصي، روى عن عمر بن الخطاب، ومعاذ، وبلال، ومعاوية وغيرهم، قال العجلي: شامي ثقة من كبار التابعين، وقال الدارقطني: لا بأس به. انظر تهذيب التهذيب. ج ٥ ص/ ٣٧٣.

أهل الكتاب^(١) افترقوا في دينهم على ثنتين وسبعين ملة، وإن هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين ملة، يعني الأهواء، كلها في النار إلا واحدة وهي الجماعة. وإنه سيخرج في أمتي أقوام تتجارى بهم تلك الأهواء كما يتجارى الكلب بصاحبه لا يدع فيه عرقاً ولا مفصلاً إلا دخله. والله يامعشر العرب لئن لم تقوموا بما جاء به نبيكم (ﷺ)، لغيركم من الناس أخرى أن لا يقوم به^(٢).

وهكذا رواه أبو داود عن أحمد بن حنبل ومحمد بن يحيى^(٣) كلاهما عن أبي المغيرة واسمه عبد القدوس بن الحجاج الشامي بسنده^(٤).

قوله تعالى: «يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ»^(٥) الآية.

قد تقدم الكلام على التقوى وذكرنا ما فيه كفاية، وقد ذهب سعيد بن جبير، وأبو العالية، والربيع بن أنس^(٦)، وقتادة، ومقاتل بن حيان^(٧)، وزيد بن أسلم، والسدي، وغيرهم أن هذه الآية منسوخة بقوله تعالى: «فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ»^(٨) وعن ابن عباس، أنها لم تنسخ ولكن (حق تقاته) أن يجاهد في سبيله (حق جهاده)^(٩) ولا تأخذهم في الله لومة لائم، ويقوموا بالقسط ولو على أنفسهم وآبائهم وأبنائهم.

(١) في مسند أحمد (أهل الكتابين).

(٢) رواه أحمد في مسنده ج ٤ ص/ ١٠٢، كما رواه أبو داود في سننه ج ٤ ص/ ١٩٨ كتاب السنة باب شرح السنة. (٣) محمد بن يحيى بن عبد الله بن خالد بن فارس بن دويب الذهلي النيسابوري، ثقة حافظ جليل، مات سنة ثمان وخمسين ومائتين على الصحيح وله ست وثمانون سنة، تقريب التهذيب. ج ٢ ص/ ٢١٧. انظر تذكرة الحفاظ ج ٢ ص/ ٥٣٠.

(٤) عبد القدوس بن الحجاج الخولاني الحمصي محدث الشام، كان من ثقات العلماء، قال البخاري: مات بحمص سنة اثنتي عشرة ومائتين. انظر تذكرة الحفاظ ج ١ ص/ ٣٨٦.

(٥) سورة آل عمران آية / ١٠٢.

(٦) الربيع بن أنس البكري، أو الحنفي، بصري، نزل خراسان، صدوق، له أوهام، رمي بالتشيع، مات سنة أربعين ومائة وقيل قبلها. تقريب التهذيب ج ١ ص/ ٢٤٣.

(٧) مقاتل بن حيان، عالم خراسان، المحافظ أبو بسطام البلخي الخراز، كان إماماً صادقاً خيراً، صاحب سنة واتباع، هرب في أيام خروج أبي مسلم الخراساني إلى كابل، ودعا خلقاً إلى الإسلام فأسلموا، وثقه يحيى بن معين وأبو داود. قيل مات قبل الحسين ومائة بأرض الهند. انظر تذكرة الحفاظ ج ١ ص/ ١٧٤ تقريب التهذيب ج ٢ ص/ ٢٧٢.

(٩) سقطت من نسخة ج.

(٨) سورة التغابن آية ١٦.

وفي قوله : « وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ » الأمر بالمحافظة على الإسلام في حال الصحة والسلامة ليموتوا على ذلك . لأن الكريم قد أجرى عادته بكرمه أنه من عاش على شيء مات عليه ، ومن مات على شيء بعث عليه^(١) .

وفي الحديث عن عبدالله بن عمرو^(٢) قال : قال رسول الله (ﷺ) : (من أحب أن يزحزح عن النار ، ويدخل الجنة فلتدرکه منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر ، ويأتي إلى الناس ما يحب أن يؤتى إليه) رواه الإمام أحمد^(٣) .

وعنه (ﷺ) : (لو قطرت من الزقوم قطرة لأمرت على أهل الأرض معيشتهم ، فكيف بمن ليس له طعام إلا الزقوم) هكذا رواه أصحاب السنن^(٤) .

وقوله : « وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ »^(٥) أمر الله تعالى عباده المؤمنين أن يعتصموا بحبله المتين ، وهو القرآن المبين ، الذي نزل به الروح الأمين ، وحفظه عن تحريف المبطلين ، وسماه حبلاً على سبيل الاستعارة المرشحة كما هو منصوص على ذلك عند علماء البيان ، ووجه ذلك أنه استعار له الحبل من حيث أن التمسك به سبب للنجاة عن الردى ، كما أن التمسك بالحبل القوي سبب للسلامة عن التردى ، ورشح ذلك بالاعتصام لأجل الوثوق به والاعتماد عليه^(٦) .

وعن علي مرفوعاً في صفة القرآن قال : (هو حبل الله المتين ، وصراطه المستقيم)^(٧) .

(١) انظر تفسير الطبري ج ٤ ص / ٦٧ و ٦٨ وتفسير ابن كثير ج ١ ص / ٣٨٨ .

(٢) في النسخ عن عبدالله بن عمر ، والصواب ما أثبتناه كما هو في مسند أحمد وصحيح مسلم .

(٣) رواه أحمد في مسنده ج ١ ص / ٣٨٨ وانظر صحيح مسلم ج ٣ ص / ١٤٧٢ و ١٤٧٣ كتاب الإمارة حديث رقم ١٨٤٤ / ٤٦ .

(٤) رواه أحمد في مسنده ج ١ ص / ٣٣٨ ، ورواه ابن ماجه في سننه ج ٢ ص / ١٤٤٦ كتاب الزهد باب ٣٨ ، كما رواه الترمذي في جامعه ج ٤ ص / ٧٠٧ ، كتاب صفة جهنم باب ٤ ماجاء في شراب أهل النار ، وقال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح (عن ابن عباس) وفي بعض الروايات (لأفسدت) .

(٥) سورة آل عمران من آية / ١٠٣ .

(٦) انظر تفسير أنوار التنزيل ج ١ ص / ١٧٥ .

(٧) رواه الترمذي في جامعه مطولاً ج ٥ ص / ١٧٢ كتاب فضائل القرآن باب ١٤ ، كما ذكره الهيثمي بطوله في مجمع الزوائد ج ٧ ص / ١٦٤ وقال : رواه الطبراني وفيه عمرو بن واقد وهو متروك .

وقد أخرج الإمام أحمد والترمذي والنسائي من حديث النواس بن سمعان الأنصاري^(١) عن النبي (ﷺ) قال: (ضرب الله مثلاً صراطاً مستقيماً، وعلى جنبتي الصراط سوران فيهما أبواب مفتحة، وعلى الأبواب ستور مرخاة، وعلى باب الصراط داع يقول: يا أيها الناس ادخلوا الصراط جميعاً ولا تعوجوا، وداع يدعو من جوف الصراط، فإذا أراد أحد أن يفتح شيئاً من تلك الأبواب قال: ويحك لا تفتحه فإنك إن فتحتة تلجه، والصراط: الإسلام، والسوران: حدود الله، والأبواب المفتحة: محارم الله، وذلك الداعي على رأس الصراط: كتاب الله تعالى، والداعي من فوقه: واعظ الله في قلب كل مسلم)^(٢).

وروى عمرو بن شعيب^(٣) عن أبيه^(٤) عن جده^(٥) عن النبي (ﷺ) قال: (يمثل القرآن يوم القيامة رجلاً، فيؤتى بالرجل قد حمّله فخالف أمره فيمثل له خصماً فيقول: يارب حملته إياي فبئس حامل، تعدى حدودي، وضع فرائضي، وركب معصيتي، وترك طاعتي، فما يزال يقذف عليه بالحجج حتى يقال: شأنك به، فيأخذه بيده فما يرسله حتى يكبه^(٦) على منخره في النار، ويؤتى بالرجل الصالح كان قد حمّله وحفظ أمره، فيمثل له خصماً دونه، فيقول: يارب حملته إياي فخير حامل، حفظ حدودي، وعمل بفرائضي، واجتنب معصيتي، واتبعت طاعتي، فما يزال يقذف له بالحجج حتى يقول: شأنك به، فيأخذه بيده فما يرسله حتى يلبسه حلة الإستبرق، ويعقد عليه تاج الملك، ويسقيه كأس الخمر)^(٧).

(١) في النسخ عن العرياض بن سارية، والصواب ما أثبتناه كما هو في مسند أحمد وجامع الترمذي.
(٢) رواه أحمد في مسنده ج ٤ ص/١٨٢، ورواه الترمذي في جامعه ج ٥ ص/١٤٤ كتاب الأمثال باب ١ ... وقد مر ذكر الحديث.

(٣) عمرو بن شعيب بن محمد بن عبدالله بن عمرو بن العاص، صدوق، مات سنة ثمان عشرة ومائة. تقريب التهذيب ج ٢ ص/٧٢.

(٤) شعيب بن محمد بن عبدالله بن عمرو بن العاص. صدوق، ثبت سماعه عن جده، تقريب التهذيب ج ٣ ص/٣٥٣.

(٥) والقول الأصح عن جده، يقصد به عبدالله بن عمرو بن العاص.

(٦) كسبه: صرعه.

(٧) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ج ٧ ص/١٦٠ وقال: رواه البزار، وفيه إسحاق وهو ثقة ولكنه مدلس، وبقيه رجاله ثقات.

وقال ابن مسعود - رضي الله عنه - : (القرآن شافع ومشفع وماحل مصدق، فمن جعله أمامه قاده إلى الجنة، ومن جعله خلفه قاده إلى النار)^(١).

وعنه قال : (يجيء القرآن يوم القيامة فيشفع لصاحبه فيكون قائداً إلى الجنة، ويشهد عليه فيكون سائقاً إلى النار)^(٢).

وقال أبو موسى الأشعري : (إن هذا القرآن كائن لكم أجراً، وكائن عليكم وزراً، فاتبعوا القرآن، ولا يتبعكم القرآن، فإنه من اتبع القرآن هبط به إلى رياض الجنة، ومن اتبعه القرآن زج في قفاه فقدفه في النار)^(٣).

قلت : في صحيح مسلم عن أبي مالك الأشعري^(٤) قال : قال رسول الله (ﷺ) : (الطهور شطر الإيمان) الحديث، وفيه (والقرآن حجة لك أو عليك)^(٥). وفيه أيضاً (إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواماً)^(٦).

وفي الحلية عن عائشة - رضي الله عنها - قالت : قال رسول الله (ﷺ) : (إن لكل شيء^(٧) شرفاً يتباهون به، وبهاء أمتي وشرفها القرآن)^(٨).

وخرج الترمذي عن أبي هريرة أن رسول الله (ﷺ) قال : (يجيء القرآن يوم القيامة، فيقول : يارب حله، فيلبس تاج الكرامة، ثم يقول : يارب زده، فيلبس حلة

(١) رواه عبدالرزاق في مصنفه ج ٣ ص/ ٣٧٢ و ٣٧٤، كما ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ج ٧ ص/ ١٦٤ وقال : رواه الطبراني وفيه الربيع بن بدر وهو متروك.

(٢) رواه الدارمي في سننه ج ٢ ص/ ٤٣٣ باب فضائل من قرأ القرآن. وانظر جامع العلوم والحكم لابن رجب ص/ ٢٠٨.

(٣) رواه الدارمي في سننه ج ٢ ص/ ٤٣٤ باب فضل من قرأ القرآن.

(٤) الحارث بن الحارث الأشعري الشامي، صحابي تفرد بالرواية عنه أبو سلام، وكنيته أبو مالك، وقد خلطه غير واحد بأبي مالك الأشعري فوهوا، وذلك لأن أبا مالك الأشعري المشهور بكنيته، المختلف في اسمه متقدم الوفاة على هذا، وهذا مشهور باسمه وتأخر حتى سمع منه أبو سلام. انظر الاصابة ج ١ ص/ ٢٧٥ وانظر تهذيب التهذيب ج ٢ ص/ ١٣٧.

(٥) رواه مسلم في صحيحه ج ١ ص/ ٢٠٣ كتاب الطهارة حديث رقم ١/ ٢٢٣.

(٦) رواه مسلم في صحيحه ج ١ ص/ ٥٥٩ كتاب صلاة المسافرين وقصرها، حديث رقم ٢٦٩/ ٨١٧ (عن عمر).

(٧) في نسخة أ. ب (أمة) والصواب ما أثبتناه كما ذكره أبو نعيم في الحلية ج ٢ ص/ ١٧٥.

(٨) رواه أبو نعيم في الحلية ج ٢ ص/ ١٧٥.

الله تعالى بذلك في كتابه، وأفصح به في جليل خطابه، فقال : « هُوَ الَّذِي آتَاكَ بِبَصِيرَةٍ
وَبِالْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ وَأَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلْفَتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ
وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْنَهُمْ » (١).

وقوله : « وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا » (٢) أي مشفين على الوقوع
في السعير لما هم فيه من الذنب الكبير، إذ لو ماتوا وهم كفار لكان مأواهم النار وبئس
المصير (٣).

وقوله : « فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا » أي بسبب الهداية للإسلام والإيمان، ذكرهم جل جلاله
ذلك في سياق الامتنان ، فأخبرهم أنه قد زال ما بينهم من التقاطع والعداوة والأضغان
« فَأَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ » فصاروا يداً واحدة على العدوان، وأنقذهم من الوقوع في مهواة
النيران وهداهم إلى ما يعقبهم الخلود في الجنان.

وقوله : « كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ » أي مثل ذلك التبيين يبين (الله) (٤) لكم
دلائله « لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ » أي تدومون على الهدى وتردادون فيه، قيل : كان الأوس
والخزرج أخوين لأبوين، فوقع بين أولادهم العداوة وتطاولت بينهم الحروب مائة
وعشرين سنة حتى أطفأها الله تعالى بالإسلام (٥).

وقوله تعالى : « يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا
مُبِينًا » (٦).

المراد بالبرهان المعجزات، وبالنور القرآن، أي جاءكم دلائل العقل وشواهد النقل،
فلم يبق عذر ولا حجة لأحد (٧) ممن كفر وجحد.

وقوله : « وَهَذَا » الإشارة إلى ما ذكر من البيان الذي جاء به القرآن : « صِرَاطُ
رَبِّكَ » أي طريقه الذي ارتضاه وشاءه بحكمته واقتضاه. « مُسْتَقِيمًا » ليس فيه

(٢) سورة آل عمران من آية / ١٠٣ .

(٤) زائدة في نسخة د .

(٦) سورة النساء آية / ١٧٤ .

(١) سورة الأنفال من آية / ٦٢ و ٦٣ .

(٣) انظر تفسير أنوار التنزيل ج ١ ص / ١٧٥ .

(٥) انظر تفسير أنوار التنزيل ج ١ ص / ١٧٥ .

(٧) انظر تفسير أنوار التنزيل ج ١ ص / ٢٥٩ .

الكرامة ثم يقول : ارض عنه ، فيقول : (رضيت عنه) ثم يقال له : اقرأ وارق ، ويعطى بكل آية حسنة^(١) .

وقوله في حديث ابن مسعود : (وما حل مصدق) أي خصم مجادل مصدق . وقوله تعالى : « وَلَا تَفْرَقُوا » هذا أمر من الله تعالى لعباده بلزوم الجماعة ونهي لهم عن التفرق التي هي منشأ نبذ الدين والإضاعة ، بعد ما أمرهم جل جلاله بالتمسك والاعتصام بالسبب المتين ، أتبعه بالنهي عن ضده لأنه الخالقة للدين ، وهو الداء العضال الذي أوقع الاستيصال بالأمم السالفة ثم بعدهم في الأمم الخالفة ، فصارت به تاوية^(٢) تالفة .

وقد وردت أحاديث كثيرة بالأمر بالاجتماع والاتسلاف والنهي عن التفرق والاختلاف^(٣) ، والآثار في ذلك كثيرة ، فلا نطيل بتعدادها لكونها معلومة شهيرة .

وقوله : « وَأَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا »^(٤) . ذكرهم جل جلاله نعمته التي أنعم بها عليهم ، ومنته التي أسداها إليهم ، التي هي أجل نعمة وأجزل منة ، لأنها الهداية والتوفيق للإسلام الذي هو السبب في دخول الجنة ، وأعقب النهي عن الفرقة عن الحق كما وقع لأهل الكتاب ، وكما جرى بينهم في الجاهلية من المحاربة والاستلاب ، بتذكيرهم بنعمته العظيمة ، ليكون أنفع لقبول الذكرى ، وأقمع عن تعاطي عاداتهم القديمة ، وأردع في الكفر وأحرى ، وهذه الآية نزلت في الأوس والخزرج . فإنه كانت بينهم في الجاهلية حروب كثيرة وعداوة شديدة ، وضغائن وأحوال طال بينهم بسببها الوقائع والقتال^(٥) .

فلما جاء الإسلام ودخل فيه من دخل منهم ، اضمحل^(٦) ذلك كله وزال ، وصاروا متواصلين متحابين في الله إخواناً^(٧) ، وعلى أعدائهم من الكفار أعواناً ، كما وصفهم

(١) رواه الترمذي في جامعه ج ٥ ص ١٧٨ مع اختلاف بعض الألفاظ ، وقال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح .

(٣) انظر تفسير ابن كثير ج ١ ص ٣٨٩ .

(٥) انظر تفسير ابن كثير ج ١ ص ٣٨٩ .

(٧) انظر تفسير ابن كثير ج ١ ص ٣٨٩ .

(٢) تاويته : أي هالكة .

(٤) سورة آل عمران من آية / ١٠٣

(٦) اضمحل : ذهب .

اعوجاج ، بل هو عدل مطرد المنهاج^(١) ، يعني أن الذي شرعناه لك يا محمد هذا القرآن، صراط الله المستقيم (وحبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم)^(٢) كما هو في حديث الحارث^(٣) عن علي - رضي الله عنه - في نعت القرآن: (وهو صراط الله المستقيم، وحبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم) الحديث، وقد رواه أحمد والترمذي بطوله^(٤).

وقوله : «وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا»^(٥) الإشارة فيه إما أن تكون إلى جملة القرآن، أو إلى ما ذكر في هذه السورة من البيان، وهي من جملته مع أنها بأسرها في إثبات التوحيد والنبوة وبيان الشريعة^(٦).

وقوله : «فَاتَّبِعُونِي»^(٧) أمر من الله تعالى بلزوم طريقه، والأخذ بها جاء به نهياً وأمرأ، لأن من خالف طريقه ولم يقتبس من نوره فقد جاء ظلماً وكفراً : «وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ»^(٨) أي الأديان المختلفة، والطرق الضالة التابعة للهوى، فإن من أخطأ سبيل القرآن فقد هوى، لأن سبيل الحق واحد ومقتضى حجته كذلك^(٩)، ومقتضى الهوى متعدد، وسبله متعددة المسالك، ولهذا وحد سبيل الحق، وجمع ضده.

قال ابن أبي طلحة^(١٠) عن ابن عباس في الآية، وفي قوله : « أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ » قال : أمر الله تعالى المؤمنين بالجماعة ونهاهم عن الفرقة والاختلاف، وأخبرهم أنه إنما هلك من كان قبلهم بالمرء والخصومات في دين الله تعالى^(١١).

- (١) انظر تفسير أنوار التنزيل ج ١ ص / ٣٣٠ . (٢) ما بين المعقوفين سقطت من نسخة ب .
(٣) الحارث بن عبد الله الأعور الهمداني الحوتي، الكوفي، أبو زهير، صاحب علي، كذبه الشعبي في رأيه، ورمي بالرفض . وفي حديثه ضعف . مات في خلافة ابن الزبير . وزاد في التهذيب، مات سنة خمس وستين . انظر تقريب التهذيب ج ١ ص / ١٤١ وتهذيب التهذيب ج ٢ ص / ١٤٥ .
(٤) رواه أحمد في مسنده ج ١ ص / ٩١ ، كما رواه الترمذي بطوله في جامعه ج ٥ ص / ١٧٢ كتاب فضائل القرآن باب ١٤ (ما جاء في فضل القرآن، قال أبو عيسى : هذا حديث لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وإسناده مجهول، وفي الحارث مقال .
(٥) سورة الأنعام من آية / ١٥٣ . (٦) انظر تفسير أنوار التنزيل ج ١ ص / ٣٣٨ .
(٧) سورة الأنعام من آية / ١٥٣ . (٨) سورة الأنعام من آية / ١٥٣ .
(٩) انظر تفسير أنوار التنزيل ج ١ ص / ٣٣٨ .
(١٠) علي بن أبي طلحة سالم مولى بني العباس، سكن حمص، أرسل عن ابن عباس ولم يره، صدوق قد يخطيء، مات سنة ثلاث وأربعين ومائة . تقريب التهذيب ج ٢ ص / ٣٩ .
(١١) انظر تفسير ابن كثير ج ٢ ص / ١٩٠، وتفسير الطبري ج ١٢ ص / ٢٢٩ و ٢٣٠ تحقيق محمود محمد شاكر وأحمد محمد شاكر .

وقد روى الإمام أحمد بمسنده عن ابن مسعود - رضي الله عنه - قال : (خط لنا رسول الله ﷺ) خطأ بيده ، ثم قال : (هذا سبيل الله مستقيماً) وخط عن يمينه وعن شماله ، ثم قال : (هذه السبل ، ليس فيها سبيل إلا وعليه شيطان يدعو إليه).

ثم قرأ : « وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ » (١).

وروى أيضاً بمسنده عن جابر بن عبد الله - رضي الله عنه - قال : (كنا جلوساً عند النبي ﷺ) فخط خطأ هكذا أمامه ، فقال : (هذا سبيل الله) [وخطين عن يمينه] وخطين عن شماله ، وقال : (هذه سبل الشيطان) ثم وضع يده في الأسود ، ثم تلا هذه الآية (وكذا رواه ابن ماجه (٢).

وروى ابن جرير بسنده عن أبان (٣) أن رجلاً قال لابن مسعود : ما الصراط المستقيم؟ قال : تركنا محمد في أدناه وطره في الجنة ، وعن يمينه جواد ، وعن شماله جواد ، ورجال ثم يدعون من مريم ، فمن أخذ في الجواد انتهت به إلى النار ، ومن أخذ على الصراط انتهى به إلى الجنة ، ثم قرأ هذه الآية (٤).

وخرج ابن أبي حاتم عن عبادة بن الصامت - رضي الله عنه - قال : قال رسول ﷺ : (أيكم يبأيعني على هؤلاء الآيات الثلاث : « قُلْ تَعَالَوْا أَنبُلْ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ » (٥) حتى فرغ من ثلاث الآيات قال : (ومن وفي بهن فأجره على الله ومن انتقص منهن شيئاً فأدركه الله في الدنيا كانت عقوبة له ، ومن أخره إلى الآخرة كان أمره إلى الله إن شاء عذبه وإن شاء عفا عنه) (٦).

(١) رواه أحمد في مسنده ج ١ ص / ٤٦٥ .
(٢) رواه أحمد في مسنده ج ٣ ص / ٣٩٧ كما رواه ابن ماجه في سننه ج ١ ص / ٦ المقدمة باب ١ .
(٣) أبان بن عثمان بن عفان الأموي ، أبو سعيد ، وقيل : أبو عبدالله ، مدني ، ثقة ، مات سنة خمس ومائة ، تقريب التهذيب ، ج ١ ص / ٣١ .
(٤) انظر تفسير الطبري ج ١٢ ص / ٢٢٩ و ٢٣٠ .
(٥) سورة الأنعام من آية / ١٥١ .
(٦) رواه الحاكم في مستدرکه ج ٢ ص / ٣١٨ كتاب التفسير وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه .

وقوله : « وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مَبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ »^(١) .

يعني أن القرآن فيه بركة لمن آمن به ، ومغفرة للذنوب « فَاتَّبِعُوهُ » أي اعملوا بما فيه من الأمر والنهي حتى تنالوا كل مطلوب . وفيه الدعوة إلى اتباع القرآن وتعينها على أهل الأديان^(٢) .

وقوله : « فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيْنَهُمْ مِنْ رَبِّكُمْ »^(٣) أي حجة واضحة تعرفونها^(٤) .
قيل : المراد به محمد والقرآن .

قال : « جَاءَكُمْ » ولم يقل : جاءكم لأنه انصرف إلى البيان مع أن الفعل إذا تقدم جاز فيه التأنيث والتذكير ، كما هو في كتب العربية موضع التقرير « وَهَدَىٰ وَرَحِمَهُ » أي جاءكم ما فيه البيان وقطع الشبهات عنكم والارتياح ، وهدى لكم من الضلالة ، ورحمة من العذاب .

وقوله تعالى : « كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ »^(٥) يعني هذا القرآن أنزل إليك يا محمد فلا يقعن في قلبك شك وارتياح ، إنه منزل من رب الأرباب ، وقد وجه إليه الخطاب والمراد غيره كقوله : « فَإِنْ كُنْتَ فِي شكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَسْئَلِ الَّذِينَ يُقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ »^(٦) . وقيل : المعنى فلا يضيغن صدرك بتكذيبهم ، (وأصل الحرج في اللغة : الضيق) .

وقوله : « لِنُنذِرَ بِهِ »^(٧) أي أنزل إليك لتنذر الكفار^(٨) . « وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ »^(٩) لأنهم أهل البصائر والاعتبار . ثم قال جل جلاله مخاطباً عباده : « اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ »^(١٠) أي اعملوا به فإن عقباه السعادة ، واقتفوا آثار نبيكم الذي أنزل

(١) سورة الأنعام من آية / ١٥٥ .
(٢) انظر تفسير ابن كثير ج ٢ ص / ١٩٢ .
(٣) سورة الأنعام من آية / ١٥٧ .
(٤) انظر تفسير أنوار التنزيل ج ١ ص / ٣٣٨ .
(٥) سورة الأعراف آية / ٢ .
(٦) سورة يونس من آية / ٩٤ .
(٧) سورة الأعراف من آية / ٢ .
(٨) انظر تفسير ابن كثير ج ١ ص / ٢٠٠ .
(٩) سورة الأعراف آية / ٢ .
(١٠) سورة الأعراف آية / ٣ .

عليه، وسابقوا إلى هديه وسارعوا إليه . « وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ »^(١) أي لاتتخذوا من دونه أرباباً، فمن اتخذهم فهو أشد الناس عذاباً، وأسوأهم يوم القيامة مآباً .

« وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ »^(٢) . « وَإِنْ تَطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ »^(٣) . « وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ »^(٤) .

قوله تعالى: « فَأَلْذِينَ آمَنُوا بِهِ »^(٥) أي صدقوه وأقروا بنبوته، « وَعَزَّوهُ »^(٦) أي عظموه بتقويته، « وَنَصَرُوهُ »^(٧) بالسيف والسنان ، « وَأَتَّبِعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ »^(٨) يعني القرآن . وقوله: « مَعَهُ »^(٩) راجع ومتعلق بقوله: « وَأَتَّبِعُوا » أي اتبعوا النور المنزل، مع اتباع النبي المرسل، فيكون فيه إشارة إلى اتباع الكتاب والسنة « أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ »^(٩) الفائزون بالرحمة الأبدية^(١٠) في الجنة .

قوله تعالى: « يَتَأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَ تَكْمٌ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ »^(١١) يعني قد جاءكم كتاب جامع للحكمة (العملية)^(١٢) والنظرية . أما الحكمة العملية: فهي الكاشفة عن محاسن الأعمال وقبائحها، والمرغبة في المحاسن والفضائل، والزاجرة عن القبائح والردائل . وأما الحكمة النظرية: فهي الشفاء لما في الصدور من الشكوك وسوء الاعتقاد، وهدى إلى الحق واليقين والرشاد، ورحمة للمؤمنين نجوا بها من دركات العذاب، وفازوا بها يوم الحساب، أو يقال: خرجوا بها من ظلمات الضلال إلى نور الإيمان، وتبدلت مقاعدهم من طبقات النيران بمصاعد من درجات الجنان^(١٣) .

-
- | | |
|---|---|
| (١) سورة الأعراف آية / ٣ . | (٢) سورة يوسف آية / ١٠٣ . |
| (٣) سورة الأنعام من آية / ١١٦ . | (٤) سورة يوسف آية / ١٠٦ . |
| (٥) سورة الأعراف من آية / ١٥٧ . | (٦) سورة الأعراف من آية / ١٥٧ . |
| (٧) سورة الأعراف من آية / ١٥٧ . | (٨) سورة الأعراف من آية / ١٥٧ . |
| (٩) سورة الأعراف من آية / ١٥٧ . | (١٠) انظر تفسير أنوار التنزيل ج ١ ص / ٣٧٢ . |
| (١١) سورة يونس من آية / ٥٧ . | (١٢) سقطت من نسخة د . |
| (١٣) انظر تفسير أنوار التنزيل ج ١ ص / ٤٥١ . | |

« قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ » يعني الإسلام « وَبِرَحْمَتِهِ » يعني القرآن، هكذا قال مقاتل بن حيان. وروي عن ابن عباس وأبي سعيد الخدري والضحاك ومجاهد، أنهم قالوا: « بِفَضْلِ اللَّهِ »: القرآن، « وَبِرَحْمَتِهِ »: الإسلام. قال غير واحد^(١): « فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا » أي بالقرآن والإيمان « هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ » وما يقتنيه من الحطام كل إنسان. قوله تعالى: « مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى »^(٢) يعني ما كان هذا القرآن البالغ في الإعجاز والبيان، حديثاً مفترىً، يقدر على التسلق عليه الإنس والجان.

« قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ، وَلَوْ كَانَتْ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا »^(٣).

« وَلَئِكَ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ »^(٤) من الكتب الإلهية « وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ » من الأمور الدينية، فكل ما يحتاج في الدين إليه لا بد وأن يوجد فيه سند يدل عليه « وَهُدًى » من الكفر والضلال « وَرَحْمَةً » بها خير الدارين ينال^(٥).

وقوله تعالى: « وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ بَيِّنَاتٍ لِكُلِّ شَيْءٍ »^(٦) أي بياناً بليغاً « لِكُلِّ شَيْءٍ » من أمور الدين وما يتوقف عليه مصالح (المؤمنين)^(٧)، قال مجاهد: ماسأل الناس عن شيء إلا في كتاب الله تبيانه.

قال علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - : (كل شيء علمه في القرآن إلا أن آراء الرجال تعجز عنه).

« وَهُدًى وَرَحْمَةً » للجميع وإنما حرمان المحروم من تفريطه.

« وَبَشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ » خاصة^(٨) بالجنة.

قوله تعالى: « قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ »^(٩) يعني جبريل - عليه السلام - وإضافة

(١) انظر تفسير جامع أحكام القرآن للقرطبي ج ٨ ص / ١٥٣ . (٢) سورة يوسف من آية / ١١١ . (٣) سورة الاسراء آية / ٨٨ . (٤) سورة يوسف من آية / ١١١ . (٥) انظر تفسير أنوار التنزيل ج ١ ص / ٥١١ . (٦) سورة النحل من آية / ٨٩ . (٧) سقطت من نسخة ب . ج . (٨) انظر تفسير أنوار التنزيل ج ١ ص / ٥٦٧ . (٩) سورة النحل آية / ١٠٢ .

الروح إلى القدس ، وهو الطهر ، كقولهم حاتم الجود . « مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ »^(١) ملتبساً بالحكمة . « لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ ءَامَنُوا »^(٢) ، على الإيمان بأنه كلامه ، فإنهم إذا سمعوا الناسخ وتدبروا مافيه من رعاية الصلاح والحكمة رسخت عقائدهم واطمأننت قلوبهم « وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ »^(٣) المتقادين لحكمة العدل^(٤) ، وقضائه الفصل .

قوله : « وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ »^(٥) أي وما كنت تقرأ قبل هذا القرآن الذي تسنم من قنة البلاغة ، وقمة الفصاحة أرفع مكان (من كتاب) حتى يتعلق المرتاب ، بعلاقة الشبهة والارتياب : « وَلَا تَخْطُ بِيَمِينِكَ »^(٦) أي ولم تكن تكتب شيئاً بيدك وهو محور ثاب للشبهة الزائفة ، وتقرير للمعجزة النائفة ، ولكن كما قال تعالى : « وَمَا تَعْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ »^(٧) . « وَلَوْ كَانِ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ آخِلًا فَكَثِيرًا »^(٨) .

فإن ظهور هذا الكتاب الجامع لأنواع العلوم الشريفة على أمي لم يعرف قبله بالقراءة والخط والتعليم خارق للعادة . « إِذَا لَارْتَابَ الْمُبْطُلُونَ »^(٩) أي ولو كنت ممن يخط ويقرأ لقالوا لعله تعلمه أو التقطه من كتب الأقدمين ، وسأهم لكفرهم مبطلين ، وقيل : لارتاب أهل الكتاب لوجدانهم نعتك على خلاف مافي كتبهم مقرر ، فيكون إبطالهم باعتبار الواقع دون المقدر « بَلْ هُوَ »^(١٠) أي القرآن : « آيَاتٌ »^(١١) دلالات ، « يَبَيِّنُ »^(١٢) وبراهين ساطعات ، وحجج « فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ »^(١٣) واضحات ، وعن التحريف محفوظات « وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ »^(١٤) إلا المتوغلون في الظلم بالمكابرة بعد وضوح دلائل الإعجاز الباهرة^(١٥) .

- | | |
|---|--|
| (١) سورة النحل آية / ١٠٢ . | (٢) سورة النحل آية / ١٠٢ . |
| (٣) سورة النحل آية / ١٠٢ . | (٤) انظر تفسير أنوار التنزيل ج ١ ص / ٥٧٠ . |
| (٥) سورة العنكبوت من آية / ٤٨ . | (٦) سورة العنكبوت من آية / ٤٨ . |
| (٧) سورة يونس من آية / ١٠١ . | (٨) سورة النساء من آية / ٨٢ . |
| (٩) سورة العنكبوت من آية / ٤٨ . | (١٠) سورة العنكبوت من آية / ٤٩ . |
| (١١) سورة العنكبوت من آية / ٤٩ . | (١٢) سورة العنكبوت من آية / ٤٩ . |
| (١٣) سورة العنكبوت من آية / ٤٩ . | (١٤) سورة العنكبوت من آية / ٤٩ . |
| (١٥) انظر تفسير أنوار التنزيل ج ٢ ص / ٢١٢ . | |

وقوله تعالى: «وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ»^(١) المراد به القرآن لأنه أحسن ما أنزل من كتاب، وأوثق ما يتوصل به إلى النجاة من الأسباب، فاتبعوا ما أمركم به ونهاكم عنه، ولا تلتمسوا ما تحتاجون له في دينكم إلا منه.

وقوله سبحانه وتعالى: «وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَجَبًا لَقَالُوا «(٢) أي ولو أنزلناه بلسان العبرانية لم تنفك تعنتاتهم الشيطانية، ولم تبرح أهويتهم النفسانية « لَقَالُوا لَوْلَا فَصَّلَتْ آيَاتُهُ»^(٣) أي هلا بينت بلسان نفقهه، فيتبين لنا الصواب ويزول عنا الارتباب «عَجَبِي وَعَرَبِيٌّ»^(٤) أي أكلام أعجمي ومخاطب عربي فيشتد تكذيبهم للنبي، والأعجمي من كان من العجم، وإن كان فصيحاً، ويقال أيضاً لمن لا يفهم كلامه: أعجمي وإن كان من العرب، والمقصود إبطال مقترحهم باستلزام المحذور والدلالة على أنهم لا ينفكون عما كانوا عليه من الإعراض والنفور. «قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى»^(٥) إلى الحق القويم، والصراط المستقيم، أو يقال هدى للمتقين من الضلالة، «وشفاء لما في الصدور» من الشك والشبهة والجهالة. «وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ»^(٦) أي ثقل وصمم: «وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى»^(٧) وذلك لتصامهم عن سماعه، وتعاميمهم عما يريهم من الآيات^(٨) بحيث لم يكن لهم بها ارعواء^(٩) ولا التفات.

قوله تعالى: «كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ» الآية^(١٠).

روى ابن جرير بسنده عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: (كان بين آدم ونوح عشر قرون كلهم على شريعة الحق^(١١))، فاختلَفوا فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين^(١٢)).

(١) سورة الزمر من آية / ٥٥ .

(٢) سورة فصلت من آية / ٤٤ .

(٣) سورة فصلت من آية / ٤٤ .

(٤) سورة فصلت من آية / ٤٤ .

(٥) سورة فصلت من آية / ٤٤ .

(٦) أي لم يسمعوا له ولم يلتفتوا إليه .

(٧) سورة البقرة من آية / ٢١٣ .

(٨) انظر تفسير الطبري ج ٤ ص / ٢٧٥ وتفسير ابن كثير ج ١ ص / ٢٥٠ ومستدرک الحاكم ج ٢ ص / ٢٦٢

(٩) وقال: هذا حديث صحيح على شرط البخاري ومسلم ولم يخرجاه .

قال : وكذلك في قراءة عبد الله (كان الناس أمة واحدة فاختلّفوا) وكذلك كان أبي بن كعب يقرأها . والمعنى أن الناس كانوا على ملة آدم حتى عبدوا الأصنام ، فبعث الله تعالى إليهم نوحاً - عليه السلام - وكان أول رسول الى أهل الأرض . ولهذا قال : « وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَ تَهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ » (١) .

أي بعد ما قامت عليهم الحجج ، وما حملهم على ذلك إلا البغي من بعضهم على بعض « فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِآيَاتِهِ » (٢) .

روي عن أبي هريرة (رضي الله عنه) (٣) في هذه الآية قال : قال رسول الله : (نحن الآخرون الأولون يوم القيامة ، نحن أول الناس دخولاً الجنة ، بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا ، وأوتيناه من بعدهم فهدانا الله لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه ، فهذا اليوم الذي اختلفوا فيه فهدانا الله له ، فالناس لنا فيه تبع فغداً لليهود ، وبعد غد للنصارى) (٤) .

كما روى عبدالرزاق (٥) عن معمر (٦) عن ابن طاووس (٧) عن أبيه (٨) في الآية : (اختلفوا في يوم الجمعة فاتخذ اليهود يوم السبت ، واتخذ النصارى يوم الأحد ، فهدى

(١) سورة البقرة من آية / ٢١٣ .

(٢) سورة البقرة من آية / ٢١٣ .

(٣) سقطت من نسخة جـ .

(٤) رواه البخاري في صحيحه جـ ١ ص/ ٢١١ باب ١ ، وص/ ٢١٦ باب ١٢ ، كما رواه مسلم في صحيحه جـ ٢ ص/ ٥٨٥ و ٥٨٦ حديث رقم ١٩ و ٣١٠ / ٨٥٥ وانظر تفسير ابن كثير جـ ١ ص/ ٢٥٠ .

(٥) عبدالرزاق بن همام بن نافع الإمام أبو بكر الحميدي ، مولا هم الصنعاني ، أحد الأعلام الثقات ، ولد سنة ست وعشرين ومائة ، وطلب العلم وهو ابن عشرين سنة . جالس معمر بن راشد سبع سنين ، صنف الجامع الكبير ، رحل الناس إليه ، وعمي في آخر عمره فتغير حفظه ، مات في شوال سنة إحدى عشرة ومائتين . انظر ميزان الاعتدال جـ ٢ ص/ ٦٠٩ .

(٦) معمر بن راشد الأزدي مولا هم ، أبو عروة البصري ، نزيل اليمن ، ثقة ثبت فاضل ، إلا أن في روايته عن ثابت والأعمش وهشام بن عروة شيئاً ، وكذا فيما حدث به بالبصرة . مات سنة أربع وخمسين ومائة ، وهو ابن ثمان وخمسين سنة . في تذكرة الحفاظ ذكر أنه مات سنة ثلاث وخمسين ومائة . انظر تقريب التهذيب جـ ٢ ص/ ٢٦٦ وتذكرة الحفاظ جـ ١ ص/ ١٩٠ .

(٧) عبدالله بن طاووس بن كيسان الياني ، أبو محمد ، ثقة فاضل عابد ، مات سنة اثنتين وثلاثين ومائة . تقريب التهذيب جـ ١ ص/ ٤٢٤ .

(٨) طاووس بن كيسان الياني ، أبو عبدالرحمن الحميري مولا هم ، الفارسي ، يقال اسمه ذكوان ، وطاووس لقب ، ثقة فقيه فاضل . مات سنة ست ومائة ، وقيل بعد ذلك . تقريب التهذيب جـ ١ ص/ ٣٧٧ .

الله أمة محمد ليوم الجمعة، واختلفوا في القبلة فاستقبلت النصارى المشرق، واليهود بيت المقدس، فهدى الله أمة محمد للقبلة، واختلفوا في الصلاة فمنهم من يركع ولا يسجد، ومنهم من يسجد ولا يركع، ومنهم من يصلي وهو يمشي، فهدى الله أمة محمد للحق من ذلك، واختلفوا في إبراهيم فقالت اليهود كان يهودياً، وقالت النصارى، كان نصرانياً، وجعله الله حنيفاً مسلماً، فهدى الله أمة محمد للحق من ذلك. واختلفوا في عيسى، فكذبت به اليهود، وقالوا لأمة بهتاناً عظيماً، وجعلته النصارى إلهاً وولداً، وجعله الله تعالى روحه وكلمته، فهدى الله أمة محمد للحق من ذلك^(١).

وقال الربيع بن أنس^(٢) في قوله تعالى: «فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ»^(٣) عند الاختلاف إنهم كانوا على ما جاءت به الرسل قبل الاختلاف، أقاموا على الإخلاص لله عز وجل وحده، وعبادته لا شريك له، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، قاموا على الأمر الأول قبل الاختلاف، واعتزلوا الاختلاف وكانوا شهداء على الناس يوم القيامة، شهداء على قوم نوح وقوم هود، وقوم صالح وقوم شعيب وآل فرعون، أن رسلهم قد بلغوهم، وإنهم كذبوهم^(٤).

وكان أبو العالية يقول في هذه الآية: المخرج من الشبهات والضلالات والفتن^(٥).

وقوله: «بِإِذْنِهِ» أي بعلمه بهم وبما هداهم له. «وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ» من خلقه بفضله وكرمه «إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ» يفضي به إلى جنات النعيم، وله الحكمة التامة الباهرة، والحجة البالغة^(٦) القاهرة. وفي هذه الآية الكريمة من الدلالة على ذم الافتراق، ومدح الاجتماع والاتفاق ما لا يخفى على من له من الفهم أدنى مذاق.

(١) هذا الأثر مروى عن ابن وهب عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه. انظر تفسير الطبري ج ٤ ص/ ٢٨٤ أثر رقم ٤٠٦١ وانظر تفسير ابن كثير ج ١ ص/ ٢٥٠.

(٢) الربيع ابن أنس البكري أو الحنفي، بصري نزل خراسان، صدوق له أوهام، رمي بالتشيع. مات سنة أربعين ومائة أو قبلها. تقريب التهذيب ج ١ ص/ ٢٤٣ وانظر تهذيب التهذيب ج ٣ ص/ ٢٣٨.

(٣) سورة البقرة من آية / ٢١٣.

(٤) انظر تفسير الطبري ج ٤ ص/ ٢٨٥. وتفسير ابن كثير ج ١ ص/ ٢٥٠.

(٥) انظر تفسير الطبري ج ٤ ص/ ٢٨٥. وتفسير ابن كثير ج ١ ص/ ٢٥٠.

(٦) انظر تفسير الطبري ج ٤ ص/ ٢٨٥. وتفسير ابن كثير ج ١ ص/ ٢٥٠.

قوله تعالى: « **إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ** » (١) أي فرقوا دينهم الذي هو الإسلام، الذي ارتضاه الله تعالى واختاره، ورفع في السموات والأرض شأنه ومناره : « **وَكَانُوا شِيَعًا** » لأهويتهم الغاوية متبعون « **كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ** » (٢) ، « **لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ** » (٣) من إصلاح الحال، حتى يتحسن لهم المال، وإنما عليك بلاغ الرسالة، وهذا منسوخ بآية القتال، لأهل الكفر والشرك والضلال .

« **إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ** » (٤) مفوض إليه، لأن بيده التوبة والعذاب فلا يصلح أن يكون ذلك إلا له .

« **ثُمَّ يَنْتَهُمُ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ** » (٥) ثم يوم القيامة يرون ما يوعدون، ويجازيهم بما كانوا يعملون .

قال مجاهد والضحاك والسدي وقاتدة : هذه الآية نزلت في اليهود والنصارى، اختلفوا قبل مبعث محمد (ﷺ) ففرقوا، فلما بعث محمد (ﷺ) نزلت : « **إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا ...** » الآية (٦) .

وعن أبي أمامة الباهلي - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله (ﷺ) : « **إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا** » أنهم الخوارج (٧) .

وروى ابن جرير بسنده عن أبي هريرة قال : قال رسول الله (ﷺ) في هذه الآية : « **إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ** » وليسوا منك، هم أهل البدع وأهل الشبهات، وأهل الضلالة من هذه الأمة (٨) .

(١) سورة الأنعام آية / ١٥٩ . (٢) سورة الروم من آية / ٣٢ .

(٣) سورة الأنعام آية / ١٥٩ . (٤) سورة الأنعام آية / ١٥٩ .

(٥) سورة الأنعام آية / ١٥٩ . (٦) انظر تفسير ابن كثير ج ٢ ص / ١٩٦ .

(٧) انظر تفسير ابن كثير ج ٢ ص / ١٩٦ .

(٨) انظر تفسير الطبري ج ١٢ ص / ٢٧٠ و ٢٧١ أشر رقم ١٤٢٦٦ . كما ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ج ٧ ص / ٢٣ ، وقال : رواه الطبراني في الأوسط ، ورجاله رجال الصحيح غير معلى بن نفييل وهو ثقة . وانظر تفسير ابن كثير ج ٢ ص / ١٩٦ وقال : لكن هذا إسناد لا يصح فإن عباد بن كثير متروك الحديث ولم يختلق هذا الحديث ولكنه وهم في رفعه فإنه رواه سفيان الثوري عن ليث وهو ابن أبي سليم، عن طاوس عن أبي هريرة . إنه قال : نزلت في هذه الأمة .

وقال شعبة^(١) عن مجالد^(٢) عن الشعبي عن عمر أن رسول الله (ﷺ) قال لعائشة :
 « إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِعَاعًا » هم أصحاب البدع والأهواء من هذه
 الأمة (٣).

والظاهر أن الآية عامة في كل من فارق دين محمد (ﷺ) وكان مخالفاً له، فإن الله
 بعث رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، وشرعه واحد لا اختلاف فيه
 ولا افتراق، فمن اختلف « وَكَانُوا شِعَاعًا » كان كذلك، كأهل البدع والنحل
 والضلالة، فإن الله قد برأ رسوله مما هم فيه^(٤). وهذا كقوله : « شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ
 مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا ... »^(٥) الآية .

فكل متمسك بشرع بعد الرسول، فجهاالات وضلالات وآراء وأهواء، فالرسول
 بريء منه .

قوله تعالى : « مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ »^(٦) أي مقبلين عليه بالإقلاع عن الكفر والرجوع
 إلى التوحيد . « وَاتَّقُوهُ » احذروه، كما قال : « وَيَحذِرْكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ »^(٧) فالتقوى أفضل
 لباس العبيد، « وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ »^(٨) بأدائها في جميع أوقاتها بإخلاصها له كما شرعت .
 قوله : « وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ »^(٩) نهي من الله تعالى لرسوله وأُمَّته أجمعين
 أن يتبعوا سنن المشركين، الذين آثروا الهوى، فأل بهم الحال إلى الافتراق في الدين .
 « مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ »^(١٠) (أي الإسلام الذي هو دين واحد)^(١١) « وَكَانُوا

(١) شعبة بن الحجاج بن الورد العتكي، مولاهم، أبوسطام الواسطي، ثم البصري، ثقة حافظ متقن، كان الثوري
 يقول : هو أمير المؤمنين في الحديث، وهو أول من فتن عن الرجال بالعراق، وذبح عن السنة، وكان عابداً .
 مات سنة ستين ومائة . تقريب التهذيب ج ١ ص ٣٥١ تاريخ بغداد ج ٩ ص ٢٥٥ .

(٢) مجالد - بضم أوله وتحفيف - ابن سعيد بن عمير الهمداني، سكنون الميم، أبو عمرو الكوفي ليس بالقوي، وقد
 تغير في آخر عمره، مات سنة أربع وأربعين ومائة . تقريب التهذيب ج ٢ ص ٢٢٩ .

(٣) انظر تفسير ابن كثير ج ٢ ص ١٩٦ وقال : وهذا رواه ابن مردويه، وهو غريب ولا يصح رفعه، كما ذكره
 الهيثمي في مجمع الزوائد ج ٧ ص ٢٢ . وقال : رواه الطبراني في الأوسط، وإسناده جيد .

(٤) انظر تفسير ابن كثير ج ٢ ص ١٩٦ .

(٥) سورة الشورى من آية / ١٣ .

(٦) سورة الروم آية / ٣١ .

(٧) سورة آل عمران من آية / ٢٨ و ٣٠ .

(٨) سورة الروم آية / ٣١ .

(٩) سورة الروم آية / ٣١ .

(١٠) سورة الروم آية / ٣٢ .

(١١) سقطت من نسخة ج .

شَيْعًا» (١) كل شيعة اختارت لها إماماً قائداً فتابعته على تأييد دينها الفاسد فسيوردهم يوم القيامة شر الموارد. «يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ» (٢).
 «كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ» (٣) كل أهل دين بما عندهم راضون مسرورون ظناً منهم أنهم إلى الحق مهتدون. «وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ» (٤).

قوله سبحانه وتعالى: «شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ» (٥) أي بين لكم الدين وهو الإسلام، واختاره لكم ديناً وأكرمكم به وهذا غاية الإكرام. «مَا وَصَّيَ بِهِ نُوْحًا» (٦) يعني الذي أمر رسوله نوحاً أن يستقيم عليه، وأن يدعو الناس إليه، «وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ» (٧) لتدعو إليه كافة العباد، وتجاهد من أبي (عنه) (٨) من أهل الشرك والإلحاد. «وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى» (٩) أي أمرناهم به، وهؤلاء هم أرباب الشرائع وهم أولو العزم من الرسل. «أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ» (١٠) أي التوحيد بأن لا يشرك معه في عبادته سواه «وَلَا تَنفَرُقُوا فِيهِ» (١١) لا تختلفوا، فمن اختلف فيه كانت النار مثواه، والنهي عن الاختلاف إنما هو في الأصل، وأما فروع الشرائع (١٢) فمختلفة كما قال: «لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا» (١٣). «كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ» (١٤) أهل مكة وغيرهم «مَا نَدَّعَوْهُمْ إِلَيْهِ» (١٥) من التوحيد وإخلاص العبادة لله وحده «اللَّهُ يُجْتَنَى إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ» (١٦) أي يختار لدينه من كان أهلاً لذلك. «وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ» (١٧) يرشده إلى سلوك دينه الذي هو أحسن المسالك «وَمَا نَفَرَقُوا» (١٨) يعني الأمم السالفة، وقيل: أهل الكتاب (١٩) «وَمَا نَفَرَقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ» (٢٠).

- | | |
|--|-----------------------------------|
| (١) سورة الروم آية / ٣٢. | (٢) سورة هود آية / ٩٨. |
| (٣) سورة الروم آية / ٣٢. | (٤) سورة الشعراء من آية / ٢٢٧. |
| (٥) سورة الشورى آية / ١٣. | (٦) سورة الشورى آية / ١٣. |
| (٧) سورة الشورى آية / ١٣. | (٨) سقطت من نسخة د. |
| (٩) سورة الشورى آية / ١٣. | (١٠) سورة الشورى آية / ١٣. |
| (١١) سورة الشورى آية / ١٣. | (١٢) في نسخة أ . ب . د ، الشريعة. |
| (١٣) سورة المائدة من آية / ٤٨. | (١٤) سورة الشورى آية / ١٣. |
| (١٥) سورة الشورى آية / ١٣. | (١٦) سورة الشورى آية / ١٣. |
| (١٧) سورة الشورى آية / ١٣. | (١٨) سورة الشورى من آية / ١٤. |
| (١٩) انظر تفسير أنوار التنزيل ج ٢ ص / ٢٥٥. | (٢٠) سورة البينة من آية / ٤. |

قوله: « إِيَّا مَنْ بَعَدَ مَا جَاءَهُمْ أَلْعَلَّمُ »^(١) أي العلم بأن التفرق ضلال متوعد عليه، وأن الاجتماع في الدين هو المدعو إليه، وقيل العلم بمبعث الرسول^(٢) فلم يجنحوا إلى التصديق، والقبول: « بَغِيَابَتِهِمْ » حسداً وعداوة آلت بهم إلى الشقاوة. « وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا »^(٣). « وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ »^(٤).

والأمر بإقامة الدين والاجتماع عليه، والنهي عن الاختلاف فيه والتفرق المشار إليه صريح في هذه الآية والتي قبلها فقبح الله شيع البدع والهوى ما أضلها.

قوله في حديث أبي سعيد: (كتاب الله هو جبل الله الممدود من السماء إلى الأرض) سماه جبلاً على سبيل الاستعارة، يعني أن كتاب الله تعالى هو السبب الوثيق الممدود، المدرك من تمسك به كل مقصود، قال: من السماء إلى الأرض، ولم يقل: من الأرض إلى السماء، لأن مبدأ إنزاله منها، وغايته الأرض وسيجاء به حجة يوم العرض.

وقوله في حديث عبدالله: (إن هذا القرآن هو جبل الله المتين) يعني القوي الذي لا يخشى على المستمسك به انقسام، ولا تنال الهلكة من له به اعتصام، وهذا تمثيل للخلق بما يفهمونه من الأسباب التي يتوصلون بها إلى المآرب، وإدراك المقصود والمطالب، وينجون بها من المعاطب^(٥).

وحاصل الأمر أن من في الدنيا مثله كمثل من وقع في بئر فيها من كل نوع من الآفات، فلا يمكنه الخروج منها والسلامة من آفاتها والنجاة إلا بحبل قوي وثيق، حتى يكون له إلى السلامة طريق، فكذلك الدنيا دار المحنة وفيها من كل الآفات والفتنة، فلا سبيل إلى النجاة منها إلا بالتمسك بأقوى الأسباب وذلك كتاب الله الذي هو أعظم وأفخم كتاب.

قوله: (وهو الشفاء النافع) أي شفاء لما في الصدور من أدواء الضلالة وأسقام

(٢) انظر تفسير أنوار التنزيل ج ٢ ص / ٣٥٥.

(٤) سورة الزمر من آية / ٧١.

(١) سورة الشورى من آية / ١٤.

(٣) سورة يونس من آية / ٩٩.

(٥) المعاطب: المهالك.

السفه والجهالة . وقوله : (عصمة لمن تمسك به من الهلاك) . قال جل جلاله : « فَمَنْ
اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى »^(١) ، (ونجاة لمن اتبعه) أي عمل ماجاء به من الأمر
والنهي في أصل الدين وفروعه .

قال ابن عباس - رضي الله عنهما - : (جمع الله تعالى في هذا الكتاب علوم الأولين
والآخرين ، وعلم ماكان ، وعلم ما يكون ، والعلم بالخالق جل جلاله وأمره وخلقه) .
وقوله في حديث أبي هريرة : (إن الله يرضى لكم ثلاثاً ويسخط لكم ثلاثاً ، يرضى
لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً) أي تعبدوه بإخلاص على صواب ، وقد قدمت
الكلام على التوحيد والشرك فليطلب في محله . قوله : (وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً)
هذه مما أمر الله تعالى بها جميع العباد ، ورضيها لأنها سبب الاستقامة على المراد ، وسبيل
النجاة يوم المعاد .

قوله : (وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم) مثل هذا ما رواه أحمد عن جبير بن
مطعم قال : قال رسول الله (ﷺ) : (ثلاث لا يغفل عنهم قلب امرئ مسلم :
إخلاص العمل لله ، ومناصحة ولاة الأمر ، ولزوم جماعة المسلمين)^(٢) .

روى مسلم عن تميم ابن أوس الداري - رضي الله عنه^(٣) - قال : قال رسول الله
(ﷺ) : (الدين النصيحة ، قلنا : لمن ؟ قال : لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين
وعامتهم)^(٤) .

وقد أوجب الله تعالى النصيحة على المسلمين لأئمتهم ، كما أوجب عليهم النصيحة
له ولكتابه ورسوله . فالنصيحة لله تعالى : صحة الاعتقاد في وحدانيته ، وإخلاص النية

(١) سورة طه من آية / ١٢٣ . (٢) رواه أحمد في مسنده ج ٤ ص / ٨٠ و ج ٥ ص / ١٨٣ عن زيد بن ثابت .

(٣) تميم بن أوس بن حارثة - وقيل خارثة - أبورقية الداري ، كان نصرانياً وقدم المدينة فأسلم ، حدث النبي (ﷺ)
عنه قصة الجساسة والدجال على المنبر ، وعد ذلك من مناقبه ، أسلم سنة تسع هو وأخوه نعيم ولهما صحبة ، غزا
مع النبي (ﷺ) ، كان راهب أهل عصره ، وعابد أهل فلسطين وأول من أسرج السراج في المسجد ، مات في الشام .
انظر الإصابة ج ١ ص / ١٨٣ .

(٤) رواه مسلم في صحيحه ج ١ ص / ٧٤ كتاب الإيمان حديث رقم ٩٥ / ٥٥ .

في عبادته، والنصيحة لكتابه: الإيمان به والعمل بما فيه، والنصيحة لرسوله: التصديق بنبوته، وبذل الطاعة فيما أمر به ونهى عنه^(١)، والنصيحة لأئمة المسلمين: حب صلاحهم ورشدهم وعدلهم، وحب اجتماع الأمة عليهم، وكرهة افتراق الأمة عليهم، والتدين بطاعتهم في طاعة الله تعالى، والبغض لمن رأى الخروج عليهم وحب إعزازهم في طاعة الله^(٢).

قوله في حديث أحمد (إن أهل الكتاب افرقوا في دينهم على ثنتين وسبعين ملة وستفرق أمتي على ثلاث وسبعين) يعني الأهواء، أهل الكتاب هم بنو إسرائيل. وإسرائيل لقب يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم، ومعناه بالعبرانية عبد الله، وقيل صفوة الله.

وقد ذكر الله بني إسرائيل في كتابه ذكراً متعددًا، وعدد ما امتن به عليهم، وما أكرمهم به وفضلهم به على أهل زمانهم، وأخبر عما جرى منهم من الاختلاف، وما قابلوا به النعم، وما أجرى عليهم من النقم.

قوله: (كلها في النار إلا واحدة) هذا يدل عليه القرآن والآثار قال: « وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ ۖ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا »^(٣). (ومن شد شد في النار)^(٤).

قوله: (إلا واحدة) وهي الجماعة أي (الذين)^(٥) اعتصموا بكتاب الله المتين، واتبعوا سنة سيد المرسلين.

(٢) المصدر السابق ص / ٧٦.

(١) انظر جامع العلوم والحكم لابن رجب ص / ٧٤.

(٣) سورة النساء آية / ١١٥.

(٤) رواه الترمذي في جامعه ج ٤ ص / ٤٦٦ باب ٧ ماجاء في لزوم الجماعة. الحديث عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: (إن الله لا يجمع أمتي، أو قال: أمة محمد ﷺ) على ضلالة، ويد الله مع الجماعة من شد شد في النار) قال الترمذي: هذا حديث غريب من هذا الوجه.

(٥) في نسخة أ. د. الذي.

قوله : (وإنه سيخرج في أمتي أقوام تتجاري بهم تلك الأهواء) التجاري : التفاعل من الجري، وهو الوقوع في الأهواء الفاسدة، والتداعي فيها تشبيهاً بجري الفرس، والأهواء : جمع هوى، والمعروف عند أهل العلم أنه إذا أطلق فالمراد به الميل إلى خلاف الحق (١) ... هـ.

قال (الله) (٢) تعالى : « وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ » (٣).

وقال تعالى : « وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ » (٤).

وقد يطلق الهوى بمعنى المحبة والميل المطلق، فيدخل فيه الميل إلى الحق. قالت عائشة : لما نزلت قوله : « تُرْجَىٰ مِنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوَىٰ إِلَيْكَ مِنْ تَشَاءُ » (٥) ما أرى ربك إلا يسارع في هواك (٦). ومن ذلك قول عمر في قصة المشاورة في أسارى بدر : فهوى رسول الله (ﷺ) ما قال أبو بكر ولم يهو ما قلت (٧).

هذا وقد أخبر الصادق المصدوق أن تلك الأهواء التي مالوا إليها وأقبلوا بكليتهم من غير علم عليها : « بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ » (٨)، أنها خالطت بشاشتهم وسرت فيها، بل لاتزال تتزايد وتجري في عظامهم مجرى الدم وتتصاعد لاتدع مفصلاً إلا دخلته ولا غرقاً، فقد صاروا في داء هذا الهوى غرقاً، ولذا شبه (ﷺ) حالهم بحال من بداء الكلب قد أصيب، فما لهم في عداد العقلاء نصيب.

(٢) زيدت في نسخة د.

(١) انظر جامع العلوم والحكم ص / ٣٦٧.

(٤) سورة النازعات آية / ٤٠ و ٤١.

(٣) سورة ص من آية / ٢٦.

(٥) سورة الأحزاب من آية / ٥١.

(٦) رواه البخاري في صحيحه ج ٦ ص / ٢٤ كتاب التفسير باب ٧. و ج ٦ ص / ١٢٨ كتاب النكاح باب ٢٩، كما

رواه مسلم في صحيحه ج ٢ ص / ١٠٨٥ كتاب الرضاع حديث رقم ١٤٦٤ / ٤٩.

(٧) انظر جامع العلوم والحكم لابن رجب - ص / ٣٦٧.

(٨) سورة الروم آية / ٢٩.

والكلب: بفتح الكاف واللام، داء معضل يحصل به أعظم الآلام، ويحدث بسببه سقم من أشد الأسقام، وهو يعرض للإنسان من عض الكلب، فيصيبه شبه الجنون، فلا يعرض أحداً إلا كلب، وتعرض له أعراض ردية، ويمتنع من شرب الماء حتى يموت عطشاً، واجتمعت العرب على أن دواءه قطرة من دم ملك يخلط بهاء فيسقاها^(١).
 وكتب علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - إلى ابن عباس - رضي الله عنهما -
 (حين)^(٢) أخذ مال البصرة، فلما رأيت الناس على ابن عمك قد كلب، والعدو قد
 حرب يعني اشتد.

قوله: (لئن لم تقوموا بما جاء به نبيكم ﷺ) فغيركم من الناس أخرى أن لا يقوم
 به) مراده رضي الله عنه - الحث والحض لهم على الاجتماع على كتاب الله وسنة نبيه
 ﷺ) والاعتصام بذلك وشدة الاهتمام والاعتناء بذلك. لأن به تحصل السعادة
 والسؤدد في العاجل والآجل، وتكمل لمن قام به شريف الفضائل، وهذا مع مافيه
 من الحث على القيام بما جاء به - عليه الصلاة والسلام - ففي ضمنه إخبار لهم
 وتذكير، بما حازوا به من العز الكبير، والخير الكثير الواسع الغزير، بعد ما كانوا عليه
 من سوء الحال، وضيق العيش وسفاهة الأحلام والطيش، فنالوا ببركة ما جاءهم به
 من النور، المجد والشرف والنصر على الأعداء والظهور، ولو لم يكن إلا الهداية إلى
 الإسلام، والإقلاع عن عبادة الأوثان والأصنام، ولا شرف أعظم من ذلك، به
 يسعدون ويشرفون: « وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ »^(٣).

وقد بين لهم ذلك - عليه الصلاة والسلام - وامتن عليهم في معرض العتب في
 الكلام، فقال: (ألم أجدكم ضلالاً فهداكم الله بي، وكنتم متفرقين فألفكم الله بي،
 وعالة فأغناكم الله بي) وكلما قال شيئاً، قالوا: الله ورسوله آمن^(٤).

(١) وهذا لا أصل له، والتداوي بالنجس حرام، قال الشيخ عبدالله باطين في مجموعة الرسائل ج ٢ ص / ١٨١.

(٢) سقطت من نسخة د. (٣) سورة الزخرف آية / ٤٤.

(٤) هذا جزء من حديث طويل، رواه البخاري في صحيحه ج ٥ ص / ١٠٣ و ١٠٤ كتاب المغازي باب ٥٦، كما رواه مسلم في صحيحه ج ٢ ص / ٧٣٨ كتاب الزكاة حديث رقم ١٣٩ / ١٠٦١ (عن عبدالله بن زيد بن عاصم).

فإذا كان (ﷺ) منهم، والله قد فضلهم به، وأنجز لهم (ما) (١) وعدهم على لسانه، ولم يعملوا بما جاءهم به، ولم يهتموا بشأنه، فغيرهم من الناس بالإعراض أولى وأجدر، لأنهم إنما حسدوهم على الشرف الأكبر والذكر الجميل الأنور، وهذا الحديث الذي رواه الإمام أحمد، قد روي من طرق متعددة مختلفة، فروى الحاكم في مستدركه (افترت بنو إسرائيل على ثنتين وسبعين فرقة، وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة، قالوا: ومن هم يارسول الله؟ قال: من كان على ماأنا عليه وأصحابي) (٢).

وخرج الترمذي عن عبدالله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله (ﷺ): (ليأتين على أمتي ماأتى على بني إسرائيل حذو النعل بالنعل حتى إن كان منهم من أتى أمة علانية ليكونن في أمتي من يصنع ذلك، وإن بني إسرائيل تفرقت على ثنتين وسبعين ملة وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة قالوا: من هي؟ قال من كان على ماأنا عليه وأصحابي) (٣).

وروي عنه - عليه الصلاة والسلام - أنه قال (افترت اليهود على إحدى وسبعين فرقة كلها في الهاوية إلا واحدة. وافترت النصارى على ثنتين وسبعين فرقة كلها في الهاوية إلا واحدة. وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة كلها في الهاوية إلا واحدة) (٤). وروي أنه قال: (وستفترق أمتي على بضع وسبعين فرقة كلها في النار إلا من كان على ماأنا عليه وأصحابي) (٥).

والبضع: من الثلاث إلى التسع، والمراد به هنا الثلاث، لأنه جاء كذلك مفسراً في أكثر روايات هذا الحديث.

(١) سقطت من نسخة د.

(٢) رواه الحاكم في مستدركه ج ١ ص/ ١٢٨ و ١٢٩ كتاب العلم عن ابن عمر وأوليه: (ليأتين على أمتي ماأتى على بني إسرائيل مثلاً بمثل حذو النعل بالنعل).

(٣) رواه الترمذي في جامعه ج ٥ ص/ ٢٦ كتاب الإيمان باب ١٨. وقال الترمذي: هذا حديث مفسر غريب لا نعرفه مثل هذا إلا من هذا الوجه. وانظر مستدرك الحاكم ج ١ ص/ ١٢٨ و ١٢٩ كتاب العلم.

(٤) رواه الحاكم في مستدركه ج ١ ص/ ١٢٨ كتاب العلم، ولكن من غير كلمة الهاوية ومع اختلاف بعض الألفاظ.

(٥) رواه الحاكم في مستدركه ج ١ ص/ ١٢٨ كتاب العلم، ولكن من غير كلمة الهاوية ومع اختلاف بعض الألفاظ.

وقد تبين بما ذكرنا من الآيات والأخبار وجوب الاعتصام بكتاب الله المين، ولزوم التمسك بسنة سيد الخلق أجمعين، وأن الفرقة الناجية من العذاب الأليم، هي التي تسلك سبيله المستقيم، وتأخذ بشرعه القويم، وباقي فرق الضلالة من أمة الإجابة في نار الجحيم، لنبذهم العمل بالذكر الحكيم، ومخالفتهم لمنهاج الرسول الكريم.

فقد روى أبو داود بسنده عن معاوية - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله (ﷺ): (ألا إن من كان قبلكم من أهل الكتاب افترقوا على ثنتين وسبعين ملة، وأن هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة ثتان وسبعون في النار وواحدة في الجنة وهي الجماعة)^(١).

واعلم أن أول ما حدث في الدين من المحن، ووقع في الإسلام من الفتن، فتنة الخوارج، وكان مبدؤهم بسبب (الدنيا)^(٢) حين قسم النبي (ﷺ) غنائم حنين، فقال قائلهم - وهو ذو الخويصرة^(٣) - : اعدل (يا محمد) فإنك لم تعدل^(٤). الحديث.

ففاجؤوه بفضيعة هذه المقالة، فردهم الله إلى أسوأ حالة، ثم تشعبت منهم شعوب وقبائل وآراء وضلالات، وأهواء ونحل كثيرة منتشرة ومقالات.

وقد روى الإمام أحمد بسنده عن أبي غالب^(٥) قال: سمعت أبا أمامة يحدث عن

(١) رواه أبو داود في سننه ج ٤ ص ١٩٨ كتاب السنة باب شرح السنة . (٢) في نسخة د . الدين . (٣) هو الذي قال للنبي (ﷺ) يوم قسمة غنائم حنين، اعدل يا رسول الله، فقال: ويحك ومن يعدل إذا لم أعدل. وقد ورد في بعض الروايات أن اسمه حرقوص بن زهير السعدي، الذي بعثه عمر - رضي الله عنه - لمساعدة المسلمين ضد الهرمزان عندما كفر وجمع الأكراد لمحاربة المسلمين. وكانت لحرقوص صحبته مع رسول الله (ﷺ) فأمره على القتال، فاقتتل المسلمون والهرمزان وانزهم وفتح حرقوص سوق الأهواز، وبقي إلى أيام علي وشهد معه صفين ثم صار من الخوارج، فقتل معهم عندما قاتلهم علي سنة سبع وثلاثين. انظر أسد الغابة في معرفة الصحابة. ج ١ ص ٤٧٤ ج ٢ ص ١٧٢.

(٤) رواه البخاري في صحيحه في عدة مواضع فقد رواه في ج ٤ ص ١٧٨ و ١٧٩ كتاب المناقب باب ٢٥ وفي ج ٧ ص ١١١ كتاب الأدب باب ٥٩ وفي ج ٨ ص ٥٢ كتاب المرتدين باب ٧، كما رواه مسلم في صحيحه ج ٢ ص ٧٤٤ كتاب الزكاة حديث رقم ١٠٦٤ / ١٤٨، كما رواه غيرهما من أصحاب السنن.

(٥) هو صاحب أبي أمامة، بصري ويقال: أصبهاني، قيل: اسمه حزور، وقيل: سعيد بن الحزور وقيل: نافع مولى خالد بن عبد الله القسري، وقيل: غير ذلك، قال ابن معين وغيره: صالح الحديث، وقال أبو حاتم: ليس بالقوي، وضعفه النسائي ووثقه الدارقطني. انظر تهذيب التهذيب ج ١٢ ص ١٩٧.

النبي (ﷺ) في قوله: « فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ » قال: هم الخوارج، في قوله: « يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ » قال هم الخوارج (١).

وروى البخاري ومسلم عن عائشة - رضي الله عنها - قالت تلا رسول الله (ﷺ) هذه الآية: « هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ » إلى قوله: « أُولَئِكَ الْأَلْبَابِ ».

قالت: قال رسول الله (ﷺ): (فإذا رأيت الذين يتبعون ماتشابهه منه فأولئك الذين سمي الله فاحذروهم) (٢).

وروى الإمام أحمد عنها في هذه الآية، قالت: قال رسول الله (ﷺ): (إذا رأيتم الذين يجادلون فيه فهم الذين عنى الله فاحذروهم) (٣).

وروى الإمام أحمد عن عبد الله بن أبي أوفى (٤) قال: سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: (الخوارج كلاب أهل النار) (٥).

وفي صحيح مسلم عن علي - رضي الله عنه - أنه ذكر الخوارج، فقال: (فيهم رجل نخدج اليد أو مودن اليد لولا أن تبطروا لحدثكم بما وعد الله الذين يقتلونهم على لسان محمد (ﷺ)، قلت: أنت سمعته من محمد (ﷺ) قال: أي ورب الكعبة، أي ورب الكعبة، أي ورب الكعبة) (٦).

وخرج الإمام أحمد في مسنده عن زيد بن وهب (٧) قال: لما خرجت الخوارج

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده ج ٥ ص ٢٦٢.
(٢) رواه البخاري في صحيحه ج ٥ ص ١٦٥ و ١٦٦ كتاب التفسير سورة آل عمران باب ١، كما رواه مسلم في صحيحه ج ٤ ص ٢٠٥٣ كتاب العلم حديث رقم ١/٢٦٦٥.
(٣) رواه الإمام أحمد في مسنده ج ٦ ص ٤٨.
(٤) عبد الله بن أبي أوفى - واسمه علقمة - بن خالد بن الحارث من هوازن بن أسلم الأسلمي، أبو معاوية وقيل أبو إبراهيم، وقيل أبو محمد، له ولأبيه صحبة، وقد شهد الحديبية ونزل الكوفة وكان آخر من مات بها من الصحابة يقال مات سنة ثمانين. انظر الإصابة ج ٢ ص ٢٧٩.
(٥) رواه الإمام أحمد في مسنده ج ٤ ص ٣٥٥ وانظر سنن ابن ماجه ج ١ ص ٦١ المقدمة باب ١٢.
(٦) رواه مسلم في صحيحه ج ٢ ص ٧٤٧ كتاب الزكاة حديث رقم ١٥٥/١٠٦٦.
(٧) زيد بن وهب الجهني - أبو سليمان الكوفي - إمام محضرم، قدم المدينة بعد وفاة النبي (ﷺ) كان ثقة كثير العلم. مات تقريباً سنة أربع وثمانين. انظر تقريب التهذيب ج ١ ص ٢٧٧ وتذكرة الحفاظ ج ١ ص ٦٦.

بالنهران ، قام علي في أصحابه فقال : إن (هؤلاء) ^(١) قد سفكوا الدم الحرام ، وأغاروا على سرح الناس وهم أقرب العدو إليكم وأن تسيروا إلى عدوكم ، وأنا أخاف أن يخلفكم هؤلاء في أعقابكم ، إني سمعت رسول الله (ﷺ) يقول : (تخرج خارجة من أمتي ليس صلاتكم إلى صلاتهم بشيء ولا صيامكم إلى صيامهم بشيء ، ولا قراءتكم إلى قراءتهم بشيء ، يقرؤون القرآن يحسبون أنه لهم وهو عليهم ، لا يجاوز حناجرهم ، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية ، وآية ذلك أن فيهم رجلاً له عضد وليس له ذراع ، عليها شعرات بيض ، لو يعلم الجيش الذين يصيبونهم ما لهم على لسان نبيهم ، لنكلوا عن العمل ^(٢) ، فسيروا على اسم الله عز وجل ^(٣) .

وفي الصحيحين عن سويد بن غفلة ^(٤) قال : قال علي - رضي الله عنه - : إذا حدثتكم عن رسول الله (ﷺ) حديثاً فوالله لأن آخر من السماء أحب إلي من أن أقول عليه ما لم يقل ، فإذا حدثتكم فيما بيني وبينكم فإن الحرب خدعة ، وإني سمعت رسول الله (ﷺ) يقول : (سيخرج قوم في آخر الزمان حدثاء الأسنان ، سفهاء الأحلام ، يقولون من خير قول البرية يقرؤون القرآن لا يجاوز إيمانهم حناجرهم ، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ، فأينما لقيتموهم ، فإن في قتلهم أجراً لمن قتلهم عند الله يوم القيامة) ^(٥) .

وخرج أبو داود عن أبي سعيد وأنس - رضي الله عنهما - قالوا : قال رسول الله (ﷺ) : (سيكون في أمتي اختلاف وفرقة ، قوم يحسنون القيل ويسئون الفعل ، يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم ، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ، ثم لا يرجع حتى يرتد على فوقه هم شر الخلق . طوبى لمن قتلهم وقتلوه ، ويدعون إلى

(١) في نسخ المخطوطة هذا ، والصواب ما أثبتناه كما هو في مسند الإمام أحمد .

(٢) في المسند (لا تكلوا على) .

(٣) رواه الإمام أحمد في مسنده ج ١ ص ٩١ و ٩٢ .

(٤) سويد بن غفلة - بفتح المعجمة والفاء - أبو أمية الجعفي - مخضرم من كبار التابعين ، قدم المدينة يوم دفن النبي (ﷺ) وكان مسلماً في حياته ، ثم نزل الكوفة . ومات سنة ثمانين وله مائة وثلاثون سنة . انظر تذكرة الحفاظ ج ١ ص ٣٤١ . وتقريب التهذيب ج ١ ص ٥٣ .

(٥) رواه البخاري في صحيحه ج ٤ ص ١٧٩ كتاب المناقب باب ٢٥ ، كما رواه مسلم في صحيحه ج ٢ ص ٧٤٦ كتاب الزكاة حديث رقم ١٠٦٦ / ١٥٤ .

كتاب الله وليسوا منه في شيء ، ومن قاتلهم كان أولى بالله تعالى منهم^(١) .
الفوق : موضع وقوع الوتر من السهم . وخرجه الشيخان من رواية أبي سعيد بنحو هذا^(٢) .

وخرج مسلم عن عبيد بن أبي رافع^(٣) مولى رسول الله (ﷺ) : (أن الحرورية لما خرجت وهو مع علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - قالوا : لا حكم إلا لله . قال علي : كلمة حق أريد بها باطل ، إن رسول الله (ﷺ) وصف ناساً إني لأعرف صفتهم في هؤلاء ، يقولون الحق بألسنتهم لا يجوز هذا منهم - أشار إلى حلقه - من أبغض خلق الله إليه ، منهم أسود إحدى يديه طبي شاة^(٤) أو حلمة ثدي ، فلما قتلهم علي قال : انظروا ، فنظروا فلم يجدوا شيئاً فقال : ارجعوا فوالله ما كذبت ولا كذبت مرتين أو ثلاثاً ، ثم وجدوه في خربة فأتوا به حتى وضعوه بين يديه . قال عبيد الله : وأنا حاضر ذلك من أمرهم ، وقول علي فيهم^(٥) .

وخرج الدارقطني^(٦) بسنده عن أبي مجلز^(٧) أن علياً - رضي الله عنه - نهى أصحابه أن يبسطوا على الخوارج حتى يحدثوا حدثاً ، فمروا بعبدالله بن خباب^(٨) فأخذوه

-
- (١) رواه أبو داود في سننه ج ٤ ص / ٢٤٣ كتاب السنة باب في قتال الخوارج .
(٢) انظر صحيح البخاري ج ٦ ص / ١١٥ كتاب فضائل القرآن باب ٣٦ ، وصحيح مسلم ج ٢ ص / ٧٤٣ و ٧٤٤ كتاب الزكاة حديث رقم / ١٤٧ .
(٣) عبيدالله بن أبي رافع - مولى رسول الله (ﷺ) المدني ، كاتب علي بن أبي طالب . ثقة كثير الحديث . تقريب التهذيب ج ١ ص / ٥٣٢ .
(٤) طبي شاة : هو بضم الطاء المهملة ، واحد الأطباء ، يقال موضع الأخلاف من الخيل والسباع أطباء ، كما يقال في ذوات الخلف والظلف خلف وضرع . من الهامش .
(٥) رواه مسلم في صحيحه ج ٢ ص / ٧٤٩ كتاب الزكاة حديث رقم / ١٥٧ .
(٦) هو علي بن عمرو بن أحمد بن مهدي ، أبو الحسن ، انتهى إليه علم الأثر والمعرفة بعلم الحديث وأسماء الرجال ، وأحوال الرواة مع الصدق والأمانة وصحة الاعتقاد ، وله معرفة في العلوم سوى الحديث منها : القراءات والمعرفة بمذاهب الفقهاء ، نسب إلى التشيع ، ولد سنة ست وثلاثمائة . وتوفي يوم الأربعاء لثمان خلون من ذي القعدة سنة خمس وثمانين وثلاثمائة . انظر تاريخ بغداد ج ١٢ ص / ٤٠٣٤ .
(٧) في نسخ المخطوطة عن أبي مخلد . والصواب ما أثبتناه ، كما في سنن الدارقطني عن أبي مجلز وهو لاحق بن حميد بن سعيد السدوسي ، مشهور بكنته ، ثقة ، مات سنة ست ، وقيل تسع ومائة ، وقيل غير ذلك . تقريب التهذيب ج ٢ ص / ٣٤٠ .
(٨) عبدالله بن خباب بن الأرت التميمي ، قيل : إن أول مولود ولد في الإسلام عبدالله بن الزبير وعبدالله بن خباب . قيل : إن النبي سباه عبدالله . لقيه الحرورية وهو متوجه إلى الكوفة ومعه زوجته فقتلوه وقتلوا زوجته وهي حامل . انظر الإصابة ج ٢ ص / ٣٠٢ .

فانطلقوا به فمروا على ثمرة ساقطة من نخلة، فأخذها بعضهم فألقاها في فيه . فقال بعضهم : ثمرة معاهد فبم استحلتها، فقال عبدالله : أفلا أدلكم على من هو أعظم من ذلك حرمة عليكم من هذا؟ قالوا : نعم . قال : أنا، فقتلوه فبلغ ذلك علياً، فأرسل إليهم أن أقيدونا بعبدالله بن خباب . قالوا : كيف نقيدك به وكلنا قتله؟ قال وكلكم قتله؟ قالوا : نعم . قال الله أكبر، ثم أمر أن يبسطوا عليهم، وقال والله لا يقتل منكم عشر ولا ينفلت منهم عشرة . قال : فقتلوهم ، فقال : اطلبوا فيهم ذا الثدية^(١) .

وخرج أبو داود عن حذيفة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله (ﷺ) : (لكل أمة مجوس، ومجوس هذه الأمة الذين يقولون لا قدر، فمن مات منهم فلا تشهدوا جنازته، ومن مرض منهم فلا تعودوهم، وإن ماتوا فلا تشهدوهم)^(٢)، وله من رواية مرفوعاً (لا تجالسوا أهل القدر ولا تفتاحوهم بالكلام)^(٣) .

وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال : قال رسول الله (ﷺ) : (صنفان من أمتي ليس لهم في الإسلام نصيب، المرجئة والقدرية)^(٤) .

(القدرية) : الذين يقولون : الخير من الله، والشر من الإنسان، وإن الله لا يريد أفعال العصاة .

وخرج أبو داود والترمذي عن نافع قال : جاء رجل إلى ابن عمر - رضي الله عنهما - فقال : إن فلاناً يقرأ عليك السلام - لرجل من أهل الشام - فقال ابن عمر - رضي الله عنهما - : بلغني أنه أحدث التكذيب بالقدر، فإن كان قد أحدث فلا تقرأ مني عليه السلام، فإني سمعت رسول الله (ﷺ) يقول : (يكون في هذه الأمة خسف ومسخ وذلك في المكذبين بالقدر)^(٥) .

(١) رواه الدارقطني في سننه ج ٢ ص ١٣١ و ١٣٢ كتاب الحدود والديات وغيره .

(٢) رواه أبو داود في سننه ج ٤ ص ٢٢٢ باب في القدر (عن أبي هريرة وعمر) .

(٣) رواه أبو داود في سننه ج ٤ ص ٢٢٨ باب في القدر (عن أبي هريرة وعمر) .

(٤) رواه الترمذي في جامعه ج ٤ ص ٤٥٣ كتاب القدر . وقال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح، كما رواه ابن ماجه في سننه ج ١ ص ٢٨ المقدمة باب ٩ .

(٥) رواه الترمذي في جامعه ج ٤ ص ٤٥٦ كتاب القدر باب ١٦ وقال هذا حديث صحيح حسن غريب . كما رواه أبو داود في سننه ج ٤ ص ١١٣ كتاب الفتن باب ذكر البصرة (ولكن من غير المكذبين بالقدر) كما ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ج ٨ ص ١٠ و ١١ بعدة روايات ولكنها كلها ضعيفة .

وخرج الإمام أحمد عن أبي الطفيل^(١) أن رجلاً ولد له غلام على عهد رسول الله ﷺ فأتى به النبي ﷺ فأخذ ببشرة جبهته ودعاه بالبركة ، فنبتت شعرة في جبهته (كهبله الفرس)^(٢) فشب الغلام ، فلما كان زمن الخوارج أحبهم ، فسقطت (تلك)^(٣) الشعرة عن جبهته ، فأخذه أبوه فقيده وحبسه مخافة أن يلحق بهم . قال : فدخلنا عليه فوعظناه وقلنا له : فيما نقول : ألم تر أن بركة دعوة رسول الله ﷺ قد وقعت عن جبهتك ، فما زلنا به حتى رجع عن رأيهم فرد الله تعالى عليه الشعرة وتاب^(٤) .

وروى الإمام أحمد عن سعيد بن جهمان^(٥) قال : أتيت عبد الله بن أبي أوفى وهو محبوب البصر ، فسلمت عليه . فقال لي : من أنت؟ فقلت : أنا سعيد بن جهمان ، قال : فما فعل والدك؟ قلت : قتله الأزارقة ، قال : لعن الله الأزارقة ، لعن الله الأزارقة . حدثنا رسول الله ﷺ (أنهم كلاب النار) قلت : الأزارقة وحدهم أم الخوارج كلها؟ قال : بل الخوارج كلها . فقلت : فإن السلطان يظلم الناس ويفعل لهم وبهم ، فتناول يدي فغمزها غمزة شديدة ثم قال : ويحك يا بن جهمان عليك بالسواد الأعظم ، عليك بالسواد الأعظم ، إن كان السلطان يسمع منك فأته في بيته ، فأخبره بها تعلم ، فإن قبل منك وإلا فدعه فإنك لست بأعلم منه^(٦) .

(١) هو عامر بن وائلة بن عبد الله بن عمرو الكناني ثم اللبثي ، رأى النبي ﷺ وهو شاب ، كان يعترف بفضل أبي بكر وعمر ، ولكنه كان يقدم علياً ، وقد مات سنة مائة ، قيل عشر ومائة ، وقيل غير ذلك . وهو مشهور باسمه وكنيته . الإصابة ج ٤ ص / ١١٣ .

(٢) في مسند الإمام أحمد (كهبله القوس) .

(٣) ما بين المعقوفتين سقط من نسخة ب . ج .

(٤) رواه أحمد في مسنده ج ٥ ص / ٤٥٦ .

(٥) في جميع النسخ سعيد بن جهمان . والصواب ما أثبتناه ، وهو سعيد بن جهمان - بضم الجيم وإسكان الميم - الأسلمي ، أبو حفص البصري ، صدوق له أفراد ، مات سنة ست وثلاثين ومائة . تقريب التهذيب ج ١ ص / ٢٩٢ .

(٦) رواه الإمام أحمد في مسنده ج ٤ ص / ٣٨٢ و ٣٨٣ ، كما ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ج ٥ ص / ٢٣٠ وقال : روى ابن ماجه طرفاً منه (الخوارج كلاب النار) رواه أحمد والطبراني ورجال أحمد ثقات .

وخرج رزين^(١) بسنده عن سالم^(٢) أن رجلاً من أهل العراق سأل ابن عمر عن قتل حرم بعوضاً، فقال: يا أهل العراق ما سألكم عن الصغيرة وأجراكم على الكبيرة، يقتل أحدكم من الناس ما لو كان عددهم سبحات لرأيت أنه إسراف، وإننا كنا نسير مع رسول الله (ﷺ) فنزلنا منزلاً فنام رجل من القوم ففزع رجل، فسمع ذلك رسول الله (ﷺ) فقال: (لا يحل لمسلم تفزيع مسلم)^(٣).

وخرج البخاري ومسلم عن أبي سلمة^(٤) وعطاء بن يسار^(٥) أنهما أتيا أبا سعيد الخدري فسألاه عن الحرورية، هل سمعت رسول الله (ﷺ) يذكرها؟ قال: لأدري من الحرورية، ولكنني سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: (يخرج في هذه الأمة - ولم يقل منها - قوم تحقرون صلاتكم مع صلاتهم فيقروون القرآن لا يجاوز حلقوقهم، أو حناجرهم، يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية، فينظر الرامي إلى سهمه إلى نصله إلى رصافه، فيتبارى في الفوقه هل علق بها من الدم شيء)^(٦).

وخرج مسلم عن عبدالرحمن بن عبدرب الكعبة^(٧) قال: دخلت المسجد فإذا عبدالله بن عمرو بن العاص جالس في ظل الكعبة، والناس مجتمعون عليه، فأتيتهم

(١) رزين بن سليمان الأحمري . وبعضهم قال: سليمان بن رزين، وهكذا حكى عن البخاري الاختلاف فيه ثم قال: لا تقوم لهذا حجة . بقية كلام البخاري: ولا تقوم الحجة، سليمان بن رزين ولا رزين لأنه لا يدري سماعه عن سالم ولا سليمان عن ابن عمر . تهذيب التهذيب ج ٣ ص / ٢٧٦ .

(٢) سالم بن عبدالله بن عمر بن الخطاب القرشي العدوي، أبو عمر أو أبو عبدالله المدني أحد الفقهاء السبعة، وكان ثباً عابداً فاضلاً . كان يشبه بأبيه في الهدى والسمت . مات في آخر سنة ست ومائة على الصحيح . تقريب التهذيب ج ١ ص / ٢٨٠ .

(٣) ذكره ابن الأثير الجزري في جامع الأصول ج ١٠ ص / ٧١ حديث رقم ٧٥٤٢ .

(٤) أبو سلمة بن عبدالرحمن بن عوف الزهري المدني، قيل اسمه عبدالله، وقيل إسمايل، ثقة مكثر . مات سنة أربع وتسعين، وكان مولده سنة بضع وعشرين ... تقريب التهذيب ج ٢ ص / ٤٣٠ .

(٥) عطاء بن يسار الإمام الرباني، أبو محمد المدني مولى أم المؤمنين ميمونة الفقيه الواعظ، كان ثقة جليلاً من أوعية العلم . يقال مات سنة ثلاث ومائة . وقيل بل توفي سنة بضع وتسعين . انظر تذكرة الحفاظ ج ١ ص / ٩٠ .

(٦) رواه البخاري في صحيحه ج ٦ ص / ١١٤ و ١١٥ كتاب فضائل القرآن، كما رواه مسلم في صحيحه ج ٢ ص / ٧٤٣ و ٧٤٤ كتاب الزكاة حديث رقم ١٤٧ / ١٠٦٤ .

(٧) عبدالرحمن بن عبدرب الكعبة العائذي أو الصائدي، حديثه في أهل الكوفة، روى عن ابن مسعود وعبدالله بن عمرو، وعن زيد بن وهب والشعبي وغيرهما . ذكره ابن حبان في الثقات . قال العجلي: تابعي ثقة . انظر تهذيب التهذيب ج ٦ ص / ٢١٩ وانظر تقريب التهذيب ج ١ ص / ٤٨٩ .

فجلست إليه فقال: كنا مع رسول الله (ﷺ) في سفر فنزلنا منزلاً، فمننا من يصلح خبائه، ومننا من ينتضل^(١)، ومننا من هو في جشره^(٢)، إذ نادى منادي رسول الله (ﷺ): الصلاة جامعة. فاجتمعنا إلى رسول الله (ﷺ) فقال: (إنه لم يكن نبي قبلي إلا كان عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم، وينذرهم شر ما يعلمه لهم، وإن أمتكم هذه جعل عافيتها في أولها، وسيصيب آخرها بلاء وأمور تنكرونها، وتجيء الفتنة فيرقق بعضها بعضاً، وتجيء الفتنة فيقول المؤمن: هذه مهلكتي، ثم تنكشف، وتجيء فتنة فيقول: هذه هذه. فمن أحب أن يرحل عن النار ويدخل الجنة فلتأته منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر. وليأت إلى الناس الذي يجب أن يؤتى إليه)^(٣) الحديث.

وخرج الإمام أحمد عن أبي بكر - رضي الله عنه -^(٤) - أن نبي الله - (ﷺ) مر برجل ساجد وهو ينطلق إلى الصلاة ورجع^(٥) عليه^(٦) وهو ساجد فقام النبي (ﷺ) فقال: (من يقتل هذا؟) فقام رجل فحسر عن يده فاخترط سيفه وهزه ثم قال: (يا نبي الله)^(٧) بأبي أنت وأمي كيف أقتل رجلاً يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله؟ ثم قال: (من يقتل هذا؟) فقام رجل فقال: أنا، فحسر عن ذراعيه واخترط سيفه وهزه حتى أرعدت يده فقال: يا نبي الله كيف أقتل رجلاً ساجداً شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله؟ فقال النبي (ﷺ): (والذي نفس محمد بيده

(١) ينتضل: من المناضلة وهي المراماة بالشباب.

(٢) جشره: هي الدواب التي ترعى وتبيت في مكانها. والمراد مكانه.

(٣) انظر الحديث بطوله في صحيح مسلم ج ٣ ص ١٤٧٢ و ١٤٧٣ كتاب الإمارة حديث رقم ١٨٤٤ / ٤٦.

(٤) هو نفع بن الحرث، ويقال: ابن مسروح، وقيل: اسمه مسروح، مشهور بكنيته. كان من فضلاء الصحابة، سكن البصرة وأنجب أولاداً لهم شهرة، وسبب تسميته بأبي بكر، أنه تدل إلى النبي (ﷺ) من حصن بالطائف بكرة، فاشتهر بذلك، وزاد في تقريب التهذيب، إنه أسلم بالطائف ثم نزل البصرة. ومات بها سنة إحدى أو اثنتين وخمسين. الإصابة ج ٣ ص ٧٥٢. وانظر تقريب التهذيب ج ٢ ص ٣٠٦.

(٥) في نسخة أ. د، فرجع.

(٦) في نسخة أ. ج. د. فرجع، والصواب ما أثبتناه كما في المسند.

(٧) ما بين المعقوفتين سقطت من نسخة د.

لو قتلتموه لكان أول فتنة وآخرها^(١) قلت : ومثل هذا مارواه البيهقي^(٢) عن أنس رضي الله عنه - قال : كان في عهد رسول الله ﷺ رجل يعجبنا تعبده وجهاده ، فذكرناه لرسول الله ﷺ باسمه فلم يعرفه ، ووصفناه بصفته فلم يعرفه ، فبينما نحن نذكره إذ طلع الرجل ، فقلنا ، هو هذا . فقال : (إنكم لتخبروني عن رجل على وجهه سعفة من الشيطان ، فأقبل حتى وقف على القوم (ولم) يسلم فقال رسول الله ﷺ) : (نشدتك بالله هل قلت حين وقفت على المجلس ما في القوم أحد أفضل مني وخيراً مني) قال : اللهم نعم ، ثم دخل يصلي . فقال رسول الله ﷺ (من يقتل الرجل؟) قال أبو بكر : أنا ، فدخل عليه فوجده يصلي ، فقال : سبحان الله ، أأقتل رجلاً يصلي وقد نهى رسول الله ﷺ عن ضرب المصلين^(٣) . يظهر لي أن هذا الرجل المذكور في هذا الحديث هو الرجل الذي حدث عنه أبو بكر وأُن القصّة واحدة، ويحتمل التعدد إذ لا مانع من ذلك .

وخرج الشيخان عن حذيفة - رضي الله عنه - قال : كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير ، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني فقلت يا رسول الله ، إنا كنا في جاهلية وشر فجاءنا الله بهذا الخير ، فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال : (نعم) قلت : فهل بعد هذا الشر من خير؟ . قال : نعم وفيه دخن ، قلت : وما دخنه؟ قال : (قوم يستنون بغير سنتي ، ويهدون بغير هديي ، تعرف منهم وتنكر) فقلت : فهل بعد ذلك الخير من شر؟ قال : (نعم ، دعاة على أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها) قلت :

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده ج ٥ ص/٤٢ ، كما ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ج ٦ ص/٢٢٥ وقال : رواه أحمد والطبراني من غير بيان شاف ، ورجال أحمد رجال الصحيح .

(٢) أحمد بن الحسين بن علي بن عبد الله بن موسى البيهقي ، أبو بكر ، ولد سنة أربع وثمانين وثلاثمائة ، كان واحداً زمانه في الحفظ والإتقان ، حسن التصانيف . جمع علم الحديث والفقه والأصول ، وهو من كبار أصحاب الحاكم ، له تصانيف كثيرة ، جمع نصوص الشافعي في عشر مجلدات ، كان متعافياً زاهداً . ورد نيسابور وتوفي بها سنة ثمان وثمانين وأربعمائة ثم نقل إلى بيهق . وقد ذكر الزركلي في الأعلام بعض مصنفاته ومنها : السنن الكبرى ، والسنن الصغرى ، والمعارف ، والأسماء ، والصفات ، ودلائل النبوة ، والمبسوط وغيرها . انظر المنتظم ج ٨ ص/٢٤٢ . الأعلام ج ١ ص/١١٣ .

(٣) ذكر الهيثمي في مجمع الزوائد ج ٦ ص/٢٢٦ و٢٢٧ وقال : رواه أبو يعلى وفيه موسى بن عبيدة وهو متروك ، ورواه البزار باختصار ورجاله وثقوا على ضعف في بعض الروايات .

يارسول الله فما تأمرني إن أدركني ذلك . قال : (تلزم جماعة المسلمين وإمامهم ، قلت : فإن لم يكن جماعة ولا إمام؟ قال : (فاعتزل تلك الفرق كلها ولو أن تعض بأصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك) (١) .

وخرج أبو داود عن حذيفة - رضي الله عنه - قال : والله ما أدري أنسي أصحابي أم تناسوا . والله ما ترك رسول الله (ﷺ) من قائد فتنة إلى انقضاء الدنيا يبلغ من معه ثلاثمائة فصاعداً إلا سماه لنا باسمه واسم أبيه واسم قبيلته (٢) .

فهؤلاء هم الذين استحوذ عليهم الشيطان فأغواهم ، فعدلوا عن الحق واتبعوا هواهم ، كتب الله تعالى عليهم الخذلان ، فقيض لهم بعدله الشيطان فحسن لهم القبيح ، وزين لهم سيء الأعمال فاستحبوا طريق الغي والضلال ، قادهم بمكره وكيده فأوداهم ، واستدرجهم بخداعه فأرдахهم ، فلما تمكن من قصده بهم ناداهم وهم مصطادون في شبكة الاحتيال .

« فَلَا تَلُمُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ » (٣) .

« وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ » (٤) .

هيهات تفرقت بهم السبل عن الصراط المستقيم ، فطوحت بهم إلى سواء الجحيم ، تيسيراً إلى قضاء الله المحتوم ، وقدره المبرم المختوم . وابداء لذلك وتحقيقاً وتنجزاً لوعده الصادق المصدوق وإظهاراً لهذه المعجزة بعده تصديقاً . فقد حقق الله تعالى لنيه (ﷺ) في أمته وعده فظهروا وتفرقوا حتى استكملوا تلك العدة ، ولم يكن ذلك عن طول أمد ، بل وقع في أقصر مدة . وكان مبدؤهم كما ذكرنا من قسمة غنائم حنين (٥) . وظهور

(١) رواه البخاري في صحيحه ج ٤ ص / ١٧٨ كتاب المناقب باب ٥ . وجد ٨ ص / ٩٢ - ٩٣ كتاب الفتن باب ١١ .

كما رواه مسلم في صحيحه ج ٣ ص / ١٤٧٥ - ١٤٧٦ كتاب الإمارة حديث رقم ١٨٤٧ / ٥١ .

(٢) رواه أبو داود في سننه ج ٤ ص / ٩٥ كتاب الفتن والملاحم . باب ذكر الفتن ودلائلها ، وانظر جامع الأصول ج ١٠ ص / ٢٩ حديث رقم ٧٤٨٣ .

(٣) سورة إبراهيم من آية / ٢٢ .

(٤) سورة الرعد من آية / ١١ .

(٥) حنين : قيل واد قبل الطائف وقيل واد بجانب ذي المجاز ، وقيل بينه وبين مكة ثلاث ليال . والمراد به هنا معركة حنين . انظر معجم البلدان ج ٢ ص / ٣١٣ .

أسوأ القول ممن في قلبه رين . غير أنه لم يقع بها تظاهر ولا مساعدة وتناصر ، ولم يشب لنارها ضرام ، ولم يكن وقودها جثثاً وهاماً ، إلا أيام علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - فقتلهم بالنهروان^(١) . فصار لها من تلك الأيام إعلان وقام لها دعاة وأعوان ، ونشرت أعلامها في أكثر البلدان .

فانبعثت القدرية وأول من قال به وقام ، معبد الجهني بالبصرة ، فضل وأضل أقواماً^(٢) ثم المعتزلة ثم الجهمية ، ثم الشيعة والإمامية .

أهم الفرق الإسلامية

الحاصل أن الفرق الكبار من أمة الإجابة ثمان : الأولى فرقة الحق ، أهل الإسلام والإيمان ، والمعتزلة ، والشيعة ، والمرجئة ، والجبرية ، والخوارج ، والنجارية ، والمشبهة . فهؤلاء الذين سلكوا أقبح المناهج^(٣) .

١- المعتزلة

المعتزلة^(٤) ، افترقوا عشرين فرقة ، كفر بعضها بعضاً ، وكل فرقة تروم لحجة الأخرى نقضاً .

أ - منهم الواصلية^(٥) ، قوم واصل بن عطاء^(٦) الذي أظهر الاعتزال ، وكان يجالس الحسن البصري قبل تظاهرة بالضلال .

(١) النهروان : أكثر ما يجري على الألسنة كسر النون ، وهي ثلاثة نهروانات : الأعلى والأوسط والأسفل . وهي كورة واسعة بين بغداد وواسط من الجانب الشرقي ، حدها الأعلى متصل ببغداد . وفيها عدة بلاد متوسطة ، وكان بها وقعة لأمر المؤمنين علي بن أبي طالب مع الخوارج ، وقد خرج منها جماعة من أهل العلم والأدب . معجم البلدان ج ٥ ص ٣٢٤ و ٣٢٥ .

(٢) في نسخ المخطوطة (أقوام) والصواب ما أثبتناه لأنه مفعول به ولكن رفعه المؤلف أو وقف عليه مراعاة للسجع .

(٣) في نسخة د . المنهاج .

(٤) انظر مذهبهم ومقالاتهم في الملل والنحل - للشهرستاني ج ١ ص ٤٣ .

(٥) انظر مذهبهم ومقالاتهم في الملل والنحل - للشهرستاني ج ١ ص ٤٦ - ٤٩ ومن مذهبهم : نفي صفات الباري ، والقول بالقدر ، والقول بالمنزلة بين المنزلتين .

(٦) واصل بن عطاء البصري الغزال ، أبو حذيفة ، المتكلم البليغ المشدق ، سمع من الحسن البصري وكان جلسيه ومن رؤوس المعتزلة ، له تصانيف . كان يتوقف في عدالة أهل الجمل ، قديم المعتزلة وشيخها ، وأول من قال بالمنزلة بين المنزلتين ، ذكر ابن العماد في شذرات الذهب أنه توفي سنة إحدى وثلاثين ومائة . انظر لسان الميزان ج ٦ ص ٢١٤ ، وشذرات الذهب ج ١ ص ١٨٢ .

ب - ومنهم الهذيلية^(١)، أصحاب أبي هذيل^(٢) بن محمد بن هذيل المعروف بالعلاف، وهو شيخهم ومقر طريقتهم. مات سنة خمس وثلاثين ومائتين^(٣).

ج - ومنهم النظامية^(٤)، أصحاب إبراهيم بن سيار النظام^(٥)، وهذا من شياطين القدرية، طالع كتب الفلاسفة خلطها بكلام المعتزلة.

د - الإسكافية^(٦)، أصحاب أبي جعفر الإسكاف^(٧).

هـ - الجعفرية^(٨)، أصحاب جعفر^(٩) بن حرب وجعفر بن مبشر.

(١) في النسخ الهذلية أصحاب أبي هذيل بن حمدان العلاف، والصواب ما أثبتناه كما ذكره البغدادي في الفرق بين الفرق ص/ ١٢١، وكما ذكره أصحاب التراجم. انظر مقالاتهم في الملل والنحل جـ ١ ص/ ٤٩ والخطأ جاء عند نقل المؤلف من الملل والنحل. والله أعلم.

(٢) محمد بن الهذيل بن عبدالله بن مكحول العدي، المعروف بالعلاف، المتكلم شيخ البصريين في الاعتزال، قوي الحجة كثير الاستعمال للأدلة والإلزامات. له كتاب اسمه (ميلاس)، كف بصره في آخر عمره، ولد سنة إحدى وأربع أو خمس وثلاثين ومائة، وتوفي سنة خمس وثلاثين ومائتين بسر من رأى. وقيل مات سنة ست وعشرين أو سبع وعشرين ومائتين. انظر وفيات الأعيان جـ ٤ ص/ ٦٥.

(٣) في النسخ مائة والصواب ما أثبتناه، كما هو في ترجمته.

(٤) انظر مذهبهم ومقالاتهم في الملل والنحل - للشهرستاني جـ ١ ص/ ٥٣.

(٥) إبراهيم بن سيار - أبو إسحاق - النظام، ورد بغداد وكان أحد فرسان أهل النظر والكلام على مذهب المعتزلة، له تصانيف عدة، كان متأدباً وله شعر دقيق المعاني على طريقة المتكلمين، تنسب إليه طائفة من المعتزلة، وكان يقول بالقدر، وغيره من المقالات، توفي سنة إحدى وثلاثين وقيل خمس وثلاثين وسبع وثلاثين. انظر تاريخ بغداد جـ ٦ ص/ ٩٧.

(٦) انظر مذهبهم ومقالاتهم في الفرق بين الفرق ص/ ١٦٩ والملل والنحل جـ ١ ص/ ٥٨، ومن مذهبهم أن الله يوصف بالقدرة على ظلم الأطفال والمجانين ولا يوصف بالقدرة على ظلم العقلاء.

(٧) محمد بن عبدالله الإسكافي البغدادي أبو جعفر، أحد متكلمي المعتزلة، أصله من سمرقند، أخذ الكلام عن جعفر بن حرب، وله مناظرات مع الكرابيسي وغيره، كان عجيب الشأن في العلم والذكاء، مات سنة أربعين ومائتين، انظر لسان الميزان جـ ٥ ص/ ٢٢١.

(٨) انظر مذهبهم ومقالاتهم في الفرق بين الفرق ص/ ١٦٨، والملل والنحل جـ ١ ص/ ٥٩، ومن مقالات جعفر بن مبشر: أن فساق هذه الأمة من هم شر من اليهود والنصارى والمجوس، وزعم أن من سرق الحبة أو مادونها فهو فاسق مخلد في النار وغير ذلك.

(٩) في نسخ المخطوطة، أصحاب جعفر بن جعفر بن مبشر بن حريب، والصواب ما أثبتناه. وهم أصحاب جعفر بن حرب الهمداني، معتزلي بغدادي، درس الكلام بالبصرة على أبي الهذيل العلاف، وصف كتباً معروفة عند المتكلمين. مات سنة ست وثلاثين ومائتين، وهو ابن تسع وخمسين سنة. انظر تاريخ بغداد جـ ٧ ص/ ١٦٢ وجعفر بن مبشر بن أحمد بن محمد، أبو محمد الثقفي، المتكلم، أحد المعتزلة البغداديين، له كتب مصنفة في الكلام. مات سنة أربع وثلاثين ومائتين. انظر تاريخ بغداد جـ ٧ ص/ ١٦٢.

و - والبشرية^(١)، أصحاب بشر بن المعتمد^(٢)، كان من أفاضل علماء المعتزلة .
ز - ومنهم الهاشمية^(٣) أصحاب هشام بن عمرو الفوطي^(٤)، وكان هذا من أشد المعتزلة مبالغة في إنكار القدر .

ح - والصاحية^(٥) . ط - والخابطية^(٦) .

ي - والحديثة^(٧) . ك - والمعمرية^(٨) .

ل - والثامية^(٩)، أصحاب ثامة بن أشرس النمري^(١٠) . وكان هذا الشيطان جامعاً بين سخافة الدين، وخلاعة النفس، ومن قبيح قوله أنه يقول: اليهود والنصارى والمجوس والزنادقة يصيرون في الآخرة تراباً لا يدخلون الجنة ولا ناراً .

-
- (١) انظر مذهبهم ومقالاتهم في الملل والنحل - للشهرستاني ج ١ ص / ٦٤ .
(٢) بشر بن المعتمر، كوفي، ويقال بغدادي، يكنى أبا سهل، من كبار المعتزلة، إليه انتهت رياستهم ببغداد، توفي سنة عشر ومائتين . خالف المعتزلة في القدر، وكان يقول: إن الله لم يخلق شيئاً من الأعراض وإنما من فعل الناس . ومن منكريه أن الإنسان يقدر أن يجعل لغيره لوناً وطعماً . انظر لسان الميزان ج ٢ ص / ٣٣ .
(٣) في النسخ الهاشمية، والصواب ما أثبتناه . وانظر مقالاتهم ومذهبهم في الملل والنحل - للشهرستاني ج ١ ص / ٧٢ ومن مقالاتهم، أن الله لا يؤلف بين قلوب المؤمنين . وأن الله لا يجب الإيذان إلى المؤمنين ولا يزيه في قلوبهم، وأن الجنة والنار ليستا مخلوقتين . وإلى غير ذلك من البدع .
(٤) هشام بن عمرو الفوطي . وكان عظيم القدر عند العامة والخاصة، حكى عنه أنه كان إذا دخل المأمون يتحرك له حتى يكاد يقوم، وذكر أبو الحسن الفروي، أنه الأجلة في الكلام والمناظرة والقصص . وله أقوال دقيقة في الفروع . طبقات المعتزلة . ص / ٢٧١ .
(٥) هم أصحاب صالح بن عمر الصالحي، ذكرهم الشهرستاني في الملل والنحل ج ١ ص / ١٤٥ من جملة المرجئة .
(٦) وهم أصحاب أحمد بن خابط المتوفى سنة ٢٣٢ . انظر مذهبهم ومقالاتهم في الملل والنحل . ج ١ ص / ٦٠ .
(٧) وهم أصحاب الفضل الحدثي المتوفى سنة ٢٥٧، انظر مذهبهم ومقالاتهم في المصدر السابق ج ١ ص / ٦٠، ومن مذهبهم ومذهب الخابطية إثبات الألوهية لعيسى عليه السلام، والقول بالتناسخ وحملها رؤية الباري تعالى يوم القيامة على رؤية العقل .
(٨) وهم أصحاب معمر بن عباد السلمي المتوفى سنة ٢٢٠، انظر مذهبهم ومقالاتهم في الملل والنحل ج ١ ص / ٦٥ وهو من أعظم القدرية فرية في تدقيق القول بنفي الصفات، ونفي القدر خيره وشره من الله . وغير ذلك من المقالات والضلالات والبدع .
(٩) انظر مذهبهم ومقالاتهم في الملل والنحل ج ١ ص / ٧٠ والفرق بين الفرق ص / ١٧٩ .
(١٠) ثامة بن أشرس - أبو معن - النمري البصري، من كبار المعتزلة، ومن رؤوس الضلالة، كان له اتصال بالرشيد، ثم المأمون، له آراء شاذة منكرة بعيدة عن الدين، كان رقيق الدين مستهزئاً بالإسلام، حبسه الرشيد لوقوفه على كذبه، مات سنة ثلاث عشرة ومائتين . لسان الميزان ج ٢ ص / ٨٣ .

- م - ومنهم الخياطية^(١)، أصحاب أبي الحسن الخياط^(٢).
- ن - ومنهم الجاحظية^(٣)، أصحاب عمرو بن بحر الجاحظ^(٤)، وكان هذا بليغاً ظهر في أيام المعتصم والمتوكل، وأخذ من كتب الفلاسفة.
- س - ومنهم الكعبية^(٥)، أصحاب أبي القاسم عبدالله بن أحمد بن محمود^(٦) من معتزلة بغداد تلميذ الخياط.
- ع - ومنهم الجبائية^(٧)، أصحاب أبي علي محمد بن عبد الوهاب الجبائي^(٨) من كبار معتزلة البصرة. ومن قبيح مقالاته إنكاره الكلام ويقول: إن الله يخلق كلامه في جسم، والمتكلم ذلك الجسم، وينكر رؤية الله في الآخرة، ومرتكب الكبيرة يخلد في النار وغير ذلك، ولهم بقايا فرق.

- (١) انظر مذهبهم ومقالاتهم في الملل والنحل ج ١ ص ٧٦.
- (٢) عبدالرحيم بن محمد بن عثمان، أبو الحسن الخياط، أحد متكلمي المعتزلة، كان رئيساً متقدماً عالماً بالكلام فقيهاً، صاحب حديث، واسع الحفظ على سائر المتكلمين من أهل بغداد، كان من أهل الدين والورع والأخلاق الحميدة. ألف كتباً كثيرة جيدة منها (الرد على من أثبت خبر الواحد) انظر لسان الميزان ج ٤ ص ٨.
- (٣) انظر مذهبهم ومقالاتهم في الملل والنحل ج ١ ص ٧٥. ومن قولهم في أهل النار أنهم لا يخلدون فيها عذاباً بل يصيرون من طبيعة النار.
- (٤) أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الكنازي اللبني، المعروف بالجاحظ البصري العالم المشهور، صاحب التصانيف في كل فن. له مقالة في أصول الدين، وإليه تنسب الفرقة المعروفة بالجاحظية من المعتزلة، من تصانيفه كتاب الحيوان، أصيب بالفالج في آخر عمره. كانت وفاته سنة خمس ومائتين بالبصرة. انظر وفيات الأعيان ج ٣، ص ٤٧٤.
- (٥) انظر مقالاتهم ومذهبهم في الملل والنحل ج ١ ص ٧٦.
- (٦) في نسخ المخطوطة، أصحاب أبي القاسم بن محمد الكعبي، والصواب ما أثبتناه، كما ذكره أصحاب كتب التراجم، والخطأ جاء عندما نقله المؤلف من كتاب الملل والنحل ج ١ ص ٧٦.
- والكعبي هو عبدالله بن أحمد بن محمود البلخي - أبو القاسم الكعبي - من كبار المعتزلة، ولد سنة ثلاث وسبعين ومائتين، له تصانيف في الطعن على المحدثين، كان داعية إلى المعتزلة وإليه تنسب الطائفة البلخية، أخذ الكلام عن أبي حسن الخياط، أقام ببغداد مدة ثم رجع إلى بلخ. وتوفي سنة تسع عشرة وثلاثمائة. لسان الميزان ج ٣ ص ٣٥٥.
- (٧) انظر مذهبهم ومقالاتهم في الملل والنحل - للشهرستاني ج ١ ص ٧٨ و ٨٥.
- (٨) محمد بن عبد الوهاب بن سلام الجبائي، أبو علي، شيخ طائفة الاعتزال في زمانه، وله تفسير حافل مطول فيه اختيارات غريبة في التفسير، وقد رد عليه الأشعري فيه وكان يقول: كأن القرآن نزل في لغة أهل جبء، كان مولده في سنة خمس وثلاثين ومائتين، ومات في سنة ثلاث وثلاثمائة. انظر البداية والنهاية ج ١١ ص ١٢٥.

٢ - الشيعة

أما الشيعة^(١)، سموا أنفسهم بذلك وزعموا أنهم شايعوا علياً، اثنتان وعشرون فرقة يكفر بعضهم بعضاً. وأصول فرقهم ثلاث فرق: غلاة، وزيدية، وإمامية.

أ - والغلاة^(٢)، ثمانية عشر أولهم:

١ - السبئية^(٣)، أصحاب عبدالله بن سبأ^(٤). يقول لعلي - رضي الله عنه - أنت الإله الحق، وعلي لم يموت، وإنما قتل ابن ملجم^(٥) شيطاناً تصور بصورة علي، وعلي في السحاب، والرعده صوته، والبرق بصره^(٦)، وأنه ينزل بعد ذلك إلى الأرض، فيملا^(٧) الأرض عدلاً.

٢ - ومنهم الكاملية^(٨)، أصحاب أبي كامل، يكفرون الصحابة بترك بيعة علي ويكفرون علياً بترك طلب الحق.

٣ - ومنهم الغرابية^(٩)، قالوا: محمد أشبه بعلي من الغراب بالغراب والذباب بالذباب، فبعث الله جبريل إلى علي فغلط جبريل في الرسالة من علي إلى محمد.

٤ - ومنهم النصيرية والإسحاقية^(١٠)، قالوا حل الله في علي.

(١) انظر ما ذكر في شأنهم في الملل والنحل ج ١ ص ١٤٦.

(٢) انظر ما ذكر في شأنهم في المصدر السابق ج ١ ص ١٧٣.

(٣) انظر مذهبهم ومقالاتهم في المصدر السابق ج ١ ص ١٧٤.

(٤) عبدالله بن سبأ، من غلاة الزنادقة، ضال مضل زعم أن القرآن جزء من تسعة أجزاء وعلمه عند علي، ففناه بعد ما هم بحرقه. ومرق أتباعه من السبئية، الذين يعتقدون ألوهية علي بن أبي طالب. في خلافته كان يهودياً فأظهر الإسلام، طاف بلاد المسلمين ليدخل بينهم الشر. انظر لسان الميزان ج ٣ ص ٧٨٩.

(٥) عبدالرحمن بن ملجم المرادي الخارجي كان عابداً قانتاً لله، شهد فتح مصر، وكان من قراء القرآن، قرأ على معاذ، معلماً للقرآن والفقه، ولكنه فتح في الإسلام فتقاً وذلك بقتله أمير المؤمنين علي رضي الله عنه، قتل سنة أربعين. لسان الميزان ج ٣ ص ٤٣٩.

(٦) في أ. ب. ج. س. طه.

(٧) في نسخة ب. ج. د. فيملاها.

(٨) انظر مذهبهم ومقالاتهم في الملل والنحل - للشهرستاني - ج ١ ص ١٧٤.

(٩) انظر مذهبهم ومقالاتهم في الفرق بين الفرق ص ٢٥٠.

(١٠) النصيرية أتباع رجل يقال له محمد بن نصير النميري، وكان يدعي أنه نبي بعثه أبو الحسن العسكري. وكان يقول بالتناسخ. انظر الملل والنحل ج ١ ص ١٨٨.

٥ - والذمية^(١)، يقولون : علي هو الإله ، وقد بعث محمداً يدعو له فدعا لنفسه .

٦ - ومنهم الإسماعيلية^(٢) ، ويلقبون بالقرامطة ، لأن رأسهم حمدان قرمط^(٣) ، وقيل عبدالله بن ميمون القداح^(٤) .

وهؤلاء هدموا الشريعة وأركانها جملة ، وباقي فرق الشيعة وروافضهم كثيرة ومقالاتهم الفاسدة شهيرة .

ب - وأما الزيدية^(٥) ، الذين ينسبون أنفسهم إلى طريقة زيد بن علي بن الحسين - زين العابدين^(٦) .

فهم ثلاث فرق : ١ - الجارودية^(٧) ، أصحاب أبي الجارود^(٨) الذي سماه الباقر^(٩)

(١) انظر مذهبهم ومقالاتهم في الفرق بين الفرق ص/ ٢٥١ .

(٢) الإسماعيلية الذين أثبتوا الإمامة لإسماعيل بن جعفر ، ولهم ألقاب أخرى ومنها : القرامطة ، انظر ما ذكره الشهرستاني بشأنهم في الملل والنحل ج ١ ص/ ١٩٢ .

(٣) من أساء الإسماعيلية ، القرامطة ، إنهم لقبوا بذلك نسبة إلى رجل من دعواتهم يقال له حمدان قرمط ، وكان حمدان من أهل الكوفة يميل إلى الزهد ، فصادفه أحد دعاة الباطنية ، وادعى أنه جاء لهذه القرية ليعلم الناس ويخرجهم من الضلالة إلى الهدى وأن هذا السر لا يعلمه لأحد إلا إذا وثق به . فعاهده حمدان على ذلك ، فعلمه الجهل وغير ذلك ، ثم انتدب للدعوة ، وصار أصلاً من أصول هذه الدعوة . انظر المنتظم ج ٥ ص/ ١١٣ كما ذكره ابن الأثير في الكامل ج ٧ ص/ ٤٤٧ حوادث سنة ٢٧٨ .

(٤) عبدالله بن ميمون بن داود المخزومي بالولاء ، المعروف بابن القداح ، فقيه إمامي ، من رجال الحديث ، من أهل الكوفة ، واهي الحديث عند علماء السنة . قال النسائي : ضعيف . قال أبو حاتم : لا يجوز الاحتجاج به إذا انفرد ، وهو من الثقات عند الشيعة . من كتبه : (مبعث النبي ﷺ) وأخباره) و(صفة الجنة والنار) انظر تهذيب التهذيب ج ٦ ص/ ٤٩ . واللباب ج ٣ ص/ ١٧ والكامل لابن الأثير ج ٨ ص/ ٢٤ واسمه عبدالله .

(٥) انظر مذهبهم وما ذكر بشأنهم في الملل والنحل - للشهرستاني ج ١ ص/ ١٥٤ .

(٦) زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب الهاشمي - رضي الله عنهم - أبو الحسين ، المدني ثقة الذي ينسب إليه الزيدية ، خرج في خلافة هشام بن عبد الملك ، فقتل بالكوفة سنة اثنتين وعشرين ومائة ، وكان مولده سنة ثمانين ... تقرب التهذيب ج ١ ص/ ٢٧٦ .

(٧) انظر مذهبهم ومقالاتهم في الملل والنحل للشهرستاني . ج ١ ص/ ١٥٧ .

(٨) زياد بن المنذر الهمداني الخراساني - أبو الجارود - رأس الجارودية من الزيدية ، من أهل الكوفة ، كان من غلاة الشيعة ، افترق أصحابه فرقاً ، منهم من كفر الصحابة بتركهم بيعة علي بعد وفاة النبي ﷺ ، له كتب منها : التفسير روايته عن أبي جعفر الباقر ، وكان يزعم أن النبي ﷺ نص على إمامة علي بالوصف لا بالتسمية . انظر اللباب ج ١ ص/ ٢٠٣ .

(٩) محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب - رضي الله عنهم - أبو جعفر الباقر - كان ثقة فاضلاً كريماً . توفي سنة سبع عشرة ومائة ، وقيل ثمان عشرة ، وقيل أربع عشرة ، وهو ابن ثلاث وسبعين سنة وقيل ثمان وخمسين . وذكر في تذكرة الحفاظ ، كان مولده سنة ست وخمسين ، واشتهر بالباقر من قولهم بقر العلم أصله وحفيه . انظر صفة الصفوة ج ٢ ص/ ١٠٨ انظر تذكرة الحفاظ ج ١ ص/ ١٢٤ .

شيطاناً، فهؤلاء كفروا الصحابة لمخالفتهم علياً.

٢ - والسليمانية^(١) ، ٣ - والبتيرية^(٢).

ج - وأما الإمامية^(٣) فقالوا، بالنص الجلي على إمامة علي وكفروا الصحابة ووقعوا في أعراضهم.

٣ - الخوارج

وأما الخوارج^(٤) فهم عشرون فرقة :

أ - المحكمة^(٥) - وهم الذين خرجوا على علي - رضي الله عنه - عند التحكيم وكفروه . وكانوا اثني عشر ألفاً، كانوا أهل صلاة وصيام وقراءة . وفيهم قال (ﷺ) : (يحقر أحدكم صلاته في جنب صلاتهم ، وصومه في جنب صومهم ، ولكن لا يجاوز إيمانهم تراقيهم) . وكفروا عثمان وأكثر الصحابة .

ب - ومنهم البيهسية^(٦) ، أصحاب بيهس بن الهيصم بن جابر^(٧) قالوا : من وقع في شيء لا يعلم أحلال أم حرام فهو كافر .

(١) هم أتباع سليمان بن جرير ، الذين يقولون إن الإمامة شورى فيما بين الخلق وتنعقد بين رجلين . وتصح في المفضول مع وجود الأفضل . انظر مذهبهم ومقالاتهم في الملل والنحل ج ١ ص / ١٥٩ .

(٢) هم أتباع كثير النوى الأبر المتوفى سنة ١٦٩ ، قولهم في الإمامة مثل السليمانية إلا أنهم توفقوا في أمر عثمان أهو مؤمن أم كافر . وان علياً أفضل الناس . انظر ما ذكر بشأنهم في الملل والنحل ج ١ ص / ١٦١ .

(٣) انظر مذهبهم ومقالاتهم في الملل والنحل ج ١ ص / ١٦٢ .

(٤) انظر مذهبهم ومقالاتهم في المصدر السابق ج ١ ص / ١١٤ (فكل من خرج على الإمام الحق الذي اتفقت الجماعة عليه سمي خارجياً) .

(٥) انظر مذهبهم ومقالاتهم في الملل والنحل ج ١ ص / ١١٥ .

(٦) انظر مذهبهم ومقالاتهم في الملل والنحل ج ١ ص / ١٢٥ .

(٧) بيهس الهيصم بن جابر ، أبو بيهس ، وهو أحد بني سعد بن ضبيعة ، وقد طلبه الحجاج أيام الوليد ، فهرب إلى المدينة ، فطلبه بها عثمان بن حيان المزني فظفر به وحبسه ، وكان يسامره إلى أن ورد كتاب الوليد بأن يقطع يديه ورجليه ثم يقتله ، ففعل به ذلك . الملل والنحل ج ١ ص / ١٢٥ .

ج - ومنهم الأزارقة^(١)، أصحاب نافع بن الأزرق^(٢)، كفروا علياً بالتحكيم، وقالوا: إنه هو الذي نزل في شأنه: «وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ»^(٣). وابن ملجم محق في قتله وهو الذي نزل فيه: «وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ»^(٤) وفيه قال مفتي الخوارج، وزاهدها عمران بن حطان^(٥):

ياضربة من منيب^(٦) ما أراد بها لا ليبلغ من ذي العرش رضوانا
إنى لأذكره يوماً فأحسبه أوفى البرية عند الله ميزانا^(٧)

هؤلاء الذين كفروا عثمان وطلحة^(٨)، والزبير وعبدالله بن عباس وعائشة وسائر المسلمين، وحكموا عليهم بالخلود في النار.

د - ومنهم النجدية^(٩)، أصحاب نجدة بن عامر الحنفي^(١٠).

(١) انظر مذهبهم وماذكر بشأنه في الملل والنحل ج ١ ص/ ١١٨.

(٢) نافع بن الأزرق الحروري، من رؤوس الخوارج، إليه تنسب طائفة الأزارقة، خرج في أواخر دولة يزيد بن معاوية، كان يطلب العلم، وله أسئلة عن ابن عباس مجموعة في جزء من روايته عن نافع، قتل في جمادى الآخرة سنة خمس وستين. لسان الميزان ج ٦ ص/ ١٤٤.

(٣) سورة البقرة آية / ٢٠٤.

(٤) سورة البقرة من آية / ٢٠٧.

(٥) عمران بن حطان السدوسي البصري الخارجي، قال المعجلي: تابعي ثقة. وقال أبو داود: ليس من أهل الأهواء،

أصح حديثاً من الخوارج، توفي سنة أربع وثمانين، انظر ميزان الاعتدال ج ٣ ص/ ٣٥.

(٦) في نسخ المخطوطة تقي، والصواب ما أثبتناه مع العلم أنه ورد في عدة كتب بلفظ تقي.

(٧) انظر الملل والنحل ج ١ ص/ ١٢٠ والفرق بين الفرق ص/ ٩٣.

(٨) طلحة بن عبيد الله بن عثمان القرشي التميمي أبو محمد أحد العشرة وأحد الثمانية الذين سبقوا إلى الإسلام، وأحد الخمسة الذين أسلموا على يد أبي بكر، وأحد الستة أصحاب الشورى، شهد أحداً وأبلى فيها بلاءً حسناً، آخى الرسول ﷺ بينه وبين أبي أيوب، رماه مروان بن الحكم يوم الجمل بسهم فقتله، وقيل ظل دمه يسيح إلى أن مات في جمادى الأولى سنة ست وثلاثين، وقيل عشر خلون من جمادى الآخرة، وله أربع وستون سنة. الإصابة ج ٢ ص/ ٢٢٩.

(٩) انظر ما ذكره الشهرستاني بشأنهم في الملل والنحل ج ١ ص/ ١٢٢ و ٢٢٥، وقالوا: الدين أمران: الأول: معرفة الله ورسله وتحريم دماء المسلمين. الثاني: ماسوى ذلك فالناس معذورون فيه.

(١٠) في نسخ المخطوطة النخعي، والصواب ما أثبتناه. وهو نجدة بن عامر بن عبدالله الحنفي الذي استولى على اليمامة والبحرين في سنة ٦٦، وفي سنة ٦٩ قتله أصحابه. انظر الأعلام ج ٨ ص/ ٣٢٤.

هـ - ومنهم العاذرية^(١) الذين عذروا الناس في الجهالات في الفروع. وذلك أن نجدة، وجه ابنه مع جيش إلى أهل القطيف فقتلوهم وأسروا نساءهم ونكحوهم قبل القسمة، وأكلوا من الغنيمة، فلما رجعوا إلى نجدة أخبروه بما فعلوا فقال: لم يسعكم ما فعلتم، فقالوا: لم نعلم أنه لا يسعنا. فعذرهم بجهالتهم فاختلف أصحابه بعد ذلك، فمنهم من تابعه ومنهم من خالفه.

و - ومنهم الصفرية^(٢)، أصحاب زياد بن الأصفر^(٣).

ز - ومنهم الإباضية^(٤)، أصحاب عبدالله بن إياض^(٥)، قالوا: مخالفوهم كفار، وكفروا علياً وأكثر الصحابة، وافترقوا أربع فرق.

ح - الحفصية^(٦)، أصحاب حفص بن أبي المقدام^(٧).

ل - واليزيدية^(٨)، أصحاب يزيد بن أنيسة^(٩)، قالوا: يبعث نبي من العجم بكتاب يكتب في المساء ويترك ملة محمد، ويختار ملة الصابئة.

(١) انظر الحاشية رقم ٩ في صفحة ٢٦٧

(٢) انظر ما ذكر بشأنهم في الملل والنحل ج ١ ص/ ١٣٧. هؤلاء خالفوا الأزارقة والنجدات والإباضية في أمور منها: أنهم لم يكفروا القعدة عن القتال، ولم يسقطوا الرجم، ولم يحكموا على أطفال المشركين بقتلهم وتكفيرهم وخلودهم في النار.

(٣) زياد بن الأصفر رئيس الفرقة الصفرية من الخوارج، انظر الفرق بين الفرق ص/ ٩٠.

(٤) انظر مذهبهم ومقالاتهم في الملل والنحل ج ١ ص/ ١٣٤.

(٥) عبدالله بن إياض المقاعسي المري، رأس الفرقة الإباضية، خرج أيام مروان، فوجه إليه عبدالله بن محمد بن عطية، فقاتله ببسالة. ومن أقواله: إن مخالفتنا من أهل القبلة كفار غير مشركين. عاش إلى أواخر أيام عبدالملك ابن مروان حيث توفي في سنة ست وثمانين (٨٦). انظر الملل والنحل للشهرستاني ج ١ ص/ ١٣٤.

(٦) انظر مذهبهم ومقالاتهم في الملل والنحل ج ١ ص/ ١٣٥. من مقالاتهم: أن بين الشرك والإيمان خصلة واحدة، وهي معرفة الله وحده، فمن عرفه ثم كفر بها سواه من رسول أو كتاب أو غير ذلك فهو كافر، ولكنه بريء من الشرك.

(٧) حفص بن أبي المقدام الإباضي، رأس الفرقة الحفصية من فرق الإباضية. انفرد بقوله: (من عرف الله وكفر بها سواه من جنة أو نار أو رسول أو غير ذلك فهو كافر وليس بمشرك) وقال الإباضية: بل هو مشرك وبرئوا منه. انظر الأعلام ج ٢ ص/ ٢٩٢ ولسان الميزان ج ٢ ص/ ٣٣٠.

(٨) انظر مذهبهم ومقالاتهم في الملل والنحل ج ١ ص/ ١٣٦.

(٩) يزيد بن أنيسة من الخوارج تنسب إليه فرقة من الخوارج يقال لهم اليزيدية، قام بتولي المحكمة الأولى قبل نافع بن الأزرق، وتبرأ ممن بعدهم إلا الإباضية، وقال إن شريعة الإسلام تنسخ في آخر الزمان. انظر اللباب ج ٣ ص/ ٤١١ و ٤١٢ والملل والنحل ج ١ ص/ ١٣٦.

ي - الحارثية^(١) ، أصحاب أبي الحارث^(٢) الإباضي ، خالفوا الإباضية في القدر .

ومن فرق الخوارج :

ك - العجاردة^(٣) وهم أصحاب عبدالكريم بن عجرد^(٤) ، وهم أربع فرق مشهورة بالضلال ، معلومة الحال .

٤ - المرجئة

ومن الفرق الكبار المرجئة^(٥) لقبوا بذلك لأنهم يرجئون العمل على النية ، أي يؤخرونه عنها وعن الاعتقاد ، من أرجاه إذا أخره . وقال تعالى : « أَرْجِهْ وَأَخَاهُ »^(٦) . أي أمهله وأخره . وقيل إنما سموا بذلك لأنهم يقولون لاتضر مع الإيمان المعصية كما لاتنفع مع الكفر طاعة . وقد افترقوا خمس فرق :

أ - اليونسية^(٧) ، أصحاب يونس النميري^(٨) ، قالوا : الإيمان هو المعرفة بالله والخضوع ولايضر مع ذلك ترك الطاعات .

(١) انظر ما ذكر بشأنهم في الملل والنحل ج ١ ص / ١٣٦ .

(٢) الحارث بن يزيد الإباضي ، رأس الفرقة الحارثية ، خالف الإباضية في القدر ، وزعموا أن الاستطاعة قبل الفعل ، وأن أفعال العباد مخلوقة لله تعالى . انظر الملل والنحل ج ١ ص / ١٣٦ والفرق بين الفرق ص / ١٠٥ واللباب ج ١ ص / ٢٣ .

(٣) انظر مذهبهم ومقالاتهم ورفقهم في الملل والنحل ج ١ ص / ١٢٨ ... ومن مقالاتهم : إنهم يقولون تجب البراءة من الأطفال حتى يدعوا إلى الإسلام . وإن أطفال المشركين في النار مع آبائهم ، وغير ذلك .

(٤) عبدالرحمن وقيل عبدالكريم بن عجرد من أتباع عطية بن الأسود الحنفي ، في لسان العرب : العجودية من الحرورية ، ضرب ينسبون إليه ، والعجاردة صنف من الخوارج أصحاب عبدالكريم بن عجرد . انظر لسان العرب . لابن منظور ج ٣ ص / ٢٨١ والفرق بين الفرق . ص / ٩٣ .

(٥) انظر مذهبهم ومقالاتهم في الملل والنحل ج ١ ص / ١٣٩ .

(٦) سورة الأعراف من آية / ١١١ - سورة الشعراء من آية / ٣٦ .

(٧) انظر ما ذكر بشأنهم في الملل والنحل ج ١ ص / ١٤٠ .

(٨) يونس بن عون النميري ، رئيس الفرقة اليونسية من المرجئة ، زعم أن الإيمان هو المعرفة بالله ، والمحبة له ، والإقرار باللسان أنه واحد لا شريك له . وزعم أن إبليس كان عارفاً بالله وحده ، غير أنه كفر باستكباره عليه . انظر الملل والنحل ج ١ ص / ١٤٠ والفرق بين الفرق . ص / ٢٠٢ .

ب - العبدية^(١)، قبحهم الله، وقبح مقالهم .

ج - الغسانية^(٢)، أصحاب غسان الكوفي^(٣) يقولون: إن الله فرض الحج، ولا ندري أهذه الكعبة أم غيرها، وبعث محمداً لاندري أهو الذي بالمدينة أو غيره .

د - الثوبانية^(٤) أصحاب ثوبان المريجي .

هـ - والتومنية^(٥)، أصحاب أبي معاذ التومني^(٦)، ومن مقالاتهم أن السجود للصنم ليس كفراً بل علامة على الكفر، وتبعهم ابن الراوندي^(٧) وبشر المريسي^(٨) قبحهم الله تعالى^(٩) .

(١) أصحاب عبيد المكتتب، الذي يقول: إن ما دون الشرك مغفور لاحالة، وإن العبد إذا مات على التوحيد لا يضره ما اقترف من الآثام والسيئات. وزعم أن الله على صورة إنسان، وأن علم الله لم يزل شيئاً، وكذلك كلامه ودينه. انظر الملل والنحل ج ١ ص / ١٤٠ .

(٢) انظر ما ذكر بشأنهم في الملل والنحل ج ١ ص / ١٤١ .

(٣) غسان بن أبان، أبو الروح البيهقي، حدث قبل الماتنين، وهو رئيس الفرقة الغسانية من المرجئة، وانتسب إليه طائفة من مرجئة الكوفة، وزعم أن الإيثار هو الإقرار والمحبة وأنه يزيد ولا ينقص. وانظر ميزان الاعتدال ج ٣ ص / ٣٣٣. واللباب ج ٢ ص / ٣٨٢، والفرق بين الفرق ص / ٢٠٣ .

(٤) أصحاب ثوبان الذي يزعم أن الإيثار هو المعرفة والإقرار بالله ورسوله. وبكل ما يجوز في العقل أن يفعله وما جاز في العقل تركه فليس من الإيثار. انظر الملل والنحل ج ١ ص / ١٤٢ .

(٥) انظر ما ذكر بشأن هذه الفرق في الملل والنحل ج ١ ص / ١٤٤ .

(٦) أبو معاذ التومني - نسبة إلى تومن، قال: وطني أنها من قرى مصر - الله أعلم - وأبو معاذ رأس الطائفة التومنية، وهم من فرق المرجئة، زعموا أن الإيثار ما عصم من الكفر. انظر اللباب ج ١ ص / ٢٢٩ والفرق بين الفرق ص / ٢٠٣ .

(٧) أحمد بن يحيى بن إسحاق أبو الحسين الراوندي أحد مشاهير الزندقة، عادى القرآن وألحد فيه. صنف كتاباً في الرد على القرآن سماه الدفاع - وفي الرد على الرسول (ﷺ)، ووضع كتاباً لليهود والنصارى فضل دينهم على المسلمين والإسلام، يقال إنه هرب إلى ابن لاوى اليهودي ثم مات، ويقال إنه أخذ وصلب. ذكر ابن خلكان تاريخ وفاته في سنة خمس وأربعين ومائتين. والصحيح أنه توفي سنة ثمان وتسعين ومائتين. انظر البداية والنهاية والمنتظم ج ٦ ص / ٩٩ .

(٨) بشر بن غياث بن أبي كريمة، أبو عبد الرحمن المريسي، مولى زيد بن خطاب وهو من أصحاب الرأي، أخذ الفقه عن أبي يوسف القاضي إلا أنه اشتغل بالكلام وجرّد القول بخلق القرآن، وحكى عنه أقوالاً شنيعة ومذاهب مستنكرة، وكان رأس الطائفة المريسية من المعتزلة. مات في ذي الحجة سنة ثمان عشرة ومائتين، ويقال سنة تسع عشرة ومائتين. انظر تاريخ بغداد ج ٧ ص / ٥٦ .

(٩) لسم يذكر في نسخة د .

٥- الجبرية

ومن الفرق الكبار الجبرية^(١)، والجبر إسناد فعل العبد إلى الله، وهؤلاء يقولون بحدوث علمه تعالى بل لا يتصف بعلم ولا قدرة، ويقولون: بنفي رؤيته، وبخلق القرآن، وهؤلاء وافقوا الجهمية^(٢)، أصحاب جهنم بن صفوان^(٣)، فقالوا: لا قدرة للعبد يكتسب بها، بل هو بمنزلة الجمادات، فلذا لا يقولون: بخلود أحد في النار، بل ولا في الجنة، ويقولون: الجنة والنار يفنيان إذا دخل أهلها فيهما، فلا يبقى إلا الله.

٦- النجارية

ومن الفرق الكبار النجارية^(٤)، أصحاب الحسين بن محمد النجار^(٥)، وهؤلاء يوافقون المعتزلة على نفي الصفات، وحدوث الكلام، ونفي الرؤية. وفرقهم ثلاث:

أ- البرغونية^(٦)، ب- الزعفرانية^(٧)، ج- المستدركة^(٨).

أكثر هؤلاء يكفرون من لم يقل بخلق القرآن.

٧- المشبهة

ومن الفرق الكبار المشبهة^(٩)، شبهوا الله تعالى بالمخلوقات، ومثله بالحادثات، تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً، وهم فرقة واحدة، لأنهم وإن اختلفوا فالتشبيه يجمعهم، والمشبهة صفة تعميم.

-
- (١) انظر مآذرك بشأنهم في الملل والنحل ج ١ ص ٨٥.
(٢) هذه الفرقة إحدى فرق الجبرية كما ذكره الشهرستاني في الملل والنحل ج ١ ص ٨٦.
(٣) جهنم بن صفوان، من الجبرية الخالصة ظهرت بدعته بترمد، قتله سلم بن أحوز المازني بمرو في آخر ملك بني أمية، وافق المعتزلة في نفي الصفات الأزلية، وزاد عليهم بأشياء. انظر الملل والنحل ج ١ ص ٨٦.
(٤) اعتبر الشهرستاني هذه الفرقة من فرق الجبرية. انظر للمل والنحل ج ١ ص ٨٨.
(٥) في نسخ المخطوطة محمد بن الحسين النجار، والصواب ما أثبتناه كما في كتب التراجم، وهو الحسين بن محمد بن عبدالله الرازي، أبو عبدالله، رأس الفرقة النجارية من المعتزلة، كان حائكاً وقيل كان يعمل الموازين، له مع النظام عدة مناظرات، من مصنفاته البديل في الكلام، والمخلوق وإثبات الرسل والقضاء والقدر والثواب والعقاب وغير ذلك. انظر الباب ج ٣ ص ٢٩٨، والأعلام ج ٢ ص ٢٧٦.
(٦) انظر مآذرك بشأنهم في الملل والنحل ج ١ ص ٨٩.
(٧) انظر مآذرك بشأنهم في الملل والنحل ج ١ ص ١٠٣ و١٠٨.

فهذه فرق الأهواء والضلال، وشيع الغواة الضلال، الذين مرقوا من الملة الحنيفية، مروق السهم من الرمية، فليس لهم حظ ولا نصيب من الدين.

« وَأَتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أَتَّفَقُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ » (١).

« وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ » (٢).

« وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَهُمْ حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ » (٣).

وإنما أطلت بذكر هذه الفرق الضالة ليتبين حال أهل التوحيد والدين من حال أهل الزيغ والغبي والجهالة، ولأمور غير ذلك، أرجو أنها حسنة المسالك.

منها أن الموحد من أهل الدين إذا سمع أقوال هؤلاء المبطلين، جد في عبادة (٤) الله (٥) وحده على بصيرة ويقين.

منها أنه يزداد بذلك إيماناً ويدأب (٦) في الحمد والثناء على الله الذي أهله للهداية، ووفقه لطريق العناية فضلاً منه وإحساناً.

ومنها إظهار بطلان ما يقال في هذه الأزمنة والأعصار، من المعادين والمعاندين (٧) والقائمين في عداوة أهل هذه الدعوة والمساعدين، أن الرافضة ومن شابههم هم زناد الدين والهدى، ومن قام بإخلاص الدعوة لله تعالى هم أهل الضلال والردى، ومما يدل على أن هذا القيل كل رضىه، وطاب به قلباً، أن هؤلاء الفرق قد ملكوا البلدان شرقاً وغرباً، وجدوا فيمن قدروا عليه نهياً وسلباً، ولم نربل لم نسمع أن أحداً من الحكام الذين يدعون أنهم أهل السنة والجماعة، نصب لأحد من هذه الفرق حرباً، ولا قام ولا قعد (٨) في عداوتهم وألب عليهم الجيوش عجباً وعرباً، ولكن كما قال تعالى:

(١) سورة هود من آية / ١١٦ .

(٢) سورة النور آية / ٤٨ .

(٣) سورة التوبة من آية / ١١٥ .

(٤) في نسخة د. طاعة .

(٥) في نسخة ج. أ. لم يذكر لفظ الجلالة (الله) .

(٦) يدأب : يجتهد في العبادة والطاعة والحمد .

(٧) في نسخة ج. من المعاندين والمعينين، وفي نسخة د. من العائد والمعاندين

(٨) زيدت في نسخة ب. ج.

« كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ » (١).
« مَنْ يُضِلِّ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَيُذَرُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ » (٢).

٨ - الفرقة الناجية - فرقة الحق أهل الإسلام والإيمان

خاتمة في الفرقة الناجية من النيران، هم أهل الإسلام والإيمان الذين تمسكوا بسنة نبيهم واعتصموا بالقرآن، فنالوا بذلك رفيع الدرجات في الجنان. قال الله جل جلاله: « ذَلِكَ الْكِتَابُ لَارْتَبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ » (٣).
وقال تعالى: « فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشَقَى » (٤).

فوصف الله تعالى هذه الفرقة بالتقوى ثم بين في كثير من الآيات أن القرآن هدى لهم ورحمة وشفاء وبشارة، وأنهم لا يضلون في الدنيا ولا يشقون في الدنيا والآخرة.
وفي الحديث الصحيح عنه (ﷺ) أنه قال: (تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما: كتاب الله وسنة رسوله) (٥).

وعن أبي الدرداء - رضي الله عنه - أن رسول الله (ﷺ) قال: (لقد تركتكم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك) (٦).
وقال (ﷺ): (ما تركت من شيء يقرب إلى الجنة إلا وقد حدثتكم به، ولا شيء يقربكم من النار إلا وقد حدثتكم به).

وقد تقدم قبل هذا حديث العرياض، المتضمن لأمره (ﷺ) بالتمسك بسنته وسنة خلفائه الراشدين من بعده عند حصول الاختلاف والافتراق وحدوث المنازعة والشقاق.

(١) سورة الروم آية / ٥٩ .
(٢) سورة الأعراف آية / ١٨٦ .
(٣) سورة البقرة آية / ٢ .
(٤) سورة طه من آية / ١٢٣ .
(٥) رواه مالك في موطأه ج ٢ ص / ٨٩٩ كتاب القدر باب ١ حديث رقم ٣ عن جابر بن عبد الله .
(٦) رواه الإمام أحمد في مسنده ج ٤ ص / ١٢٦ ، كما رواه ابن ماجه في سننه ج ١ ص / ١٦ المقدمة باب ٦ ولكن من غير كلمة (المحجة) ، بهذا اللفظ رواه العرياض بن سارية ولكن حديث أبي الدرداء الذي رواه ابن ماجه في سننه ج ١ ص / ٤ المقدمة باب ١ بلفظ (لقد تركتكم على مثل البيضاء ليلها ونهارها سواء) .

فأما التمسك بالقرآن والاعتصام به، وأن مخالفته كفر، فهو معلوم من الدين بالضرورة وقد نطق بذلك القرآن والسنة، كما ذكرته قبل هذا، ومن ذلك قوله تعالى:

« اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ » (١).

وقال تعالى: « وَمَن يَكْفُرْ بِهِ مِّنَ الْأَحْزَابِ فَآلَتَارُ مَوْعِدُهُ » (٢).

وقال تعالى: « فَذَرْنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ » (٣).

وقد قدمت من دلائل الكتاب والسنة صدر هذا الفصل، مافيه كفاية وذكرى لكل ذي عقل. وقد خرج رزين بسنده عن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال: (نزل جبريل على رسول الله ﷺ) فأخبره أنها ستكون فتن، قال: فما المخرج منها يا جبريل؟ قال: (كتاب الله تعالى) (٤).

وقد روى مسلم عن زيد بن أرقم - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: (ألا وإني تارك فيكم ثقلين: أحدهما كتاب الله، وهو جبل الله الذي من اتبعه كان على الهدى، ومن تركه كان على الضلالة، وعترتي أهل بيتي) الحديث (٥).

وأما وجوب التمسك بسنة نبينا ﷺ وأن مخالفتها كفر، فمن المعلوم بالضرورة

(١) سورة الأعراف من آية / ٣.

(٢) سورة هود من آية / ١٧.

(٣) سورة القلم من آية / ٤٤.

(٤) انظر جامع الأصول ج ٨ ص / ٤٦٣ و ٤٦٤ حديث رقم ٦٢٣٢ ونص الحديث كما ذكر في جامع الأصول هو: عن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - قال: (نزل جبريل - عليه السلام - على عهد رسول الله ﷺ) فأخبره أنها ستكون فتن، قال: فما المخرج منها يا جبريل؟ قال: كتاب الله، فيه نبأ ما قبلكم، ونبأ ما هو كائن بعدكم، وفيه الحكم بينكم، وهو جبل الله المتين، وهو النور المبين، وهو الصراط المستقيم، وهو الشفاء النافع، عصمة لمن تمسك به ونجاة لمن اتبعه، لا يوجع فيقوم، ولا يزيغ فيستعجب، ولا يخلق على كثرة الرد، ولا تنقضي عجائبه، هل الذي لا تلتبس به الأهواء، وتشبع منه العلماء. هو الذي لم تتناه الجن إذا سمعته أن قالوا: « إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا يَهْدِي إِلَى الْرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ ». من وليه من جبار فحكم بغير ما فيه قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله. من قال به صدق ومن عمل أجر، ومن اتبعه هدي إلى صراط مستقيم).

(٥) انظر صحيح مسلم ج ٤ ص / ١٨٧٤ كتاب فضائل الصحابة حديث رقم ٣٧ (من غير عترتي) وانظر ص / ١٨٧٣ حديث رقم ٢٤٠٨ / ٣٦، وانظر جامع الترمذي ج ٥ ص / ٦٦٢ و ٦٦٣ كتاب المناقب باب ٣٢.

أيضاً ، والقرآن مصرح بذلك في آيات كثيرة، والأحاديث متواترة، وقد قدمت في هذا الفصل ما فيه مقنع لمن أراد أن يتبع سبيله الأرفع وأيضاً كل ما أمر به أو نهى عنه أو حُكِمَ به أو فعله فهو إما أن (١) يكون ذلك (٢) بالوحي النازل عليه، لأن الوحي كما ينزل بالقرآن ينزل بالسنة، إلا أنها لا تتلى كما يتلى القرآن. ولهذا قال (ﷺ): (إني أوتيت القرآن ومثله معه) (٣) يعني السنة.

وإما أن يكون ذلك ما فهمه (ﷺ) من القرآن، قال الله تعالى: « إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ بِالْكِتَابِ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ » (٤).

وقال سبحانه وتعالى: « وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ » (٥).

وقال جل جلاله: « وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَنْفَكِرُونَ » (٦).

وأما وجوب التمسك بعده بسنة خلفائه الراشدين والاقتراء بأصحابه - رضي الله عنهم أجمعين - فالذي تقدم في الآيات والأحاديث الصحيحة يدل على ذلك دلالة واضحة صريحة. وقد ورد الأمر بالتمسك بهديهم والاقتراء بهم خصوصاً وعموماً مما

(١) سقطت من نسخة ب.

(٢) زيدت في نسخة ج.

(٣) رواه الإمام أحمد في مسنده ج ٤ ص / ١٣١، كما رواه أبو داود في سننه ج ٤ ص / ٢٠٠ كتاب السنة باب لزوم السنة حديث رقم ٤٦٠٤ ولفظ أبي داود:

عن المقدم بن معديكرب عن رسول الله (ﷺ) أنه قال: (إني أوتيت الكتاب ومثله معه أليوشك رجل شبعان على أريكته يقول: عليكم بهذا القرآن فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه وما وجدتم فيه من حرام فحرموه، ألا لا يجل لكم (لحم) الخمار الأهلي وكل ذي ناب من السبع ولا لقطعة معاهد إلا أن يستغني عنها صاحبها، ومن نزل يقوم فعليه أن يقرؤه، فإن لم يقرؤه فله أن يعقبهم بمثل قراه. انظر سنن أبي داود ج ٤ ص / ٢٠٠ باب لزوم السنة حديث رقم / ٤٦٠٤.

(٤) سورة النساء من آية / ١٠٥.

(٥) سورة النحل آية / ٦٤.

(٦) سورة النحل من آية / ٤٤.

هو معلوم في كتب السنة، وقد قال (ﷺ): (أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم) (١).

وأيضاً فقد ثبت لهم النجاة والسلامة من النار والمعافاة، كما دل على ذلك كثير من الأحاديث والآيات. قال الله تعالى: «لَنْ يَكُنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ جَهْدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأَوْلِيَّكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ» (٢).

وقال تعالى: «وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ مِنْ الْمُهِجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ» (٣).

وقال تعالى: «لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ» (٤).

وقال تعالى: «يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشْرانُكُمُ الْيَوْمَ جَنَّتْ...» الآية (٥).

وقال سبحانه وتعالى: «لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا» (٦).

وقال تعالى: «ثُمَّ حَمَدُ رَسُولِ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رَحِمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا» (٧).

وقال تعالى: «يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ...» (٨).

(١) ذكره ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله ج ٢ ص / ٩١. وقال: قال أبو عمر: إسناد لا تقوم به حجة لأن الحرث بن غصين مجهول، كما ذكره محمد ناصر الدين الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة، ج ١ ص / ٧٨ حديث رقم / ٥٨ وانظر هامش العواصم من القواصم ص / ٣٣.

(٢) سورة التوبة آية / ٨٨.

(٣) سورة التوبة آية / ١٠٠.

(٤) سورة التوبة من آية / ١١٧.

(٥) سورة الحديد من آية / ١٢.

(٦) سورة الفتح آية / ١٨.

(٧) سورة الفتح من آية / ٢٩.

(٨) سورة التحريم من آية / ٨.

وقال تعالى : « وَكَلَّمَ اللَّهُ الْحُسَيْنَ » (١) .

والأحاديث الواردة في خصوص الآحاد، كالعشرة رضي الله عنهم (٢) والواردة في أهل بدر رضي الله عنهم (٣) ، وبيعة الرضوان (٤) وأهل أحد، أشهر من أن تذكر وأجل من أن تجحد وتنكر، وماورد في حقهم رضي الله عنهم عموماً فكثيرة أيضاً .
منها قوله (ﷺ) : (خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم) (٥) .

وقوله : (لاتسبوا أصحابي فلو أن أحدكم انفق مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه) (٦) .

ومنها قوله (ﷺ) : (الله في أصحابي لاتخذوهم غرضاً بعدي ، فمن أحبهم فبحبي أحبهم ، ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم ، ومن آذاهم فقد آذاني ، ومن آذاني

(١) سورة النساء من آية / ٩٥ .

(٢) العشرة المبشرون بالجنة كما في حديث سعيد بن زيد قال : (أشهد على رسول الله ﷺ) أي سمعته وهو يقول : (عشرة في الجنة : النبي في الجنة ، وأبو بكر في الجنة ، وعمر في الجنة ، وعثمان في الجنة ، وعلي في الجنة ، وطلحة في الجنة ، والزبير بن العوام في الجنة ، وسعد بن مالك في الجنة ، وعبدالرحمن بن عوف في الجنة) ولو شئت سميت العاشر . قال : قالوا : من هو؟ فسكت . قال : فقالوا : من هو؟ فقال : هو سعيد بن زيد .

(٣) أما ماورد في فضل أهل بدر فعن جابر ، أن عبداً لحاطب بن أبي بلتعة جاء رسول الله ﷺ يشكو حاطباً فقال : يارسول الله ليدخلن حاطب النار ، فقال رسول الله ﷺ : (كذبت لا يدخلها فإنه قد شهد بدرأ والحديبية) رواه الترمذي وقال : هذا حديث حسن صحيح . انظر جامع الترمذي ج ٥ ص / ٦٧٩ كتاب المناقب باب ٥٩ .
وما رواه أبو داود في سننه ج ٤ ص / ٣١٣ كتاب السنة حديث رقم ٤٦٥٤ عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : (فلعل الله اطلع على أهل بدر فقال : اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم) .

(٤) أما ماورد في أصحاب بيعة الرضوان ، ما رواه داود في سننه ج ٤ ص / ٣١٣ ، كتاب السنة حديث رقم ٤٦٥٣ عن جابر عن رسول الله ﷺ أنه قال : (لا يدخل النار من بايع تحت الشجرة) ، كما رواه الترمذي في جامعه ج ٥ ص / ٦٩٥ كتاب المناقب باب ٥٨ . وقال الترمذي هذا حديث حسن صحيح .

(٥) رواه البخاري في صحيحه ج ٤ ص / ١٨٩ كتاب أصحاب النبي باب ١ ص / ١٨٩ ، كما رواه مسلم في صحيحه ج ٤ ص / ١٩٦٢ و ١٩٦٥ كتاب فضائل الصحابة حديث رقم ٢١٠ و ٢١٦ / ٢٥٣٣ و ٢٥٣٦ روي عن عدد من الصحابة : أبي هريرة وعائشة وعبدالله وعمران بن حصين ، وأول الحديث (خير أمتي أو خير الناس كما رواه غيرهما) .

(٦) رواه البخاري في صحيحه ج ٤ ص / ١٩٥ كتاب أصحاب النبي باب ٥ ص / ١٩٥ ، كما رواه مسلم في صحيحه ج ٤ ص / ١٩٦٧ كتاب فضائل الصحابة حديث رقم ٢٢١ و ٢٢٢ و ١٥٤٥ و ٢٥٤١ كلاهما عن أبي سعيد الخدري ، كما روى هذا الحديث باقي أصحاب السنن .

فقد آذى الله ، ومن آذى الله فيوشك أن يأخذه(١) .

ومنها قوله (ﷺ): (إن الله اختار أصحابي على العالمين سوى النبيين والمرسلين)(٢) .

ومنها قوله (ﷺ): (من سب أصحابي فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين . لا يقبل منه صرفاً ولا عدلاً)(٣) .

ومنها ما رواه الترمذي عن جابر رضي الله عنه - قال - : قال رسول الله (ﷺ) (لا تمس النار مسلماً رأي أو رأى من رأي)(٤) .

وخرج مسلم عن أبي موسى حديث: (أنا أمنة لأصحابي ، فإذا ذهبت أتى أصحابي مايوعدون ، وأصحابي أمنة لأمتي ، فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي مايوعدون)(٥) .

وخرج الترمذي عن بريدة(٦) قال : قال رسول الله (ﷺ): (مامن أحد يموت من أصحابي بأرض إلا بعث لهم نوراً وقائداً يوم القيامة)(٧) .

(١) رواه أحمد في مسنده ج ٥ ص/ ٥٤ و ٥٧ . كما رواه الترمذي في جامعه ج ٥ ص/ ٦٩٦ باب ٥٩ (عن عبدالله بن المغفل) ، وقال الترمذي : هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه . والراوي هو عبدالله بن المغفل بن عبيد بن نهم أبو عبدالرحمن المزني ، صحابي بايع تحت الشجرة ، ونزل البصرة . مات سنة سبع وخمسين وقيل بعد ذلك . تقريب التهذيب ج ١ ص/ ٤٥٣ .

(٢) ذكر الهيثمي في مجمع الزوائد ج ١٠ ص/ ١٦ (عن جابر بن عبدالله) قال : رواه البزار ورجاله ثقات ، وفي بعضهم خلاف . وانظر السنة لابن أبي عاصم ج ٢ ص/ ٤٨٣ .

(٣) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ج ١ ص/ ٢١ (عن ابن عباس) . ولكن من غير (لا يقبل منه صرفاً ولا عدلاً) وقال : رواه الطبراني . وفيه عبدالله بن خراش ، وهو ضعيف . ولكن الهيثمي ذكر عجز الحديث (فمن سبهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل منه صرف ولا عدل) . قال : رواه الطبراني وفيه من لم أعرفه . وانظر السنة لابن أبي عاصم ج ٢ ص/ ٢٨٣ .

(٤) رواه الترمذي في جامعه ج ٥ ص/ ٦٩٤ كتاب المناقب باب ٥٧ . وقال : هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث موسى بن إبراهيم الأنصاري .

(٥) رواه مسلم في صحيحه ج ٤ ص/ ١٩٦١ كتاب فضائل الصحابة حديث رقم ٢٥٣١ / ٢٠٧ وأول الحديث (النجوم أمنة للساء) .

(٦) بريدة بن الحصيب بن عبدالله بن الحرث الأسلمي ، ويقال : إن اسمه عامر ، وبريدة لقب ، أسلم حين مر به النبي (ﷺ) مهاجراً بالغميم ، وقيل أسلم بعد منصرف النبي (ﷺ) من بدر ، سكن البصرة ، غزا مع النبي (ﷺ) ست عشرة غزوة ، غزا خراسان في زمن عثمان . ثم تحول إلى مرو فسكنها إلى أن مات في خلافة يزيد بن معاوية سنة ثلاث وستين . الإصابة ج ١ ص/ ١٤٦ .

(٧) رواه الترمذي في جامعه ج ٥ ص/ ٦٩٧ كتاب المناقب باب ٥٩ وقال : هذا حديث غريب .

ولولا أنهم على هديه المطهر، ودينه الذي أظهر، وشرعه الذي قدر، لما أمر أمته (ﷺ) بالتمسك بستتهم عند الاختلاف والافتراق، وحدوث النزاع في الدين والشقاق، وماذاك إلا أنهم اتبعوا سبيله وسيره، واقتفوا في أقوالهم وأفعالهم (١) أثره، والتزموا طريقه ومنهاجه، ورفعوا قواعد الدين ومهدوا فجاجه، حتى أضاءت بلوامع الحنيفية حوالك الآفاق، وأشرقت بقواطع مرهفاتهم كل الاشراق، وتلألأت بأنوار علومهم المغارب والمشارق، فأضحى بدر الدين بعد الأقول شارقاً، وأصل الزيف والضلال مستأصلاً زاهقاً (٢).

فمن تأمل آثارهم، وتدبر أحوالهم وأخبارهم، سيما عند النزاع والاختلاف، علم أنهم على السبيل الأعدل، والهدي الأكمل، وطريق الحق والإنصاف. ولقد جرى بينهم منازعة اجتهادية، في أمور ليست اعتقادية، فلم يعدلوا فيها عن السنة والكتاب بل كان ذلك فيما اختلفوا فيه فصل الخطاب، فلم (٣) يبغوا عن كتاب ربهم حولاً، ولا عن سنة نبيهم بدلاً، إذ لا قصد لهم سوى إقامة مراسم الصراط المستقيم، وإدامة مناهج الشرع القويم.

فمن ذلك اختلافهم عند قوله (ﷺ) في مرض موته: (اتتوني بقرطاس أكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعدي) حتى قال عمر - رضي الله عنه - إن رسول الله (ﷺ) قد غلبه الوجد حسبنا كتاب الله، وكثر اللغظ (٤) في ذلك حتى قال النبي (ﷺ): (قوموا عني لا ينبغي عندي التنازع) (٥).

(١) في نسخة ب. ج. في أفعالهم وأقوالهم.
(٢) في نسخ المخطوطة، شارق، مستأصل، وزاهق، والصواب ما أثبتناه لأنها خبر لأضحى، ولكن المؤلف وقف عليها مراعاة للسجع.
(٣) في نسخة ب. ج.، ولم.
(٤) اللغظ: الصوت والجلبة أو أصوات مبهمة. ترتيب قاموس المحيط ج ٤ ص/ ٥٤.
(٥) انظر صحيح البخاري ج ١ ص/ ٣٦ و ٣٧ كتاب العلم باب ٣٩، كما رواه مسلم في صحيحه ج ٣ ص/ ١٢٥٧ و ١٢٥٩ حديث رقم ٢٠ و ٢٢ / ١٦٣٧ (كلاهما عن ابن عباس)، ولفظ البخاري (اتتوني بكتاب ...) انظر الملل والنحل ج ١ ص/ ٢٢.

ومن ذلك اختلافهم في التخلف عن جيش أسامة^(١) - رضي الله عنه - فقال قوم^(٢) : بوجوب الاتباع لقوله (ﷺ) (جهزوا جيش أسامة) وقال قوم: بالتخلف انتظاراً لما يكون من أمر رسول الله (ﷺ)^(٣) في مرضه^(٤).

ومن ذلك اختلافهم في موته حتى قال عمر - رضي الله عنه - : من قال إن محمداً قد مات علوته بسيفي هذا^(٥)، وإنما رفع إلى السماء، كم رفع عيسى بن مريم. وقال أبو بكر - رضي الله عنه - من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات، ومن كان يعبد إله محمد فإنه حي لا يموت. وتلا قوله تعالى :

« وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإَيْنَ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ » (٦).

فرجع القوم إلى قوله، وقال عمر - رضي الله عنه - : كأني ماسمعت هذه الآية إلا الآن^(٧).

ومن ذلك اختلافهم في الإمامة، وفي ثبوت الإرث عن النبي (ﷺ) ورجوعهم للنصوص في ذلك^(٨).

ومن ذلك اختلافهم في قتال مانعي الزكاة حتى قال عمر - رضي الله عنه - : كيف نقاتلهم وقد قال - عليه الصلاة والسلام - : (أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله

(١) أسامة بن زيد بن حارثة بن شراحيل الكلبي، الحب بن الحب أبو محمد، ويقال: أبو زيد، أمه أم أيمن، حاضنة النبي (ﷺ)، أمره النبي (ﷺ) وسنه ثمانين عشرة أو عشرون سنة، فمات (ﷺ) قبل أن يتوجه، فأنفذه أبو بكر. اعتزل الفتن بعد قتل عثمان، وسكن المزة من أعمال دمشق، ثم وادي القرى، ثم المدينة، ومات بها بالجرف سنة أربع وخمسين، الإصابة ج ١ ص / ٣١.

(٢) سقطت من نسخة د.

(٣) في نسخة ج، عليه الصلاة والسلام.

(٤) انظر القصة في الملل والنحل ج ١ ص / ٢٣.

(٥) سقطت من نسخة ب. ج.

(٦) سورة آل عمران من آية / ١٤٤، ما بين المعقوفين ذكرته لإيضاح الاستشهاد بالآية.

(٧) انظر الملل والنحل للشهرستاني ج ١ ص / ٢٣ وانظر صحيح البخاري ج ٤ ص / ٧٠ كتاب الجنائز باب ٣.

(٨) انظر الملل والنحل ج ١ ص / ٢٤.

إلا الله، فإذا قالوها فقد عصموا مني دماءهم وأموالهم) فقال أبو بكر - رضي الله عنه - : أليس قال: (إلا بحقها). (ومن حقها إقام الصلاة وإيتاء الزكاة، ولو منعوني عقلاً أدوه إلى النبي ﷺ لقاتلتهم عليه)^(١).

ومن ذلك اختلافهم في تنصيب أبي بكر على عمر - رضي الله عنه - في الخلافة^(٢)، ثم في أمر الشورى حتى استقر الأمر على عثمان^(٣).

وقد وقع بينهم اختلاف في بعض أحكام فروعية كاختلافهم في الكلاله وميراث الجد مع الإخوة وعقل الأصابع وديات الأسنان^(٤)، وغير ذلك.

فهذا هديهم - رضي الله عنهم - في حال الوفاق، وشأنهم عند اختلاف الآراء والافتراق، الرجوع والرد إلى ما أمرهم الله تعالى عند التنازع بالرد إليه وندب إلى ذلك في كتابه وحثهم عليه.

فالفرقة الناجية من العذاب، الآمنة من فزع يوم الحساب، هم الذين سلكوا سنن الصواب، وحكموا فيما اختلفوا فيه السنة والكتاب، واقتفوا في ذلك منهج الأصحاب، وهم الذين : « إِذَا تَلَيْتَ عَلَيْهِمْ آيَتَهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا »^(٥)، وامتألت قلوبهم معرفة به سبحانه وتعالى وإيقاناً، فشدوا عقد الأعمال على الصواب إحكاماً وإتقاناً، وصيروا كتاب الله تعالى نوراً يستضيئون به في دجى^(٦) المشكلات وبرهاناً، فإن قصرت أفهامهم فلم يستخرجوا منه على مرادهم سلطاناً، ردوا إلى السنة التي جعلها الله تعالى إيضاحاً له وإيضاحاً لما اختلفوا فيه وتبياناً، وإلى عمل الصحابة الذين اقتبسوا من مشكاته ﷺ في حياته فاستظلوا بلآلئه أنواره بعد وفاته فهم أعلم بذلك وأحكم، واتباعهم يهدي للتي هي أقوم، ويرشد إلى الطريق الأسلم.

(١) انظر الملل والنحل ج ١ ص / ٢٥ كما ذكر البخاري في صحيحه تعليقاً ج ٨ ص / ١٦٢ و ١٦٣ كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة باب ٢٨.

(٢) انظر الملل والنحل ج ١ ص / ٢٥.

(٣) انظر المصدر السابق ج ١ ص / ٢٦.

(٤) انظر الملل والنحل ج ١ ص / ٢٥.

(٥) سورة الأنفال من آية / ٢.

(٦) الدجى : الظلام.

فمن اقتفى أثر نبيه (ﷺ) وهدى أصحابه، أدرك السعادة والنجاة في مآبه، وحاز الفوز والنجاح، وفاز بالحسنى والفلاح.

ومن اتخذ ذلك وراءه ظهيراً، وصير العمل بالكتاب والسنة شيئاً فرياً، وجعل دينه هواه، فقد أضله الشيطان وأغواه، واستبدل^(١) بالحق خرافات أهل البدع والأهواء، واختار على الصراط المستقيم، المنهج الأوغا.

خرج أبو داود عن أبي البخري^(٢) قال: حدثني من سمع النبي (ﷺ) قال: قال رسول الله (ﷺ): (لن يهلك الناس حتى يعذروا من أنفسهم)^(٣). ومعناه أن الله لن يهلكهم حتى تكثر ذنوبهم وعيوبهم وتقوم الحجة عليهم، ويتضح لهم عذر من يعاقبهم.

وهذه الفرقة التي أخبر النبي (ﷺ) بنجاتها من النار هي التي وعدّها بالظهور، والتمكين والانتصار، والقيام بأمره على الكفار، مستمرين في ذلك مدة الدهور، والأعصار، لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الملك القهار.

فقد روى البخاري بسنده عن حميد بن عبد الرحمن^(٤) قال: سمعت معاوية - رضي الله عنه - خطيباً يقول: سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: (من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين، وإنما أنا قاسم، والله يعطي، ولن تزال هذه الأمة قائمة على أمر الله تعالى، لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله [وهم ظاهرون])^(٥).

(١) في نسخة ب . جـ فاستبدل .

(٢) سعيد بن فيروز، أبو البخري، ابن أبي عمران الطائي، مولا هم الكوفي، ثقة ثبت . فيه تشيع قليل، كثير الإرسال . مات سنة ثلاث وثمانين . تقريب التهذيب جـ ١ ص/ ٣٠٣ .

(٣) رواه أبو داود في سننه جـ ٣ ص/ ١٢٥ كتاب الملاحم، باب الأمر والنهي .

(٤) حميد بن عبد الرحمن بن عوف الزهري، أبو إبراهيم، ويقال: أبو عبد الرحمن أو أبو عثمان المدني، روى عن أبيه وأمه «أم كلثوم» وعثمان ومعاوية وغيرهم . كان ثقة كثير الحديث . توفي سنة خمس وتسعين، وهو ابن ثلاث وسبعين . قال ابن سعد: توفي سنة خمس ومائة . انظر تهذيب التهذيب جـ ٣ ص/ ٤٥ .

(٥) انظر صحيح البخاري جـ ٤ ص/ ٤٩ كتاب فرض الخمس باب ٧، مع اختلاف بعض الألفاظ .

وخرج مسلم وأبو داود والترمذي عن ثوبان - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله (ﷺ): (إنما أخاف على أمتي الأئمة المضلين، وإذا وضع السيف في أمتي لم يرفع عنها إلى يوم القيامة، ولا تقوم الساعة حتى تلحق قبائل من أمتي بالمشركين، وحتى تعبد قبائل من أمتي الأوثان، وإنه سيكون في أمتي ثلاثون كذاباً كلهم يدعي أنه نبي، وأنا خاتم النبيين، لا نبي بعدي، ولا تزال طائفة من أمتي على الحق لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله) (١) وهم على ذلك.

واعلم أن الله جل جلاله قد أوجب على كل من دان الله تعالى بدين الإسلام واتبع سنة خير الأنام، لاسيما العلماء والأمراء والولاة والحكام، أن يدعوا الناس إلى التوحيد، الذي هو إفراد الله بالعبادة، وإخلاصها للملك الحميد، ويجاهدهم على مادانوا به، وراضت نفوسهم عليه من شرك التقريب والتقليد الذي يخلد صاحبه في العذاب الشديد.

قال الله تعالى: « قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ » (٢).

وقال جل جلاله (٣): « وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ » (٤).

وقال تعالى: « إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكُتُبِ أُولَٰئِكَ يُلَعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلَعَنُهُمُ اللَّعِنُونَ » (٥).

(١) صدر هذا الحديث رواه مسلم في صحيحه ج ٤ ص / ٢٢١٥ كتاب الفتن حديث رقم ١٩ / ٢٨٨٩، وأوله (إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقتها ومغارها)، كما روى هذا الحديث أبو داود في سننه ج ٤ ص / ٩٧ و ٩٨ كتاب الفتن والملاحم حديث رقم ٤٢٥٢ واللفظ له. ورواه أيضاً الترمذي في جامعه ج ٤ ص / ٥٠٤ كتاب الفتن باب ٥١ ماجاء في الأئمة المضلين. وأطرافه عند الترمذي في ص / ٤٩٠ باب ٣٢ و ص / ٤٩٨ باب ٤٣ ماجاء لاتفوم الساعة حتى يخرج كذابون. قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح.

(٢) سورة يوسف آية / ١٠٨ .
(٣) في نسخة د . تعالى .
(٤) سورة فصلت آية / ٣٣ .
(٥) سورة البقرة آية / ١٥٩ .

وقال سبحانه وتعالى : « وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ، فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَأَشْرَوْا بِهِ مِمَّا قَلِيلًا فِيمَسَّ مَا يَشْتَرُونَ » (١).
 وقال : « وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ » (٢).

وقد قال (ﷺ) : (لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من الدنيا وما فيها) (٣).

وقال (ﷺ) لعلي بن أبي طالب حين أعطاه الراية يوم خيبر : (فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم) (٤).

وخرج ابن ماجة عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله (ﷺ) :
 (أفضل الصدقة أن يتعلم المرء المسلم علماً ثم يعلم أخاه المسلم) (٥).

وإنما كان تعليم العلم أفضل أنواع الصدقة لأن الانتفاع به فوق الانتفاع بالمال لأنه ينفد ويفنى ، والعلم باق (٦).

وقال (ﷺ) : (ما من داع إلى هدى إلا كان له أجر من تبعه من غير أن ينقص من ثوابهم شيء) (٧).

(١) سورة آل عمران آية / ١٨٧ .
 (٢) سورة آل عمران آية / ١٠٤ .
 (٣) لفظ (خير لك من الدنيا وما فيها) لم أجده، ويظهر أنه نفس حديث علي الآتي وإنما ذكره المصنف بالمعنى .
 (٤) انظر صحيح البخاري ج ٤ ص / ٥ كتاب الجهاد باب ١٠٢ ، ص / ٢٠ كتاب الجهاد باب ١٤٣ وص / ٢٠٧ كتاب فضائل أصحاب النبي باب ٩ وج ٥ ص / ٧٧ كتاب المغازي باب ٣٨ ، كما رواه مسلم في صحيحه ج ٤ ص / ١٨٧٢ كتاب فضائل الصحابة حديث رقم ٢٤٠٦ / ٣٥ (عن سهل بن سعد) وهذا الحديث سقط من نسخة ج .
 (٥) انظر سنن ابن ماجة ج ١ ص / ٨٩ المقدمة باب ٢٠ (في الزوائد ، إسناده ضعيف ، فإسحاق بن إبراهيم ضعيف ، وكذلك يعقوب ، والحسن لم يسمع من أبي هريرة قاله غير واحد) .
 (٦) انظر فيض القدير - للمناوي ج ٢ ص / ٣٨ .
 (٧) رواه مسلم في صحيحه ج ٤ ص / ٢٠٦٠ كتاب العلم حديث رقم ١٦ / ٢٦٧٤ (عن أبي هريرة) ، كما رواه أصحاب السنن . فقد رواه الترمذي في جامعه ج ٥ ص / ٤٣ كتاب العلم باب ١٥ . رواه أبو داود في سننه ج ٤ ص / ٢٠١ كتاب السنة باب لزوم السنة . كما رواه ابن ماجة في سننه ج ١ ص / ٧٥ المقدمة باب ١٤ ولفظ الحديث (من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه ، لا ينقص من أجورهم شيئاً ، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه ، لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً) .

وخرج الشيخان وغيرهما عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : (لولا آيتان أنزلهما الله تعالى في كتابه ما حدثت شيئاً أبداً : « إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَأَهْدَى... » (١) .

وورد من طرق متعددة عنه (ﷺ) أنه قال : (من سئل عن علم فكتمه أجم يوم القيامة بلجام من نار) (٢) .

وقال علي - رضي الله عنه - : (مأخذ الله تعالى على أهل الجهل أن يتعلموا حتى أخذ على أهل العلم أن يعلموا) (٣) .

وخرج البخاري عن أبي موسى - رضي الله عنه - عن النبي (ﷺ) قال : (مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم، كمثل الغيث الكثير أصاب أرضاً، فكان منها نقيية قبلت الماء فأنبتت الكلاً والعشب الكثير، وكانت منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس، فشربوا وسقوا وزرعوا، وأصاب منها طائفة أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماء، ولا تنبت كلاً. فذلك مثل من فقه في دين الله، ونفعه بما بعثني الله تعالى به. فعلم وعلم، ومثل من لم يرفع بذلك رأساً ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به) (٤) .

والمراد بالعلم، العلم النافع للقلوب، الموصل إلى خير مطلوب، وهو ما جاء به الرسول (ﷺ) من الهدى الذي أعظمه التوحيد، وقد تضمن قوله تعالى : « إِنَّ الَّذِينَ

(١) انظر صحيح البخاري ج ١ ص/ ٣٧ كتاب العلم باب ٤٢ وج ٣ ص/ ٧٣ و ٧٤ كتاب الحرف باب ٢١، كما رواه مسلم في صحيحه ج ٤ ص/ ١٩٤٠ كتاب فضائل الصحابة حديث رقم ٢٤٩٢، انظر جامع الأصول ج ٨ ص/ ٢١

(٢) رواه أحمد في مسنده عن أبي هريرة ج ٢ ص/ ٢٦٣ و ٣٠٥ و ٣٤٤ و ٣٥٣ و ٤٩٥ . كما رواه ابن ماجه في سننه ج ١ ص/ ١٩٧ المقدمة باب ٢٤ ، كما رواه أبو داود في سننه ج ٣ ص/ ٣٢١ كتاب العلم باب كراهية منع العلم . كما رواه الترمذي في جامعه ج ٥ ص/ ٢٩ كتاب العلم باب ٣ ماجاء في كتاب العلم . وقال : حديث أبي هريرة حديث حسن .

(٣) انظر جامع بيان العلم وفضله ج ١ ص/ ١٢٣ . فقد ذكر عن علي ما في معنى هذا .

(٤) رواه البخاري في صحيحه ج ١ ص/ ٢٨ كتاب العلم باب ٢٠ ، كما رواه مسلم في صحيحه ج ٤ ص/ ١٧٨٧ حديث رقم ٢٢٨٢ / ١٥ .

يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَأَهْدَىٰ»^(١)، [أبلغ وعيد^(٢)، وأعظم زجر شديد، لمن كتم ذلك أو قصر فيما أمر به من القيام بالدعوة على العباد، وبذل الوسع في الاجتهاد، والحث على سبيل الرشاد، فمن دأب نفسه في ذلك نال الفوز والإسعاد، لأنه اقتفى أثر نبيه - عليه الصلاة والسلام - وهدى أصحابه وأتباعهم الذين سلكوا منهج السداد، ومن قصر فيه فقد فرط وخالف المنهاج النبوي وباء بالسخط واللعنة^(٣) والإبعاد. قال الله تعالى : « أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعِينُونَ »^(٤).

قال جل جلاله : « قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ »^(٥) أي قل يا محمد : هذه الدعوة التي أدعو جميع الناس إليها، والطريقة السوية التي أنا عليها « سَبِيلِي » أي سنتي، ومنهاجي القويم، « أَدْعُو إِلَى اللَّهِ » أي إلى توحيده الذي هو الصراط المستقيم، « عَلَىٰ بَصِيرَةٍ » أي على يقين ومعرفة أبين بها الحق والهدى، والضلال والردى، « أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي » أي من آمن بي وصدق، وعرف الإيثار وحقق، يدعو إلى مادعوت إليه، ويجاهد الآيين عليه، فظهر من هذا وبان أن الدعوة واجبة، وحق على كل إنسان يدعي أنه من أهل الإسلام والإيمان، وأنه متبع للسنة والقرآن، ولكن كل على حسب حاله في ذلك، إذ ليسوا سواءً في المراتب والمسالك. قال الحافظ العماد بن كثير في قوله تعالى : « وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ »^(٦) أي منتسبة للقيام بأمر الله في الدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. قال أبو جعفر الباقر: قرأ رسول الله ﷺ : « وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ » فقال: الخير اتباع القرآن وسنتي، رواه ابن مردويه، والمقصود من هذه الآية أن تكون فرقة من هذه الأمة متصدية لهذا الشأن وإن كان ذلك واجباً على كل فرد من هذه الأمة بحسبه. انتهى كلامه^(٧).

(١) سورة البقرة من آية / ١٥٩ .

(٢) من أول قوله : [أبلغ وعيد] إلى قوله : (لم تغض عليها قريحة لها في الفهم طول باع) سقطت من نسخة أ.

(٣) سقطت من نسخة د. (٤) سورة البقرة من آية / ١٥٩ .

(٥) سورة يوسف من آية / ١٠٨ . (٦) سورة آل عمران من آية / ١٠٤ .

(٧) انظر تفسير ابن كثير ج ١ ص / ٣٩٠ .

وهذا المقام مما ينبغي أن يتنافس فيه المتنافسون، ويعتني بشأنه الناصحون، ويرغب في تحصيل أجره الراغبون، « وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ » (١).

المدار في الأعمال على الإخلاص والاحتساب، فعليها يترتب القبول والثواب، وقد آن لجواهر عقد هذه اللآلئ أن تنتظم فرائدها في سلك الكمال، وحن لها أن ترسم غرراً في صفحات محيا الوجود، وتلتئم درراً يفوق نظامها العقود، وأذنت شمس بيانها أن تطلع غرباً وشرقاً، فتصبح نفوس أعدائها بكؤوس المشرقاً، مع أنها لم تغض عليها قريحة لها في الفهم طول باع]، ولا في العلم تبحرٌ وجودةٌ وسعةٌ اطلاع، بل فهم قليل، وذهن عليل، ومسحة من العلم قليل، ولكن إذا ساعدت الأقدار، رفعت الأغمار من الحضيض إلى البقاع، وسهلت معارج المصاعد إلى رقي مدارج المقاصد، ويسرت أسباب المطالب، وأنجحت الأمانى والرغائب فزالت عن المرء وصمة الانتضاع، وأرجو أن تكون إلى الصراط المستقيم داعية، وأن تعيها من الناس أذن واعية، ولهدم شبه المبطلين ساعية، فلا يكون لها إن شاء الله بعد هذه ارتفاع، وأن تكون في وجوه الضلال وسوماً، ولشياطين المشركين رجوماً، ولهداية المسلمين نجومياً، وأن يعم النفع بها والانتفاع، وأسأل من يسرها منه المعونة، وأن يجعلها من شوب الرياء مصونة، وأن يصيرها بالقبول مقرونة، وأن يحقق رجائي فيه يوم اشتداد الإفزاع، وأن يمن علي في الحياة باقتفاء سنة نبيه محمد (ﷺ) والاهتداء بهديه والاتباع، وأن يحشني في زمرة وأصحابه والأتباع، وأن لا يجعلني ممن ضل سعيه وبطل عمله وضاع.

أعوذ بك اللهم من علم لا ينفع، وقلب لا يخشع، ودعاء لا يسمع، ونفس لا تشبع، ونعوذ بك اللهم من شر هؤلاء الأربع، والحمد لله الذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

(١) سورة العنكبوت آية / ٤٣.

اللهم صل على محمدٍ وعلى آل محمدٍ كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم .
وبارك على محمدٍ وعلى آل محمدٍ، كما باركت على إبراهيم، في العالمين إنك حميدٌ مجيدٌ .

وكان الفراغ من جمع هذه الدرر، وتسطير هذه الغرر، في رابع يوم من صفر سنة
١٢١٦ ألف ومائتين وست عشرة أحسن الله تعالى لنا الختام وتجاوز عما اقترفناه من
الآثام، ولا آخذنا بما سعت الأقدام، وطمغت به الأقلام، وطفحت فيه الأفهام، فهو
أهل التقوى وأهل المغفرة، وأهل الفضل وقبول المعذرة، إنه على ما يشاء قدير^(١)،
وبعباده لطيف خبير .

(١) هذا الاستعمال صدر عن المؤلف عن حسن ظن لا عن اعتقاد أنه لا يقدر إلا على ما يشاء، وإلا فالله قادر على كل شيء ما يشاء وما لم يشأ .

الفهارس

- أ - فهرس الآيات القرآنية
- ب - فهرس الأحاديث
- ج - فهرس الآثار
- د - فهرس الأعلام
- هـ - فهرس المصادر والمراجع
- و - فهرس الموضوعات

أ - فهرس الآيات القرآنية

فهرس الآيات القرآنية

م	الآيات	السورة/ رقم الآية	الصفحة
حرف (الألف)			
١	أنتكم لتشهدون أن مع الله آلهة أخرى .	الأنعام / ١٩	١٤١
٢	ابتغاء مرضاة الله .	البقرة / ٢٠٧ و ٢٦٥	١٠٨
		النساء / ١١٤	
٣	اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم .	الأعراف / ٣	٢٧٤ / ٢٣٤
٤	اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله .	التوبة / ٣١	٢٠٢ / ١٥٤
٥	أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمناً .	العنكبوت / ٢	٥٦
٦	احشروا الذين ظلموا وأزواجهم وما كانوا يعبدون .	الصفات / ٢٢	٥٢
٧	ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة .	النحل / ١٢٥	١٨٠
٨	إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم .	الأنفال / ٩	١٥٣
٩	إذا لارتاب المبطلون .	العنكبوت / ٤٨	٢٣٧
١٠	اعملوا ما شئتم .	فصلت / ٤٠	١٠٥
١١	أفغير دين الله يبغون وله أسلم من في السموات والأرض .	آل عمران / ٨٣-٨٥	٦٧
١٢	أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله .	النساء / ٨٢	٥٥
١٣	أفمن زين له سوء عمله فرآه حسناً .	فاطر / ٨	٥٨
١٤	أفمن كان على بينة من ربه .	محمد / ١٤	١٣٤
١٥	إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى .	الليل / ٢٠	١٠٧
١٦	إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى .	النجم / ٢٦	٢٠٥
١٧	إلا من بعد ماجاءهم العلم .	الشورى / ١٤	٢٤٤
١٨	الله نزل أحسن الحديث كتاباً .	الزمر / ٢٣	١٨١
١٩	ألم أعهد إليكم يا بني آدم أن لاتعبدوا الشيطان .	يس / ٦٠	١٥٤
٢٠	ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة الله كفراً .	إبراهيم / ٢٨-٣٠	١٥٨
٢١	ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله .	الحديد / ١٦	١٨١ / ٧٥
٢٢	أم أبرموا أمراً فينا مبرمون .	الزخرف / ٧٩	٦١
٢٣	أم اتخذوا من دون الله شفعاء .	الزمر / ٤٣، ٤٤	٢٠٤

(تابع) فهرس الآيات القرآنية

م	الآيات	السورة/ رقم الآية	الصفحة
٢٤	أم لهم آلهة تمنعهم من دوننا .	الأنبياء / ٤٣	٥٢
٢٥	أم يقولون به جنة بل جاءهم بالحق .	المؤمنون / ٧٠	٥٥
٢٦	أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله .	الشورى / ٢١	١٩٩ / ١٥٧ / ١٤٠
٢٧	أم يحسبون أنا لانسمع سرهم ونجواهم .	الزخرف / ٨٠	١٥٨
٢٨	آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون .	البقرة / ٢٨٥	٨٢
٢٩	إن إبراهيم كان أمة قانتاً لله حنيفاً .	النحل / ١٢٠-١٢٣	٦٧
٣٠	إن الحكم إلا لله أمر ألا تعبدوا إلا إياه .	يوسف / ٤٠	٢٠٧
٣١	إن الدين عند الله الإسلام .	آل عمران / ١٩	٦٩
٣٢	إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات .	مريم / ٩٦	١٨٦
٣٣	إن الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم .	الأعراف / ١٩٤	٢٠٣
٣٤	إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم .	النساء / ٩٧	١١٠
٣٥	إن الذين سبقتمهم منا الحسنى .	الأنبياء / ١٠١	٦٤
٣٦	إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً .	الأنعام / ١٥٩	٢٤١ / ٢٢٤ / ٥٨
٣٧	إن الذين كفروا ينفقون أموالهم .	الأنفال / ٣٦	٦٢ / ٦١
٣٨	إن الذين يكتُمون ما أنزلنا من البينات والهدى	البقرة / ١٥٩	٢٨٥ / ٢٨٣ / ٥٩
٣٩	إن الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً .	النساء / ١٠٣	١١٩
٤٠	إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم .	التوبة / ١١١	١٢٦ / ٥٣
٤١	إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث .	لقمان / ٣٤	٩٥
٤٢	إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء .	النساء / ٤٨	١٨٤
٤٣	إن الله لا يغير ما بقوم .	الرعد / ١١	٢٠
٤٤	إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون .	النحل / ١٢٨	٧٦
٤٥	إن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم .	النساء / ١٤٢	١٦٩
٤٦	إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم	آل عمران / ١٧٣	١٥١
٤٧	إن ربك لبالمرصاد .	الفجر / ١٤	٩٣
٤٨	إن في اختلاف الليل والنهار وما خلق الله .	يونس / ٦	٥١

(تابع) فهرس الآيات القرآنية

م	الآيات	السورة/ رقم الآية	الصفحة
٤٩	إن كل من في السموات والأرض إلا آتى الرحمن عبداً .	مريم / ٩٣	٦٠
٥٠	إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم .	الإسراء / ٩	٢٢٣
٥١	إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس	النجم / ٢٣	١٣٤
٥٢	إننا أنزلنا إليك الكتاب بالحق .	النساء / ١٠٥	٢٧٥
٥٣	إننا وجدنا آباءنا على أمة .	الزخرف / ٢٢	١٩٩
٥٤	إنك ميت وإنهم ميتون .	الزمر / ٣٠ - ٣١	٦٣
٥٥	إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم .	الأنفال / ٢ - ٤	١٨٠ / ٧٥
٥٦	الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة .	البقرة / ٣ - ٤	١١٧ / ٨٢
٥٧	الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا	التوبة / ٢٠ - ٢١	١٢٦
٥٨	الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم	الأنعام / ٨٢	١٣٧
٥٩	إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله	النور / ٥١	١٧٧
٦٠	إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة .	المائدة / ٧٢	١٨٤
٦١	إنهم اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله .	الأعراف / ٣٠	١٤٤ / ٥٩
٦٢	إنهم ألفوا آباءهم ضالين فهم على آثارهم يهرعون .	الصفات / ٦٩ / ٧٠	١٩٩ / ١٣٩
٦٣	إنهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون .	الصفات / ٣٥ - ٣٦	٥٥
٦٤	إنهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا	الأنبياء / ٩٠	١٥٢
٦٥	إنهم لهم المنصورون وإن جنودنا لهم الغالبون .	الصفات / ١٧٢ / ١٧٣	٥٧
٦٦	أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة .	الإسراء / ٥٧	١٤١
٦٧	أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون .	البقرة / ١٥٩	٢٨٦
٦٨	أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب .	العنكبوت / ٥١	١٢٩
٦٩	إياك نعبدك وإياك نستعين .	الفاحة / ٥	١٣٨
٧٠	أيشركون ما لا يخلق شيئاً وهم يخلقون .	الأعراف / ١٩١	١٥٠
حرف (الباء)			
٧١	بل اتبع الذين ظلموا أهواءهم بغير علم	الروم / ٢٩	٢٤٧

(تابع) فهرس الآيات القرآنية

م	الآيات	السورة/ رقم الآية	الصفحة
٧٢	بل أتيناهم بذكرهم فهم عن ذكرهم معرضون .	المؤمنون / ٧١	٥٦
٧٣	بل الله فاعبد وكن من الشاكرين .	الزمر / ٦٦	١٠١
٧٤	بل قالوا إنا وجدنا آباءنا على أمة .	الزخرف / ٢٢	٦١
٧٥	بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا .	البقرة / ١٧٠	١٧٧
٧٦	بل يدها مبسوطة .	المائدة / ٦٤	١٤٦
٧٧	بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن .	البقرة / ١١٢	١٦٩/٩٠/٧٥
حرف (التاء)			
٧٨	تالله إن كنا لفي ضلال مبين .	الشعراء / ٩٧-٩٩	٥٢
٧٩	تبارك الذي نزل الفرقان على عبده .	الفرقان / ١	٢٢٣/٥٤
٨٠	ترجي من تشاء ممنهن وتؤوي إليك من تشاء .	الأحزاب / ٥١	٢٤٧
٨١	تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة .	الأنفال / ٦٧	١٠٧
٨٢	تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم .	الزمر / ١-٣	١٠١
حرف (التاء)			
٨٣	ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً .	النساء / ٦٥	١٣٧
حرف (الحاء)			
٨٤	الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً .	الكهف / ١-٣	٢٢٣
٨٥	الحمد لله الذي خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور .	الأنعام / ١	٥١
حرف (الذال)			
٨٦	ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين .	البقرة / ٢	٢٧٣
٨٧	ذلك بأنهم كرهوا ما أنزل الله .	محمد / ٩	١٣٤
٨٨	ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون .	البقرة / ٦١	١٣٣
		آل عمران / ١١٢	
		المائدة / ٧٨	

(تابع) فهرس الآيات القرآنية

م	الآيات	السورة/ رقم الآية	الصفحة
حرف (الشين)			
٨٩	شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً .	الشورى / ١٣ - ١٤	٢٠٠ / ١٤١ / ١٠٨
٩٠	شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم .	آل عمران / ١٨ - ١٩	٢٤٣ / ٢٢٤ ٦٧
حرف (الفاء)			
٩١	فأبي الظالمون إلا كفوراً .	الإسراء / ٩٩	٢١٤
٩٢	فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة .	البقرة / ٢٤	١٨٣
٩٣	فإذا اطمأننتم فأقيموا الصلاة .	النساء / ١٠٣	١١٧
٩٤	فادعوه مخلصين له الدين .	غافر / ٦٥	٢٠٧
٩٥	فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لاتعلمون .	الأنبياء / ٧	١٧٥
٩٦	فاستغاثه الذي من شيعته .	القصص / ١٥	٢٠٧
٩٧	فاتقوا الله ما استطعتم	التغابن / ١٦	٢٢٦
٩٨	فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل .	الأحقاف / ٣٥	٥٦
٩٩	فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم .	التوبة / ٥	٢٠٣ / ١١٧
١٠٠	فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه .	الأعراف / ١٥٧	٢٣٥ / ٢٢٢
١٠١	فإن أسلموا فقد اهتدوا وإن تولوا .	آل عمران / ٢٠	٧١
١٠٢	فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة .	التوبة / ١١	١١٧
١٠٣	فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك .	يونس / ٩٤	٢٣٤
١٠٤	فإن لم يستجيبوا لك فاعلم أنها يتبعون أهواءهم .	القصص / ٥٠	١٣٤
١٠٥	فبأي حديث بعد الله وآياته يؤمنون .	الجاثية / ٦	٦١
١٠٦	فبدل الذين ظلموا قولاً غير الذي قيل لهم .	البقرة / ٥٩	٢١١
١٠٧	فتول عنهم حتى حين وأبصرهم .	الأعراف / ١٦٢	٥٦
١٠٨	فذرني ومن يكذب بهذا الحديث .	الصفافات / ١٧٤ - ١٧٥	٢٧٤
١٠٩	فسوف يلقون غياً .	القلم / ٤٤	١٧٣
		مريم / ٥٩	

(تابع) فهرس الآيات القرآنية

م	الآيات	السورة/ رقم الآية	الصفحة
١١٠	فصل لربك وانحر .	الكوثر / ٢	١٥٠
١١١	فطرة الله التي فطر الناس عليها .	الروم / ٣٠	١٠٣
١١٢	فقد جاءكم بينة من ربكم وهدى ورحمة .	الأنعام / ١٥٧	٢٣٤ / ٢٢١
١١٣	فكذبوه فأخذهم العذاب وهم ظالمون .	النحل / ١١٣	٥٤
١١٤	فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين .	آل عمران / ١٧٥	١٥٢
١١٥	فلا تخشوا الناس واخشون .	المائدة / ٤٤	١٥٢
١١٦	فلا تلوموني ولوموا أنفسكم .	إبراهيم / ٢٢	٢٥٩
١١٧	فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم .	النساء / ٦٥	١٧١ / ١٣٥
١١٨	فلولا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قرباناً آلهة .	الأحقاف / ٢٨	١٣٢
١١٩	فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة .	التوبة / ١٢٢	٦٤
١٢٠	فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة .	النور / ٦٣	١٥٩ / ٩٣
١٢١	فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة .	النساء / ٧٤	١٢٥
١٢٢	فما أوتيتم من شيء فمتاع الحياة الدنيا .	الشورى / ٣٦	٦٥
١٢٣	فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون .	المؤمنون / ٧	١٤٠
١٢٤	فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى	طه / ١٢٣	٢٧٣ / ٢٤٥
١٢٥	فمن شهد منكم الشهر فليصمه .	البقرة / ١٨٥	١٢٣
١٢٦	فمن كان يري جوف لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً .	الكهف / ١١٠	١٧٠ / ١٥٢
١٢٧	فمنهم من آمن ومنهم من صد عنه	النساء / ٥٥	٥٥
١٢٨	فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه .	البقرة / ٢١٣	٢٤٠ / ٢٣٩
١٢٩	فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون .	الماعون / ٤ - ٧	١٧٠
١٣٠	في صدور الذين أوتوا العلم .	العنكبوت / ٤٩	٢٣٧
حرف (القاف)			
١٣١	قال أغير الله أبعيكم إلهاً .	الأعراف / ١٤٠	١٤٧
١٣٢	قال إنكم قوم تجهلون .	الأعراف / ١٣٨	١٤٧

(تابع) فهرس الآيات القرآنية

م	الآيات	السورة/ رقم الآية	الصفحة
١٣٣	قالوا أنؤمن لك واتبعك الأرذلون .	الشعراء / ١١١	٥٤
١٣٤	قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون .	الشعراء / ٧٤	١٩٩
١٣٥	قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون .	المؤمنون / ١-١١	١١٨
١٣٦	قل أنتبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الأرض .	يونس / ١٨	١٤٩
١٣٧	قل ادعوا الذين زعمتم من دونه .	الإسراء / ٥٦-٥٧	٢٠٢
١٣٨	قل أرأيتم إن أتاكم عذاب الله .	الأنعام / ٤٠-٤١	١٣٩ / ٦١
١٣٩	قل أرأيتم ماتدعون من دون الله .	الأحقاف / ٤	١٩٩ / ١٤٠
١٤٠	قل أعوذ برب الفلق .	الفلق / ١	١٥٣
١٤١	قل أغير الله أغبي رباً وهو رب كل شيء .	الأنعام / ١٦٤	٦٠
١٤٢	قل أفرأيتم ماتدعون من دون الله .	الزمر / ٣٨	٢١٦
١٤٣	قل أمر ربي بالقسط وأقيموا وجوهكم .	الأعراف / ٢٩	١٠١
١٤٤	قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين	الأنعام / ١٦٢-١٦٣	١٥٠ / ٨
١٤٥	قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم .	التوبة / ٢٤	١٣٦
١٤٦	قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله .	آل عمران / ٣١-٣٢	١٢٩
١٤٧	قل إني أمرت أن أعبد الله مخلصاً له الدين .	الزمر / ١١-١٧	١٠١
١٤٨	قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا .	الحجرات / ١٤	٨٦
١٤٩	قالوا ياموسى اجعل لنا إلهاً .	الأعراف / ١٣٨	١٤٧
١٥٠	قل تعالوا أتلو ما حرم ربكم عليكم .	الأنعام / ١٥١	٢٣٣
١٥١	قل تمتع بكفرك قليلاً .	الزمر / ٨	١٠٥
١٥٢	قل جاء الحق وما يبدىء الباطل وما يعيد .	سبأ / ٤٩	١٩٩
١٥٣	قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن .	الإسراء / ٨٨	٢٣٦ / ٥٥
١٥٤	قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضراً .	الأعراف / ١٨٨	٢١٦
١٥٥	قل لله الشفاعة جميعاً .	الزمر / ٤٤	٢٠٧
١٥٦	قل نزله روح القدس من ربك بالحق .	النحل / ١٠٢	٢٣٦ / ٢٢٢
			٢٣٧ /

(تابع) فهرس الآيات القرآنية

م	الآيات	السورة/ رقم الآية	الصفحة
١٥٧	قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة .	يوسف / ١٠٨	٢٨٦ / ٢٨٣
١٥٨	قل يأيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً .	الأعراف / ١٥٨	١٧١ / ٥٥
١٥٩	قل يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم .	المائدة / ٧٧	١٦٠
١٦٠	قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا .	البقرة / ١٣٦	٦٧
حرف (الكاف)			
١٦١	كان الناس أمة واحدة .	البقرة / ٢١٣	٢٣٨ / ٢٢٣
١٦٢	كتاب أنزل إليك فلا يكن في صدرك حرج .	الأعراف / ٢-٣	٢٣٤ / ٢٢٢
١٦٣	كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور	إبراهيم / ١	٢٢٢ / ١٧٢
١٦٤	كذلك زيننا لكل أمة عملهم .	الأنعام / ١٠٨	٥٩
١٦٥	كذلك يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون .	الروم / ٥٩	٢٧٣ / ١٣٩
١٦٦	كل حزب بما لديهم فرحون .	الروم / ٣٢	٢٤٣ / ٢٤١
١٦٧	كما بدأكم تعودون .	الأعراف / ٢٩	١٠٣
١٦٨	كما لهم آلهة .	الأعراف / ١٣٨	١٤٧
١٦٩	كنتم خير أمة أخرجت للناس .	آل عمران / ١١٠	٥٣
حرف (اللام)			
١٧٠	لا يسأل عما يفعل .	الأنبياء / ٢٣	١٠٤
١٧١	لقد جنتم شيئاً إداً .	مريم / ٨٩	٦٠
١٧٢	لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار .	التوبة / ١١٧	٢٧٦
١٧٣	لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة .	الفتح / ١٨	٢٧٦
١٧٤	لكن الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا بمواهم .	التوبة / ٨٨	٢٧٦ / ٥٦
١٧٥	لكن الله يشهد بما أنزل إليك أنزله بعلمه .	النساء / ١٦٦	٧٠
١٧٦	للذين أحسنوا الحسنى وزيادة .	يونس / ٢٦	٩٠ / ٧٦
١٧٧	لن يضروكم إلا أذى وإن يقاتلوكم .	آل عمران / ١١١	٦٢

(تابع) فهرس الآيات القرآنية

م	الآيات	السورة/ رقم الآية	الصفحة
١٧٨	لو كان فيهما آفة إلا الله لفسدتا .	الأنبياء / ٢٢	٥١
١٧٩	لولا ينهاهم الربانيون والأحبار عن قولهم الإثم .	المائدة / ٦٣	١٧٥
١٨٠	ليبلوكم أيكم أحسن عملاً .	الملك / ٢	١٠٨
١٨١	ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا	المائدة / ٩٣	٩٠/٧٥
حرف (الميم)			
١٨٢	ماكان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً .	آل عمران / ٦٧-٦٨	٦٧
١٨٣	ماكان حديثاً يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه .	يوسف / ١١١	٢٣٦ / ٢٢٢
١٨٤	ماكان محمد أباً أحد من رجالكم ولكن رسول الله .	الأحزاب / ٤٠	٥٤
١٨٥	مالكم من دونه من ولي ولا شفيع .	السجدة / ٤	٢٠٧ / ٢٠٤
١٨٦	مانعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى .	الزمر / ٣	٢٠١/١٣٢/٥٦
١٨٧	محمد رسول الله والذين معه .	الفتح / ٢٩	٢٧٦ / ١٤٢
١٨٨	من ذا الذي يشفع عنده إلا باذنه .	البقرة / ٢٥٥	٢٠٤
١٨٩	من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو .	النحل / ٩٧	٦٤
١٩٠	من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها .	هود / ١٥	١٠٧
١٩١	من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ماشاء .	الاسراء / ١٨-١٩	١٠٧
١٩٢	من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه .	الشورى / ٢٠	١٠٧
١٩٣	من يضل الله فلا هادي له	الأعراف / ١٨٦	٢٧٣
١٩٤	منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة .	آل عمران / ١٥٢	١٠٧
١٩٥	منيبين إليه واتقوه وأقيموا الصلاة .	الروم / ٣١-٣٢	٢٤٢/٢٢٤
حرف (النون)			
١٩٦	نسوا الله فأنساهم أنفسهم .	الحشر / ١٩	٢٤ / ١٨
حرف (الهاء)			
١٩٧	هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين .	الأنفال / ٦٢-٦٣	٢٣١
١٩٨	هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق .	التوبة / ٣٣	٥٤
١٩٩	هو أهل التقوى وأهل المغفرة .	الصف / ٩	١٨٣
٢٠٠	هو الذى خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن .	المدثر / ٥٦	١٠٤
		التغابن / ٢	

(تابع) فهرس الآيات القرآنية

م	الآيات	السورة/ رقم الآية	الصفحة
حرف (الواو)			
٢٠١	واتقوا الله الذي إليه تحشرون .	المائدة / ٩٦	١٨٢
٢٠٢	واتبع الذين ظلموا ما أترفوا فيه .	هود / ١١٦	٢٧٢
٢٠٣	واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم .	الزمر / ٥٥	٢٣٨ / ٢٢٣
٢٠٤	واتخذوا من دون الله آلهة لعلهم ينصرون .	يس / ٧٤ - ٧٥	٥٥
٢٠٥	واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله .	البقرة / ٢٨١	١٨٣
٢٠٦	واتقوا يوماً لا تجزي نفس عن نفس شيئاً .	البقرة / ٤٨ / ١٢٣	٢٠٥ / ١٨٣
٢٠٧	واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا .	الأعراف / ١٧٥ - ١٧٦	١٣٤
٢٠٨	وادع إلى ربك إنك لعلى هدى مستقيم .	الحج / ٦٧	١٧٢
٢٠٩	وإذ أخذ الله ميثاق الذين أتوا الكتاب .	آل عمران / ١٨٧	٢٨٤
٢١٠	وإذ قال الله ياعيسى بن مريم أأنت قلت للناس .	المائدة / ١١٦	٢٠٢
٢١١	وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً .	الأنفال / ٢	٢٨١
٢١٢	وإذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم .	النور / ٤٨	٢٧٢
٢١٣	وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع .	البقرة / ١٨٦	٩٢
٢١٤	وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول .	النساء / ٦١	١٧١
٢١٥	وإذا ما غضبوا هم يغفرون .	الشورى / ٣٧	٦٥
٢١٦	واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداءً	آل عمران / ١٠٣	٢٣٠
٢١٧	واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا .	الزخرف / ٤٥	١٤٣
٢١٨	واستعينوا بالصبر والصلاة .	البقرة / ٤٥ - ٤٦	١١٧
٢١٩	واستقم كما أمرت ولا تتبع أهواءهم .	الشورى / ١٥	١٣٤
٢٢٠	واعتصموا بحبل الله جميعاً .	آل عمران / ١٠٣	٢٢٧
٢٢١	وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفاً من الليل .	هود / ١١٤	١١٧
٢٢٢	وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة .	البقرة / ١١٠	١١٧
٢٢٣	وإذا مسكم الضر في البحر .	الإسراء / ٦٧	١٣٩

(تابع) فهرس الآيات القرآنية

م	الآيات	السورة/ رقم الآية	الصفحة
٢٢٤	وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين .	المائدة / ٢٣	١٥١
٢٢٥	والذين اتخذوا من دونه أولياء مانعدهم .	الزمر / ٣	٢٠١
٢٢٦	والذين آمنوا وعملوا الصالحات وآمنوا بما نزل على محمد .	محمد / ٢	١٣٥
٢٢٧	والذين جاؤوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر .	الحشر / ١٠	١٤٢
٢٢٨	والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة .	النور / ٣٩	١٦٩
٢٢٩	والذين كفروا لهم شراب من حميم .	يونس / ٤	١٤٩
٢٣٠	والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار .	التوبة / ١٠٠	٢٧٦
٢٣١	والسماوات مطويات بيمينه .	الزمر / ٦٧	١٤٦
٢٣٢	والله يدعو إلى دار السلام ويهدي من يشاء .	يونس / ٢٥	٧٤
٢٣٣	والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم .	البقرة / ٢١٣	٢١٩ / ١٩٥
٢٣٤	وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى .	النازعات / ٤٠ - ٤١	٢٤٧
٢٣٥	وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها .	طه / ١٣٢	١١٨
٢٣٦	وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله .	الأنعام / ١١٦	٢٣٥ / ١٥٠
٢٣٧	وإن تطيعوا الله ورسوله لا يلتمكم من أعمالكم شيئاً .	الحجرات / ١٤	٨٧
٢٣٨	وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم .	الأنعام / ١٢١	١٤٤
٢٣٩	وأن المساجد لله فلا تدعو مع الله أحداً .	الجن / ١٨	٢١٦ / ٦١
٢٤٠	وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه .	الأنعام / ١٥٣	٢٣٢ / ٢٢١
٢٤١	وأنذر به الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم .	الأنعام / ٥١	٢٠٧
٢٤٢	وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس .	البقرة / ٢١٣	٢٣٩
٢٤٣	وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس .	النحل / ٤٤	٢٧٥ / ١٢٩
٢٤٤	وانطلق الملائم منهم أن امشوا واصبروا على آهنتكم .	ص / ٦	٥٥
٢٤٥	وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم .	الشورى / ٥٢ - ٥٣	١٧٢
٢٤٦	وإنه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الأمين .	الشعراء / ١٩٢ - ١٩٤	٢٢٣
٢٤٧	وإنه لذكر لك ولقومك وسوف تسألون .	الزخرف / ٤٤	٢٤٨ / ٥٥

(تابع) فهرس الآيات القرآنية

م	الآيات	السورة/ رقم الآية	الصفحة
٢٤٨	وأنبؤوا إلى ربكم وأسلموا له .	الزمر / ٥٤	١٥٣
٢٤٩	وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون .	العنكبوت / ٤٣	٢٨٧
٢٥٠	وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون .	النور / ٣١	١٥٣
٢٥١	ويشر المحبتين الذين إذا ذكر الله .	الحج ٣٤ - ٣٥	١٨١
٢٥٢	وجدنا آباءنا لها عابدين .	الأنبياء / ٥٣	١٩٩
٢٥٣	وجعلنا من بين أيديهم سداً ومن خلفهم سداً .	يس / ٩	٦١
٢٥٤	وجوه يومئذ خاشعة .	الغاشية / ٢ - ٥	١٦٩
٢٥٥	وخافون إن كنتم مؤمنين .	آل عمران / ١٧٥	٧٥
٢٥٦	ورحمة ربك خير مما يجمعون .	الزخرف / ٣٢	٦٥
٢٥٧	وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون .	الشعراء / ٢٢٧	٢٤٣
٢٥٨	وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض .	النور / ٥٥	٥٨
٢٥٩	وعد الله لا يخلف الله وعده ولكن أكثر الناس لا يعلمون .	الروم / ٦	٢١٩ / ١٣٩
٢٦٠	وعظهم وقل لهم في أنفسهم قولاً بليغاً .	النساء / ٦٣	١٨٠
٢٦١	وعلى الله فليتوكل المؤمنون .	التوبة / ٥١	٧٥
٢٦٢	وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين .	المائدة / ٢٣	١٥١ / ٧٥
٢٦٣	وفضل الله المجاهدين على القاعدین أجراً عظيماً .	النساء / ٩٥ - ٩٦	١٢٦
٢٦٤	وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله .	الأنفال / ٣٩	٢٠٣
٢٦٥	وقال ربكم ادعوني أستجب لكم .	غافر / ٦٠	١٣٨
٢٦٦	وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباءً منثوراً .	الفرقان / ٢٣	١٦٨ / ١٠٢
٢٦٧	وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه .	الإسراء / ٢٣	٢٠٧
٢٦٨	وكلاً وعد الله الحسنى .	النساء / ٩٥	٢٧٧
٢٦٩	وكنتم على شفا حفرة من النار .	آل عمران / ١٠٣	٢٣١
٢٧٠	ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم .	المجادلة / ٧	٩٢
٢٧١	ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله .	ص / ٢٦	٢٤٧ / ١٩٥

(تابع) فهرس الآيات القرآنية

م	الآيات	السورة/ رقم الآية	الصفحة
٢٧٢	ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا .	آل عمران/ ١٦٩	٥٧
٢٧٣	ولا تحسبن الله غافلاً عما يعمل الظالمون .	إبراهيم/ ٤٢	١٥٨
٢٧٤	ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك .	يونس/ ١٠٦	٢١٦
٢٧٥	ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا .	آل عمران/ ١٠٥	٢٢٤
٢٧٦	ولا تنهوا في ابتغاء القوم .	النساء/ ١٠٤	٥٧
٢٧٧	ولا يستخفون من الله وهو معهم .	النساء/ ١٠٨	٩٢
٢٧٨	ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف .	آل عمران/ ١٠٤	٢٨٦ / ٢٨٤ / ٦٣
٢٧٩	ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله .	النحل/ ٣٦	٢٠٠ / ٧
٢٨٠	ولقد وصينا الذين أتوا الكتاب من قبلكم .	النساء/ ١٣١	١٨٢
٢٨١	ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر .	البقرة/ ١٧٧	٨٢
٢٨٢	وقالوا لا تذرنا آهتكم ولا تذرنا .	نوح/ ٢٣	٢١٢
٢٨٣	ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين .	الزمر/ ٧١	٢٤٤
٢٨٤	والله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً .	آل عمران/ ٩٧	١٢٤
٢٨٥	وله المثل الأعلى في السموات والأرض .	الروم/ ٢٧	٩١
٢٨٦	وله من في السموات والأرض .	الروم/ ٢٦	٥٢
٢٨٧	ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والأرض .	المؤمنون/ ٧١	١٣٤
٢٨٨	ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون	الأنعام/ ٨٨	١٤١
٢٨٩	ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤوك فاستغفروا الله .	النساء/ ٦٤	٢٠٨
٢٩٠	ولو جعلناه قرآناً أعجيباً لقالوا لولا فصلت آياته .	فصلت/ ٤٤	٢٣٨ / ٢٢٣
٢٩١	ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعاً .	يونس/ ٩٩	٢٤٤
٢٩٢	ولو شاء ربك ما فعلوه فذرهم وما يفترون .	الأنعام/ ١١٢	١٤٤
٢٩٣	ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً .	النساء/ ٨٢	٢٣٧
٢٩٤	وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا .	الحشر/ ٧	٢١٥ / ١٣٠
٢٩٥	وما اختلف الذين أتوا الكتاب إلا من بعد .	آل عمران/ ١٩	٢٢٤ / ٢١٩
٢٩٦	وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه إلى الله .	الشورى/ ١٠	١٧٦

(تابع) فهرس الآيات القرآنية

الصفحة	السورة/ رقم الآية	الآيات	م
١٧١ - ١٢٩	النساء / ٦٤ - ٦٥	وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله .	٢٩٧
١٤١	الأنبياء / ٢٥	وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحى إليه .	٢٩٨
٢٣٥	يوسف / ١٠٣	وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين .	٢٩٩
١٦٠	هود / ٩٧	وما أمر فرعون برشيد .	٣٠٠
٢٠٧ / ١١٨ / ١٠١	البينة / ٥	وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين .	٣٠١
٢٧٥ / ١٢٩	النحل / ٦٤	وما أنزلنا عليك الكتاب إلا لتبين لهم .	٣٠٢
١٥١	البقرة / ٢٧٠	وما أنفقتم من نفقة أو نذرتم من نذر .	٣٠٣
١٥٥	الإنسان / ٣٠	وماتشاؤون إلا أن يشاء الله .	٣٠٤
٢٣٧ / ١٥٠	يونس / ١٠١	وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون .	٣٠٥
٢٤٣ / ٢٢٤	البينة / ٤	وماتفرق الذين أتوا الكتاب إلا من بعد ماجاءتهم البينة .	٣٠٦
١٠٨	البقرة / ٢٧٢	وماتنشقون إلا ابتغاء وجه الله .	٣٠٧
٥٨	الأنبياء / ٣٤	وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد .	٣٠٨
٢٧٢ / ١٤٠	التوبة / ١١٥	وما كان الله ليضل قوماً بعد إذ هداهم .	٣٠٩
٥٧	الأنفال / ٣٣	وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم .	٣١٠
٥٣	القصص / ٥٩	وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث في أمها رسولاً .	٣١١
١٧٢ / ١٣٥	الأحزاب / ٣٦	وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً .	٣١٢
٢٠٠ / ٥٣	الذاريات / ٥٦	وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون .	٣١٣
٦٣	هود / ١١٧	وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون .	٣١٤
٢٣٧ / ٢٢٣	العنكبوت / ٤٨ - ٤٩	وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تحطه بيمينك .	٣١٥
٦٣ / ٦٢	إبراهيم / ١٢	ومالنا ألا نتوكل على الله وقد هدانا سبيلنا .	٣١٦
٢٥٩	الرعد / ١١	وما لهم من دونه من آل .	٣١٧
٢٨٠	آل عمران / ١٤٤	وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل .	٣١٨
٢٣٥ / ٥٤	يوسف / ١٠٦	وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون .	٣١٩
٢٣٧	العنكبوت / ٤٩	وما يجحد بآياتنا إلا الظالمون .	٣٢٠

(تابع) فهرس الآيات القرآنية

م	الآيات	السورة/ رقم الآية	الصفحة
٣٢١	وما يعلم جنود ربك إلا هو .	المدثر / ٣١	٨٢
٣٢٢	وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى .	النجم / ٣ - ٥	١٧٩ / ١٤٦
٣٢٣	ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً .	فصلت / ٣٣	٢٨٣
٣٢٤	ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له .	الأحقاف / ٥	١٤٣ / ٦١
٣٢٥	ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه ثم أعرض عنها .	السجدة / ٢٢	٦١
٣٢٦	ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً .	البقرة / ١٦٥	١٣٣
٣٢٧	ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله .	البقرة / ٢٠٧	٢٦٧
٣٢٨	ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا .	البقرة / ٢٠٤	٢٦٧
٣٢٩	ومن يتبع غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه .	آل عمران / ٨٥	٧٤ / ٧١ / ٧٠ / ٧
٣٣٠	ومن يتوكل على الله فهو حسبه .	الطلاق / ٣	١٥١
٣٣١	ومن يدع مع الله إلهاً آخر لا برهان له به .	المؤمنون / ١١٧	٢٠٣
٣٣٢	ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه .	البقرة / ١٣٠ - ١٣٢	٦٧
٣٣٣	ومن يسلم وجهه إلى الله وهو محسن .	لقمان / ٢٢	٧٦
٣٣٤	ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى .	النساء / ١١٥	٢٤٦ / ١٧٨ / ١٧١
٣٣٥	ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم .	النساء / ٦٩	١٢٩
٣٣٦	ومن يطع ورسوله يدخله جنات .	النساء / ١٣	١٢٩
٣٣٧	ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطاناً .	الفتح / ١٧	
٣٣٨	ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضات الله .	الزخرف / ٣٦ - ٣٧	٥٩
٣٣٩	ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الأرض مراغماً كثيراً .	النساء / ١١٤	١٠٨
٣٤٠	ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء وهدى .	النساء / ١٠٠	١١٢
٣٤١	ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به .	النحل / ٨٩	٢٣٦ / ٢٢٢
٣٤٢	وهذا صراط ربك مستقيماً .	الأنعام / ١١٠	١٤٩
٣٤٣	ومن يكفر به من الأحزاب فالنار موعده .	الأنعام / ١٢٦	٢٢١
٣٤٣	ومن يكفر به من الأحزاب فالنار موعده .	هود / ١٧	٢٧٤

(تابع) فهرس الآيات القرآنية

م	الآيات	السورة/ رقم الآية	الصفحة
٣٤٤	وهذا كتاب أنزلناه مبارك فاتبعوه .	الأنعام / ١٥٥	٢٣٤ / ٢٢١
٣٤٥	وهما يستغيثان الله ويملك آمن .	الأحقاف / ١٧	١٥٣
٣٤٦	وهو الله في السموات وفي الأرض .	الأنعام / ٣	٥١
٣٤٧	وهو الله لا إله إلا هو له الحمد .	القصص / ٧٠	٥٢
٣٤٨	وهو فضلكم على العالمين .	الأعراف / ١٤٠	١٤٨
٣٤٩	وهو معكم أين ما كنتم .	الحديد / ٤	٩٢
٣٥٠	ووجدك عائلاً فأغنى .	الضحى / ٨	٩٥
٣٥١	ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب .	البقرة / ١٣٢	٥٤
٣٥٢	ويأبى الله إلا أن يتم نوره .	التوبة / ٣٢	١٣٩
٣٥٣	ويحذركم الله نفسه .	آل عمران / ٢٨ و ٣٠	٢٤٢ / ١٨٣
٣٥٤	يعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم .	يونس / ١٨	٢٠١
٣٥٥	يعبدون من دون الله ما لا يملك لهم رزقاً .	النحل / ٧٣	١٤٣
٣٥٦	ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله .	يونس / ١٨	٥٥
حرف (ياء)			
٣٥٧	يأبى لا تعبد الشيطان .	مريم / ٤٤	١٥٤
٣٥٨	يأتيها النفس المطمئنة يرجع إلى ربك .	الفجر / ٢٧-٢٨	٢٠٩
٣٥٩	يأيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته .	آل عمران / ١٠٢-١٠٣	٢٢٦ / ٢٢١
٣٦٠	يأيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة .	المائدة / ٣٥	١٤٠
٣٦١	يأيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد .	الحشر / ١٨	١٨٢
٣٦٢	يأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول .	النساء / ٥٩	١٧١
٣٦٣	يأيها الذين آمنوا أنفقوا مما رزقناكم من قبل .	البقرة / ٢٥٤	٢٠٥
٣٦٤	يأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام .	البقرة / ١٨٣	١٢٣
٣٦٥	يأيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم .	الصف / ١٠-١١	١٢٦
٣٦٦	يأيها الناس قد جاءكم الحق من ربكم .	يونس / ١٠٨	٢٢٢
٣٦٧	يأيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم .	النساء / ١٧٤-١٧٥	٢٣١ / ٢٢١ / ١٧١

(تابع) فهرس الآيات القرآنية

الصفحة	السورة/ رقم الآية	الآيات	م
٢٣٥ / ٢٢٢	يونس / ٥٧ - ٥٨	يأبها الناس قد جاءكم موعظة من ربكم .	٣٦٨
١٧٢	الأحزاب / ٤٥ - ٤٦	يأبها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً .	٣٦٩
٦٠	الزخرف / ٦٨ - ٧٠	ياعباد لاخوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون .	٣٧٠
٥٦	التوبة / ٢١	ييشرهم ربهم برحمة منه ورضوان .	٣٧١
٥٣	آل عمران / ١٦٤	يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب .	٣٧٢
	الجمعة / ٢		
١٤٦	الفتح / ١٠	يد الله فوق أيديهم .	٣٧٣
٩٥	الأعراف / ١٨٧	يسألونك عن الساعة أيان مرساها .	٣٧٤
١٧٧	النساء / ٦١	يصدون عنك صوداً .	٣٧٥
٨	الصف / ٨	يريدون ليطفئوا نور الله .	٣٧٦
٢١٩	التوبة / ٣٢	يريدون أن يطفئوا نور الله .	٣٧٧
٥١	النحل / ٢	ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء .	٣٧٨
٢٧٦	الحديد / ١٢	يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم .	٣٧٩
٢٧٦	التحريم / ٨	يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه .	٣٨٠
٧	المائدة / ٣	اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم .	٣٨١
٢٠٥	طه / ١٠٩	يومئذ لا تنفع الشفاعة إلا من أذن له الرحمن .	٣٨٢
٢٤٣	هود / ٩٨	يقدم قومه يوم القيامة .	٣٨٣

ب - فهرس الأحاديث

فهرس الأحاديث

الصفحة	الحديث	م
	حرف (الألف)	
٢٠٥	أتاني آت من عند ربي فخيرني .	١
١٨٥	اتق الله حيثما كنت .	٢
١٨٦	اتق الله فيما تعلم .	٣
١٨٧	اتقوا الله وصلوا خمسكم .	٤
١٥٥	أجعلتني لله نداءً .	٥
١٣٦	أحبوا الله من كل قلوبكم .	٦
١٥٣	احرص على ما ينفعك .	٧
١٨٦	إذا أحب الله تعالى عبداً .	٨
١١٥	إذا جمع الله الأولين والآخرين ليوم لا ريب فيه .	٩
٢٥١	إذا رأيتم الذين يجادلون فيه	١٠
١٥٣	إذا سألت فأسأل الله .	١١
١٢٢	إذا قرأ ابن آدم السجدة اعتزل الشيطان .	١٢
١٥١	إذا وقعتم في الأمر العظيم فقولوا حسبنا الله .	١٣
١٢٥	أربع فرضهن الله في الإسلام .	١٤
٢٠٥	أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة .	١٥
١٧٨	اسق يازبير ثم احبس الماء حتى يرجع إلى الجدر .	١٦
١٨٨	اسمعوا وأطيعوا وإن استعمل عليكم عبد حبشي .	١٧
٢٧٦	أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم .	١٨
٩١	اعبد الله كأنك تراه .	١٩
٢٤٩	افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة .	٢٠
٢٤٩	افترقت بنو إسرائيل على ثنتين وسبعين فرقة .	٢١
١٢٦	أفضل الأعمال الإيثار بالله ورسوله .	٢٢
٩١	أفضل الإيثار أن تعلم أن الله معك حيث كنت .	٢٣
١٦٢	أفطر الحاجم والمحجوم .	٢٤
٢٨٤	أفضل الصدقة أن يتعلم المرء المسلم علماً .	٢٥
٢٥٠	ألا إن من كان قبلكم من أهل الكتاب افترقوا .	٢٦

(تابع) فهرس الأحاديث

الصفحة	الحديث	م
٢٧٤	ألا وإني تارك فيكم ثقلين .	٢٧
٧٦	الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله .	٢٨
٨٠	الاعتمار والغسل من الجنابة .	٢٩
٨٤	الإيمان بضع وسبعون شعبة .	٣٠
٧٩	البسوا البياض وكفنوا فيه موتاكم .	٣١
٧٩	البسوا من ثيابكم البياض .	٣٢
٢٧٧	الله الله في أصحابي لاتخذوهم غرضاً .	٣٣
١٤٤	الله أكبر إنها السنن .	٣٤
١٣٣	اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل .	٣٥
٢١٢	اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد .	٣٦
٢٤٨	ألم أجدكم ضلالاً فهداكم الله بي .	٣٧
١٥٤	اليسوا يحرمون ما أحل الله .	٣٨
١٦٤	أمر رسول الله (ﷺ) من باع صاع تمر .	٣٩
٢٨٠	أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله .	٤٠
٨٤	أمركم بأربع : الإيمان بالله .	٤١
٩٢	إن أحدكم إذا قام يصلي فإنما يناجي ربه .	٤٢
٨٦	إن الحلال بين والحرام بين .	٤٣
٢٧٨	إن الله اختار أصحابي على العالمين .	٤٤
٩٢	إن الله قبل وجهه إذا صلى .	٤٥
٢٤٥ / ٢٢٥	إن الله يرضى لكم ثلاثاً ويسخط لكم ثلاثاً .	٤٦
٢٢٩	إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواماً .	٤٧
٩٢	إن الله ينصب وجهه لوجه عبده في صلاته .	٤٨
١٥٥	إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم .	٤٩
٢٤٦ / ٢٢٦	إن أهل الكتاب افترقوا في دينهم	٥٠
١٦٥	إن النبي (ﷺ) أعطاه ديناراً يشتري بها شاة .	٥١
١١٥	إن أول الناس يقضى يوم القيامة عليه .	٥٢
٨١	أن تطعم الطعام وتقرأ السلام	٥٣

(تابع) فهرس الأحاديث

الصفحة	الحديث	م
١٨٨	إن خليلي (ﷺ) أوصاني أن أسمع وأطيع .	٥٤
١٩٢	إن خير الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد .	٥٥
١٢٧	إن رأس الأمر الإسلام وعموده الصلاة .	٥٦
	إن رسول الله (ﷺ) وصف أناساً .	٥٧
١١٥ / ١١٤	إن قاتلت صابراً محتسباً بعثك الله صابراً .	٥٨
٨١	إن للإسلام ضوءاً أو مناراً كمنار الطريق .	٥٩
٢٢٩	إن لكل شيء شرفاً يتباهون به .	٦٠
٩٧	إن من أشراط الساعة أن يرفع العلم .	٦١
٩٨	إن من أشراط الساعة أن يوضع الخيار .	٦٢
٢١٣	إن من شرار أمتي من تدرکہم الساعة وهم أحياء .	٦٣
٢٤٤ / ٢٢٥	إن هذا القرآن هو حبل الله المتين .	٦٤
٨٥	أن يسلم قلبك لله عز وجل .	٦٥
٨٨	أن يسلم قلبك لله وأن توجه .	٦٦
١٥٢ / ١١٣	أنا أغنى الشركاء عن الشرك .	٦٧
٢٧٨	أنا أمانة لأصحابي .	٦٨
١٨٣	أنا أهل أن أتقى ، فمن اتقاني .	٦٩
١١١	أنا بريء من كل مسلم أقام بين ظهراي المشركين .	٧٠
٩٣	أنا مع عبدي إذا ذكرني .	٧١
٩٢	إنكم لاتدعون أصم ولا غائباً .	٧٢
٢٨٣	أنا أخاف على أمتي الأئمة المضلين .	٧٣
١٠٣	إنما الأعمال بالخواتيم .	٧٤
١٠٥ / ١٠١	إنما الأعمال بالنيات .	٧٥
١٨٩	إنما الطاعة في المعروف .	٧٦
١٠٨	إنما يبعث المقتتلون على النيات .	٧٧
١٩١	إنه سيحدث بعدي أشياء فأحبها إلي .	٧٨
١٤٢	إنه لا يؤمن أحدكم حتى يكون الله ورسوله أحب إليه .	٧٩
١٥٣	إنه لا يستغاث به وإنما يستغاث بالله .	٨٠

(تابع) فهرس الأحاديث

الصفحة	الحديث	م
٢٥٧	إنه لم يكن نبي قبلي إلا كان عليه أن يدل أمته .	٨١
٩٧	أنه يقبض العلم بقبض العلماء .	٨٢
٢١١	إنها السنن لتركين سنن من كان قبلكم .	٨٣
٢٤١	إنهم الخوارج .	٨٤
٢٥٥	أنهم كلاب النار .	٨٥
٢١٣	إني أبرأ إلى الله أن يكون لي منكم خليل .	٨٦
٢٠٥	إني آتي تحت العرش فأخر الله ساجداً .	٨٧
٢٧٥	إني أوتيت القرآن ومثله معه .	٨٨
٩٠	أوصاني خليلي رسول الله (ﷺ) أن أخشى الله .	٨٩
١٨٥	أوصيك بتقوى الله فإنها رأس كل أمر	٩٠
١٨٥	أوصيك بتقوى الله فإنها رأس الأمر كله .	٩١
١٧٢	أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة .	٩٢
٢١٢	إياكم والغلو فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو .	٩٣
٢٣٣	أيكم يبايعني على هؤلاء الآيات الثلاث .	٩٤
٢٧٩	اثنوني بقرطاس أكتب لكم .	٩٥
حرف (الباء)		
٢١٨	بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ .	٩٦
٢١٨	بدأ الدين غريباً وسيعود غريباً كما بدأ .	٩٧
١١٣	بشر هذه الأمة بالسنة والرفعة .	٩٨
١١٨ / ٨٠	بني الإسلام على خمس .	٩٩
١٢٠	بني الإسلام على خمس إيمان بالله ورسوله .	١٠٠
١٢١	بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة .	١٠١
٩٧	بين يدي الساعة ستون خداعة .	١٠٢
حرف (التاء)		
٧٤	تجيء الأعمال يوم القيامة .	١٠٣
٢٥٢	تخرج خارجة من أمتي .	١٠٤
٢٧٣	تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكنم بهما .	١٠٥
١٢٦	تكفل الله للمجاهد في سبيله أن يدخله الجنة .	١٠٦

(تابع) فهرس الأحاديث

الصفحة	الحديث	م
١١٥	تلك عاجل بشرى المؤمن .	١٠٧
	حرف (الثاء)	
٨٩	ثلاث لا يغفل عليهم قلب مسلم .	١٠٨
٢٤٥	ثلاث لا يغفل عليهم قلب امرئ مسلم .	١٠٩
٨٩	ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان .	١١٠
٩٢ / ٩١	ثلاثة في ظل الله يوم القيامة .	١١١
	حرف (الجيم والحاء)	
٢٨٠	جهزوا جيش أسامة .	١١٢
١٥١	حسبنا الله قالها إبراهيم حين ألقي في النار .	١١٣
	حرف (الحاء)	
٢٣٣	خط لنا رسول الله (ﷺ) خطاً بيده ثم قال : هذا سبيل الله مستقيماً .	١١٤
١٠٣	خلقت عبادي حنفاء .	١١٥
٢٧٧	خير القرون قرني ثم الذين يلونهم .	١١٦
١٩٠	الخلافة بعدي ثلاثون سنة .	١١٧
٢٥١	الخوارج كلاب أهل النار .	١١٨
	حرف (الذال)	
١٣٨	الدعاء مخ العبادة .	١١٩
١٣٨	الدعاء هو العبادة .	١٢٠
٢٤٥	الدين النصيحة .	١٢١
	حرف (الذال)	
٨٩ / ٧	ذاق طعم الإيمان من رضي بالله رباً .	١٢٢
	حرف (الراء)	
١٢٢	رأس الأمر الإسلام وعموده الصلاة .	١٢٣
	حرف (السين)	
٩٩	ستشرفون مساجدكم بعدي كما شرفت اليهود .	١٢٤

(تابع) فهرس الأحاديث

الصفحة	الحديث	م
٢٥٢	سيخرج قوم في آخر الزمان حدثاء الأسنان .	١٢٥
٢٥٢	سيكون في أمتي اختلاف وفرقة .	١٢٦
١٧٥	سيلي عليكم بعدي ولاة فيليكم البر .	١٢٧
٢١١	السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين .	١٢٨
١٧٥	السمع والطاعة على المرء فيما أحب وكره .	١٢٩
حرف (الصاد والضاد)		
١٨١	صبحكم ومساكم .	١٣٠
٢٥٤	صنفان من أمتي ليس لهم في الإسلام نصيب .	١٣١
٢٢٨ / ٧٣	ضرب الله مثلاً صراطاً مستقيماً .	١٣٢
حرف (الطاء)		
٢٢٩	الطهور شطر الإيمان .	١٣٣
حرف (العين)		
	عرض علي الأمم فرأيت النبي ومعه الرهط .	١٣٤
١٥٣	عرف الحق لأهله .	١٣٥
١٢٤	عري الإسلام وقواعد الدين ثلاث .	١٣٦
٢٧٧	عشرة في الجنة .	١٣٧
١٢٠	على أن يعبد الله ويكفر بما دونه .	١٣٨
١٢٠	على خمس على أن يوحد الله .	١٣٩
حرف (الفاء)		
٢٥٥	فأتى به النبي (ﷺ) فأخذ بشره وجبهته .	١٤٠
٢٥١	فإذا رأيت الذين يتبعون ماتشابه منه .	١٤١
١٦٤	فرق بين رجل وامرأة تزوجها وهي حبل .	١٤٢
١٨٩	فسيلي أموركم بعدي رجال يطفئون السنة .	١٤٣
١٧٣	فقد تركتكم على البيضاء .	١٤٤
٢٧٧	فلعل الله اطلع على أهل بدر .	١٤٥

(تابع) فهرس الأحاديث

الصفحة	الحديث	م
١٠٩	فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله .	١٤٦
١٨٨	فمن يعيش منكم بعدي فسيروا اختلافاً .	١٤٧
١٠٣	فوالله الذي لا إله غيره إن أحدكم .	١٤٨
٢٨٤	فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً .	١٤٩
حرف (الكاف)		
٢٥٨	كان الناس يسألون النبي (ﷺ) عن الخير وكنت أسأله عن الشر .	١٥٠
٢٢٤ / ٢٤٤	كتاب الله هو حبل الله الممدود .	١٥١
٢٧٧	كذبت لا يدخلها فإنه قد شهد بدرأ .	١٥٢
٧٩	كفن رسول الله (ﷺ) في ثلاثة أثواب .	١٥٣
١٠٤	كل الناس يغدوا يبايع نفسه فمعتقها .	١٥٤
٢١٥	كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبي .	١٥٥
٩٨	كل بناء - وأشار بيده هكذا على رأسه ...	١٥٦
٩١	كن كأنك ترى الله .	١٥٧
٢٣٣	كنا جلوساً عند النبي (ﷺ) فخط خطاً .	١٥٨
حرف (اللام)		
١١٤	لا أجر له .	١٥٩
١٨١	لا أدري لعلي لألقاكم بعد عامي هذا .	١٦٠
١٨٩	لا أدري ما قدر بقائي فيكم .	١٦١
٢١٥	لا تتخذوا قبوري عيداً ولا بيوتكم قبوراً .	١٦٢
١٢٢	لا تترك الصلاة متعمداً .	١٦٣
٢١٥	لا تجعلوا بيوتكم قبوراً .	١٦٤
١٩٧	لا تدع تمثالاً إلا طمسته .	١٦٥
٢٧٧	لا تسبوا أصحابي فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً .	١٦٦
٢١٢	لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى بن مريم .	١٦٧
١٥٥	لا تقولوا ماشاء الله وشاء فلان .	١٦٨
٩٩	لا تقوم الساعة حتى يتباهى الناس في المساجد .	١٦٩

(تابع) فهرس الأحاديث

الصفحة	الحديث	م
٩٨	لا تقوم الساعة حتى يتناول الناس في البنيان .	١٧٠
٩٧	لا تقوم الساعة حتى يسود كل قبيلة منافقوها .	١٧١
٩٦	لا تقوم الساعة حتى يكون أسعد الناس بالدنيا .	١٧٢
٢٧٨	لا تمس النار مسلماً رأي أو رأى من رأي .	١٧٣
٩٧	لا تنقض الدنيا حتى تكون عند كعب بن كعب .	١٧٤
١١١	لا تنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة .	١٧٥
١١٢	لا تنقطع الهجرة ما كان الجهاد .	١٧٦
١١٢	لا تنقطع الهجرة ما قوتل العدو .	١٧٧
١١٤	لا شيء إن الله لا يقبل إلا ما كان خالصاً .	١٧٨
١٨٩	لا طاعة لمن لم يطع الله عز وجل .	١٧٩
٢٨٤	لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من الدنيا وما فيها .	١٨٠
١١٠ / ١٠٩	لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية .	١٨١
٨٩	لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه .	١٨٢
١٨٤	لا يبلغ العبد أن يكون من المتقين .	١٨٣
٢٥٦	لا يحل لمسلم تفزيع مسلم .	١٨٤
٢٧٧	لا يدخل النار من بايع تحت الشجرة .	١٨٥
١٦٠	لعن الله من آوى محدثاً .	١٨٦
١٥٠	لعن الله من ذبح لغير الله .	١٨٧
٢١٣	لعن رسول الله (ﷺ) زائرات القبور .	١٨٨
١٢٧	لغدوة في سبيل الله أو روحة خير من الدنيا .	١٨٩
٢٧٣	لقد تركتكم على المحجة البيضاء .	١٩٠
٢٥٤	لكل أمة مجوس ومجوس هذه الأمة .	١٩١
٢٨٢	لن يهلك الناس حتى يعذروا من أنفسهم .	١٩٢
١١٦	له أجران ، أجر السر وأجر العلانية .	١٩٣
١٥٢	لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله .	١٩٤
١٧٤	لو دخلتموها ماخرجتم منها أبداً .	١٩٥
٢٢٧	لو قطرت من الزقوم قطرة لأمرت على أهل الأرض .	١٩٦
٢٨٥	لولا آيتان أنزلهما الله تعالى في كتابه .	١٩٧

(تابع) فهرس الأحاديث

الصفحة	الحديث	م
٢٤٩	ليأتين على أمتي ما أتى على بني إسرائيل .	١٩٨
٢١٨	الذين يصلحون إذا فسد الناس .	١٩٩
٢١٨	الذين يصلحون ما أفسد الناس .	٢٠٠
حرف (الميم)		
١٩٣	ما أحدث قوم بدعة إلا رفع الله مثلها من السنة .	٢٠١
٢٥٩	ما ترك رسول الله (ﷺ) .	٢٠٢
٢٧٣	ما تركت من شي يقرب إلى الجنة إلا وقد حدثتكم به .	٢٠٣
٢٧٨	ما من أحد يموت من أصحابي .	٢٠٤
٢٨٤	ما من داع إلى هدى إلا كان له أجر من تبعه .	٢٠٥
٢٨٥	مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم .	٢٠٦
١٥٠	مروه فليستظل وليتكلم وليتم صومه .	٢٠٧
٩٥	مفاتيح الغيب خمس لا يعلمها إلا الله .	٢٠٨
١٩٢	من ابتدع بدعة ضلالة لا يرضاها الله .	٢٠٩
١٨٤	من اتقى الشبهات استبرأ لدينه .	٢١٠
٢٢٧	من أحب أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة .	٢١١
١٥٦/١٣٠/١٠٦	من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد .	٢١٢
١٣٠	من أحدث في ديننا ما ليس منه فهو رد .	٢١٣
١٦٠	من أحدث فيها حدثاً أو آوى محدثاً .	٢١٤
١٧٤	من أطاع أميري فقد أطاعني .	٢١٥
١٧٣	من أطاعني فقد أطاع الله .	٢١٦
١٥٢	من التمس رضى الناس بسخط الله .	٢١٧
١٢٤	من ترك منهن واحدة فهو بالله كافر .	٢١٨
١١١	من جامع المشرك أو سكن معه .	٢١٩
١٥٥	من حلف بغير الله فقد أشرك .	٢٢٠
١٥٥	من حلف بغير الله فقد كفر .	٢٢١
١٧٥	من رأى من أميره شيئاً فكرهه فليصبر .	٢٢٢
٢٨٥	من سئل عن علم فكتمه .	٢٢٣

(تابع) فهرس الأحاديث

الصفحة	الحديث	م
٢٧٨	من سب أصحابي فعليه لعنة الله .	٢٢٤
١٥١	من سره أن يكون أقوى الناس فليتوكل على الله .	٢٢٥
١٣	من صلى يرائي فقد أشرك .	٢٢٦
١٣٠	من عمل عملاً ليس عليه أمرنا .	٢٢٧
١٠٨	من غزا ولم ينو إلا عقلاً فله ما نوى .	٢٢٨
١١١	من فر بدينه من أرض إلى أرض استوجبت له الجنة .	٢٢٩
١٢٧	من قاتل في سبيل فواق ناقة .	٢٣٠
١١٤	من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله .	٢٣١
١٨٤	من لقي الله لا يشرك به شيئاً دخل الجنة .	٢٣٢
١٨٧	من لقي الله لا يشرك به شيئاً وأدى زكاة ماله .	٢٣٣
١٨٤	من مات وهو يدعو لله ندأ دخل النار .	٢٣٤
١٢٥	من ملك الزاد وراحلة تبلغه إلى بيت الله الحرام .	٢٣٥
١٥٠	من نذر أن يطيع الله فليطعه .	٢٣٦
٢٨٢	من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين .	٢٣٧
٢٥٧	من يقتل هذا .	٢٣٨
١٦٣	المائة شاة والخادم رد عليك ، وعلى ابنك جلد مائة وتغريب عام .	٢٣٩
٨٠	المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده .	٢٤٠
١١٠	المهاجر من هجر ما نهى الله عنه .	٢٤١
حرف (النون)		
٢٣٩	نحن الآخرون الأولون يوم القيامة .	٢٤٢
٢٧٤	نزل جبريل على رسول الله (ﷺ) فأخبره أنها ستكون فتنة .	٢٤٣
١٩٨/١٩٧	نهى رسول الله (ﷺ) أن يخصص القبر .	٢٤٤
حرف (الهاء)		
٦٩	هذا جبريل أتاكم يعلمكم دينكم .	٢٤٥
٢١٤	هل فيها وثن من أوثان الجاهلية .	٢٤٦
١٥٢	هل من داع فاستجيب له .	٢٤٧

(تابع) فهرس الأحاديث

الصفحة	الحديث	م
٢٤٢	هم أصحاب البدع والأهواء .	٢٤٨
٢٥١	هم الخوارج .	٢٤٩
حرف (الواو)		
٩٦	وأن ترى الصم البكم العمي الحفاة رعاء الشاة .	٢٥٠
٦٨	وأنا على ذلك من الشاهدين .	٢٥١
٢٦	والذي نفس محمد بيده ماشجب ولا اغبرت قدم .	٢٥٢
١٨٥	وكان النبي (ﷺ) إذا أمر أميراً على سرية .	٢٥٣
٢٤٦	ومن شذ شذ في النار .	٢٥٤
٢٣٢	وهو صراط الله المستقيم وحبل الله المتين .	٢٥٥
٢١٣	وهو كذلك لعنة الله على اليهود والنصارى .	٢٥٦
حرف (الياء)		
١٢٤	يا أيها الناس إن الله فرض عليكم الحج فحجوا .	٢٥٧
١٠٣	يا أيها الناس إنكم محشرون إلى الله حفاة عراة .	٢٥٨
٢١٩/٢١٨	يأتي على الناس زمان المتمسك فيه بدينه .	٢٥٩
٢١٩	يأتي على الناس زمان للعامل فيه أجر خمسين منكم .	٢٦٠
١٣٧	يامعاذ ، تدري ما حق الله على العباد .	٢٦١
٢١٧	يامعشر قريش اشتروا أنفسكم .	٢٦٢
٦٩	يجاء صاحبها يوم القيامة .	٢٦٣
٢٣٠ / ٢٢٩	يجيء القرآن يوم القيامة فيقول .	٢٦٤
١٠٨	يحشر الناس على نياتهم .	٢٦٥
٢٥٦	يخرج في هذه الأمة قوم يحقرون .	٢٦٦
٢٥٤	يكون في هذه الأمة خسف ومسخ .	٢٦٧
٢٢٨	يمثل القرآن يوم القيامة رجلاً .	٢٦٨

ج - فهرس الآثار

فهرس الآثار

الصفحة	القائل	الأثر	م
١٠٨	الفضيل بن عياض	أخلصه وأصوبه ، والخالص إذا كان لله تعالى ، والصواب إذا كان على السنة .	١
١٩١	الشعبي	إذا اختلف الناس في شيء فانظروا ما صنع عمر فخذوا به .	٢
١٩٠	عمر بن عبدالعزيز	ألا إن ماسن رسول الله (ﷺ) وصاحباة فهو وظيفة دين نأخذ به .	٣
١٨٦	سليمان التيمي	إن الرجل ليصب الذنوب في السر فيصبح وعليه مذلتة .	٤
١٨٧	علي بن أبي طالب	إن الناس لا يصلحهم إلا إمام برّ أو فاجر .	٥
١٩١	علي بن أبي طالب	إن عمر كان رشيد الأمر .	٦
٢٢٩	أبو موسى الأشعري	إن هذا القرآن كائن لكم أجراً وكائن عليكم وزراً .	٧
١٨٥	ابن مسعود	أن يطاع فلا يعصى ، وأن يذكر فلا ينسى ، وأن يشكر فلا يكفر .	٨
١٩٤	ابن مسعود	إنكم قد أصبحتم اليوم على الفطرة ، وإنكم ستحدثون ويحدث لكم .	٩
١٩١	ابن مسعود	أنه كان يحلف بالله أن الصراط المستقيم هو الذي ثبت عليه عمر حتى دخل الجنة .	١٠
١٢٣	ابن مسعود	تارك الزكاة ليس بمسلم .	١١
١٩٠	عمر بن عبدالعزيز	سن رسول الله (ﷺ) وولاة الأمر من بعده سنناً الأخذ بها اعتصام .	١٢
٢٠٨	سواد بن قارب	فكن لي شفيعاً يوم لا ذو شفاعة .	١٣
١٢٤	عمر بن الخطاب	فيمن تمكن من الحج ولم يحج أنهم ليسوا بمسلمين .	١٤
٢٢٩	ابن مسعود	القرآن شافع ومشفع وماحل مصدق .	١٥
٧٨	أبو العالية	كان المسلمون إذا تراوروا تجملوا .	١٦
٩٨	الحسن البصري	كنت أدخل بيوت أزواج النبي (ﷺ) في خلافة عثمان فأتناول .	١٧

(تابع) فهرس الآثار

الصفحة	القائل	الأثر	م
٢٣٦	علي بن أبي طالب	كل شيء علمه في القرآن إلا أن آراء الرجال تعجز عنه .	١٨
١٢٢	عمر بن الخطاب	لاحظ في الإسلام لمن ترك الصلاة .	١٩
١٩٨	عقبة بن عامر	لا يجعل على القبر من التراب أكثر مما خرج منه .	٢٠
١٨٦	أبو الدرداء	ليثق الله أحدكم أن تلغنه قلوب المؤمنين وهو لا يشعر .	٢١
٢٨٥	علي بن أبي طالب	ما أخذ الله تعالى على أهل الجهل أن يتعلموا حتى أخذ على أهل العلم أن يعلموا .	٢٢
٢٤٧	عائشة	ما أرى ربك إلا يسارع في هواك .	٢٣
٢٣٦	مجاهد	ماسأل الناس عن شيء إلا في كتاب الله تبيانه .	٢٤
١٢٢	علي وسعد	من تركها فقد كفر .	٢٥
١٨٤	الحسن البصرى	المتقون اتقوا ما حرم عليهم وأدوا ما افترض عليهم .	٢٦
١٨٤	ابن عباس	المتقون الذين يجذرون من الله عقوبته في ترك ما يعرفون من الهدى .	٢٧
١٨٧	الحسن البصرى	هم يلون من أمورنا خمساً: الجمعة والجماعة والعيد والثغور والحدود .	٢٨
٩٤	علي بن أبي طالب	وأبردها على كبدي إذا سئلت عما لا أعلم أن أقول : لا أعلم .	٢٩
١٠٨	أبو العالية	وصاهم بالإخلاص لله وعبادته وحده لا شريك له .	٣٠
٢٢٩	ابن مسعود	يجيء القرآن يوم القيامة فيشفع لصاحبه فيكون قائداً له إلى الجنة .	٣١
١٨٣	معاذ بن جبل	ينادى يوم القيامة أين المتقون ، فيقومون في كنف من الرحمن .	٣٢

د - فهرس الأعلام

فهرس الأعلام

الصفحة	الشهرة	الاسم	م
حرف (الألف)			
٢٣٣		أبان بن عثمان بن عفان	١
٢٦١		إبراهيم بن سيار النظام	٢
٢٢٥		إبراهيم بن مسلم الهجري	٣
٢٧٠		أبو معاذ التومني	٤
١١٣		أبي بن كعب	٥
١٢٣	القراقي	أحمد بن أدريس الصنهاجي	٦
٢٥٨	البيهقي	أحمد بن الحسين البيهقي	٧
٧٣	النسائي	أحمد بن شعيب بن علي النسائي	٨
٨٧	ابن تيمية	أحمد بن عبدالحليم بن تيمية	٩
١٩١	أبونعيم	أحمد بن عبدالله الأصبهاني	١٠
٢١٧	أحمد البدوي	أحمد بن علي بن إبراهيم البدوي	١١
١١٩	ابن حجر	أحمد بن علي بن حجر العسقلاني	١٢
٢١٧	الرفاعي	أحمد بن علي الحسيني	١٣
٦٨	ابن حنبل	أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني	١٤
٢٢٥	ابن مردويه	أحمد بن موسى الأصبهاني	١٥
٢٧٠	ابن الراوندي	أحمد بن يحيى الراوندي	١٦
٢٨٠		أسامة بن زيد بن حارثة	١٧
١٢١	ابن راهويه	إسحاق إبراهيم المروزي	١٨
١١٠	ابن كثير	إسماعيل بن عمر بن كثير	١٩
١٩١		أشعث بن سوار الكندي	٢٠
١٠٩	النجاشي	أصحمة	٢١
٨٦		أنس بن مالك بن النضر الأنصاري	٢٢
١٢١		أيوب بن كيسان السخيتاني	٢٣
حرف (الباء)			
٢٧٨		بريدة بن الحصيب الأسلمي	٢٤

(تابع) فهرس الأعلام

الصفحة	الشهرة	الاسم	م
٢٧٠		بشر بن غياث المريسي	٢٥
٢٦٢		بشر بن المعتمر	٢٦
١٦٦		بشير بن سعد الأنصاري	٢٧
٢٦٦		بيهس بن الهصيم بن جابر	٢٨
حرف (التاء)			
٢٤٥		تميم بن أوس الداري	٢٩
حرف (الثاء)			
٢١٤		ثابت بن الضحاك بن خليفة بن الأشهلي	٣٠
٢٦٢		ثمامة بن أشرس النمري	٣١
٢٧٠		ثوبان المرجى	٣٢
١٦٢		ثوبان - مولى رسول الله - (ﷺ)	٣٣
١٧٢		ثور بن يزيد	٣٤
حرف (الجيم)			
١٩٧		جابر بن عبدالله بن حرام الأنصاري	٣٥
٨٨		جبير بن مطعم بن عدي القرشي	٣٦
١١١		جرير بن عبدالله البجلي	٣٧
٢٦١		جعفر بن حرب	٣٨
٢٦١		جعفر بن مبشر	٣٩
٩٠	أبو ذر	جندب بن جنادة الغفاري	٤٠
٢١٣		جندب بن عبدالله البجلي	٤١
١٥٩	أبو القاسم الجنيد	الجنيد بن محمد بن الجنيد	٤٢
حرف (الحاء)			
٢٢٩/١٠٤	أبو مالك الأشعري	الحارث بن الحارث الأشعري	٤٣
٢٣٢		الحارث بن عبدالله الأعمور	٤٤
١٤٤	أبو واقد الليثي	الحارث بن مالك الليثي	٤٥
٢٦٩	أبو الحارث الإياضي	الحارث بن يزيد الإياضي	٤٦

(تابع) فهرس الأعلام

الصفحة	الشهرة	الاسم	م
١٧٨	الحسن البصري	حاطب بن أبي بلتعة	٤٧
٩٦		حذيفة بن اليمان	٤٨
٩٨		حريث بن السائب التميمي	٤٩
١٣١		الحسن بن يسار البصري	٥٠
٢١٥		الحسين بن علي بن أبي طالب	٥١
٢٧١		الحسين بن محمد النجار	٥٢
٢٦٨		حفص بن أبي المقدم	٥٣
١٢١		الحكم بن عتيبة الكندي	٥٤
٢٦٥		حمدان بن قرمط	٥٥
٢٨٢		حميد بن عبدالرحمن بن عوف الزهري	٥٦
حرف (حاء)			
١٧٢		خالد بن معدان الكلاعي	٥٧
١٩٠		خلف بن خليفة بن صاعد الأشجعي	٥٨
حرف (ذاي)			
٢٢٥		ذكوان بن السمان	٥٩
٢٥٠		ذو الخويصرة	٦٠
حرف (راء)			
٧٨	أبو العالية	رفيع بن مهران الرباعي	٦١
٢٤٠ / ٢٢٦		الربيع بن أنس	٦٢
حرف (زاي)			
٦٨	أبو الجارود	الزبير بن العوام	٦٣
٢٦٨		زياد بن الأصفر	٦٤
٢٦٥		زياد بن المنذر الهمداني	٦٥
١٢٥		زياد بن نعيم الحضرمي	٦٦
٩١		زيد بن أرقم الأنصاري	٦٧
٢٠١		زيد بن أسلم العدوي	٦٨
١٨		زيد بن الخطاب	٦٩

(تابع) فهرس الأعلام

الصفحة	الشهرة	الاسم	٢
١٩٤		زيد بن ثابت الأنصاري	٧٠
٢٦٥		زيد بن علي بن الحسين	٧١
٢٥١		زيد بن وهب الجهني	٧٢
حرف (السين)			
٢٥٦		سالم بن عبدالله بن عمر بن الخطاب القرشي	٧٣
١٢٢		سعد بن أبي وقاص	٧٤
١٨٥	أبوسعيد الخدري	سعد بن مالك بن سنان الخزرجي	٧٥
٦٣		سعود بن عبدالعزيز بن محمد بن سعود	٧٦
١٦٩/١٢١		سعيد بن جبير	٧٧
٢٥٥		سعيد بن جهان الأسلمي	٧٨
٢٨٢	أبو البخري	سعيد بن فيروز	٧٩
١١٢		سعيد بن منصور	٨٠
١٦٣	الثوري	سفيان بن سعيد بن مسروق	٨١
٦٩	الطبراني	سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني	٨٢
٢٥٦		سليمان الأحمر	٨٣
٧٩	أبو داود	سليمان بن الأشعث	٨٤
١٨٦		سليمان بن طرخان التيمي	٨٥
٦٩	الأعمش	سليمان بن مهران الأسدي	٨٥
١١١		سمرة بن جندب	٨٦
٢٢٥		سهيل بن أبي صالح	٨٧
٢٠٨		سواد بن قارب	٨٨
٢٥٢		سويد بن غفلة	٨٩
حرف (الشين)			
١١٣		شداد بن أوس	٩٠
٢٤٢		شعبة بن الحجاج	٩١
٢٢٨		شعيب بن محمد بن عبدالله بن عمرو	٩٢

(تابع) فهرس الأعلام

الصفحة	الشهرة	الاسم	م
		حرف (الصاد)	
٩١	أبو أمامة	صدى بن عجلان	٩٣
٢١٧		صفية بنت عبد المطلب بن هاشم القرشية	٩٤
		حرف (الطاء)	
٢٣٩		طاووس بن كيسان	٩٥
٢٦٧		طلحة بن عبيد الله	٩٦
		حرف (العين)	
٧٩		عائشة بنت أبي بكر الصديق	٩٧
١٩١	الشعبي	عامر بن شراحيل	٩٨
٢٥٥	أبو الطفيل	عامر بن وائلة بن عبد الله الليثي	٩٩
١٢٢		عبادة بن الصامت الأنصاري الخزرجي	١٠٠
٦٨		عباد بن عبد الله بن الزبير	١٠١
٨٩		عباس بن عبد المطلب القرشي	١٠٢
٨٥	ابن رجب	عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي	١٠٣
٧٤	أبو هريرة	عبد الرحمن بن صخر الدوسي	١٠٤
٢٥٦		عبد الرحمن بن عبد رب الكعبة	١٠٥
١٧٢		عبد الرحمن بن عمرو السلمي	١٠٦
٢٥٦	أبو سلمة	عبد الرحمن بن عوف الزهري	١٠٧
٦٨	ابن أبي حاتم	عبد الرحمن بن محمد بن إدريس الرازي	١٠٨
٢٦٤		عبد الرحمن بن ملجم	١٠٩
١٩٤	ابن المهدي	عبد الرحمن بن المهدي	١١٠
٩٨	الأعرج	عبد الرحمن بن هرمز الأعرج	١١١
٢٦٣	أبو الحسن الخياط	عبد الرحيم محمد بن عثمان	١١٢
٧٨	العز بن عبد السلام	عبد العزيز بن عبد السلام	١١٣
٢٣٩		عبد الرزاق بن همام الصنعاني	١١٤
٢١٧		عبد القادر الجيلاني	١١٥
٢٢٦	أبو المغيرة	عبد القدوس بن الحجاج الخولاني	١١٦
٢٦٩		عبد الكريم بن عجرد	١١٧
٦٢		عبد العزيز بن محمد بن سعود	١١٨

(تابع) فهرس الأعلام

الصفحة	الشهرة	الاسم	م
٢٦٨		عبدالله بن إياض المقاعسي	١١٩
٢٥١		عبدالله بن أبي أوفى	١٢٠
٢٥٣		عبيدالله بن أبي رافع	١٢١
١٦٢	ابن قدامة	عبدالله بن أحمد بن محمد بن قدامة	١٢٢
٢٦٣		عبدالله بن أحمد بن محمود الكعبي	١٢٣
٩٦		عبدالله بن بريدة بن الحبيب	١٢٤
١٧٤		عبدالله بن حذافة بن قيس السهمي	١٢٥
٢٥٣		عبدالله بن خباب الأنصاري	١٢٦
٩٨	أبو زناد	عبدالله بن ذكوان القرشي	١٢٧
٢٦٤		عبدالله بن سبأ	١٢٨
١١٢		عبدالله السعدي	١٢٩
٢٣٩		عبدالله بن طاووس بن كيسان	١٣٠
٨٤	ابن عباس	عبدالله بن العباس بن عبدالمطلب	١٣١
٩٦		عبدالله بن عطاء الطائفي	١٣٢
١١١	البيضاوي	عبدالله بن عمر البيضاوي	١٣٣
٨٠		عبدالله بن عمر بن الخطاب القرشي	١٣٤
٨١		عبدالله بن عمرو بن العاص السهمي	١٣٥
١٩٢		عبدالله بن عمرو المزني	١٣٦
١١٤	أبو موسى الأشعري	عبدالله بن قيس الأشعري	١٣٧
٢٢٥		عبدالله بن لحي الهوزني	١٣٨
١٢٠		عبدالله بن المبارك بن فضالة	١٣٩
١٢٣		عبدالله بن مسعود بن غافل الهذلي	١٤٠
٢٧٨		عبدالله بن المغفل المزني	١٤١
١٢١		عبدالمملك بن حبيب القرطبي	١٤٢
١٩٣		عبدالمملك بن مروان الأموي	١٤٣
٦٨		عبدالمملك بن يحيى بن عباد	١٤٤
٢٦٥		عبدالله بن ميمون القداح	١٤٥
١٠٦	الدارمي	عثمان بن سعيد الدارمي	١٤٦
١٥٤		عدي بن حاتم الطائي	١٤٧

(تابع) فهرس الأعلام

الصفحة	الشهرة	الاسم	م
٧٣		العرباض بن سارية السلمي	١٤٨
١٧٧		عروة بن الزبير بن العوام	١٤٩
١٦٥		عروة بن الجعد البارقى	١٥٠
١٦٣		عطاء بن أبي رباح القرشي	١٥١
٢٥٦		عطاء بن يسار الهلالي	١٥٢
١٩١		عفيف الكندي	١٥٦
١٩٨		عقبة بن عامر الجهني	١٥٧
١٠٥		علقمة بن وقاص الليثي	١٥٨
٩٤		علي بن أبي طالب القرشي	١٥٩
٦٨		علي بن حسين بن الجنيدي	١٦٠
٢١٥		علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب	١٦١
٢٣٢	ابن أبي طلحة	علي بن سالم	١٦٢
٢٥٣	الدارقطني	علي بن عمرو الدارقطني	١٦٣
٦٨		عمر بن حفص بن ثابت	١٦٤
٧٦		عمر بن الخطاب بن نفيل القرشي	١٦٥
١٩٠		عمر بن عبدالعزيز بن مروان بن الحكم الأموي	١٦٦
١٦٥		عمران بن حصين الخزاعي	١٦٧
٢٦٧		عمران بن حطان	١٦٨
٢٦٣		عمرو بن بحر الجاحظ	١٦٩
٢٢٨		عمرو بن شعيب بن محمد بن عبدالله	١٧٠
٨٥		بن عمرو بن العاص	١٧١
١٩٢		عمرو بن عبسة بن عامر السلمي	١٧٢
١٢٤		عمرو بن عوف المزني	١٧٣
٢٠٥		عمرو بن مالك النكري	١٧٤
٢٢٥	أبو الأحوص	عوف بن مالك الأشجعي	١٧٥
١٨٦	أبو الدرداء	عوف بن مالك الجشمي	١٧٦
١٠٣		عويمر بن يزيد بن قيس الأنصاري	١٧٧
		عياض بن الحمار	١٧٧

(تابع) فهرس الأعلام

الصفحة	الشهرة	الاسم	م
		حرف (الغين)	
٦٩		غالب القطان	١٧٨
٢٧٠		غسان الكوفي	١٧٩
١٩٣		غضيف بن الحارث الثمالي	١٨٠
		حرف (الفاء)	
٢١٠		فاطمة الزهراء	١٨١
١٠٨		الفضيل بن عياض بن مسعود التميمي	١٨٢
		حرف (القاف)	
١٠٦	أبو عبيد	القاسم بن سلام	١٨٣
١٣٠		القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق	١٨٤
٢٠١		قتادة بن دعامة السدوسي	١٨٥
		حرف (الكاف)	
١٩٢		كثير بن عبدالله المزني	١٨٦
١٧٦		كعب بن الأشرف	١٨٧
		حرف (الميم)	
٩٤		مالك بن أنس بن مالك الأصبحي	١٨٨
٢٤٢		مجالد بن سعيد الهمداني	١٨٩
١٧٥		مجاهد بن جبر المخزومي	١٩٠
١٠٥		محمد بن إبراهيم التميمي	١٩١
١٥٩	القرطبي	محمد بن أحمد القرطبي	١٩٢
٧٧	البخاري	محمد بن إساعيل بن إبراهيم البخاري	١٩٣
٢٢٤	أبو جعفر الطبري	محمد بن جرير الطبري	١٩٤
٨٠	ابن حبان	محمد بن حبان البستي	١٩٥
٦٢		محمد بن سعود	١٩٦
٢٦١	أبو جعفر الإسكافي	محمد بن عبدالله الإسكافي	١٩٧

(تابع) فهرس الأعلام

م	الاسم	الشهرة	الصفحة
١٩٨	محمد بن يزيد القزويني	ابن ماجة	٩٩
١٩٩	محمد بن عبدالله النيسابوري	الحاكم	٨١
٢٠٠	محمد عبدالواحد المقدسي	الضياء المقدسي	٢١٥
٢٠١	محمد بن عبدالوهاب التميمي		٦٠
٢٠٢	محمد بن عبدالوهاب الجبائي		٢٦٣
٢٠٣	محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب	أبو جعفر الباقر	٢٦٥
٢٠٤	محمد بن عيسى بن سورة	الترمذي	٧٣
٢٠٥	محمد بن المتوكل العسقلاني		٦٨
٢٠٦	محمد بن مسلم القرشي	الزهري	١٦٣
٢٠٧	محمد بن نصر المروزي		١٢١
٢٠٨	محمد بن الهذيل	أبو الهذيل العلاف	٢٦١
٢٠٩	محمد بن يحيى الليثي		٢٢٦
٢١٠	مسلم بن الحجاج النيسابوري	مسلم	٧٧
٢١١	معاذ بن جبل بن أوس الأنصاري الخزرجي		١٣٧/١٢٢
٢١٢	معاوية بن أبي سفيان الأموي		١١١
٢١٣	معاوية بن حيدة القشيري		٨٨
٢١٤	معبد الجهني		٨٣
٢١٥	معروف الكرخي		٢١٨
٢١٦	معمربن راشد الأزدي		٢٣٩
٢١٧	مقاتل بن حيان النبطي		٢٢٦
٢١٨	مهران - مولى رسول الله - (ﷺ)	سفينة	١٩٠
حرف (النون)			
٢١٩	نافع بن الأزرق الحروري		٢٦٧
٢٢٠	نافع - مولى عبدالله بن عمر	نافع	١٢١
٢٢١	نجدة بن عامر الحنفي		٢٦٧
٢٢٢	النعمان بن بشير بن سعد الأنصاري الخزرجي		١٠٦
٢٢٣	نفيح بن الحارث بن كلدة الثقفي	أبو بكر	٢٥٧

(تابع) فهرس الأعلام

الصفحة	الشهرة	الاسم	م
٧٣		الثواس بن سماعيل الأنصاري	٢٢٤
		حرف (الواو)	
٢٦٠		واصل بن عطاء	٢٢٥
		حرف (الهاء)	
٢٦٢		هشام بن عمرو الفوطي	٢٢٦
		حرف (الياء)	
١٠٥		يحيى بن سعيد الأنصاري	٢٢٧
٢٦٨		يزيد بن أنيسة	٢٢٨
١٨٦		يزيد بن سلمة بن يزيد الجعفي	٢٢٩
٢٦٩		يونس بن عون النميري	٢٣٠
٦٨		يحيى بن عباد بن عبدالله الزبير	٢٣١

هـ - فهرس المصادر والمراجع

فهرس المصادر والمراجع

ملاحظات	اسم المؤلف	اسم المصدر أو المرجع	م
		القرآن الكريم	١
		الأدب المفرد	٢
الطبعة الثانية - ١٣٧٩ - القاهرة	للبخاري محمد إسماعيل البخاري		
دار الشعب ، مصر	عز الدين أبي الحسن بن الأثير	أسد الغابة في معرفة الصحابة	٣
الطبعة الأولى - ١٣٢٨	ابن حجر العسقلاني	الإصابة في تمييز الصحابة	٤
دار التراث العربي - بيروت			
الطبعة الثالثة - بيروت	خير الدين الزركلي	الأعلام	٥
الطبعة الثالثة - الشؤون الدينية - قطر	أحمد بن علي المقريري	إمتاع الأسماع	٦
الطبعة الثانية ١٣٨٨ / ١٩٦٨	عبدالله بن عمر البيضاوي	أنوار التنزيل	٧
الطبعة الأولى - دار الهدى ١٩٧٨ / ١٣٩٨	الشيخ أبي محمد عبدالله بن إسماعيل المعروف بـ(أبي شامة) تحقيق، عثمان أحمد عنبر	الباعث على إنكار البدع والحوادث	٨
الطبعة الأولى - ١٣٤٨ . مصر	أحمد بن علي الشوكاني	البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع	٩
الطبعة الثانية ١٩٧٧ . المعارف - بيروت .	ابن كثير	البداية والنهاية	١٠
الناشر دار الكتاب العربي . بيروت	أحمد بن علي الخطيب البغدادي	تاريخ بغداد	١١
مكتبة الرياض الحديثة ٧٣ / ٩٣	سيد محمد إبراهيم	تاريخ المملكة العربية السعودية	١٢
الطبعة الثانية ١٣٦٨ والثالثة ١٣٨١	حسين غنام	تاريخ نجد	١٣

(تابع) فهرس المصادر والمراجع

م	اسم المصدر أو المرجع	اسم المؤلف	ملاحظات
١٤	تحفة الأشراف	يوسف بن عبدالرحمن بن يوسف المزني صححه وعلق عليه عبدالرحمن شرف الدين	دار القيمة بمباي الهند ٦٥ / ٨٢
١٥	تذكرة الحفاظ	أبو عبدالله شمس الدين الذهبي	دار إحياء التراث العربي
١٦	ترتيب قاموس المحيط	الطاهر أحمد الزاوي	دار الكتب العلمية ١٩٧٩ / ١٣٩٩
١٧	تعجيل المنفعة بزوائد رجال الأئمة الأربعة	ابن حجر العسقلاني	دار الكتاب العربي ، بيروت
١٨	تفسير ابن كثير (القرآن العظيم)	اسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي	دار المعرفة . بيروت ١٩٦٩ / ١٣٨٨
١٩	تفسير الطبري	أبو جعفر محمد بن جرير الطبري تحقيق أحمد شاكر وأخوه محمود	دار المعارف . مصر
٢٠	تقريب التهذيب	لابن حجر العسقلاني تحقيق عبدالوهاب عبداللطيف	الطبعة الثانية ١٣٩٥
٢١	تهذيب التهذيب	لابن حجر العسقلاني	الطبعة الأولى . دار المعارف . بيروت ١٣٢٥
٢٢	تيسير العزيز الحميد	سليمان عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب	الطبعة الرابعة - ١٤٠٠
٢٣	الجامع لأحكام القرآن	أبو عبدالله محمد أحمد الأنصاري القرطبي	دار الكتب العلمية . بيروت ١٩٧٨ / ١٣٩٨
٢٤	جامع بيان العلم وفضله	يوسف بن عبدالبر النمري القرطبي	دار الكتب العلمية بيروت ١٩٧٨ / ١٣٩٨
٢٥	جامع الأصول	أبو السعادات مبارك بن محمد - ابن الأثير تحقيق حامد الفقي	الطبعة الثانية ١٩٨٠ / ١٤٠٠

(تابع) فهرس المصادر والمراجع

ملاحظات	اسم المؤلف	اسم المصدر أو المرجع	م
	محمد بن عيسى بن سورة الترمذي . تحقيق أحمد محمد شاكر	الجامع الصحيح	٢٦
مكتبة الرسالة الحديثة-عمان	أحمد بن رجب الحنبلي .	جامع العلوم والحكم	٢٧
المكتبة السلفية	أبو نعيم أحمد بن عبدالله الأصفهاني	حلية الأولياء	٢٨
الطبعة الأولى ١٩٦٨	حسين بن خلف الشيخ خزعلي	حياة الشيخ محمد بن عبد الوهاب	٢٩
الطبعة الثالثة ١٩٧٩	د . عبدالرحيم عبدالرحمن عبدالرحيم	الدولة السعودية الأولى	٣٠
مكتب دار التراث ، القاهرة	ابن فرحون المالكي	الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب	٣١
الطبعة الأولى ١٤٠٠ مطبعة الحلبي	محمد بن عثمان بن صالح القاضي بعنيزة ، تحقيق د . محمد أحمد أبو النور	روضة الناظرين عن مآثر علماء نجد	٣٢
مكتب الدار الإسلامي . الطبعة الأولى ١٤٠٠	عمرو بن أبي عاصم الضحاك الشيبياني	السنة لابن أبي عاصم	٣٣
دار إحياء التراث العربي ودار إحياء السنة النبوية	سليمان بن أشعث السجستاني	سنن أبي داود	٣٤
دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع	أبو عبدالله محمد بن يزيد القزويني	سنن ابن ماجه	٣٥
دار إحياء السنة النبوية ، بيروت	عبدالرحمن بن الفضل الدارمي	سنن الدارمي	٣٦
دار المحاشي - مصر	علي بن عمر الدارقطني . تحقيق عبدالله بن هاشم المدني	سنن الدارقطني	٣٧
دار إحياء التراث العربي . بيروت	للنسائي	سنن النسائي - بشرح السيوطي وحاشية السندي	٣٨

(تابع) فهرس المصادر والمراجع

م	اسم المصدر أو المرجع	اسم المؤلف	ملاحظات
٣٩	سير أعلام النبلاء	شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق شعيب الأرنؤوط	الطبعة الأولى . مؤسسة الرسالة . بيروت ١٤٠١-١٩٨١
٤٠	شذرات الذهب	أبو الفلاح عبدالحى بن العماد الحنبلي	المكتب التجاري للطباعة والنشر . بيروت
٤١	شعراء هجر	د. عبدالفتاح محمد الحلو	الطبعة الأولى ١٣٧٩-١٩٥٩
٤٢	شرح العقيدة الطحاوية	ابن أبي العز الحنفي، تحقيق جماعة من العلماء	الطبعة الرابعة ١٣٩١
٤٣	صحيح البخاري	محمد بن إسماعيل البخاري	المكتبة الإسلامية إستانبول، ١٩٧٩
٤٤	صحيح مسلم	مسلم بن الحجاج النيسابوري، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي	رئاسة إدارة البحوث
٤٥	صفة الصفوة	أبو الفرج ابن الجوزي	الطبعة الثانية . دار المعرفة بيروت . ١٣٩٩-١٩٧٩
٤٦	طبقات الحنابلة	ابن أبي يعلى	مطبعة السنة المحمدية
٤٧	العواصم من القواصم	القاضي أبي بكر بن العربي، تحقيق محب الدين الخطيب	١٣٠٩-١٩٧٠
٤٨	عنوان المجدد في تاريخ نجد	عثمان بن عبدالله بن بشر النجدي	مكتبة الرياض الحديثة . الرياض
٤٩	الفائق في غريب الحديث	جار الله حمود بن الزمخشري	دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع
٥٠	فتح الباري	أحمد بن علي بن حجر العسقلاني	مكتبة الرياض الحديثة . الرياض
٥١	الفرق بين الفرق	عبدالقادر بن طاهر البغدادي . تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد	دار المعرفة . بيروت

(تابع) فهرس المصادر والمراجع

م	اسم المصدر أو المرجع	اسم المؤلف	ملاحظات
٥٢	فوات الوفيات والذيل عليها	محمد شاكر الكتبي . تحقيق د. إحسان عباس	دار الثقافة . بيروت .
٥٣	فيض القدير (شرح الجامع الصغير)	محمد عبدالرؤوف المناوي	دار المعرفة . بيروت ، الطبعة الثانية ١٩٧٢-١٣٩١
٥٤	قيام الدولة العربية الإسلامية في حياة محمد (ﷺ)	د. محمد جمال الدين سرور	دار الفكر . ١٣٩٧-١٩٧٧
٥٥	الكافي في فقه الإمام أحمد	موفق الدين عبدالله بن قدامي المقدسي ، تحقيق زهير الشاويش	الطبعة الثانية . المكتب الإسلامي ١٣٩٩-١٩٧٩
٥٦	الكامل في التاريخ	أبو الحسن علي بن محمد الشيباني ، المعروف بابن الأثير	بيروت ١٣٨٥-١٩٦٥
٥٧	اللباب في تهذيب الأسماء	عز الدين بن الأثر الجزري	مكتبة المتن . بغداد
٥٨	لسان العرب	جمال الدين محمد بن كرم ، ابن منظور	الطبعة الثانية . دار صادر ، بيروت
٥٩	لسان الميزان	لابن حجر العسقلاني	الطبعة الثانية ٧٢/٩٠ .
٦٠	مجمع الزوائد	نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي	الطبعة الثانية . دار الكتاب العربي . بيروت
٦١	مجموعة فتاوى ابن تيمية	جمع وترتيب عبدالرحمن بن محمد بن قاسم النجدي وابنه محمد	الطبعة الأولى ١٣٩٨
٦٢	مجموعة الرسائل	للشيخ عبدالله بابطين	
٦٣	مجموعة التوحيد	لمحمد بن عبدالوهاب	مكتبة الرياض الحديثة
٦٤	مختار الصحاح	محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي	مكتبة النوري . دمشق ، مؤسسة علوم القرآن . بيروت ١٣٩٨-١٩٧٨

(تابع) فهرس المصادر والمراجع

م	اسم المصدر أو المرجع	اسم المؤلف	ملاحظات
٦٥	مختصر الصواعق المرسله	محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية	مكتبة الرياض الحديثه . الرياض
٦٦	مستدرك الحاكم	محمد بن عبدالله الحاكم	
٦٧	مسند الإمام أحمد	أحمد بن حنبل	الطبعة الثانية ١٣٩٨-١٩٧٨
٦٨	مشاهير علماء نجد	عبدالرحمن عبداللطيف آل الشيخ	الطبعة الثانية ١٣٩٤
٦٩	مصنف عبدالرزاق	أبوبكر عبدالرحمن بن همام الصنعاني، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي	المكتب الإسلامي بيروت (١٣٩٠-١٩٧٠) الأولى
٧٠	المعجم المفهرس لألفاظ القرآن	محمد فؤاد عبدالباقي	القاهرة . مطبعة الكتب المصرية . ١٩٦٤
٧١	المعجم المفهرس لألفاظ الحديث		مكتبة بريل في مدينة لندن ١٩٣٦
٧٢	معجم البلدان	ياقوت بن عبدالله الحموي البغدادي	دار صادر . بيروت ١٣٩٩-١٩٧٩
٧٣	معجم المؤلفين	عمر رضا كحالة	مكتبة المثنى . بيروت دار إحياء التراث العربي
٧٤	الملل والنحل	عبدالكريم بن أحمد الشهرستاني، تحقيق محمد سيد كيلاني	الطبعة الثانية ١٣٩٥-١٩٧٥
٧٥	المنتظم في تاريخ الملوك والأمم	عبدالرحمن بن علي محمد الجوزي	الطبعة الأولى . دار المعارف العثمانية ١٣٥٧ . حيدرآباد
٧٦	موارد الظمان في زوائد ابن حبان	نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي	دار الكتب العلمية . بيروت
٧٧	موطأ الإمام مالك	مالك بن أنس	دار إحياء الكتب العربية

(تابع) فهرس المصادر والمراجع

ملاحظات	اسم المؤلف	اسم المصدر أو المرجع	م
دار إحياء الكتب العربية دار المعرفة . بيروت الطبعة الأولى ٨٢	محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي . تحقيق علي محمد البخاري	ميزان الاعتدال	٧٨
دار صادر- بيروت . ١٩٦٨ - ١٩٧٨	أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان . تحقيق إحسان عباس	وفيات الأعيان	٧٩
المكتبة الإسلامية الطبعة الثالثة	لابن الأثير، مجد الدين أبي السعادات المبارك محمد الجزري	النهاية في غريب الحديث	٨٠

و - فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
٥	تقديم
٧	المقدمة
١٥	(القسم الدراسي)
١٧	الفصل الأول : ويشتمل على ثلاثة مباحث
١٧	المبحث الأول : الحالة الدينية
٢١	المبحث الثاني : الحالة السياسية
٢٤	المبحث الثالث : الحالة العلمية
٢٧	الفصل الثاني : ويشتمل على مبحثين
٢٧	المبحث الأول : اسمه ونشأته ووفاته
٢٨	المبحث الثاني : تلامذته وأهم آثاره :
٢٨	أ - تلامذته
٣١	ب - أهم آثار المؤلف
٣٥	الفصل الثالث : ويشتمل على ثلاثة مباحث
٣٥	المبحث الأول : في محتوى الكتاب ويشتمل على أربعة فروع : ...
٣٥	الفرع الأول : اسم الكتاب
٣٦	الفرع الثاني : نسبة الكتاب إلى المؤلف
٣٦	الفرع الثالث : زمن تأليف الكتاب
٣٦	الفرع الرابع : سبب تأليف الكتاب
٣٧	المبحث الثاني : قيمة الكتاب العلمية
٣٨	المبحث الثالث : وصف المخطوطة

(تابع) فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
٤١ (القسم التحقيقي)
٥١ المقدمة
٦٧ الفصل الأول : فيما جاء في الإسلام أنه دين الله الذي لا يقبل سواه
٧٥ الفصل الثاني : في تفسير النبي (ﷺ) الإسلام والإيمان والإحسان
٨٠ تفسير الإسلام
٨٢ تفسير الإيمان
٩٠ تفسير الإحسان
٩٥ علامات الساعة
١٠١ الفصل الثالث : في إخلاص العمل لله تعالى
١٠٩ معنى الهجرة والمراد منها
١١٣ ماجاء في النية
١١٧ الفصل الرابع : في دعائم الإسلام التي يتم له بها النظام
١٢٠ الركن الثاني ، الصلاة
١٢٣ الركـاة
١٢٣ صوم رمضان
١٢٤ الحـج
١٢٥ الجـهاد

(تابع) فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
	الفصل الخامس : في تعيين قبول شرعه المظهر (ﷺ) ولزوم العمل بهديه الأنور وإلغاء مخالفه وضده وإبطال العمل به
١٢٩	ورده
١٣٠	حقيقة محبة الله ورسوله وطاعتها
١٣٨	معنى لا إله إلا الله
١٤٤	التحذير من اتباع أهل الكتاب
١٥٠	أنواع العبادة
١٥٤	التحليل والتحريم من حق الله تعالى
١٥٥	الحلف بغير الله
	الفصل السادس : في أمره (ﷺ) عند الاختلاف بالتمسك بسنته وسنة خلفائه الراشدين التي هي منهاج النجاة والهداية، وتحذيره من إرتكاب البدع التي هي سبل الضلالة والغواية
١٧١	والغواية
١٧٣	التمسك بالكتاب
١٧٣	التمسك بسنة الرسول (ﷺ)
١٧٤	طاعة أولي الأمر
١٧٦	الرجوع إلى الكتاب والسنة
١٨٢	معنى التقوى
١٨٧	السمع والطاعة لولاة الأمر
١٨٨	التمسك بسنة الخلفاء الراشدين
١٩٢	المُرَاد بالبدعة
٢٠١	الشفاعة وأنواعها
	التحذير من الغلو في الصالحين والنهي عن اتخاذ القبور مساجد

(تابع) فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
	الفصل السابع : في الأمر بالاعتصام بكتاب الله المبين، والتمسك بحبله المتين، وذم الافتراق في الدين، وإخبار الرسول الأمين (ﷺ) بافتراق أمته المجيبين على ثلاث وسبعين.
٢٢١
٢٦٠ أهم الفرق الإسلامية
٢٦٠ ١ - المعتزلة
٢٦٠ أ - الواصلية
٢٦١ ب - الهذيلية
٢٦١ ج - النظامية
٢٦١ د - الإسكافية
٢٦١ هـ - الجعفرية
٢٦٢ و - البشرية
٢٦٢ ز - الهشامية
٢٦٢ ح - الصاحبية
٢٦٢ ط - الخابضية
٢٦٢ ي - الحديثية
٢٦٢ ك - المعمرية
٢٦٢ ل - الثامية
٢٦٣ م - الخياطية
٢٦٣ ن - الجاحظية
٢٦٣ س - الكعبية
٢٦٣ ع - الجبائية

(تابع) فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
٢٦٤	٢ - الشيعة
٢٦٤	أ - الغلاة
٢٦٤	١ - السبئية
٢٦٤	٢ - الكاملية
٢٦٤	٣ - الغرابية
٢٦٤	٤ - النصرية والإسحاقية
٢٦٥	٥ - الذمية
٢٦٥	٦ - الإسماعيلية
٢٦٥	ب - الزيدية:
٢٦٥	١ - الجارودية
٢٦٦	٢ - السليمانية
٢٦٦	٣ - البترية
٢٦٦	ج - الإمامية
٢٦٦	٣ - الخوارج
٢٦٦	أ - المحكمة الأولى
٢٦٦	ب - البيهسية
٢٦٧	ج - الأزارقة
٢٦٧	د - النجدية
٢٦٨	هـ - العاذرية
٢٦٨	و - الصفريية
٢٦٨	ز - الإباضية
٢٦٨	ح - الحفصية
٢٦٨	ط - الزيدية

(تابع) فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
٢٦٩ ى - الحارثية
٢٦٩ ك - العجاردة
٢٦٩ ٤ - المرجئة
٢٦٩ أ - اليونسية
٢٧٠ ب - العبدية
٢٧٠ ج - الغسانية
٢٧٠ د - الثوبانية
٢٧٠ هـ - التومية
٢٧١ ٥ - الجبرية
٢٧١ ٦ - النجارية
٢٧١ أ - البرغونية
٢٧١ ب - الزعفرانية
٢٧١ ج - المستركة
٢٧١ ٧ - المشبهة
٢٧٣ ٨ - الفرقة الناجية - فرقة الحق أهل الإسلام والإيمان
٢٩١ أ - الفهارس : فهرس الآيات القرآنية
٣١١ ب - فهرس الأحاديث
٣٢٥ ج - فهرس الآثار
٣٢٩ د - فهرس الأعلام
٣٤١ هـ - فهرس المصادر والمراجع
٣٥١ و - فهرس الموضوعات

رقم الإيداع بدار الكتب القطرية

٤٥٧ لسنة ١٩٩٢ م